

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام

للقرآن الكريم

(المجلد الثاني)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود ﷺ للقرآن الكريم - المجلد الثاني
الطبعة الأولى: ٢٠٢٦م الموافق لـ ١٤٤٨ هـ

An Arabic rendering of

Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood^{as} (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya
Muslim Community

Volume: 2

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.alislam.org
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
ج	مقدمة الطبعة الأولى الأردنية
خ	مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة
١	تفسير سورة البقرة
١	ملخص مضمونها
١٣	علل القرآن الكريم الأربع
١٧	درجات النفس الثلاث
١٨	العدل
١٨	الإحسان
١٩	إيتاء ذي القربى
٢٠	تأثير صحبة الصادقين
٢٢	أسلوبان للإنفاق
٢٥	التقوى مفتاح العلوم الدينية كلها
٥١	إنفاق الرزق
٥٦	تعريف المتقي وفلسفة الإيمان
٣٠٠	للإنسان أسلوبان فقط لإحراز التقدم والرقى
٣٤٤	ما الدعاء وما أسلوبه
٣٥٨	الصبر شرط لإجابة الدعاء
٣٧١	شرط استجابة الدعاء

٤٥٣	ضرورة الشفاعة
٤٩٩	فهرس المواضيع
٥٠٧	فهرس الآيات المفسرة



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مؤاج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المنزّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمّني بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحي، ويفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يجب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله ﷻ

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتيه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يمسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأنار بنوره الوضاء ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَرِّهنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظلاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نتلوها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك الآلئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تهافت التهمة الداحضة التي افترهاها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسيرُ المسيح الموعود عليه السلام المنشورة

في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أقفية هؤلاء الكذابين المكذّبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يُضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع أي التنزيل الحكيم كجواهر ثَمَانٍ ووُزُوْدٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقّيته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيٍّ مُغرِقٍ في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنَّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبَيْلِ وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨ م.

وقد حظي بعرف تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخير الجاوي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بمجهود في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضًا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّه ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ١٩٠٠/٧/٢٠ م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧ م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأُنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨ م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩ م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ١٩٨٠/٣/٧ م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.



بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبتُه من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرارٌ دفائنه. جمعتُ فيه أنواع المعارف وربّنتُ." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً قأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلاّ ظلّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبر، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخير كلّهُ في القرآن". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة البقرة



ملخص مضمونها

لقد وردت في هذه السورة حقوق الله وحقوق العباد بالتفصيل، وذكرت الأوامر والنواحي مفصلاً، وفيها تأكيد شديد على الصبر والإيثار. (مكتوبات أحمد، المجلد ٥ رقم ٥ ص ١٥٠. مكتوب ٣/٧٤ إلى منشي عبد الله السنوري رحمته الله)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

من بين هذه الآيات المقتبسة، تأملوا أولاً في أول آيتين من سورة البقرة: ﴿أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، تروا كيف ردّ الله تعالى على هذه

الوسوسة^١ بدقة متناهية مراعيًا الإيجاز. فأولا بيّن العلة الفاعلة لنزول القرآن الكريم، وأشار إلى عظّمته وشوكته، فقال: ﴿أَلَمْ﴾ أي؛ أنا الله أعلم، وأنا الحكيم العليم منزل هذا الكتاب ولا يعادل علم أحد علمي. ثم ذكر بعد ذلك علة القرآن المادية وأشار إلى عظّمته فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾.. أي هذا كتاب عظيم ويحتل مرتبة سامية، وعلمته المادية هو علم الله. أي من الثابت والمتحقق عن هذا الكتاب أن مصدره ومنبعه هو ذات الله الأزلي الحكيم القدير. ففي قوله ﴿ذَلِكَ﴾ اختار الله تعالى لفظا يفيد البُعد، وفي ذلك إشارة إلى أن هذا الكتاب ناتج عن علم ذلك الإله ذي الصفات السامية والذي لا مثيل له ولا نظير، والذي علومه الكاملة وأسراره الدقيقة بعيدة كل البُعد عن مدى نظر الإنسان. ثم ذكر ﷻ أن الكتاب بصورته الظاهرية أيضا جدير بالمدح والثناء، فقال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.. أي أن ما جاء في القرآن الكريم فقد جاء من المعقولية والأدلة الدامغة، ولا يترك مجالا لأي نوع من الشك فيه، بمعنى أنه لا يتضمن قصصا وحكايات مثل الكتب الأخرى، بل يشمل أدلة يقينية وبراهين قاطعة، ويسوق على بيانه حججا بيّنة وأدلة شافية، وهو في حد ذاته معجزة وفي حكم السيف البتّار لإزالة الشكوك والشبهات. ولا يترك المرء على مرتبة الظن في مجال معرفة الله تعالى؛ إذ لا يكتفي بالقول: "يجب أن يكون" فقط، بل يوصله إلى مرتبة اليقين والقطعية أي "هو موجود فعلا".

فبذلك بيّن عظمة العلل الثلاث. ومع عظمة هذه العلل الثلاث التي لها مكانة عظيمة من حيث التأثير والإصلاح، جعل العلة الرابعة لنزوله -أي العلة الغائية، وهي الإرشاد والهداية- مقصورة على المتقين فقط، وقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.. أي أن هذا الكتاب قد أنزل لهداية ذوي الصفات المتميزة الذين سيصلون في نهاية

^١ المراد من الوسوسة هنا هي وسوسة الآريين أنه إذا كانت المعرفة الكاملة تتوقف على القرآن فقط فلماذا لم ينشره الله تعالى في جميع البلاد والمعمرات القديمة والجديدة، ولماذا حرم عشرات الملايين من مخلوقاته من معرفته الكاملة والمعتقد الصحيح؟ (المدون)

المطاف إلى درجة الإيمان ومعرفة الله والتقوى الكاملة، وذلك نتيجة طهارتهم الباطنية وعقلهم السليم وفهمهم المستقيم وشوقهم إلى طلب الحق وصحة نيتهم. أي أن الذين يعلم الله تعالى بناء على علمه القديم أن فطرتهم منسجمة مع هذا الهدى، وهم قابلون للتقدم في مجال المعارف الحقّة، سينالون الهداية من هذا الكتاب في نهاية المطاف، وسيصلهم هذا الكتاب في كل الأحوال. وسيهديهم الله تعالى قبل موتهم. لاحظوا الآن، فقد بيّن الله تعالى هنا بكل جلاء أن الذين يستحقون الهداية في علم الله وَعَلَّمَ ويتصفون بفطرتهم الحقيقية بصفة التقوى فقط سيهتدون حتما. ثم زاد الموضوع شرحا وتفصيلا في الآيات التي تلتها فقال تعالى بأن الذين سيؤمنون - بحسب علم الله - سينضمون إلى المسلمين عاجلاً أو آجلاً وإن لم ينضموا إليهم إلى الآن، ولن يبقى بعيداً إلا الذين يعلم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا بالإسلام الحقيقي. وسواء أأسديت إليهم النصيحة أم لا، فلن يؤمنوا، أو لن يصلوا إلى مراتب التقوى والمعرفة الكاملة.

باختصار، قد بيّن الله تعالى في هذه الآيات بوضوح تام أنه لا يستفيد من هدى القرآن إلا المتقين الذين لا تغلب على فطرتهم الصحيحة ظلمة النفس، فسيهتدون بهذا الهدى حتما. أما غير المتقين فلا يستفيدون من هدى القرآن، وليس ضرورياً أيضاً أن يصلهم هديّه في كل الأحوال. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٢٠٠-٢٠٢، الحاشية رقم ١١)

ما لم تكن علل أربع لكتاب ما كاملة لا يمكن تسميته كتاباً كاملاً، لذا فقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات العلل الأربع للقرآن الكريم وهي: (١) العلة الفاعلة، (٢) العلة المادية، (٣) العلة الصورية، (٤) العلة الغائية. وكلها قد بلغت درجة الكمال. ففي ﴿آلَمْ﴾ إشارة إلى كمال العلة الفاعلة ومعناها: أنا الله أعلم. أي أنا الله العالم بالغيب أنزلت هذا الكتاب. فما دام الله هو العلة الفاعلة لهذا الكتاب لذا فإن فاعله أقوى وأكمل من أي فاعل آخر. والكلمات: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ تشير

إلى كمال العلة المادية وتعني أنه لكتابٌ قد لبس لباس الوجود بعلم الله. ولا شك أن علم الله تعالى أكمل العلوم كلها. أما الكلمات: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فتشير إلى كمال العلة الصورية، وتعني أن هذا الكتاب منزّه عن كل خطأ وشك أو ريب. وأي شك في أن الكتاب الذي منشؤه علم الله إنه عديم النظير في كونه صحيحاً ومنزهاً عن كل عيب ونقيصة وريب وكونه الأكمل والأتم. والجملة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تشير إلى كمال العلة الغائية، أي هذا الكتاب هو الهدى الكامل للمتقين. وإن أكثر ما يمكن أن يقدّم للفطرة الإنسانية من هداية إنما يمكن تقديمه بواسطة هذا الكتاب. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٦-١٣٧، الحاشية)

لقد بين الله جلّ شأنه الغاية من نزول القرآن أنه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وعدّ المتقين وحدهم بوجه خاص حائزين على الرشد والهداية والبركة من القرآن الكريم، كما يقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَدَّتْهُمْ إِلَى الْبِرِّ وَنَقَّاهُمْ مِنَ كُلِّ مَذْهَبٍ﴾ (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٣٩-١٤٠)

الذي لديه مسحة من البصيرة يستطيع أن يدرك جيداً أنه إذا بلغت سلسلة التحقيق والتدقيق مبلغاً انكشفت فيه الحقيقة بجلاء تام ووسطعت الأدلة الواضحة والشواهد القاطعة من كل حذب وصوب كشمس ساطعة، فإن عملية التنقيح والتفتيش تنقطع في حينها، ويتحتم على كل طالب حق أن يثبت عليها بأقدام راسخة، ولا يسع الإنسان إلا قبولها. ومن الواضح أنه عندما يطلع الإنسان على ثبوت كامل وتستتير كل زاوية من زوايا الأمر المبحوث عنه كفلق الصبح ويستبين وجه الأمر الحق بكل جلاء، فأنتى لعقل وذو حواس سليمة أن يشك فيه، وكيف لا يطمئن له قلب ذي عقل سليم؟ غير أنه لو بقيت هناك إمكانية للخطأ ولم تنكشف الحقيقة بجلاء تام، لكان بالإمكان أن يعنى المرء النظر في الموضوع أكثر فأكثر، ويمكن إعادة النظر مرة بعد أخرى بدلا من أن يشك المرء مثل المتوهمين في حقيقة متحققة موقعا نفسه في وساوس سخيفة، لأن ذلك ليس تقدما للأفكار بل هو تقدم في

الجنون. والذي تبَيَّنَ عليه جواز أمر ما أو عدم جوازه كالشمس في كبد السماء، فهل هو سكران أو مجنون حتى يتساءل بعد الانكشاف التام فيما لو كان الأمر الذي يراه غير جائز، قد يكون جائزا في الحقيقة، أو قد يكون العكس هو الصحيح. غير أنه كان من الممكن أن تطلَّ مثل هذه الأسئلة برأسها أو تنشأ في القلوب وسائس من هذا القبيل إذا كان المدار كله على الاجتهادات العقلية فقط، وكان العقل محروما - مثل عقل أتباع البرهمو - من صحبة رفيقه الآخر ومؤازرته. ولكن عقل أتباع الإلهام الحقيقي ليس معوزا وعديم الحيلة هكذا، بل يدعمه ويعينه كلام الله الكامل الذي يوصل سلسلة التحقيقات إلى مركزها الحقيقي ويهبهم مرتبة اليقين والمعرفة بحيث لا يبقى مجال للتقدم بعد ذلك ولو خطوة واحدة، لأنه يبين الأدلة العقلية بتمام وكمال من جانب، ويشكِّل حجة قاطعة - لكونه عديم المثال والنظير - في حد ذاته لليقين بالله وبهديه من جانب آخر؛ فلا يعلم قدر مرتبة حق اليقين هذه التي ينالها طالب الحق نتيجة هذا الثبوت الثنائي إلا مَنْ كان باحثا عن الله تعالى بصدق القلب، ولا يطلبها إلا الذي يبحث عن الله تعالى بروح صادقة. ولكن أنى لأتباع البرهمو سماج - الذين مبدأهم أنه ما من كتاب ولا إنسان بريء من إمكانية الخطأ - أن يصلوا إلى هذه المرتبة من اليقين ما لم يتوبوا من مبدئهم الشيطاني هذا ويطلبوا سبيل اليقين؟ لأنهم ما داموا لم يعثروا إلى الآن - بحسب اعترافهم - على كتاب مثله يجمع في طياته مجموعة المسائل الخالية من الأخطاء ولم يختلقوه بأنفسهم؛ فمن الواضح أن إيمانهم لا يزال غارقا في ورطة الشبهات. وإن مبدأهم هذا يدل على أنهم ليسوا حائزين على يقين في أية مسألة من المسائل التي تتعلق بمعرفة الله. ومن المحالات عندهم أن يجمع كتاب بين دفتيه المسائل الصحيحة في علوم الدين. بل قد أعلنوا جهارا نهارا أنه مهما كان الكتاب ينص على وجود الله تعالى تماما ويُعَدُّه واحدا لا شريك له وقادرا وخالقا وعالما بالغيب وحكيما ورحمنا ومتصفا بصفات كاملة أخرى، ويُعَدُّه بريئا من الحداثة والفناء والتغيُّر والتبدُّل والشرك وغيرها من الأمور المعيبة؛ فمع ذلك كله لا يمكن أن

يكون - ذلك الكتاب - خاليا من إمكانية الخطأ عندهم، وبالتالي ليس جديرا باليقين. ولهذا السبب نفسه ينكرون القرآن الكريم أيضا.

لاحظوا الآن، إن ملخص مذهبهم وإيمانهم بحسب اعترافهم هو أن وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته أيضا ليست خالية من إمكانية الخطأ. وباختصار، ما داموا قد اعترفوا بأنفسهم أنه ليس لديهم كتاب يمكن الجزم بصحته بحسب رأيهم، فتبين من ذلك بجلاء تام أن مذهبهم مؤسس على الظنيات فحسب، وأن إيمانهم بعيداً من مراتب اليقين كل البعد. وهذا ما ذكرته مرارا في هذه الحاشية، وقلتُ بأن الطمأنينة الكاملة والقناعة التامة في علم الإلهيات بمجرد الأدلة العقلية مستحيلة. ففي هذه الحالة نحن نتفق مع أتباع البرهمو على أنه لا يمكن للإنسان أن يبلغ اليقين الكامل بناء على هدي العقل وحده. وكان الأمر المتنازع فيه بيننا هو: هل خلق الله الإنسان بحسب رأي البرهمو ليبقى خائبا ومحروما من مراده الفطري - مع أنه ﷻ قد أودع فطرته حماسا لنوال اليقين والحق المحض بحسب رأيهم - ويبقى علمه مقتصرًا على أفكار لا تخلو من إمكانية الخطأ فيها، أم أنه ﷻ أوجد سبيلا لحصول الإنسان على معرفة كاملة ونجاح كامل، وأعطاه كتابا يفوق مبدأهم المذكور الذي إمكانية الخطأ فيه واردة من ناحية مبدئية؟ فالحمد لله والمنة على أن نزول هذا الكتاب من الله تعالى قد ثبت لنا بالبراهين القاطعة. وبواسطة هذا الكتاب الممدوح قد خرجنا من ورطة الهلاك التي ما زال البرهمو واقعين فيها كالأموات، وهو ذلك الكتاب العظيم والمقدس الذي اسمه الفرقان، ويفرق بجلاء بين الحق والباطل، وهو منزّه عن كل خطأ، وصفته الأولى هي: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وهو الذي وضح لنا أن الله تعالى لا يريد أن يهلك طلاب الحق بحرمانهم من مراتب اليقين، بل قد منّ ذلك الرحيم الكريم على عباده الضعفاء والناقصين أن أنجز لهم مهمة ما كان للعقل الناقص أن ينجزها. والشجرة العالية التي ما كان ليد الإنسان القصيرة أن تصلها، فقد ذلّل ﷻ قطوفها له بيده، وبذلك هيأ لطلاب

الحق وعطاشى الصدق وسائل اليقين الكامل والقاطع. وإن آلاف الدقائق والحقائق الدينية المنتشرة كالذرات في أجواء السماء الروحانية البعيدة، وماء الحياة المخفي والمحجوب والمنتشر كقطرات الندى في ظلمات طبيعة الإنسان ومواهبه العميقة والذي كان إظهاره وجمعه في مكان واحد من الأجواء اللامتناهية يفوق العقل البشري، وما كان عند قوى البشر الضعيفة أداة دقيقة ودالة على الغيب ليكتشفها ويحصل عليها بسهولة وذرات الحقيقة الدقيقة والخفية هذه التي لم يسعفه البصر لرؤيتها كما يجب، ولم تعطه حياته فرصة لجمعها؛ قد جمع هذا الكتاب الكامل لطائف الحكمة ودقائق المعرفة هذه دون تفاوت أو نقصان أو سهو أو نسيان، ووضعها أمامنا بالقدرة الإلهية والقوة والسلطة الربانية لننال النجاة بشرب هذا الشراب ولا نقع في هوة الموت. واللافت في الموضوع أنه جمعها بكمال وشمولية بحيث لم تبق دقيقة من دقائق الصدق أو لطيفة من لطائف الحكمة خارجه، ولم يدخلها أمر ينافي الصدق أو يعارض الحقيقة. وقد كتبنا بصراحة تامة مرارا وتكرارا من أجل إدانة المنكرين وإفحامهم وأعلنّا لهم بصوت عالٍ أنه إذا كان أحد من البرهمو يعدُّ أيّ حكم في القرآن الكريم خلافاً لحقيقة أو يعدّه خالياً من الصدق، فليقدم اعتراضه، ولسوف ندحض زعمه بفضل الله تعالى ورحمته بحيث سينكشف عليه أن ما كان يراه عيباً بحسب ظنه الباطل هو الميزة بعينها. (البراهين الأحمدية، الجزء الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٣٢٣-٣٢٧، الحاشية رقم ١١)

بل يجب أن يتذكر أن الهدف من البيعة هو أن يتحلّى بالتقوى - الذي يختارها في البداية تكلفاً وتصنعاً - بصبغة جديدة، ويتغلغل في طبيعته، فيصبح جزءاً منها لا يتجزأ، ببركة اهتمام الصادقين وجذب الكاملين. وأن ينشأ في القلب نور المشكاة الذي ينشأ نتيجة العلاقة المتينة بين العبد وربّه؛ الذي يسميه المتصوفون بتعبير آخر: روح القدس، الذي بعد نشوئه يكره المرء معصية الله بطبعه، كما هي مكروهة وسيئة في نظر الله. فلا يتسنى له الانقطاع عن خلق الله فقط، بل ينال درجة الفناء النظري؛

معتبرا كل موجود - سوى الخالق والمالك الحقيقي - كالمعدوم. فإن نشوء هذا النور مشروط بالاتقاء الابتدائي الذي يأتي به الطالب الصادق معه، كما بين الله تعالى الغاية المتوخاة من القرآن الكريم في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وما قال إنه هُدى للفساقين أو هُدى للكافرين.

بل التقوى الابتدائية - التي بعد الحصول عليها يطلق على المرء كلمة "المتقي" - جزء من الفطرة التي فُطر عليها السعداء. وتربّيه الربوبية الأولى وتزوّده بالوجود، الأمر الذي يتسبب في ولادة المتقي الأولى. أما النور الباطني الذي غبّر عنه بروح القدس فيتولد نتيجة الاتصال والعلاقة الكاملة والمتينة بين العبودية الخالصة والتامة وبين الربوبية الكاملة المستجمعة وفق ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥)، وهذه هي الربوبية الثانية التي بسببها يولد المتقي ولادة ثانية، ويصل إلى مقام الملكوت. ثم تأتي بعدها درجة الربوبية الثالثة؛ التي تُسمى خلقا جديدا، عندها يصل المتقي مقام اللاهوت، وينال ولادة ثالثة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٥٨ - ٥٦٠، الحاشية)

لقد بين القرآن الكريم أن الغاية المتوخاة من نزوله هي الهداية إلى دروب التقوى كما يقول ﷺ ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣)، أي قد نزل هذا الكتاب ليطلع الذين يجتنبون الذنب على أدق الذنوب، حتى يجتنبوا تلك السيئات التي لا تتراءى لكل عين بل يمكن رؤيتها من خلال منظار المعرفة، ولا تقدر على رؤيتها العيون السطحية، كما قد كتب متى قول يسوعكم مثلاً، إني أقول لكم: من نظر إلى امرأة ليشتتها، فقد زنا بها في قلبه.

أما القرآن الكريم فيقول: لا تنظر إلى وجه امرأة غير محرمة بشهوة ولا بدون شهوة، ولا تسمع حديثها ولا صوتها ولا تُصغ إلى قصص جمالها، فإن اجتنابك هذه الأمور سيحميك من الزلة. (نور القرآن رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤١٥-٤١٦)

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

لقد حكم الله تعالى في هذه الآيات وحصر النجاة في أن يؤمن الناس بكتب الله
ويعبدوه. والمعلوم أنه لا تناقض ولا اختلاف في كلام الله أبداً. وما دام الله جلَّ شأنه
قد أناط النجاة باتباع النبي ﷺ فمن عدم الإيمان الإعراض عن هذه الآيات قطعية
الدلالة، والسعي إلى التشابهات. ولا يخوض في التشابهات إلا الذين أصيبت قلوبهم
بمرض النفاق.

إن نقطة المعرفة الكامنة في هذه الآيات هي أن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي قد رأى هذا الكتاب النور بعلم الله تعالى،
ولما كان علم الله منزهاً عن الجهل والنسيان فإن هذا الكتاب أيضاً منزّه عن كل
أنواع الشك والريب. ولما كان علم الله تعالى يتضمن قدرة كاملة على إكمال الناس
فإن هذا الكتاب هداية كاملة للمتقين، ويوصلهم إلى درجة هي الأعلى والأرفع من
حيث تقدم الفطرة الإنسانية. ويقول الله تعالى في هذه الآيات إن المتقين هم أولئك
الذين يؤمنون بالله في الغيب، ويقومون الصلاة وينفقون في سبيل الله من أموالهم،
ويؤمنون بالقرآن الكريم والكتب السابقة، وهم الذين يحتلون قمة الهداية، وهم الذين
سينالون النجاة. فيتبين من هذه الآيات كلها أن النجاة مستحيلة دون الإيمان بالنبي
ﷺ والعمل بأوامره مثل إقامة الصلاة وغيرها. فكاذبون أولئك الذين يبحثون عن
النجاة بتركهم عتبات النبي ﷺ. ولكن بقيت عقدة قابلة للحل، وهي أنه إذا كان
هؤلاء القوم صادقين لكونهم يؤمنون بالله بالغيب، ويقومون الصلاة ويصومون
وينفقون في سبيل الله من أموالهم، فما معنى قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؟ هل
معناه أن هذا الكتاب سيكون سبباً لهدايتهم لأنهم مهتدون سابقاً لعملهم بكل
الأمر المذكورة؟ ومعلوم أن تحصيل الحاصل فعل عبثي.

فالجواب على ذلك أنهم مع إيمانهم وكسبهم أعمالاً صالحة يحتاجون استقامة كاملة وترقياً كاملاً لا يمكن أن يهدي إليهما إلا الله، ولا دخل فيهما لسعي الإنسان وجهده. والمراد من الاستقامة أن يترسخ الإيمان في قلوبهم فلا يتعثرون عند أي نوع من الابتلاء. وأن تصدر منهم أعمال صالحة فتصير مدعاة للمتعة دون أن يشعروا بسببها بمشقة أو مرارة، وكأنهم لا يستطيعون العيش بدونها. وأن تصير تلك الأعمال غذاء لأرواحهم وتصبح طعاماً وماء زلالاً لهم فلا يحبون بدونها. وباختصار، تنشأ في الاستقامة ظروف لا يقدر الإنسان على خلقها بسعيه هو، بل تُخلق استقامة فوق العادة من قبل الله تعالى مثلما تأتي الروح بفضل من الله وَعَلَى.

والمراد من التقدم هو أن تتولد ظروف - بالإضافة إلى العبادة والإيمان الذي هو ذروة مساعي الإنسان - لا تتولد إلا بيد الله تعالى فقط. وواضح أن سعي الإنسان وعقله لا يرشدانه إلا أن يؤمن بالله الخفي الذي لم ير وجهه. لذا فإن الشرع الإسلامي الذي لا يريد أن يكلف الإنسان أكثر من طاقته لا يُكرهه للتقدم في مجال الإيمان على أكثر من الإيمان بالغيب. صحيح أن الصادقين قد وُعدوا في الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنهم عندما يَتَّبِعُونَ على الإيمان بالغيب ويبدلون كل ما في وسعهم عندها سيقدمهم الله من حالة الإيمان إلى حالة المعرفة، وسيخلق في إيمانهم طابعا جديداً.

ومن علامات صدق القرآن الكريم أن الذين يأتونه لا يتركهم على مرتبة الإيمان والعمل التي يبلغونها بسعيهم - لأنه لو اقتصر الأمر على ذلك لتعذرت معرفة وجود الله - بل يُرتَّب على مساعي الإنسان نتائج من عنده يُلاحظ فيها بريق التدخُّل الإلهي وتصرفه. كما بينت على سبيل المثال أن الإنسان لا يستطيع فعل شيء تجاه الإيمان بالله تعالى أكثر من الإيمان بالله الخفي الذي تشهد على وجوده كل ذرة من هذا العالم. ولكن ليس بوسع الإنسان أصلاً أن يطلع على الأنوار الإلهية بسعيه وجهده وقوته، ولا يستطيع التقدم من حالة الإيمان إلى حالة المعرفة، ولا يقدر على أن يخلق في نفسه حالة المشاهدة والرؤية.

وكذلك ما الذي يمكن أن ينجزه الإنسان بسعيه وجهده - فيما يتعلق بالصلاة مثلاً - أكثر من أن يتطهر لها قدر الإمكان ويصلي معرضاً عن الأخطاء المحتملة، ويحاول ألا تكون الصلاة خاويةً، بل تصدر جميع أركانها مثل الحمد والثناء على الله تعالى، والتوبة والاستغفار والدعاء، والصلاة على النبي ﷺ بحماس القلب. ولكن ليس بوسع الإنسان أن يحظى في الصلاة بالخشوع فوق العادة، المليء بالحب الخالص، والخضوع والفناء والشوق، والمنزّه عن الشوائب وكأنه يرى الله تعالى. وواضح أنه ما لم تتولد هذه الحالة فإن الصلاة ليست مصونة من الخطر. لذلك يقول تعالى إن المتقين هم الذين يقيمون الصلاة. ومعلوم أنه لا يقام إلا ما هو قابل للسقوط. فمعنى الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنهم يحاولون إقامة الصلاة قدر استطاعتهم ويتكفلون في هذا السبيل ويقومون بالمجاهدات. ولكن مساعي الإنسان كلها تذهب سدى إن لم يحالفها فضل الله تعالى. لذا قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي عليهم أن يحاولوا إقامة الصلاة قدر الإمكان، وإذا كانوا يؤمنون بكلامي فلن أتركهم لسعيهم وجهدهم فقط بل سأخذ بيدهم. عندها تأخذ صلاتهم طابعا آخر وتتحلى بميزة أخرى تماماً لم تكن في حسابهم. سيحالفهم هذا الفضل الإلهي لأنهم آمنوا بكلام الله وعملوا بحسب أوامره قدر استطاعتهم. فالهداية الإضافية التي وعد الله بها في الصلاة هي أن يحظى الإنسان في طبعه بحماس وحب خالص وخشوع كامل حتى تُفتح عيناه لرؤية حبيبه الحقيقي، وتتسنى له لرؤية جمال البارئ تعالى حالة خارقة وزاخرة تماماً بمتعة روحانية تنفّر القلب من الرذائل الدنيوية وكافة أنواع المعاصي، سواء كانت تتعلق بالقول أو الفعل أو البصر بحسب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٥).

كذلك العبادة المالية التي يمكن للإنسان أن يسعى فيها لا تتعدى إنفاق شيء من أمواله المرغوب فيها في سبيل الله، كما يقول تعالى في السورة نفسها: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، ويقول في آية أخرى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٣)، وواضح أنه لو اقتصرَت عبادة الإنسان المالية على إنفاقه في

سبيل الله من أمواله المرغوب فيها والمحبة إليه فحسب، فهذا ليس بالعمل الجبار، بل العمل الجبار هو أن يتخلى الإنسان عن كل شيء كليا، وألا يبقى له ما كان له من قبل، بل يصبح كل شيء لله تعالى، حتى يكون على استعداد تام للتضحية بنفسه أيضا في سبيل الله، لأن ذلك أيضا يدخل في ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. والله تعالى لا يقصد من قوله: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ إنفاق الدراهم والدنانير فقط، بل كل نعمة أُعطيها الإنسان تدخل في ذلك.

فهنا أيضا يهدف الله تعالى من قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى أن كل ما أُعطي الإنسان من النعم مثل الحياة والصحة، والعلم، والقوة، والمال وغيرها؛ يستطيع من خلالها أن يظهر إخلاصه إلى درجة: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فقط، ولا تقدر القوى البشرية على أكثر من ذلك. أما الذي يؤمن بالقرآن الكريم ويظهر إخلاصه إلى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فيعده الله تعالى - بحسب مضمون الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - أن يوصله إلى درجة الكمال في هذه العبادة أيضا. والمراد من الكمال هنا أن يوهب قوة على التضحية فيدرك بصدر منشراح أن كل ما كان يملكه قد أصبح لله تعالى. ولن يشعر أحدا أبدا أن تلك الأشياء التي خدم بها البشرية كانت ملكاً له يوما من الأيام. ففي بعض الأحيان يشعر المرء غيره بالمنة عليه لإعطائه مالا، وهذا يدل على حالته الناقصة لأنه يشعر بهذا الشعور حين يعدُّ هذا الشيء ملكاً له. فبحسب مضمون الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يرزق الله تعالى المؤمن بالقرآن الكريم تقدما فوق هذه المرتبة فيعدّ كل ما يملكه ملكاً لله، حتى يزول منه مرض المنّ على الآخرين، وتتولد في قلبه مواساة للبشرية كمواساة الأم، بل أكثر منها. ولا يعدّ شيئا ملكاً لنفسه بل يصبح كل شيء لله تعالى. ولكن هذا لن يحدث إلا إذا آمن بالقرآن الكريم والنبي ﷺ بصدق القلب.

فما أضلَّ أولئك الذين يعدّون التوحيد المحض سببا للنجاة دون اتباع القرآن الكريم والنبي ﷺ! التجربة تؤكد لنا أن مثل أولئك الناس لا يؤمنون بالله إيمانا صادقا

ولا يستطيعون أن يتخلصوا من أطماع الدنيا ورغباتها، ناهيك عن وصولهم درجة الكمال. ومن الخطأ تماما القول إن الإنسان بنفسه يستطيع أن ينال نعمة التوحيد، بل الحق أن التوحيد يتأتى بواسطة كلام الله. أما ما يفهمه الإنسان بنفسه فلا يخلو من الشرك. كذلك فيما يتعلق بالإيمان بكتب الله فلا يسع الإنسان إلا التمسك بتقوى الله والإيمان بكتابه والمثابرة على اتباعه بصبر، ولا يقدر على أكثر من ذلك. ولكن الله تعالى قد وعد في الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنه إذا آمن الإنسان بكتابه ورسوله فيستحق مزيدا من الهداية، وسيفتح الله عينيه ويشرِّفه بمكالماته ومخاطباته، وسيُريه آيات عظيمة حتى يرى الإنسان في هذه الدنيا أن إلهه موجود في الحقيقة، وينال طمأنينة كاملة. يعلن كلام الله أنك لو آمنت بي لنزلت عليك أيضا. لذلك يقول الإمام جعفر عليه السلام الصادق ما مفاده: لقد قرأت كلام الله تعالى بإخلاص وحب وشوق حتى جرى على لساني وحيا. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٥ - ١٤١)

الآية ٧-١: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

التفسير: ﴿أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، أنا الله أعلم، هذا الكتاب بريء عن كل شك ونقيصة، وقد أرسل لهداية المتقين.

علل القرآن الكريم الأربع:

لكل شيء أربع علل، وقد ذكرت تلك العلل الأربعة هنا أيضا، وهي: العلة الفاعلة والعلة الصورية، والعلة المادية، والعلة الغائية، وقد ذكرت كلها في هذا المقام في القرآن الكريم.

العلة الفاعلة لهذا الكتاب هي "الْمَ" ومعناها عندي: أنا الله أعلم. والعلة المادية هي: "ذلك الكتاب" أي هذا الكتاب جاء من الله الذي هو أعلم من غيره. والعلة الصورية هي: "لا ريب فيه" أي مزية هذا الكتاب وخاصيته هي أنه لا شك فيه ولا ريب من أي نوع، وكل ما فيه محكم ومدعوم بالأدلة وبين. والعلة الغائية هي: "هدى للمتقين"، أي الهدف والغاية من نزول هذا الكتاب هو أنه يهدي المتقين.

بعد ذكر هذه العلل الأربعة بين الله تعالى صفات المتقين العامة بأن المتقين هم الذين ينالون الهداية فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿، أي المتقون هم الذين يؤمنون بالله تعالى حين يكون في ستار الغيب... هذه هي صفات المتقين التي بينها الله تعالى. وهنا ينشأ سؤال بالطبع أنه قد بين الغاية والهدف من هذا الكتاب وهو: "هدى للمتقين" ثم بين صفات المتقين أيضا التي يتحلون بها أي كلهم من أهل الله ويؤمنون بالله ويصلون ويتصدقون ويؤمنون بكتاب الله ويوم القيامة. أما من كان يتحلى بهذه الصفات سلفا ويُسمى متقيا ويلتزم بكل هذه الأشياء فما هو الهدى الذي سيناله بواسطة هذا الكتاب؟ وما هو الأمر الإضافي الذي نزل الكتاب من أجله؟ يتبين من ذلك أن هناك أمرا آخر وُضع في هذا الهدى، لأن هذه الأمور التي ذُكرت كصفاتٍ للمتقين إنما هي كشرط للهدى الذي هو الهدف الحقيقي والغاية المتوخاة من هذا الكتاب، وإلا ذلك الهدى شيء آخر وهو مرتبة أعلى كشفها الله عليّ، وهي التي أبينها:

اعلموا أن الصفة الأولى من صفات المتقي المذكورة هي ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، وهذا بيان حالة المؤمنين الابتدائية أنهم يؤمنون بأشياء لم يروها. الغيب اسمٌ لله، وهذا الغيب يشمل الجنة والنار وحشر الأجساد وغيرها من الأمور التي لا تزال في حُجُب الغيب. المؤمن يؤمن بها بداية ولكن المراد من الهدى هو أنه يُعطى في تلك الحالة إنعاما فينتقل علمه من الغيب إلى الشهود، ثم يأتي عليه زمان حين يصبح عارفا

بالأمور التي كان يؤمن بها من قبل كغيب، والأمور التي كانت خافية عليه إلى الآن تنكشف أمامه فيراها في حالة الشهود، ثم لا يؤمن بالله غيبا بل يراه ويكون تجليه عَلَيْهِ أمامه دائما. باختصار، يوهب له درجة الشهود بعد ذلك الغيب كما ينال المرء مرتبة العرفان بعد الإيمان فيرى الله تعالى في هذا العالم. ولو لم يعط هذه المرتبة لما أعطي مصداق: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ هداية ولا إنعاما، وكأن القرآن ما كان سببا لهدايته. ولكن هذا لا يحدث، بل هديته هو أنه يُخرج إيمانه من حالة الغيب إلى حالة الشهود. والدليل على ذلك: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (نبي إسرائيل: ٧٣). المراد من العمى هنا هو عدم تمكّن الإنسان في هذا العالم من مشاهدة تجلي الله تعالى والأمور التي هي في الغيب. وإن جزءا من هذا العمى يوجد في المؤمن بالغيب، ولكن الذي ينال الهداية بحسب "هدى للمتقين" يزول عماه تماما ويتقدم من تلك الحالة. والمراد من التقدم بواسطة هذا الكلام هو أن صاحبه سيتقدم من درجة الإيمان بالغيب إلى درجة الشهود، وهذا هو الهدى له.

صفة المتقين الثانية هي: "يقيمون الصلاة". أي أن المتقي يقيم الصلاة بكل ما في وسعه، بمعنى أن الصلاة تسقط أحيانا فيقيمها من جديد. أي أن المتقي يخشى الله دائما ويقيم الصلاة. هذه المرحلة تكون مصحوبة بوساوس وأخطار متنوعة تطل برأسها وتفسد الخضوع وتُسقط الصلاة، ولكنه يقيمها رغم الصراع مع النفس؛ فالصلاة تسقط أحيانا ولكنه يقيمها مجددا. ويبقى الحال على هذا المنوال إذ يقيم صلاته مرة بعد أخرى بالتكلف والسعي الدؤوب إلى أن يهديه الله بكلامه. وما هي هدايته يا تُرى؟ (الحكم رقم ٢، مجلد ١٠، ص ٥، عدد: ١٩٠٦/١/١٧ م ص ٥)

عندها تكون حالتهم - بدلا من "يقيمون الصلاة" - أنهم يخرجون من حياة الصراع والوساوس ويهبهم الله تعالى بواسطة هذا الكتاب مقاما قال عَلَيْهِ عنه بأن بعض الناس يصبحون كاملين؛ فتصبح لهم الصلاة بمنزلة الغذاء ويُعطون فيها لذة وذوقا كالذي يناله المرء عند شربه ماءً باردا في حالة العطش الشديد-

لأنه يشربه برغبة عارمة ويرتوي جيدا ويستمتع به - أو كالذي يناله إذا وجد طعاما لذيذاً وشهياً بعد جوع شديد فيسعد بأكله أيما سعادة. فتطراً عليه الحالة نفسها في الصلاة، إذ تصبح الصلاة له نوعاً من النشوة وبدونها يصاب بالكرب والاضطراب الشديد، وبأداء الصلاة يشعر في قلبه بنوع خاص من السعادة والطمأنينة التي لا يحظى بها كل واحد، ولا يمكن بيانها بالكلمات، ويتقدم الإنسان ويبلغ حالة حيث يحب الله تعالى حبا ذاتياً؛ فلا يبقى بحاجة إلى إقامة الصلاة لأن صلاته في هذه الحالة تكون قائمة أصلاً وتبقى قائمة دائماً. تتولد في شخص مثله حالة طبيعية توافق رضاه مع رضا الله تعالى. تطراً عليه حالة حيث ينصبغ حبه بصبغة حب الله الذاتي دون أن يكون فيه تكلف أو تصنع. فيستمتع المتقي والمؤمن بالصلاة أكثر بكثير مما يستمتع به الحيوانات والناس الآخرون بالطعام والشراب والشهوات الأخرى. لذا يجب أداء الصلاة بكل شروطها. إن الصلاة أصل جميع أنواع التقدم ومعراجها. لذلك قيل: إن الصلاة معراج المؤمن. لقد مضى في الإسلام مئات بل مئات الآلاف من أولياء الله والصلحاء والأبدال والأقطاب، ولكن هل تعلمون كيف نالوا تلك المدارج والمراتب؟ بواسطة الصلاة نفسها. لقد قال النبي ﷺ: "قُرّة عيني في الصلاة". الحق أنه عندما يبلغ الإنسان هذا المبلغ وهذه الدرجة، تكون الصلاة أكمل وأتم متعة له. وهذا هو معنى قول النبي ﷺ المذكور. عندها ينجو الإنسان من الصراع مع نفسه ويصل إلى مقام أعلى.

باختصار، إن مرحلة ﴿يَقِيُمُونَ الصَّلَاةَ﴾ هي مرحلة ابتدائية حين يصلّيها المرء في حالة عدم الذوق وفي حالة الصراع مع النفس. ولكن هدي هذا الكتاب لمثل هذا الشخص هو أنه يتخلص من هذه الدرجة ويصل إلى درجة تصبح فيها الصلاة قرة عين له. وليكن معلوماً أيضاً أن المراد من المتقي في هذا المقام هو مَنْ كان في حالة النفس اللوامة.

درجات النفس الثلاث

للنفس ثلاث درجات، النفس الأمانة والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. المراد من النفس الأمانة هي التي تكون متورطة في الفسق والفجور وأسيرة المعصية. في هذه الحالة لا يتوجه الإنسان إلى الحسنات بل يوجد فيه نوع من التمرد والبغي، ولكنه عندما يتقدم على ذلك قليلا ويخرج من تلك الحالة تطراً عليه حالة "النفس اللوامة". وإذا ارتكب سيئة في هذه الحالة ندم أيضاً على فعله ولام نفسه وبذلك يتوجه إلى الحسنات أيضاً. ولكن في هذه الحالة لا يكون متغلباً على نفسه تماماً بل تكون بينه وبين نفسه حرب على الدوام، فيغلبها تارة وتتغلب عليه تارة أخرى. وهذه الحرب تبقى على حالها إلى أن يمسك فضل الله بيده ويجعله ناجحاً ومفلحاً فينتصر على نفسه ويصل إلى المرحلة الثالثة التي اسمها "النفس المطمئنة". عندها تزول شوائب النفس وتتمحي المفاصد كلها. إن مثل حالة النفس المطمئنة كمثال حرب بين دولتين تنتصر فيها دولة على الأخرى فتزيل المفاصد كلها وتقيم الأمن والثبات، وبذلك يتغير النظام السابق، كما يشير الله تعالى إلى ذلك فيقول: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ (النمل: ٣٥) أي عندما ينتصر الملوك على بلدة يمزقون لحمتها وسداها السابقة كلها، فيقبض على أعمدة البلدة وزعمائها ونوابها ويؤذّل المشاهير وهكذا يحدث تغيير عظيم. هذه هي شيمة الملوك، وقد ظل الحال على هذا المنوال منذ القدم. كذلك حين يتغير الملكوت الروحاني يطرأ الدمار على الملكوت السابق ويقبض على عباد الشيطان. وتُسحق وتهان العواطف والشهوات التي تعيث الفساد في ملكوت الإنسان الروحاني ويبدأ نظام روحاني جديد ويستتب الأمن والسلام. هذه هي الحالة أو الدرجة التي تسمى "النفس المطمئنة" لأن في هذه المرحلة لا يكون هناك صراع ولا فساد بل تحظى النفس بالسكينة والطمأنينة الكاملة لأن ملكوتها جديداً يكون قد استتب بعد نهاية الحرب ولا يبقى هناك فساد ولا مفسدة بل يكتمل فتح الله على القلب وينزل الله تعالى بنفسه على عرش قلب العبد. فقد

سمى الله تعالى هذه الحالة بالكمال. كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النحل: ٩١). لا شك أن الله تعالى يأمر بالعدل، وإذا تقدمتم على ذلك فيأمركم بالإحسان، وإذا تقدمتم أكثر فيأمركم بإيتاء ذي القربى.

العدل

المراد من العدل هو أن المتقي مأمور بالعدل لإصلاح حالة النفس الأمارة. عندها يضطر لمعارضة النفس، فمثلا إذا كان على المرء تسديد دين أحد ولكن النفس ترغبه في غصبه بأي طريقة ممكنة، وإذا انقضى ميعاده أيضا، تتجاسر النفس أكثر لأن المؤاخذه القانونية أصبحت الآن غير ممكنة. ولكن هذا لا يجوز لأن العدل يقتضي أن يُسَدَّد الدين الواجب وألا يُغصب بالحيل والأعذار.

أقول متأسفا إن بعض الناس لا يهتمون بهذه الأمور، وبعض من جماعتنا أيضا لا ينتبهون إلى تسديد ديونهم إلا قليلا، وهذا يخالف العدل. ما كان النبي ﷺ يصلي على أمثالمهم. فليتذكر كل واحد منكم جيدا أنه يجب ألا يتهاون في تسديد الديون ويجب الفرار من كل نوع من الخيانة، لأن التهاون في ذلك يخالف أمر الله تعالى الوارد في هذه الآية.

الإحسان

ثم تأتي درجة الإحسان. الذي يراعي العدل ولا ينقض حدوده يوفقه الله تعالى ويعطيه القوة فيتقدم في الحسنات أكثر لدرجة لا يعدل فقط بل يقوم بحسنة أكبر بكثير مقابل حسنة بسيطة. ولكن مع ذلك يرافق الإحسان شيء من الضعف وهو أن صاحبه يمن بحسنه في وقت من الأوقات؛ فمثلا يُطعم شخصا إلى عشر سنوات وإن لم يطعه المطعم مرة واحدة يقول له المطعم: أنت تعيش على طعامي منذ عشر سنوات! وبذلك يضيع حسنته. الحق أن في المحسن أيضا يكمن نوع من الرياء. ولكن المرتبة الثالثة نزيهة من الشوائب كلها، وهي درجة إيتاء ذي القربى.

إيتاء ذي القربى

إن درجة إيتاء ذي القربى حالة طبيعية؛ أي في هذه الدرجة تصدر الحسنات من الإنسان كأنها مقتضى طبعه. ومثل ذلك كمثال أم ترضع ولدها وتربيّه ولا يخطر ببالها أبداً أن ولدها سيكسب الأموال بعد أن يكبر ويخدمها، حتى لو قال لها ملك بأنك إن لم ترضعي ولدك ومات الولد نتيجة ذلك لن يؤاخذك أحد، بل ستنالين تكريماً عظيماً، ولكنها مع ذلك لن تترك الرضاعة بل ستشتم ملكاً مثله، لأن تربيته ولدّها مقتضى طبعها وليست مبنية على رجاء أو خوف. كذلك عندما يظل الإنسان يتقدم في الحسنات ويبلغ هذا المقام تصدر منه الحسنات كأنها مقتضى طبعه. هذه الحالة تسمى "المطمئنة".

فمعنى "يقيمون الصلاة" هو أنه ما لم يحظ الإنسان بالنفس المطمئنة يبقى في صراع مع النفس، يتغلب على النفس تارة أو تغلبه نفسه طورا. يستيقظ صباحا ويجد الماء بارداً، وهو بحاجة إلى الغسل، ولكن لو أطاق نفسه لترك الصلاة. ولكن لو تشجع قليلاً لسيطر على النفس.

أقول شكراً لله بأنني أيضاً واجهتُ ذات مرة وضعاً هكذا، إذ كان الطقس شتاءً وكنت بحاجة إلى الغسل ولم تتوفر لي حينذاك سهولة لتسخين الماء وكان عندي كتاب "ميزان الحق" لقسيس، فخدمني في هذا الموقف إذ أوقدتُ به النار وسخنت الماء وشكرتُ الله تعالى. عندها فهمت أن الشيطان أيضاً يمكن أن ينفع أحياناً.

أعود إلى صلب الموضوع وأقول إن هذا هو معنى الجملة "يقيمون الصلاة"، والمراد من التقدم على ذلك هو أن يتخلص المرء من هذه الحالة ويصل إلى حالة "المطمئنة". تذكروا جيداً أن عاقبة الإيمان بالغيب وحده كانت خطيرة دائماً. عندما احتضر أفلاطون قال: اذبحوا لي ديكا على الأقل باسم وثن. أما جالينوس فقال: اجعلوا في قبري ثقباً بقدر مهبل أتان ليأتي منه الهواء. فكروا الآن، هل يمكن أن يكون أناس مثلهم هداةً إذ يعيشون في التذبذب والاضطراب؟ الحقيقة أنه لا فائدة إن لم ينشأ

نور من الداخل. ولكن هذا النور يُنال بفضل الله تعالى فقط. صحيح تماما أن كل الطبائع ليست سواسية ولم يخلق الله كل الناس أنبياء.

تأثير صحة الصادقين

إن في الصحة شرفا كبيرا، وتأثيرها ينفع إلى حد ما حتما. إذا كان عند أحد عطرٌ تصل رائحته إلى جلسه أيضا. كذلك إن صحة الصادقين تنفخ روح الصدق. أقول صدقا وحقا بأن الصحة العميقة تجعل النبي وصاحبه سواسية، لذلك قال ﷺ في القرآن الكريم: ﴿كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩). ومن مزايا الإسلام الفريدة أنه يكون فيه الصادقون في كل عصر، ولكن ماذا يمكن أن يستفيد الآريون أو المسيحيون من هذا الأسلوب ما دام من المسلم به عندهم أنه لا يمكن الآن أن يصل أحد إلى الله الذي ينزل عليه وحْيُه المتجدد، فيطهر بتوفيق منه أناسا يعيشون عيشا ملطخا بالذنوب.

أقول بكل أسف بأن في الآريين حقًا إذ ينقدون المسلمين دون مبرر، ويقدمون الطعن في الآخرين مزية دينهم وكماله. ولكن عندما يُطلب منهم أن يقدموا الروحانية مقابل الإسلام لا يستطيعون. إن الطعن وحده ليس ميزة. إنه لغبي وشقي جدا من يطعن في الآخرين دون أن يصل بنفسه إلى مرتبة ما. فمثلا إذا كان هناك طفل يجهل مبادئ إقليدس ولا يعرف عن النتائج التي تُستنبط من رسومه، أنى له أن يفرح برؤية الخطوط المنحنية فقط بل سيعترض عليها، ولكن لا أهمية لاعتراضه عند العقلاء قط. كذلك هو حال الآريين؛ لأنهم يعترضون ولكنهم بأنفسهم يجهلون الحق والحقيقة وهم منها محرومون ولا يدركون قدرات الله ولا يستوعبون قوته. ولم يُعطوا حواسَّ ليشاهدوا بها مشاهد الجنة في هذه الدنيا. إن دينهم مبني على الرمل، وسيسقط عاجلا أو آجلا. اعلّموا جيدا أن الله لا يؤيد دينا أعمى ولا ينصره. يكفي دليلا على صدق الإسلام أن الله ينصره في كل زمن. وفي هذا الزمن أيضا أرسلني لأثبت نصرته المتجددة. فقد لا يكون منكم أحد لم ير آيات الله، ولكن

فليخبرني أحد ما الذي أتى به الفيدا مقابل ذلك؟ إنه ناقص تماما. الناس الآخرون يرون الرؤى على الأقل ولكن أتباع الفيدا يزعمون أنه لا حقيقة للرؤى قط. فما دام باب اليقين المؤدي إلى الله تعالى مغلقا فماذا عسى أن تكون الوسائل الأخرى للوصول إلى الله تعالى؟

أقول صدقا وحقا بأني، بقدر ما تحصت أحوال هذه الفرقة، لم أجد في هذه الفرقة شيئا إلا الخدلة المحضة، أو ينضم إليها بعض الناس الذين لا يعرفون ما هو الهدف الحقيقي من الدين.

باختصار، الإسلام دين مقدس ومصدر الحسنات الحقيقية كلها ومنبعها لأنه أصل الحسنات. لا ينشأ الإيمان الكامل بالله تعالى دون أن يرى الإنسان عجائب قدرة الله وآياته المتجددة دائما. وهذا ليس حاصلا لأي دين سوى الإسلام، وإن كان فليقدمه أحد.

من مزايا الإسلام أيضا أنه يزيد على بعض الحسنات التي يكسبها الإنسان بطبعه ويكملها، لذلك قال تعالى: ﴿هَدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ولم يقل هدى للظالمين أو للكافرين. قبل مدة من الزمن قال أحد من البرهمو "أغني هوتري" بأننا أيضا نقول "لا إله إلا الله"، ولكن لماذا تقولون: "محمد رسول الله"؟ قلت: فائدته أن الإنسان لا يصبح ملحدا. وقد صار الآن ملحدا تماما، لو كان مؤمنا بمحمد رسول الله ﷺ إيمانا كاملا لما ألحد.

الحق والحق أقول إن القرآن الكريم كتاب كامل وجامع لا يضاهيه كتاب آخر. هل في الفيدا عبارة توازي "هَدَى لِلْمُتَّقِينَ"؟ إذا كان في الإقرار باللسان فقط كفاية، أي إن لم تكن هناك حاجة إلى ثمراته ونتائجه فإن العالم كله يقرّ بوجود الإله بوجه من الوجوه ويستحسن العبادة والصدقات أيضا ويعمل بهذه الأمور بشكل أو بآخر، فماذا قدمت الفيدات للعالم؟ أو أثبتوا أن الأقوام التي لا تؤمن بالفيدات فقدت فيهم الحسنات كليا، أو أخبرونا عن علامة فريدة أخرى في الفيدات.

في بداية القرآن الكريم جاء الوعد بالترقيات التي تقتضيها الروح بالطبع. فقد علم ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في سورة الفاتحة وقال: ادعوا دائما أن اهدنا يا ربنا إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم. وبعد الدعاء فوراً بشّر في الآية الأولى من سورة البقرة قائلاً: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وكأن الأرواح تدعو الله ويُري استجابة الدعاء تأثيرها فوراً ويتحقق وعد قبول الدعاء بصورة نزول القرآن الكريم. ففي جانب يتم الدعاء وفي جانب آخر تتراءى النتيجة ظاهرة للعيان. هذا فضل من الله تعالى، ولكن من المؤسف أن الدنيا تجهل ذلك وتغفله وتحلك نفسها لبعدها عنه. أقول مرة أخرى بأن صفات المتقين التي بينها الله تعالى في بداية القرآن الكريم قد عدّها من الصفات العادية. ولكن الإنسان عندما يؤمن بالقرآن الكريم ويجعله دستور العمل لهدايته يصل إلى أعلى درجات الهداية ومراتبها المقصودة من "هدى للمتقين". يشعر الإنسان بالمتعة والسعادة بتصور غاية القرآن الكريم المتوخاة لدرجة لا يمكن بياها بالكلمات، لأنها تؤدي إلى معرفة فضل الله الخاص وكمال القرآن الكريم.

ثم بين وَعَلَىٰ علامة أخرى للمتقين: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ هذه حالة ابتدائية ويشترك فيها الجميع لأنه من مقتضى فطرة الإنسان بشكل عام أنه إذا جاءه سائل سوف يعطيه شيئاً حتماً، وإن كان بسيطاً. لو كان في البيت عشرة أرغفة لأعطى المتسول رغيفاً، وهذا الأمر لا يندرج تحت الهداية بل هو من طبع الإنسان. وليكن معلوماً أيضاً أن ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ عامٌ وليس المراد منه شيء معين كالمال أو الطعام أو اللباس المعين بل المراد منه أنهم ينفقون في سبيل الله من كلّ ما أعطاهم الله تعالى.

أسلوبان للإنفاق

باختصار، إن هذا الإنفاق عام ولا يشترط فيه كون المرء مسلماً أو غيره. إذن، الإنفاق نوعان: الأول: النابع عن فطرة الإنسان والثاني تحت تأثير النبوة. المراد من

النابع عن الفطرة هو كما بينت من قبل بأنه من منكم لا يعطي شيئا إذا أتاه أسير أو جائع سائلا بعدما كان جائعا منذ أيام؟ لأن ذلك يدخل في طبيعة الإنسان. وقلت أيضا بأن ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ليس خاصا بالمال فقط بل يشمل كل نوع من الرزق سواء أكان ماديا أم علميا. ومن يُنفق من العلم أو من المال يندرج في هذه القائمة، وكذلك الطبيب.

ولكنه لم يبلغ إلى الآن بحسب ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مقاما يريد القرآن أن يبلغه، وذلك المقام هو أن ينذر حياته لوجه الله، وهذا يسمى وقفا لوجه الله. عندما يبلغ المرء هذه الحالة والمقام لا يبقى في مرحلة: ﴿مِمَّا﴾ لأن في مرحلة ﴿مِمَّا﴾ يبقى ناقصا، ولا يصل إلى غاية القرآن الكريم المتوخاة. ولكنه يصبح كاملا حين لا يتوقف عند هذا الحد فقط بل يصبح وجوده كله وكل فعل من أفعاله وقفا تماما لمواساة بني البشر بأمر الله تعالى وإذنه. ويمكن القول بتعبير آخر إن كمال ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يكمن في كونه بحسب: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. (الحكم، المجلد ١٠، رقم ٣، عدد ١٩٠٦/١/٢٤٤٠م، ص ٤-٥)

بعد ذلك بين ﷺ صفة أخرى للمتقين وهي أنهم يؤمنون بحسب ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وكذلك يؤمنون بما أنزله الله تعالى قبل النبي ﷺ. ولكن السؤال الآن هو أنه إذا كان هذا هو المراد من الإيمان فما معنى الهداية إذن؟ المراد منها أن يصبح الإنسان جديرا بأن يُفتح عليه باب الوحي والإلهام وينزل عليه الوحي الذي بسببه يتقدم في الإيمان ويبلغ درجة المعرفة واليقين الكامل وينال التقدم الذي كان الهدف الحقيقي من الهداية، وتنزل عليه الإنعامات التي تُنال بالمكاملة الإلهية.

اعلموا أن الله تعالى لم يغلق باب الوحي والإلهام. والذين يعدّون هذه الأمة محرومة من نعمة الوحي والإلهام مخطئون جدا ولم يفهموا الغرض الحقيقي للقرآن الكريم. إنهم يرون أن أفراد هذه الأمة كالوحوش وأن بركات النبي ﷺ وتأثيراته انقطعت والعياذ بالله، وأن الإله الذي كان يتكلم من الأزل سكت في هذا العصر. إنهم لا يدرون أنه لا معنى للقول: "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" إن لم تكن هناك إمكانية مكاملة الله ومحابته،

ولا دليل على وجود الله بدون المكاملة والمخاطبة. ولماذا قال في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠) وقال أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت: ٣١). أي الذين أثبتوا بقولهم وفعلهم أن الله ربنا... والآن، لا يمكن أن تنزل الملائكة بغير المكاملة والمخاطبة. كلا، بل الملائكة يبشرونهم. هذه هي ميزة الإسلام وكماله الذي لم تحظ بها الأديان الأخرى. الاستقامة صعبة، أي سواء أحلت بهم الزلازل أو الفتن أو ألقوا في أنواع المصائب، لا يحدث الخلل في استقامتهم بل يزدادون إخلاصا ووفاء. هم الذين يستحقون أن ينزل عليهم ملائكة الله ويبشروهم بألا يحزنوا.

اعلموا يقينا أن الله تعالى قد وعد في القرآن الكريم في عدة آيات عن سلسلة الوحي والإلهام، وهذا خاص بالإسلام فقط، إذ قد حُتم عليه عند المسيحيين أيضا فلا يستطيعون أن يخبروا عن أي شخص يُشرف بمكاملة الله ومخاطبته. أما الفيدات فقد ختمت عليه سلفا. إن دينهم هو أن الإلهام منقطع إلى الأبد بعد إلهام الفيدات. وكأن الإله تكلم من قبل ولكنه صار أبكم الآن، فأقول: إن كان لا يتكلم ولا يستفيض من فيضه أحد الآن فما الدليل على أنه كان يتكلم من قبل؟ هل يسمع ويرى الآن؟ إنني أتأسف جدا حين أسمع مثل هذا الكلام من لسان المسلمين إنه لا يمكن لأحد أن ينال نعمة المكاملة والمخاطبة الآن. لا أدري لماذا يحتمون عليها مثل المسيحيين والآريين؟ إن لم تكن هذه الميزة في الإسلام فبمَ يعتز ويفوق الأديان الأخرى ويمتاز عنها؟ هذا لا يتحقق بمحض التوحيد لأن البرهمو أيضا يؤمنون بإله واحد ويتصدقون ويذكرون الله بحسب تقاليدهم ويتحلون بالصفات الأخلاقية نفسها. فما الفرق إذن بينهم وبين المسلمين مع أن هذه الأمور قد تتحقق كتقليد محض أيضا. فما الجواب على ذلك؟ ليس له جواب إلا أن وجه الإسلام الأغزر يُشاهد بالآيات المتميزة التي تُنال بواسطة مكاملة الله. اعلموا أن فضل الله الذي ينزل من السماء لا يسع أحدا أن يسرقه أو يقلده. لولا المكاملة والمخاطبة والأفضال في

الإسلام لما كان الإسلام شيئا يُذكر. إن مفخرة الإسلام هي أنه يورث المؤمن الحقيقي إنعامات وتفضلات، وهو في الحقيقة دين يُري الله عيانا في هذه الدنيا. وهذا ما يهدف إليه الإسلام، لأن هذا هو السبيل الوحيد الذي بسببه يحل الموت بحياة الإنسان المتلطخة بالذنوب ويطهره ويفتح عليه باب النجاة الحقيقية، لأنه ما لم يكن هناك يقين كامل بالله تعالى لا تتيسر النجاة قط. كما أنه إذا استيقن الإنسان أن هناك حياة في مكان ما لما دخله أبدا. كذلك اليقين بالموت نتيجة تناول السم يمنعه من تناوله، كذلك إذا كان اليقين بالله كاملا بأنه سميع وبصير ويجازينا على أفعالنا وكان المرء يكره الذنوب بشدة فأنى له أن يتجاسر مع هذا اليقين؟

الحق أن روح الإسلام وحقيقته هي أنه يُكرم الإنسان بشرف المكاملة والمخاطبة. لقد وعد الله تعالى أنه يعطي الإنعامات والأفضال من السماء. وعندما يبلغ الإنسان هذه الدرجة يقال عنه: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وهؤلاء هم الحائزون على النجاة. (الحكم، المجلد ١٠، رقم ٤، عدد ١٩٠٦/٣/١، ص ٢)

التقوى مفتاح العلوم الدينية كلها

حيثما ذكرت التقوى في القرآن الكريم قيل دائما بأن أساس كل علم (المراد هو العلم الأخروي وليس العلم الأرضي والديني) هو التقوى. وأصل كل حسنة هو التقوى. إن الله بنفسه يتكفل المتقي ويظهر له آيات عجيبة وغريبة. فقال القرآن الكريم في مستهله بأنه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالتقوى شرط ضروري لفهم القرآن الكريم والاهتداء بحسبه. وقال في موضع آخر بأنه: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠)، وهذا ليس شرطا للحصول على علوم أخرى. لا يُشترط لتعلم الرياضيات والهندسة وعلم الأفلاك وغيرها أن يكون متعلما متقيا وورعا حتما بل يمكن أن يتعلمها مهما كان فاسقا وفاجرا. ولكن لا يمكن أن يتقدم في علوم الدين فيلسوف أو عالم المنطق الجاف. من كان قلبه فاسدا وليس له نصيب من التقوى لن تنكشف عليه الحقائق والمعارف. ومع ذلك يقول بأن علوم الدين وحقائقه تجري

على لسانه فهو كاذب، لأنه لا يمكن أن يجد نصيباً من حقائق الدين ومعارفه قط، بل حصول المرء على اللطائف والنكات الدينية مشروط بكونه متقياً.

عروس حضرت قرآل نقاب آنکے بردارد کہ دارالملک معنی را کند خالی ز ہر غوغا

أي: أن عروس الفرقان لا تزيل نقابها إلا لمن نزه قلبه من كل شر وضوء.

ما هي تلك الضوء يا تُرى؟ إنها الفسق والفجور وحب الدنيا، إلا إذا سرق أحد كلام الآخرين وتفوه به، أما الذين يتكلمون بروح القدس فلا يتكلمون إلا بالتقوى. تذكروا جيداً أن التقوى مفتاح علوم الدين كلها، والإنسان لا يستطيع أن يتعلم شيئاً بغير التقوى كما يقول الله تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هذا الكتاب يهدي المتقين. من هم المتقون؟ هم الذين يؤمنون بالغيب، أي بالإله الذي لا يكون مشهوداً لهم إلى ذلك الحين. ثم يقيمون الصلاة؛ أي لا ينالون فيها متعة وسروراً كاملين إلى الآن بل يقيمونها دون المتعة والذوق وبقلب غير راغب ووسط الوسوس، ومما رزقناهم ينفقون ويؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك.

هذه هي مدارج المتقي وصفاته الابتدائية. وكما قلت من قبل، هنا ينشأ اعتراض في الظاهر أنهم ما داموا يؤمنون بالله ويصلّون وينفقون وكذلك يؤمنون بكتب الله، فما المراد من الهداية أكثر من ذلك؟ وكأنها تحصيل حاصل؛ إذ الكلمة ﴿يُنْفِقُونَ﴾ تشمل كلا الأمرين، أي يعطي المُنْفِق الآخرين الطعام واللباس أو المال أو يستخدم قواه. وجوابه: هذه العبارات وهذه الكلمات، كما وردت، لا تدل على كمال سلوك الإنسان ومعرفته التامة. إذا كان ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ذروة الهداية فما معنى المعرفة إذن؟ فالذي يلتزم بهدي القرآن الكريم هو الذي سيصل إلى أعلى مقام المعرفة وسيخرج من حالة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ويتقدم إلى حالة المشاهدة ومحظي بمرتبة عين اليقين بوجود الله تعالى. كذلك ستكون الحالة الابتدائية للصلاة كما بينتها هنا بأنهم يقيمون الصلاة، بمعنى أنها تسقط مرة بعد أخرى. والمراد من سقوطها أنها تخلو من الذوق واللذة بل ترافقها سلسلة الوسوس بدلاً من الذوق. لذا لا يوجد فيها الجذب

حتى يسعى الإنسان إليها كما يسعى إلى الطعام والماء مضطرباً من الجوع والعطش. ولكنه حين ينال الهداية لا يبقى الحال على هذا المنوال بل يجد فيها متعة وتنتهي سلسلة الوسوس وتبدأ الطمأنينة والسكينة.

يروى أن شخصاً فقد شيئاً فقال: انتظروا قليلاً سأذكره في الصلاة. هذه الصلاة ليست صلاة الكَمَل لأن الشيطان يوسوس فيها. ولكن حين ينال المرء درجة الكمال سيكون في حالة الصلاة دائماً ولن تعيقه تجارة بالآلاف الروبيات أو مصلحة أخرى. كذلك لن تبقى الكيفيات الأخرى أيضاً في حالة القال بل تنشأ فيها كيفية الحال وينتقل المرء من الغيب إلى الشهود. وهذه المراتب ليست للبيان فقط لتسمعو وتفرحوا لبعض الوقت. كلا، بل هي كنز عظيم، فلا تتركوه بل استخراجوه، فهو موجود في بيتكم ويمكنكم أن تنالوه بسعي وجهد بسيط. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤، ص ٧)

فليكن مفهوماً أن نقاء الذهن أيضاً يتحقق بالتقوى فقط، ولذلك قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيُصِرُّونَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ هُنَّ أُولَٰئِكَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢-٣)، إنما يهدي هذا الكتاب أولئك الذين يتقون فقط، أما الذين لا يتحلون بالتقوى فهم عميان. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣، عدد ١٩٠٨/١/١٠، ص ٣)

ثم انظروا، كيف أن الله تعالى قد دلّل على ضرورة الالتزام بالتقوى أيما تدليل حيث عدّها الغاية المتوخاة من القرآن الكريم، فقال في مستهلّ السورة الثانية في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيُصِرُّونَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ هُنَّ أُولَٰئِكَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢-٣). وإن مذهبي أن هذا الترتيب القرآني عظيم الشأن، حيث ذكر الله فيه عللاً أربعاً، أي العلة الفاعلة والعلة المادية والعلة الصورية والعلة الغائية. وهذه العلل الأربع هي التي تكون في كل شيء، غير أن القرآن الكريم يحققها على أكمل وجه. ففي ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيُصِرُّونَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ هُنَّ أُولَٰئِكَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إشارة إلى أن الله هو الأعلّم هو الذي قد أنزل هذا الكلام على محمد رسول الله ﷺ، أي أن الله تعالى هو فاعله. وفي "ذَلِكَ الْكِتَابُ" إشارة إلى المادة التي يبنى بها القرآن، وهذه هي العلة

المادية. و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هي العلة الصورية، أي أن تطرُق الشكوك والشبهات والظنون الفاسدة إلى كل شيء ممكن، ولكن القرآن الكريم كتاب لا ريب فيه.

وما دام الله تعالى قد أخبر عن عظمة هذا الكتاب بقوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فلا بد أن تقفز روح كل سعيٍ سليم الفطرة وتتمنى أن تعمل بهدي هذا الكتاب.

وأقول بكل أسف أن بيان الشأن الأجل والأصفي للقرآن الكريم أمام العالم حق البيان مستحيل، مع أن ميزات القرآن وكمالاته ومحاسنه تمتلك من الجذب ما تنجذب به القلوب إليه تلقائياً. لو أثنى المرء على حديقة جميلة ووصف أشجارها ذات الرائحة الزكية ونباتاتها المنعشة للقلب وطرقاتها وجداولها وقنواتها الجارية بماء معين؛ لتمتئ كل إنسان من أعماق قلبه زيارتها والتنزه فيها والاستمتاع بها. ولو قيل إن في تلك الحديقة ينابيع تشفي الأمراض المزمنة والفتاكة لتوجّه إليها الناس بحماس ورغبة أكبر. كذلك لو عُرضت محاسن القرآن الكريم وكمالاته بألفاظ جميلة ومؤثرة جدا لجرت إليه الأرواح بكل حماس وشوق ولهفة.

والحق أن القرآن الكريم وحده يجلب للروح أسباب السكينة والطمأنينة ويسد حاجتها الحقيقية، ولذلك قال الله تعالى في وصفه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣)، وقال في آية أخرى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، والمطهرون هم المتقون المذكورون في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. لقد تبين من هنا بكل جلاء أن التقوى شرط لانكشاف علوم القرآن. هناك فرق كبير بين تحصيل العلوم الظاهرية وتحصيل العلوم القرآنية. ليست التقوى شرطاً لتحصيل علوم الدنيا التقليدية، وليس ضرورياً لمن يدرس الصّرف والنحو وعلوم الطبيعة والفلسفة والفلك والطب وغيرها أن يكون ملتزماً بالصلاة والصوم وبأوامر الله ونواهيه دائماً، وأن يجعل كل قوله وفعله خاضعاً لحكومة أحكام الله تعالى، بل الملاحظ عادة أن البارعين في العلوم الدنيوية وطلابها يصبحون ملاحدة، ويتورطون في أنواع الفسق والفجور. وهناك اليوم مثال واضح لذلك أمام العالم، أعني الأوروبيين والأمريكان؛ فإنهم يحرزون تقدماً كبيراً في العلوم

الأرضية ويخترعون شتى المخترعات في كل يوم جديد، ولكن حالتهم الروحانية والأخلاقية مخجلة جدا. إن الأخبار التي تُنشر بين حين وآخر عما يجري في متنزهات لندن وفنادق باريس فإننا لا نستطيع حتى ذكرها. ولكن العلوم السماوية والأسرار القرآنية فإن التقوى هي الشرط الأول لتحصيلها، ويتطلب التوبة النصوح. فما لم يحمل الإنسان على عنقه نِيرَ أحكام الله تعالى بكامل التواضع والتذلل ولم يرجع إلى الله تعالى بمنتهى الانقياد مرتجفاً بجلاله وجبروته، فلن يُفتح عليه باب علوم القرآن، ولن ينال من القرآن الكريم ما يربي خواص الروح وقواها التي تجد بها الروح اللذة والطمأنينة. إن القرآن الكريم كتاب الله، وإن علومه بيد الله تعالى، والتقوى هي بمنزلة السُّلَّم لذلك، فكيف يمكن أن يستفيد من القرآن شخص غير ملتزم بالدين، شرير خبيث النفس وأسير الرغبات السُّفلية. فمهما ادعى المسلم الإسلام ومهما كان عالي الكعب في الصرف والنحو والمعاني وغيرها من العلوم، حتى لو كان شيخ الكل في الكل في أعين الناس، فلن يُعطى نصيباً من علوم القرآن الكريم ما دام لا يهتم بتزكية نفسه.

أرى أن انتباه الناس منصباً تماماً على العلوم المادية في هذه الأيام، وقد بَهَرَ التنوير الغربي باكتشافاته ومخترعاته وصنائعه الجديدة العالم كله. والمسلمون أيضاً - ولسوء حظهم - لم يروا سبيل فلاحهم وخيرهم إلا أن يتخذوا الغرب أئمةً لهم ويعتزّوا بتقليدهم لأوروبا. هذه هي حال المسلمين المتأثرين بالتنوير الحديث، أما المسلمون من الطراز القديم والذين يظنون أنهم حماة الدين المتين، فغاية ما أنجزوه طيلة حياتهم هو الخوض في الجدالات العقيمة حول معضلات الصرف والنحو فقط، والاهتمام بالنطق السليم لقول الله ﴿الضَّالِّينَ﴾، ولا يهتمون بالقرآن الكريم مطلقاً، وكيف يعتنون به وهم لا يتوجهون إلى تزكية النفس؟

نعم، هناك فئة تدّعي تزكية النفس، وهي فئة المتصوفة وأصحاب الزوايا، ولكنهم قد اتخذوا القرآن مهجوراً، واخترعوا من عند أنفسهم طرقاً شتى؛ فمنهم من يهتم

بالاعتكاف أربعين يوما، ومنهم من يرفع هتافات "إلا الله"، ومنهم من يقوم بذكر "النفي والإثبات" وعمليات "التركيز" و"حبس النفس" وغيرها من البدع. باختصار، قد اخترعوا طرقًا لا أثر لها عن النبي ﷺ، ولا يؤيدها القرآن الكريم، ولم يرض بها الأنبياء من قبل. خلاصة القول إن من المحال أن يطلع الإنسان على معارف القرآن الكريم ومحاسنه بدون أن يحدث في نفسه تغييرا طيبا وبدون أن يهتم بتزكية نفسه. في القرآن الكريم حقائق ومعارف تشفي غليل الروح. ليت الدنيا تعلم أين تكمن متعة الروح، وليتها تعلم أنها تكمن في القرآن الكريم وحده.

اعلموا أنه بقدر ما يتبدل الإنسان يدخل في زمرة الأبدال، ولا تنكشف عليه حقائق القرآن ما لم يدخل في زمرة الأبدال. لقد أخطأ الناس كثيرا في فهم معنى الأبدال وفسروها من عند أنفسهم بمعان مغايرة تماما. الحق أن الأبدال قوم يُحدثون في أنفسهم تغييرات طيبة، فتصفو قلوبهم من ظلمة الإثم وصدئه، وتتلاشى حكومة الشيطان عليهم، ويصبح عرش الله على قلوبهم، ثم ينالون القوة من روح القدس ويتلقون الفيوض الربانية. وها إني أبشركم أن الذي يحدث في نفسه تغييرا طيبا فهو من الأبدال. إذا تقدّم الإنسان إلى الله تعالى مدّ فضل الله يده لإنقاذه بسرعة. الحق والحق أقول لا تُنال علوم القرآن الكريم بالخذلقة، وليست القوة العقلية أو الترقّي الذهني بالوسيلة لجذب علوم القرآن ومعارفه، إنما وسيلته الحقيقية هي التقوى. والله تعالى يعلم المتقي بنفسه، لذلك فإن الأُمِّيَّة تكاد تكون السمة الغالبة على الأنبياء، لهذا السبب بُعث نبينا الكريم ﷺ أُمِّيًّا. إنه لم يتعلم في مدرسة، ولم يتتلمذ على يد معلّم، مع ذلك قد بيّن من المعارف والحقائق ما أذهل البارعين في علوم الدنيا. لقد جرى على شفّيته المباركتين كتاب مقدس كامل، القرآن الكريم، الذي أفحمت فصاحته وبلاغته العرب قاطبة. ما الذي جعل النبي ﷺ يفوق الجميع في العلوم؟ إن سببه الوحيد هو التقوى. وما أدلّ على طهارة حياة رسول الله ﷺ من أنه أتى بكتاب مثل القرآن الكريم الذي أذهلت علومه ومعارفه العالم كله! وكون النبي ﷺ أُمِّيًّا لمثال واضح

ودليلٌ بيِّنٌ على أن الحصول على العلوم القرآنية أو السماوية يقتضي التقوى وليس الحذلقَةُ الدنيوية. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠١م، ص ١-٣)

من البديهي تماماً أنه ما لم يترك الإنسان أخلاقه الرذيلة لا يستطيع أن يقبل مقابلها الأخلاق الفاضلة التي هي الوسيلة للوصول إلى الله تعالى، لأن اجتماع الضدين في قلب واحد محال. هذا ما أشار الله تعالى إليه في بداية سورة البقرة فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إن هدي الله ينفع الذين لا يستكبرون بل الذين يتدبرن كلام الله تعالى بالخشوع والتواضع وهم الذين يهتدون في النهاية. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٣٠)

إن في طبيعة الإنسان بُخلاً أيضاً بمقتضى البشرية، ولو ملك جبلاً من ذهب لكان فيه عندئذ أيضاً نصيب من البخل، وما أراد أن يعطي كل ماله من يده. ولكن حينما تحالفه قوة توهب له حسب مضمون الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ينشرح صدره فيزول البخل وشح النفس كله. وعندها يصبح ابتغاء مرضاة الله أحب إليه من كل أنواع المال، فلا يريد أن يجمع في الأرض كنوزاً فانية بل يجمع رزقه في السماء. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٠، الحاشية)

جعل الإسلام للسلوك طريقاً سهلاً وواسعاً جداً، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦). وهذا هو الدعاء الذي علّمناه الله، ولكنه لم يعلمناه من دون أن يهيئ لنا الأسباب لاستجابته. كلا، بل علّمنا إياه وجعل الأسباب لإجابته أيضاً. وقد أشار إلى استجابته في السورة التالية حيث قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣). فكأنها مأدبة قد أعدت أسبابها سلفاً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٥م، ص ٥)

الكتابة بدون النقط ليست بأمر ذي بال، بل هي نوع من التكلف، والخوض في التكاليف لغو. إن صفة المؤمنين هي: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٤)، ولكن إن كنتم ترون الكتابة بغير النقط معجزة ففي القرآن أيضاً

معجزة دون نقاط وهي: "لا ريب فيه"، أي ليس فيه لفظ فيه ريب. إن معجزته هي أنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ (فصلت: ٤٣). ماذا عسى أن تكون ميزة فريدة أكبر منها؟ لقد نشرت إعلانات عدة مرات أن قدّموا لنا حقيقة لا نستطيع استخراجها من القرآن الكريم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، العدد ١١/١٧/١٩٠٥م، ص ٩)

هناك نوعان من التكاليف في سبيل الدين، إحداها شرعية مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة. فمن أجل الصلاة يترك الإنسان تجارتها ويتوجه إلى المسجد حتى لو تطلب ذلك تحمّل الخسارة، في الشتاء يستيقظ في آخر الليل، وفي رمضان يتحمل الجوع والعطش طول اليوم، وفي الحج يتكبد وعناء السفر، وفي الزكاة يسلم للآخرين مالا اكتسبه بجهده. فكل هذه تكاليف شرعية، ويثاب الإنسان عليها، وهي تجعله يتقدم إلى الله بسرعة. لكن في كل ذلك قد وُهبَت للإنسان سعة، حيث يمكنه البحث عن راحته؛ إذ في الشتاء يستطيع أن يسخّن الماء للوضوء، وإذا لم يستطيع الصلاة قائما في المرض فيمكن أن يصلي قاعداً، وفي رمضان يُشبع بطنه في السحر، بل من الملاحظ أن بعض الناس ينفقون على الطعام والشراب في رمضان أكثر من المعتاد. باختصار، يستطيع الإنسان أن يجد سهولة في هذه التكاليف الشرعية، ولذا لا تتم بها الطهارة الكاملة ولا تُقطع بها مسافات السلوك بسرعة.

أما التكاليف السماوية التي تنزل من السماء فلا يكون فيها خيار للإنسان ولا يجد بداً من تحمّلها في كل حال. ولذا بواسطتها يكتسب الإنسان قرب الله. ولقد ذكر الله في القرآن الكريم كلا النوعين من التكاليف، أي الشرعية والسماوية:

فعن التكاليف الشرعية قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

أي المؤمن من يؤمن بالغيب، ويقىم الصلاة.

أي أن الصلاة تنهار بسبب مئات الوسوس التي تلفت القلب إلى جهة أخرى، لكنه يقيمها مرة بعد أخرى بالتوجه إلى الله، وينفق من المال الذي أعطاه الله. فهذه تكاليف شرعية، لكن الثواب لا يتوقف عليها وحدها، لأن الإنسان يكون غافلاً

في أمور كثيرة، ففي أحيان كثيرة يؤدي الصلاة ساهيا عن حقيقة الصلاة ومغزاها ويكتفي بالشكلية فقط.

لذا قد قُدرت لارتفاع المداخل الإنسانية تكاليف سماوية أيضاً؛ فهي الأخرى قد ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم حيث قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٨). (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٥، عدد ١٨/١/١٩٠٥م، ص ٣)

قال الله تعالى في بداية سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وكأن هذا إعداد رباني لمنح الناس الهداية، بمعنى أن هذا الكتاب يعد المتقي بإيصاله درجة الكمال. وهذا يعني أن هذا الكتاب نافع للذين هم مستعدون للاتقاء وللإصغاء إلى النصيح. والمتقي بهذه المرتبة هو من يكون مستعدا لسماع الحق، متخلياً عن أفكاره المسبقة، ومثاله أن يدخل أحد في الإسلام فيصبح متقياً. عندما تأتي أيام خير لأحد من أتباع دين غير الإسلام تتولد فيه التقوى، فيتخلى عن العجب والكبر والأنانية. هذه كانت العوائق، فزالت، وبزوالها فتحت نوافذ قلبه المظلم ودخلت فيه الأشعة.

لقد قال الله تعالى هنا: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، واعلم أن الاتقاء من باب الافتعال، ومن خواص هذا الباب التكلف، وعليه فهذه إشارة ربانية إلى أن مرتبة التقوى التي نطلبها في هذه المرحلة لا تخلو من التكلف، وفي هذا الكتاب تعليمات تحافظ على هذا النوع من التقوى. وكأنما قيل هنا أنه لا بد للمتقي من تكبد المشاق في فعل الخيرات. وبعد عبور هذه المرحلة يصبح السالك عبداً صالحاً، أعني أنه يتخلص من التكلف في فعل الخيرات، ويبدأ بفعلها طبعاً وفطرة. إنه يكون في دار الأمان الذي لا خطر عليه فيها، وتنتهي حربه تماماً ضد أهواء النفس، ويدخل في مكان آمن، وينجو من المخاطر كلها. وإلى هذا الأمر نفسه قد تبهنا هادينا الكامل ﷺ إذ قال

إن لكل إنسان شيطانا، ولكن شيطاني قد أسلم. فالمتقي يكون في حرب ضد الشيطان كل حين، ولكنه حين يصبح صالحًا تنتهي حروبه كلها، إذ كان عليه قبل هذه المرحلة أن يحارب الرياء مثلاً كل حين. الحق أن المتقي يكون في موطن الحرب دائما، ولا ينتصر فيها إلا إذا حالفه التأييد الإلهي. خذوا مثلاً الرياء الذي يدب ديب النمل، والذي يدعه الإنسان أحيانا ليأخذ طريقه إلى قلبه من حيث لا يحتسب. فمثلاً لو فقدَ المرء سكيناً له، وسأل عنها غيره، لكانت هذه فرصة سانحة لنشوب الحرب بين هذا المسؤول المتقي والشيطان، إذ يوسوس له الشيطان أن سؤال صاحب السكين عنها بهذا الأسلوب يمثل إساءةً له، فقد يفقد أعصابه ويخاصم صاحب السكين. لكن المتقي يحارب أهواء نفسه السيئة في مثل هذا الموقف، فإن كان متحلياً بالأمانة والصلاح لوجه الله حقاً، فما الداعي لأن يثور غضباً؟ لأن إخفاء الأمانة والصلاح عن الناس قدر الإمكان خيرٌ. فمثلاً لو مرّ تاجر الجواهر بلصوص، فتشاوروا فيما بينهم بشأنه، فقال بعضهم إنه ثري، وقال آخرون إنه فقير صفر اليدين، فلا شك أن التاجر سيحبّ قول الذين يظنون أنه فقير خاوي الوفاض. ثم ما هي هذه الدنيا؟ إن هي إلا دار ابتلاء. فالذي يخفي كل أمر من أموره متجنباً الرياء فهو الأفضل. إن الذين يعملون الصالحات لوجه الله خالصةً إنهم لا يدعونها تظهر لأحد، وأولئك هم المتقون. لقد قرأت في كتاب "تذكرة الأولياء" أن أحد الصالحين قال في جمعٍ من الناس أنه بحاجة إلى المال وطلب منهم المساعدة، فأتاه أحدهم مئة ألف روية نظراً إلى صلاحه، فأخذ منه المال وأثنى على سخائه وكرمه، فانزعج المعطي من المدح ظناً منه أن مدحه سيحرمه الثواب في الآخرة، فجاءه بعد قليل وقال إنَّ المال الذي أعطيتك هو لأمي وهي لا تريد أن أعطيك إياه. فردّ له المال، فأخذ الناس يلومونه وينعتونه بالكذب فيما قال وبأنه كان لا يريد أن يعطيه المال أصلاً. ولما عاد الرجل الصالح إلى بيته ليلاً أتاه صاحب المئة ألف روية وقال له: لقد استرددت منك المال متحايلاً لأنك كنت أثنت عليّ أمام

الناس وحرمتني ثواب الآخرة، فحُذِّه الآن فهو لك، ولكن لا تذكر اسمي لأحد. فبكى الرجل الصالح وقال: الآن ستظل عرضةً للوَم الناس وطعنهم إلى يوم القيامة، لأن الجميع عرفوا ما جرى وقت النهار، ولكن لا أحد منهم يعرف أنك قد رددت لي المال الآن.

فالمتقي يخفي أفكاره أيضاً محارباً نفسه الأمارة، ولكن الله تعالى يكشف للناس أفكاره الخفية هذه دائماً. فكما أن الطالح يريد أن يتوارى عن الناس بعد ارتكاب السيئة، كذلك يصلي المتقي متخفياً مخافة أن يُرى وهو يصلي. المتقي الحقيقي يريد نوعاً من الستر. والتقوى مراتب كثيرة، ولكنها تتطلب نوعاً من التكلف في كل حال. المتقي في حالة حرب دوماً، أما الصالح فهو قد تجاوز مرحلة الحرب هذه، كما بينت آنفاً بضرب مثال الرياء الذي يظل المتقي في حرب مستمرة ضده كل حين.

في أحيان كثيرة تنشب الحرب بين الرياء والحلم. فحيناً يغضب الإنسان خلاف ما يأمره به كتاب الله، كأن يسمع السباب فتثور نفسه، ولكن التقوى تعلّمه ألا يغضب كما قال القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: ٧٣). ويحارب الإنسان قلة الصبر في معظم الأحيان. أعني أنه يجد في سبيل التقوى عوائق جمّة تصعب عليه الوصول إلى غايته، فيفقد الصبر. فمثلاً لو كان علينا حفر بئر إلى عمق ٥٠ ذراعاً لنجد الماء، ونترك الحفر بعد عمق بضعة أذرع لكان هذا سوء ظن من جانبنا، كذلك فمن مقتضى التقوى أن يظل يعمل بأوامر الله تعالى إلى آخر الحدود ولا يفقد الصبر. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٣٩-٤١)

بيّن الله تعالى الغاية المتوخاة من القرآن الكريم في قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، وما قال إنه هُدى للفساقين أو هُدى للكافرين. إن التقوى الابتدائية -التي بعد الحصول عليها يطلق على المرء كلمة "المتقي" - جزء من الفطرة التي أودعت في فطرة السعداء. وتربيته الربوبية الأولى وتزوّده بالوجود، الأمر الذي يتسبب في ولادة المتقي الأولى. أما النور الباطني الذي عبّر عنه بروح القدس فيتولد من: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾

(المؤمنون: ١٥) نتيجة الاتصال والعلاقة الكاملة والمتينة بين العبودية الخالصة والتامة وبين الربوبية الكاملة المستجمعة. وهذه هي الربوبية الثانية التي بسببها يولد المتقي ولادة ثانية، ويصل إلى مقام الملكوت. ثم تأتي بعدها درجة الربوبية الثالثة؛ التي تُسمى خلقاً آخر، عندها يصل المتقي مقام اللاهوت، وينال ولادة ثالثة. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ١٦٣، الحاشية)

باختصار، قد أرى الله تعالى بإنزال القرآن الكريم معجزة روحانية، ليكشف الإنسان تلك المعارف والحقائق والخوارق الروحانية التي لم يكن يعلمها من قبل. ولكن المؤسف أن المسلمين نسوا علّة نزول القرآن المذكورة في قول الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٣)، ويعدّونه مجموعة قصص فارغة فحسب، ويعرضون عنه بغاية الإهمال والأنانية باعتباره أساطير الأولين، وذلك كما فعل مشركو العرب. ذلك العصر كان عصر بعثة الرسول ﷺ ونزول القرآن الذي جاء يذكر الناس بالحقائق المفقودة، أما هذا العصر فهو الزمن الذي تنبأ عنه النبي ﷺ وقال إن أهل ذلك العصر سيقروا القرآن ولكنه لن يجاوز حناجرهم. وترون بأمر أعينكم اليوم كيف أن الناس يقرأون القرآن بألحان عذبة وبطريقة رائعة، ولكنه لا يجاوز حناجرهم. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٤)

اعلموا أن الله تعالى قد أراد بإنزال القرآن الكريم وبعثة النبي ﷺ ليُري للعالم نموذج بركات عظيمة، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨) كذلك أخبر عن الهدف من إنزال القرآن الكريم قائلا: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهذه أهداف عظيمة لدرجة لا يمكن أن يكون لها نظير. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٩، عدد: ١٧/٣/١٩٠٥م، ص ٦)

إن أصل التقوى هو أن يترك المرء العبودية ويتحد بالألوهية كما تتحد قطع الخشب مع الجدار نتيجة الاتصال به. وألا يبقى بينه وبين الله حائل قط. الأمور ثلاثة أنواع، أولاً: البديهية واليقينية، أي أن يبدو الشيء سيئاً أو جيداً في الظاهر. ثانياً:

اليقينة النظرية بمعنى أنها ليست يقينية ولكنها تبدو جيدة أو سيئة في الظاهر، وثالثا: الأمور المشتبه فيها التي يُشكَّ في كونها سيئة. فملتقي هو ذلك الذي يجتنب هذا الاحتمال والشبهة أيضا ويعبر المراتب الثلاث... كنت أنظم شعرا في موضوع التقوى ونُقل فيه شطرٌ إلهامي والبيت هو:

ہر اک نیکی کی جڑ یہ اتقا ہے اگر یہ جڑ ہی سب کچھ رہا ہے

أي: إن أصل كل حسنة هو التقوى، إن بقي هذا الأصل بقي كل شيء.

والشطر الثاني من البيت إلهامي. حيثما لا توجد التقوى لا تكون الحسنة حسنة. يقول الله تعالى في نعت القرآن الكريم: "هدى للمتقين" أي القرآن أيضا يهدي الذين يتقون. الذين يقرأون القرآن في البداية المراد من تقواهم هو ألا يقرأوه بالجهل والحسد والبخل، بل يقرأوه مع تقوى نور القلب وصدق النية. (الحكم، المجلد ۵، رقم ۳۲، عدد ۳۱/۸/۱۹۰۱م، ص ۱۳)

لقد اخترع المتنسكون المعاصرون بدعات كثيرة لدرجة يحفظ بعضهم أوراد الهندوس أيضا ويعدونها مقدسة. كان أخي مولعا بالرياضة فجاءه ذات مرة مصارع وعندما أوشك على المغادرة أخذ أخي جانبا وقال له: أعطيك تحفة عجيبة وثمينة جدا. قال ذلك ثم قرأ وردا وقال بأنه مؤثر جدا إذ لو قرئ مرة واحدة صباحا لما بقيت حاجة لأداء الصلاة على مدى النهار كله ولا للوضوء. إن هؤلاء الناس يسيئون إلى كلام الله، ويتركون الكلام المقدس الذي وعد فيه "هدى للمتقين" ويتخبطون خبط عشواء. إن إيمان المرء إنما يتقدم إذا عمل بأوامر الله وثبت على التوكل على الله. (الحكم، المجلد ۱۱، رقم ۲۸، عدد ۱۰۵/۸/۱۹۰۷م، ص ۴)

القرآن الكريم يعلم التقوى، وهذه هي علته الغائية. وإن لم يسلك المرء مسلك التقوى فلا فائدة من صلاته بل يمكن أن تكون مفتاح جهنم. يقول الشاعر السعدي مشيرا إلى هذا الأمر:

کلیدِ درِ دوزخ است آن نماز کہ در چشم مردم گزاری دراز

أي: الصلاة التي يصلّيها المرء للرياء هي مفتاح جهنم. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣م، ص ١)

الأصل كله هو التقوى والطهارة، منهما يبدأ الإيمان وبهما يُسقى وتُكبت الأهواء النفسانية. (جريدة الحكم، بدر، المجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٠)

التقوى هي أساس كل شيء، وبها قد استُهلّ القرآن الكريم. والمراد من "إياك نعبد وإياك نستعين" أيضا هو التقوى بمعنى أنه مع أن الإنسان يقوم بالأعمال ولكن لا يتشجع بسبب الخوف أن ينسبها إلى نفسه بل يعدّها نتيجة الاستعانة بالله. ثم يستعين به وَعَلَىٰ في المستقبل أيضا. والسورة الثانية أيضا تبدأ بـ "هدى للمتقين".

الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من الأعمال كلها تُقبل بسبب التقوى. إذا كان الإنسان تقيا رفع الله عنه دواعي الذنب كلها، وإذا كان بحاجة إلى الزوج يرزقه الزوج، وإذا احتاج الدواء هيا له الدواء. فأَيُّ شيء كان بحاجة إليها يعطيه الله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب. (بدر، المجلد ١، رقم ٧، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ٥١)

كلما ذكر الله التقوى قال إن أساس كل علم -المراد هنا هو العلم الأخروي وليس العلم الأرضي والديني- هو التقوى، وأساس الحسنات كلها هو التقوى. إن الله تعالى بنفسه يكفل المتقي ويظهر له آيات عجيبة. فقال في مستهل القرآن الكريم "هدى للمتقين"، لذا التقوى هي الأصل المهم لفهم القرآن الكريم والاهتداء به.

(الحكم، المجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٧م، ص ٦-٧)

اتقوا فإن التقوى أصل كل شيء. إن معنى التقوى هو اجتناب الذنوب الدقيقة.

المراد من التقوى أن يجتنب المرء شيئا يُشكَّ أن فيه أدنى نوع من السيئة. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٣)

إن تأثير التقوى يظهر في المتقي في هذه الدنيا، ولا يؤجل بل يظهر للعيان فورا بل كما يؤثر السم والترياق في الجسم فورا كذلك تؤثر التقوى أيضا. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٤)

إن الأئمة الأربعة في رأيي كانوا علامة بركة وكانوا يحظون بالروحانية لأن الروحانية تبدأ من التقوى فكانوا متقين في الحقيقة وكانون يخشون الله وما كانت لقلوبهم علاقة مع كلاب الدنيا. اعلّموا أن التقوى شيء عظيم. الخوارق تصدر بسبب التقوى، وإن لم تظهر الخوارق فمع ذلك ينال المرء العظمة نتيجة التقوى. التقوى ثروة بالحصول عليها يمكن للإنسان أن يفنى في حب الله تعالى ويفنى وجوده. إن كمال التقوى هو ألا يبقى للإنسان وجود ويصبح مصداقا للمثل الفارسي القائل: لقد صقلت نفسي بسببه لدرجة سبقت المرأة. هذا هو المراد من التوحيد ومن فكرة وحدة الوجود التي أخطأ فيها الناس وعدّوها شيئا آخر تماما. أي دين وتقوى أن يدعي المرء الألوهية مع كونه عبدا ضعيفا وعاجزا... الحق أن مدار الأخلاق الفاضلة وتركيز النفس هو التقوى التي لا توجد في هؤلاء الناس لسوء الحظ. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٥، عدد ١٩٠١/٩/٢٤ م، ص ٢-٣)

الحق أن التقوى هي الشيء الوحيد الذي بسببه ينال الإنسان إكراما. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٣٣، عدد ١٩٠٢/٩/١٧ م، ص ١٥)

الذي يجتنب السيئة خشية الله وابتغاء لمرضاته يسمى متقيا... لقد وعد الله تعالى المتقي إذ قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٣). لقد اتخذ الناس أعداءا مختلفه لنبد التقوى، إذ يقول البعض بأن تجاراتنا لا تزدهر دون الكذب، ويتهمون الآخرين بأننا لو قلنا الحق لما وثقوا بنا. وهناك بعض آخرون يقولون بأنه لا تقوم لنا قائمة دون أخذ الربا، فأنتي لمثل هؤلاء الناس أن يُعدّوا متقين. لقد وعد الله تعالى أنه يُخرج المتقي من المشاكل ويرزقه من حيث لا يحتسب. يقول الله تعالى بأن الذين يعملون بحسب كتابه سيعطيهم الرزق من كل جانب، من فوقهم ومن تحتهم. ثم يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ (الذاريات: ٢٣) وهذا يعني أن رزقكم ليس نتيجة مساعيكم وجهودكم وخططكم بل هو فوق ذلك كله. إن هؤلاء الناس لا يستفيدون من هذه الوعود ولا يتقون. والذي

لا يتقي الله يبقى غارقا في المعاصي وتحول في طريقه عوائق كثيرة. (بدر، المجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١٩٠٤/٧/١م، ص ٥)

يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب (الحديث). انظروا كم هي عليا مرتبة المتقي، وكم هو عال شأنه عند الله؛ فإذا كان إيذاؤه بمنزلة إيذاء الله فلائي مدى سيساعده الله تعالى! يصاب الناس بمصائب كثيرة ولكن الأتقياء يُنقذون منها بل يُنقذ منها جلسهم أيضا. إن المصائب لا تُعد ولا تحصى بل إن باطن الإنسان مليء بها لدرجة لا يمكن تقديرها. خذوا الأمراض مثلا فهي وحدها تكفي لخلق آلاف المصائب. ولكن الذي يدخل حصن التقوى يُحفظ منها، ومن كان خارجه فهو في فلاة مليئة بالسباع والوحوش. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٥-٣٦)

لقد أراد الله للمتقين أن يحظوا بكلتي المتعنين، أحيانا بصورة المتعة الدنيوية والراحة والطيبات وأحيانا أخرى بصورة العسر والمصائب، وذلك ليضربوا مثلا كاملا للأخلاق من كلي الجانبين. فبعض الأخلاق تنكشف عند حياة الإنسان القوة وبعضها عند المصائب. إن النبي ﷺ كان حائزا على كلا الأمرين. فقد ما نستطيع أن نضربه من مثل على أخلاقه لا يسع قوما آخرين أن يقدموا مثله عن نبيهم. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٧)

يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت: ٣٢). هذه الآية أيضا تكذب هؤلاء الجهلة الذين أنكروا نزول الملائكة في هذه الحياة. فمثلا لو نزل الملائكة على أحد عند الاحتضار فقط كيف كان الله وليه في الحياة الدنيا؟ إنها لمن نعمة الله أن الأولياء يرون الملائكة. الحياة الأخروية تعتمد على الإيمان فحسب ولكن المتقين لا يرون الحياة الأخروية بل يصلون إلى الله ويرونه ويكلمهم في هذه الحياة. فإن لم يحظ الإنسان بذلك كان موته ورحيله من هذه الدنيا سيئا جدا. يقول أحد الأولياء بأن الذي لم يحظ بالرؤيا الصالحة مدى الحياة كانت عاقبته مهددة بالخطر كما جعل القرآن الكريم ذلك علامة المؤمن. اعلمو أن

الذي لا توجد فيه هذه العلامة لا توجد فيه التقوى. لذا عليكم أن تدعوا الله تعالى دائما أن يتحقق فيكم هذا الشرط وتنالوا من الله تعالى فيض الإلهامات والرؤى والكشوف لأنها من صفات المؤمنين لذا يجب تحققها. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٣٧-٣٨)

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، لقد قلت من قبل بأن الثواب يترتب على الإيمان حين يقبل المرء - نظرا إلى بعض القرائن - بعض الأشياء التي تكون خافية، كما ذكر الله جلّ شأنه صفة المؤمنين في القرآن الكريم بأنهم "يؤمنون بالغيب"؛ أي أنهم يؤمنون ببعض الأمور التي تكون في الغيب. لقد آمن الصحابة رضي الله عنهم بسيدنا ومولانا صلوات الله عليه دون أن يطلب أحدهم آية أو دليلا، ومع أن الآيات ظلت تمطر بعد ذلك في وقتها المناسب كالمطر الغزير وظهرت المعجزات، لكن الصحابة لم يحتاجوا إليها من أجل الإيمان، ولو حصروا الإيمان في رؤية المعجزات لما ثبت صلاحهم قيد ذرة، ولعدّوا من عامة الناس ولما دخلوا في عباد الله الأحباء؛ لأن الذين طلبوا آية عاتبهم الله ولم تكن عاقبتهم حسنة بل مات معظمهم في حالة عدم الإيمان.

باختصار؛ يتبين من جميع كتب الله أن طلب الآية لم يكن عملا مباركا لأي قوم قط، بل كلّ من طلب آية هلك. يقول المسيح عليه السلام أيضا في الإنجيل: "حِيلٌ شَرِيْرٌ وَقَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ".

هنا سينشأ بالطبع تساؤل في ذهن كل شخص كما قلت من قبل بأنه كيف يمكن للإنسان أن يميز الحق من الباطل بغير آية؟ وإذا قيل أن أحدا من عند الله بغير رؤية آية، فيمكن أن يخطئ في ذلك.

فجوابه كما قلت من قبل بأن الله تعالى قد جعل الثواب مشروطا بالإيمان في غالب الأحيان إن كان قبل رؤية الآية. ويكفي للتمييز بين الحق والباطل أن تكون في اليد بعض القرائن التي تفيد التصديق، وأن تكون كفة التصديق أرجح من كفة التكذيب؛ فمثلا آمن الصديق الأكبر، أبو بكر رضي الله عنه، بالنبي دون أن يطلب آية

معجزة. وحين سُئِلَ: كيف آمنْتَ؟ قال بما معناه: إن كون محمد ﷺ أمينا واضح عليّ، وإنني موقن بأنه لم يكذب على أحد من الناس قط، فكيف يكذب على الله. كذلك رأى كل صحابيٍّ بحسب ذوقه فضائل أخلاقية أو علمية في النبي ﷺ وعدّوها سببا لصدقه، فآمنوا به ﷺ، ولم يطلب أحدٌ منهم آية. فقد كفاهم تمييزا بين الصادق والكاذب؛ أنه ﷺ يحتل أعلى مراتب التقوى ويحظى بالشجاعة والاستقامة في سبيل بيان مكانته، وأن التعليم الذي جاء به ﷺ أصفى وأطهر، ونور متجسد مقارنة بالتعاليم الأخرى كلها، وأن لا نظير له ﷺ في الأخلاق الحميدة، وهو يحتل درجة عليا من الحماس في سبيل الله، وأن الصدق يتجلّى في وجهه. فبالنظر إلى هذه الأمور تيقنوا أنه من الله تعالى في الحقيقة.

لا يظنّ أحد هنا أنه لم تظهر على يد النبي ﷺ معجزات، بل الحق أنها ظهرت على يده أكثر من أي نبيٍّ آخر ولكن من سنة الله أن المعجزات والآيات البينة تبقى خافية في البداية للتمييز بين صدق الصادقين وكذب الكاذبين. هذا الزمن يكون زمن الابتلاء؛ إذ لا تظهر فيه آية بصورة بينة ثم حين تؤمن فئة من أصحاب القلوب النزيهة لدقة نظرهم ولا يبقى إلا العوام كالأنعام، عندها تظهر الآيات إما لإتمام الحجة عليهم أو لإنزال العذاب. ولكن لا يستفيد منها إلا الذين آمنوا من قبل. وقليل يؤمنون فيما بعد، لأن قلوبهم تصبح قاسية نتيجة تكذيبهم كل يوم، ولا يريدون أن يغيروا آراءهم التي أذاعوها؛ فيصلون جهنم في نهاية المطاف على هذا الكفر والإنكار.

أتمنى من قلبي، وأدعو الله تعالى؛ أن تفهم أنه لا بد في مفهوم الإيمان الحقيقي أن يؤمن المرء بالأمور الخافية. وعندما تتكشف حقيقة الشيء بكل جلاء أو يتبين الجزء الأكبر منه، فإن قبوله لا يدخل في الإيمان. فمثلا إن الوقت الآن هو وقت النهار، فلو قلتُ مثلا بأني أؤمن بأن الوقت الآن هو نهار وليس ليلاً فأية ميزة في إيماني هذا؟ وأي تفوّق يمكن أن يتحقق لي على الآخرين بسببه؟ إن أولى علامة للسعيد هي أن يفهم هذا الأمر المبارك أي ما هو المراد من الإيمان؟ لأن جميع الناس الذين ظلوا يعارضون

الأنبياء منذ بدء الخليقة كانت على عقولهم غشاوة أنهم لم يدركوا حقيقة الإيمان، وزعموا أنه ليس من المناسب أن يؤمنوا ما لم تنكشف نبوة الأنبياء وتعليمهم مثل بقية الأمور المشهودة والمحسوسة. ولكن هؤلاء الحمقى لم يفكروا بأنه لا يدخل الإقرار بالأمر البين والواضح في الإيمان، لأن ذلك يكون علماً مثل الأرقام والرياضيات وليس إيماناً. فبسبب هذه الغشاوة حُرّم أبو جهل وأبو لهب وغيرهما من الإيمان في بداية الأمر، ثم حين ثبتوا على التكذيب وأصروا على الآراء المخالفة مع أن آيات صدق النبي ﷺ البينات كانت قد ظهرت، ولكنهم قالوا بأن الموت أهون من الإيمان الآن.

باختصار، إن معرفة صدق الصادق بنظرة دقيقة إنما هو فعل السعداء. أما طلب الآيات فهو طريق نحس ومن شيمة الأتقياء، وبسببها صار عشرات الملايين من الناس حطب جهنم. إن الله تعالى لا يغيّر سنته، ولا يعُدّ من الإيمان - كما قال - إلا إيمان الذين لا يتعنّتون، ويقبلون الصادق حين يرون القرائن المرجّحة معه ويجدون فيه علامات الصدق. وإن كلام الصادق وصلاحه واستقامته ووجهه بحد ذاته يشهد على صدقه بحسب رأيهم. فطوبى للذين يُعطون فطنةً لمعرفة الناس. (مرآة كمالات الإسلام الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٣٦-٣٣٩)

لأن رؤية البارئ تعالى والمكالمات والكشوف لا تتسنى حين يكون المرء في مرحلة "المتقي" لذا يكون بحاجة إلى الإيمان بالغيب أولاً. ويكون في مرحلة الإيمان تكلفاً لأنه يؤمن بوجود الله تعالى نظراً إلى القرائن القوية ويكون إيمانه هذا بين الشك واليقين. يجب التذكر أن بعض الناس لا يحظون بهذه الدرجة من التقوى أيضاً بل هم شبه ملحدين إذ يرون الآثار والآيات ومع ذلك لا يؤمنون بوجود الله ولكن المتقي يؤمن به وَعَلَىٰ كما يقول: "يؤمنون بالغيب"، فلا تظنوا أن درجتها أدنى أو مرتبتها أقل، أو الذين يخطون خطوات تفوق الفهم هم مجاهدون كبار ولهم مراتب ومدارج عليا. كلا، بل هذه الحالة من الإيمان بالغيب في المرحلة الأولى للمتقي ذات أهمية بالغة عند الله. لقد ورد في الحديث الشريف ما مفاده أن النبي ﷺ سأل الصحابة: أتدرون من الأقوى

إيماناً؟ قالوا أنت يا رسول الله. قال لا، إني أرى جبريل كل يوم وأرى آيات الله كل حين وأن. قال الصحابة: أفنحن؟ قال: لا، أنتم أيضاً ترون آيات الله. ثم قال النبي ﷺ: الذين سيأتون بعدي بمئات السنين إيمانهم عجيب لأنهم لا يرون آيات كما ترونها أنتم ومع ذلك يؤمنون بالله. باختصار، لو مات المتقي وهو في المرحلة الابتدائية أدخله الله تعالى في هذه الفئة وسجل اسمه في هذا السجل مع أنه لا يعرف مكالمات الله ومحاطباته ولم يجد نصيباً من تلك اللذة والمتعة أيضاً، ولكنه مع ذلك يُري قوة فلا يؤمن بالله تعالى فحسب بل يثبت إيمانه بعمله أيضاً أي "يقيمون الصلاة".

في حالة التقوى أيضاً تخالج الوسوسات أثناء الصلاة وتنشأ أصناف الأوهام والشكوك وتشتت الأفكار ولكنهم مع ذلك لا يتركون الصلاة ولا يكلّون ولا يملّون. وهناك آخرون يصلون الصلاة لبضعة أيام ثم تتناهم الظنون الفاسدة والأفكار المشتتة فيتركون الصلاة ويجلسون متعبين. ولكن المتقي لا يعرف الكلل والملل بل يقيم الصلاة. إن الصلاة تسقط مرة بعد أخرى وهو يقيمها كذلك. في مرحلة التقوى يأتي على المتقي زمان، زمن الابتلاء وزمن الاصطفاء. يأتي وقت الابتلاء لتعرفوا قدركم ومنزلتكم وقدرتكم ولتبين من الذي يؤمن بالله إيمان الصادقين. لذا أحيانا تُخرج الأوهام والشكوك وأحيانا أخرى تتولد في قلبه اعتراضات وأوهام عن وجود الله تعالى. يجب على المؤمن الصادق ألا يخاف في هذا المقام بل عليه أن يتقدم إلى الأمام دائماً. لله در من قال:

عشق اول سرکش وخنونی بود تاگریزد هر که بیرونی بود

أي: العشق يكون متمرداً وجموحاً في البداية حتى يخرج من هذا الميدان من كان غير أهل له.

لا يرضى الشيطان الخبيث ما لم يجعل المرء ينكر وجود الله تعالى ورسالة النبي ﷺ. يلقي في القلوب وسوسة تلو وسوسة، ويهلك مئات آلاف الناس بل عشرات الملايين منهم بهذه الوسوسات إذ يقولون: لنفعل الآن ولنسوف نرى فيما بعد مع أن

الإنسان لا يدري هل سيتنفس في اللحظة التالية أم لا ولكن الشيطان يشجعه ويعطيه آمالا كبيرة ووعودا معسولة. هذا أول درس يعلمه الشيطان. ولكن المؤمن يكون شجاعا ويُعطى شجاعة فيقاوم كل وسوسة لذا فقد قال تعالى: ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي أنهم لا يملّون في هذه المرحلة ولا يتعبون. وإن عدم تولّد الأنس والذوق والشوق لا يثبّط من همتهم، بل يستمرون في أداء الصلاة في هذه الحالة من عدم الذوق والمتعة إلى أن تتلاشى كل الوسوس والأوهام. يُهزم الشيطان وينتصر المؤمن. فخلاصة الكلام أن مرحلة "المتقي" هذه ليست مرحلة التهاون بل زمن الثبوت في الميدان لذا عليه أن يقاوم الوسوس بكل شجاعة. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٦، عدد: ١٧/٢/١٩٠١م، ص ١٢٠١ و ٢)

التقوى...تتطلب قدرًا من التكلف كما ذكرت آنفا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ٣-٤)، ففيه نوع من التكلف. إن الإيمان بالغيب يقتضي نوعًا من التكلف خلاف المشاهدة، لذا فالمتقي بحاجة إلى التكلف نوعًا ما، لأنه حين يحوز درجة "الصالح" لا يعود له الغيب غيبًا، لأن الصالح تجري من نفسه قناة تصل إلى الله تعالى. إنه يرى الله وجهه بعينه لقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ (الإسراء: ٧٣). وهذا يبين أن الإنسان لن يرى وجه الله أبدًا ما لم يحرز النور الكامل في هذه الدنيا نفسها. فواجب المتقي ألا يبرح يُعَدّ أنواع الكُحل الذي يشفي عينه من مرض إعتام العدسة. لقد تبين من هنا أن المتقي يكون أعمى في أول الأمر، وينال النور ببذل أنواع الجهد والتزكية، فإذا أصبح بصيرا وصالحا لم يعد إيمانه إيمانًا بالغيب، وزال عنه التكلف، وذلك كما جعل الله نبيه ﷺ يرى في هذه الدنيا نفسها الجنة والنار وغيرهما رأيي العين. فكل ما يصدق المتقي من خلال إيمانه بالغيب قد شاهده النبي ﷺ فهذه الآية إشارة إلى أن المتقي يكون أعمى ومتكلفا، أما الصالح فيكون واصلاً إلى دار الأمان وصارت نفسه مطمئنة. المتقي يكون في حالة الإيمان بالغيب، ويقلّد تقليداً أعمى، فليس عنده خبر

ولا علم، وإنما يؤمن بكل شيء إيماناً بالغيب، وهذا هو الدليل على إخلاصه وصدقه، وقد وعده الله تعالى إزاء صدقه بالفلاح: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٦).

ثم بعد ذلك ورد في شأن المتقين: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٤). ولفظ الإقامة هذا أيضاً يشير إلى التكلف الذي هو من صفات المتقي، أعني أنه حين يبدأ الصلاة تتنابه صنوف الوسوس التي لا تفتأ تخدم صلاته التي يريد إقامتها. فما إن قال "الله أكبر" حتى هاجمه فوج من الوسوس التي تشتت عليه تركيزه وخشوعه، فتذهب به كل مذهب. فيصاب بالقلق ويبدل كل ما في وسعه للتركيز والخشوع، ويسعى بمنتهى المشقة لإقامة الصلاة التي قد تخدمت، ويدعو الله تعالى مرة بعد أخرى لإقامة صلاته قائلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، ويسأله الهداية إلى ﴿الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الفاتحة: ٦) الذي يساعده على إقامة صلاته. ويكون المتقي إزاء هذه الوسوس كالطفل الذي يبكي ويتضرع إلى الله تعالى قائلاً: رب لقد صرْتُ كَمَنْ ﴿أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٧٧). فهذه هي الحرب التي يخوضها المتقي في الصلاة ضد نفسه، وبسببها يكتب له الثواب.

ومن الناس من يريد أن يتخلص فوراً من الوسوس في الصلاة، مع أن مشيئة الله في قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٤) هي خلاف ذلك. ألا يعلم الله الواقع؟ يقول حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله عليه إن الثواب يكون ما دامت المجاهدات، وإذا انتهت المجاهدات سقط الثواب. وهذا يعني أن الصوم والصلاة تُعدّان أعمالاً ما دام المرء يكافح فيهما الوسوس جاهداً، ولكنه حين يرتقي ويبلغ درجة أعلى ويتصبغ بصبغة الصلاح بدلاً من التكلف، فلا يعود صومه ولا صلاته أعمالاً. وهنا أثار حضرة الجيلاني رحمه الله سؤالاً وقال: فهل يعني ذلك أن المرء يُعفى من الصوم والصلاة بعدها، إذ كان يثاب عليهما طالما كان يتكلف فيهما؟ والجواب أن صلاته في هذه الحالة لا تعود عملاً، بل تصبح إنعاماً وجزاء. إن صلاته تصبح غذاء له، وقرة عين له، وكأنه ينال الجنة نقداً.

الذين هم في المحاهدات فهم لا يزالون في صراع، أما هذا فقد نال النجاة. وهذا يعني أن انتهاء سلوك المرء يعني انتهاء المصائب أيضا. فمثلاً لو قال أحد الخناثي بأنه لن ينظر إلى امرأة قط، فهل يستحق إنعاماً وثواباً؟ كلا، فإنه لا يقدر على النظر إليها بشهوة، ولكن الذي عنده الرجولة لو امتنع عن النظر إلى المرأة فلا بد أن يثاب عليه. كذلك فعلى الإنسان أن يقطع آلاف المراحل والمنازل، وإن كثرة الممارسة والتمرين تجعله قادراً على بعض الأمور، ويُعقّد الصلح بينه وبين نفسه، فيكون بعدها في الجنة، إلا أنه لن ينال الثواب الذي كان يناله من قبل. لقد قام بتجارة ويأخذ الآن أرباحها، ولكن لن يكون الأمر كالسابق. لا يزال المرء يقوم بعمل ما تكلفاً حتى يصير طبعاً فيه، ومن وجد في عملٍ متعة طبيعية فلا يمكن فصله عنه، إذ من المحال أن ينفصل عنه بطبعه. فالحق أن الانكشاف التام لا يتم في مرحلة التقوى والاتقاء، وإنما هو نوع من الدعوى.

ثم ورد في صفة المتقين: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤). والملاحظ هنا أن الله تعالى قد ذكر أن المتقي ينفق (مما) رزقه الله، ذلك لأنه يكون أعمى في تلك المرحلة، ولذلك قيل: إنه ينفق في سبيل الله بعض ما رزقه الله تعالى. الحق أنه لو كان بصيراً لأدرك أن لا شيء له، بل كل شيء هو لله تعالى. فهذا الحجاب لا بد له منه في مرحلة الاتقاء. في حالة الاتقاء دفعته تقواه لإنفاق بعض ما رزقه الله تعالى. سأل النبي ﷺ في أيام وفاته عائشة رضي الله عنها: هل في البيت شيء. قيل: هناك دينار واحد. قال ﷺ: ليس من شيمة المتحد مع ربه المتفاني فيه تعالى أن يحتفظ عنده بشيء. كان النبي ﷺ قد تجاوز مقام الاتقاء ووصل مقام الصلاح، ولذلك لم يقل الله فيه أنه ينفق "مما"، أي من بعض ما عنده، لأن من احتفظ ببعض وأنفق بعضاً فهو أعمى، وهذا من مواصفات المتقي، لأن عليه أن يحارب نفسه في الإنفاق في سبيل الله أيضاً، فيعطي بعضاً ويحتفظ ببعض. أما رسول الله ﷺ فأنفق كل شيء في سبيل الله ولم يحتفظ لنفسه بشيء.

وكما ذكرتُ في مقالِي الذي قُرئ في مؤتمر الأديان الأعظم ثلاثَ حالات للنفس التي يمر بها الإنسان منذ البداية حتى النهاية، كذلك فإن القرآن الكريم الذي جاء ليطور الإنسان في كل مراحل الرقي قد بدأ الكلام هنا بالاتقاء. إن الاتقاء سبيله التكلف. إنه مجال مخوف بالأخطار. بيد المتقي سيف، وهناك سيف مسلول إزاءه أيضاً، فلو نجا نال النجاة، وإلا رُدَّ أسفل السافلين. ومن أجل ذلك لم يصف الله المتقي هنا بأنه ينفق كل ما رزقناه. المتقي لا يملك من القوة الإيمانية ما يملكه النبي لينفق كل ما آتاه الله في سبيله كما فعل هاديننا الكامل عليه السلام، ولذلك فُرضت عليه ضريبة قليلة ليتذوق طعم الإنفاق في سبيل الله ويستعدّ للإيثار والتضحية أكثر.

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤) لا يراد به الإنفاق من المال فحسب، بل يراد به كل ما أعطوه. فالعلم والحكمة والطب كل ذلك مشمول في الرزق، وعليهم أن ينفقوا منها كلها في سبيل الله تعالى.

وعلى الإنسان أن يرتقي في هذا المجال درجةً فدرجة، ولو أمر القرآن الكريم كالإنجيل أن "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا" (متى ٥ : ٣٩)، أو: أنفق كل ما تملكه في سبيل الله، لحُرِّم المسلمون من الثواب كالنصارى، لأن العمل بهذا الحكم محال. إن القرآن يطور تدريجياً كما تقتضيه الفطرة الإنسانية. إن مثل الإنجيل كطفل يُجَبَّر على قراءة كتاب صعب جدًّا بمجرد دخوله المدرسة. ولكن الله حكيم، وحكمته تقتضي أن يكتمل التعليم بالتدريج. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧، ٤٤-٤٧)

إنَّ هدف القرآن الأساس هو تعليم الناس التقوى التي يمكن أن ينالوا بها الهدى. لقد بين الله تعالى في الآية التالية ثلاث مراتب للتقوى، فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤). يقرأ الناس القرآن الكريم، ولكن كالبيغاء دون أن يتدبروه ويفهموه. وكما يقرأ البانديت الهندوسي كتابه بسرعة دون أن يفهم هو أو المستمعون له شيئاً، كذلك أصبح

الناس يقرأون القرآن. يقرأون بضعة أجزاء منه ولا يدرون ماذا قرأوا. غاية ما يهتمون به هو القراءة بصوت جميل ونطق سليم بحرفي القاف والعين وغيرهما. لا شك أن تلاوة القرآن بأسلوب صحيح وبصوت جميل أمرٌ محمود، ولكن الهدف الحقيقي من تلاوته هو أن يطلع المرء على معارفه ويُحدث في نفسه تغييراً طيباً. اعلّموا أن في القرآن الكريم فلسفة حقة ورائعة ومحيّرة، وأن فيه نظاماً وترتيباً لا يهتم به الناس، مع أنه لا تتحقق أهداف تلاوة القرآن الكريم من دون مراعاة هذا النظام والترتيب الموجودين فيه ومن دون التدبر فيه حق التدبر. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٢، عدد: ٣١/٣/١٩٠١، ص ٣)

خلاصة الكلام أنه لا بد من مراعاة الترتيب في القرآن الكريم، والآيات التي قرأناها آنفاً مرتبةً أيضاً حيث قال الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤).

اعلموا أن الاتقاء ثلاثة أقسام. والقسم الأول هو الاتقاء العلمي وهو الإيمان، والقسم الثاني هو الاتقاء العملي كما قال الله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٤). إن صلوات الإنسان التي يكون فيها فريسةً للشبهات والوساوس ليست قائمة، إذ لم يقل الله تعالى هنا: يقرأون الصلاة، بل قال: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، أي يؤدونها حق أدائها. ألا اسمعوا وعوا، إنّ لكل شيء غايته المنشودة، وإذا لم يحققها أصبح عديم الجدوى. فمثلاً يُشترى الثور للحراثة، فإذا أدى هذه الخدمة فعلاً فإنما عدّ قائماً بواجبه، ولكنه إذا اقتصر على الأكل والشرب فقط، فشّل في تحقيق الغاية المتوخاة منه، واستوجب الذبح.

كذلك فإن قوله تعالى ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يشير إلى لوازم الصلاة التي هي المعراج، وهي حالة تبدأ فيها للمصلي علاقة بالله تعالى، ويتلقى الكشف والرؤى الصالحة، وينقطع عن الناس، وتنشأ علاقته بالله تعالى إلى أن يتم له الوصال بالله تعالى نتيجة التبطل التام.

"الصَّلَیُّ" هو الاحتراق، فكما يُشوى الكباب كذلك لا بد للمصلي من الحرقه والالتیاع في الصلاة، فما لم يحترق القلب لا تتيسر المتعة والحلاوة في الصلاة. الحق أن الصلاة لا تكون صلاة حقاً ما لم تستول هذه الحالة على الإنسان. الصلاة مشروطٌ أدائها مع جميع لوازمها وشروطها، وإذا لم تُراعَ هذه الشروط فهي ليست بصلاة، ولا تتيسر فيها حالة الخشوع والجذب المتوخاة منها.

اعلموا أنه لا بد من اجتماع الحال والقال كليهما في الصلاة. الإعلام يكون صورياً في بعض الأحيان، أي تُرى صورةٌ يعرف الناظرُ إليها المقصودَ منها، كذلك فإن الصلاة تصوير للمشيئة الإلهية. وكما أنه يُقرأ في الصلاة شيء باللسان، كذلك يُرى فيها شيء بحركات الأعضاء والجوارح. فحينما يقوم الإنسان بحمد ويسبح، وهذا يسمّى قياماً، والجميع يعرف أن القيام أنسبُ وضعٍ للحمد والثناء، فالشعراء مثلاً يُنشدون قصائدهم أمام الملوك قياماً. ففُرضَ القيام الظاهري من ناحية، ومن ناحية ثانية فُرضَ الحمد والثناء باللسان، وإنما الهدف من ذلك أن يقوم المرء أمام الله تعالى قياماً روحانياً أيضاً. والحمد يتم بعد الثبات على الموقف، فالذي يحمد أحداً بعد تصديقه فهو يثبت ويقوم على موقف ورأي. فثبت أن المصلي لا يستطيع أن يقول "الحمد لله" بصدق القلب إلا إذا كان على يقين تام بأن المحامد كلها لله وحده، فإذا ثبت قلبه على هذا الأمر بانسراح، صار ذلك قياماً روحانياً، لأن قلبه يكون متمسكاً بذلك فيفهم أن المصلي قائم في ظاهره وقلبه لكي يتيسر له القيام الروحاني.

ثم يقول المصلي في الركوع: "سبحان ربي العظيم". والمعروف أن المرء إذا اعترف بعظمة أحد خضع أمامه، والعظمة مقتضاها الركوعُ. فالمصلي بلسانه يقول: "سبحان ربي العظيم"، وبحاله يركع ويخضع، وهكذا يقدم حاله مع قاله، ويؤكد قاله بحاله.

ثم يقول قولاً ثالثاً: "سبحان ربي الأعلى". ولفظ "الأعلى" هو على وزن الأفعال وهي صيغة التفضيل. و"الأعلى" بحد ذاته يقتضي السجودَ، ومن أجل ذلك يحثُ المصلي عند هذا الإقرار ساجداً بصورة عملية، ويختار على الفور وضعا ينسجم مع هذا الإقرار.

فإزاء هذه الأقوال الثلاثة هناك ثلاثة أحوال جسمانية قُدمت على هيئة الصُور. لقد قام الجسد بكل هيئة من هذه الهيئات الثلاث، كما أقرّت هذه المضغة التي تسمى اللسان بالإقرار المناسب إزاء كل من تلك الهيئات الجسدية، وهكذا اشترك اللسان أيضا في الأمر.

ولكن هناك شيئا ثالثا إن لم يشترك مع الجسد واللسان لا تصلح الصلاة. فما هو ذلك الشيء؟ إنه القلب. لذا فالضروري أن يصبح القلب أيضا قائما عند القيام الظاهري بحيث ينظر الله إلى القلب ويرى أنه أيضا يحمد في الحقيقة. فلا يقوم الجسد فقط بل تقوم الروح أيضا حامدة. وعندما يقول المصلي "سبحان ربي العظيم" فيرى الله تعالى أن هذا لم يكتف بإقرار عظمة الله بلسانه فقط، بل لقد خضع معه جسده، وخضعت معه روحه أيضا.

ثم في المرة الثالثة عندما يختر المصلي أمام الله ساجداً، فيجب أن يرى الله تعالى أن هذا قد خر بروية عظمته تعالى، وأن روحه أيضا قد خرّت على أعتابه تعالى. باختصار، يجب ألا يطمئن المصلي حتى تتولد فيه هذه الحالة، لأن هذا هو معنى قوله تعالى ﴿يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ﴾.

أما السؤال كيف تيسر هذه الحالة في الصلاة، فجوابه: على المرء أن يداوم على أداء الصلاة، ولا يضيق ذرعاً من الوسوس والشبهات التي تنتابه. في البداية لا بد من حرب ضد الشكوك والشبهات، وإنما علاجها ألا يملّ الصلاة، بل يواظب عليها مثابراً مصطبراً، ولا يبرح يدعو الله تعالى، وفي النهاية سوف تيسر له تلك الحالة التي ذكرتها آنفاً. وهذا جزء من التقوى العملية.

إنفاق الرزق

ثم هناك جزء آخر للتقوى، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. يظن العامة أن الرزق هو ما يؤكل ويشرب. هذا خطأ، لأنّ ما يُعطى لسد حاجات كفاءات الإنسان وقواه هو أيضا رزق. العلوم والفنون والمعارف والحقائق التي يعطاها

الإنسان، وكذلك أسباب المعيشة والمال والرخاء كلها تدخل في الرزق. والرزق يشمل الحكومة أيضا وكذلك الأخلاق الفاضلة. فقول الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يعني أنهم ينفقون من الطعام طعاما، ومن العلم علما، ومن الأخلاق أخلاقا. وإنفاق العلم أمر معروف.

واعلموا أنه ليس البخيل فقط مَنْ لا يعطي المحتاج من ماله شيئا، بل إن مَنْ لا يريد تعليم الناس مما علّمه الله تعالى فهو أيضا بخيل. واعلموا أن حرمان المرء غيره من علمه أو فنه ظنا منه أنه لو علم بهما الآخر لحطّ ذلك من شأنه أو نقص من دخله هو نوع من الشُّرك؛ لأنه في هذا الحال يرى علمه أو فنه رازقه وإلهه. كذلك الذي لا يعامل الناس بحسن الأخلاق بخيل أيضا. والمراد من إنفاق الأخلاق أن يعامل المرء خلق الله بالأخلاق الفاضلة التي وهبها الله إياها بفضله المحض، لأن الناس سيسعون برؤية أسوته للتحلي بتلك الأخلاق.

والخلق الحسن لا يعني فقط أن يتكلم المرء بلسان لين وكلمات لينة، بل إن ما وهبه الله من القوى من شجاعة ومروءة وعِفّة وغيرها كلّها قوى أخلاقية في الواقع، واستخدامها في محلّها المناسب هو ما يجعلها أخلاقا فاضلة، فالغضب مثلا في محله المناسب أيضا من الأخلاق الفاضلة.

ولا يجب التركيز على جانب واحد فقط كما يعلم الإنجيل الذي ورد فيه: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيضًا". فهذا ليس من حسن الخلق في شيء، ولا يمكن اعتبار هذا التعليم مبنيا على الحكمة، وإلا فيستلزم ذلك إلغاء الجيوش كلها وتدمير الأسلحة الحربية بكل أنواعها، وسيضطرّ العالم المسيحي أن يعيش كالخدام، لأنه إذا طلب أحد من مسيحي قميصا فلا بدّ له أن يعطيه العباءة أيضا، وإذا طلب منه أن يمشي معه كخادم إلى ميل فلا مناص له من مرافقته إلى ميلين. سيواجه المسيحيون مشاكل جمّة بالعمل بهذا التعليم، ولن يبقى عندهم شيء من حاجات الحياة، ولا سبب للراحة، إذ لو سألهم الناس

كل ما عندهم فلن يبقى لديهم شيء، ولو أرادوا كسب المال بعرق الجبين فقد يأمرهم الناس بالعمل مجانا.

باختصار، يركّز المسيحيون على هذا التعليم كثيرا، وترون قساوستهم يشنون في وعظهم في الأسواق على هذا التعليم بكل شدة، ولكنهم لو سُئلوا عن العمل به فتجدون أنهم لا يعملون به، وكأنه مجرد ثرثرة من دون عمل. لذا هذا التعليم ليس من الأخلاق في شيء، إنما الخلق أن يستخدم المرء كل ما وهبه الله من قوى وكفاءات في محلها المناسب. فمثلا قد أُعطي الإنسان عقلا، فإذا كان غيره عديم الخبرة في أمر معين وكان بحاجة إلى استشارته فيه لكونه مطلعا جيدا على ذلك الأمر المعين، فمن مقتضى الأخلاق أن يساعده بعقله السليم مساعدة تامة، ويشير عليه بما هو الصواب تماما. إن الناس يستهينون بهذه الأمور ويقولون دعوه يفسد، فما ضررنا في ذلك؟ إن هذا التصرف فعل الشيطان، إذ ليس من الإنسانية في شيء أن يرى الإنسان غيره يفسد ثم لا يقدم له المساعدة. كلا، بل عليه أن يستمع له بمواساة قلبية واهتمام كبير ويساعده قدر المستطاع بما أُعطي من عقل وفهم.

أما لو قال قائل: لماذا قيل هنا ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، لأن لفظ "مِمَّا" ينم عن البخل، إنما المفروض أن يقال: هرچه دارى خرج کن در راه او، أي: أنفق في سبيله كل ما تملكه.

والجواب: إن هذا لا يدل على البخل. كلا، بل إن القرآن الكريم كتاب الله الحكيم، والحكمة تعني وضع الشيء في محله؛ وقول الله تعالى ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعني: أنفقوا بحسب مقتضى الحكمة، فإذا اقتضى الأمر إنفاقا قليلا قليلا، وإذا اقتضى كثيرا فكثر. كثيرا.

وعلى سبيل المثال، فإن العفو قوة أخلاقية، ولكن لا بد من مراعاة ما إذا كان المجرم يستحق العفو أم لا؟ ذلك أن المجرمين قسمان، فمنهم من يتصرف تصرفا مشيرا للغضب ولكنه يستحق العفو عليه، ومنهم من لو تغاضى المرء عن شره وعفا عنه لتجاسر وألحق ضررا أكثر. فأضرب لذلك مثلا: هناك خادم طيب القلب ومطيع

جدا، فيأتي لسيدته بالشاي، ولكنه يتعثر بالصدفة فيسقط الفنجان وينكسر ويقع الشاي على سيده، فلو هبَّ سيده لضربه وهاجمه بغيظ وغضب كان تصرفه هذا سفاهة، لأن هذا الموقف يقتضي العفو عن الخادم لأنه لم يسقط الشاي عمداً، والعفو عنه سيُسبب له الخجل ويدفعه لأخذ الحيلة في المستقبل. أما إذا كان هناك خادم شرير يكسر الفناجين كل يوم ويلحق الأضرار، فمن مقتضى الرحمة به أن يعاقب. وهذه هي الحكمة.

ولكل مؤمن أن يستفتي قلبه للعمل بقول الله تعالى ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤)، ويعرف ما هو مقتضى الأمر، فينفق بحسبه.

لقد قلت آنفاً إن تعليم القرآن مبني على نظام حكيم، وعلى النقيض انظروا إلى تعليم الإنجيل مثلاً: إذا ضربك أحد على خدك فأدر له الآخر، وما شابه ذلك، فهو مدعاة للاعتراض جداً بحيث لا يمكن إخفاء الاعتراض عليه، ويستحيل العمل به في المجتمع بأي حال، حتى إن أكثر القسيسين رفقاً وقداًسةً لا يستطيع العمل به، ولو لطم المرء خدَّ أحد منهم لاختبار هذا التعليم الإنجيلي عملياً، لسارع هذا القسيس إلى الشرطة وسلّمه للقاضي بدلاً من أن يدير له خده الآخر.

لقد تبين من ذلك بجلاء أن الإنجيل معطل عملياً، بينما العمل بالقرآن الكريم متواصل. فحتى العجوز الفقيرة المفلسة التي لا تملك إلا كسرة خبز شعير تستطيع بإنفاق جزء من تلك الكسرة العمل بـ ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، ولكن لا يمكن لأكثر قسيس في العالم العمل بتعليم الإنجيل بإدارة الخد الآخر بعد تلقي الضرب على الخد. فشتان بين التعليمين.

والإنجيل ساقط في هذا المجال بحيث لم يستطع المسيح نفسه - دَعَّ عنك غيره - العمل بما علّمه الناس من تعليم ناقص، وقد أثبت عملياً أن التعليم الذي يقدمه نظريٌّ محضٌ، وإلا فكان عليه أن يسلم نفسه للأعداء قبل أن يقبضوا عليه، وما كانت هناك أي حاجة لأدعيته واضطرابه أصلاً، ولو فعل ذلك لأكد أنه يفعل ما

يقول، وثبت أيضا أنه قد جاء للكفارة والفداء في الواقع، فما دام الهدف من حياته أن ينجي العالمَ بانتحاره، لأن الإله لا يقدر على أن ينجي أحدا بدون ذلك وفق زعم المسيحيين، فكان فرضاً عليه أن يقول فور بعثته تعالوا اقبضوا علي واصلبوني لكي ينجو العالم. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٣، عدد: ١٠/٤/١٩٠١م، ص ٢-٤)

باختصار، إن التعليم القرآني يؤكد أن الله حكيم، ويعلم كل صغيرة وكبيرة، وقد أعطى تعليماً يُكمل القوى الإنسانية، ولن تجدوا تعليماً أفضل منه بشأن العفو والانتقام في محلّهما المناسب. ومن قدّم تعليماً مخالفاً لذلك فكأنما يريد الإخلال بقانون الله الجاري في الطبيعة، فبعض الطبائع تقتضي العفو وبعضها تستحق العقاب. كل المحاكم يمكن أن تبقى مفتوحة بالعمل بتعليم القرآن الكريم وحده، أما لو عملت بحسب تعليم الإنجيل لاضطرت لغلق أبوابها، والنتيجة واضحة؟ لا يستطيع الإنسان العمل بتعليم الإنجيل البتة. فهذان نموذجان للتقوى العلمية والعملية.

لكن هناك قسم ثالث للتقوى، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. إن الإنسان محتاج لقوة الشهادة، فعليه ألا يسلك مسلكاً بعيداً عن الشهادات المقدسة. والمسلك الذي لا توجد فيه شهادات الصالحين مخوف بالأخطار. إنما سبيل التقوى ما توجد فيه شهادات قوية ومتجددة في كل عصر وزمان. فمثلاً لو سألت شخصاً عن الطريق المؤدي إلى مكان، فقال لك هذا الطريق يتجه إلى المكان المنشود، بينما يقول عشرة آخرون: لا، بل إن هذا الطريق يؤدي إلى مكان آخر، فمن مقتضى التقوى أن تقبل شهادة هؤلاء العشرة. اعلموا أن الشهادة المقبولة والصالحة هي شهادة الصالحين فقط، أما شهادة الأشرار فغير مقبولة البتة. وهذا القسم الثالث من التقوى مذكور في قول الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. ويعاني الناس كثيراً بتركهم إياه. ولا يعارضوني هؤلاء إلا لأنهم تركوا العمل بهذا القسم من التقوى. (الحكم، المجلد ٥، رقم ١٤، العدد: ١٧/٤/١٩٠١م، ص ١)

تعريف المتقي وفلسفة الإيمان

إنما التقوى انصراف الإنسان إلى الدعاء والتدبير حين يخاف ارتكاب الذنب، وإلا فسيُعدُّ من الأغبياء، يقول الله تعالى ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٣-٤)، فالمتقي في الحقيقة من يوظف التدبير والوسائل قدر المستطاع كما قد قال الله تعالى في بداية القرآن الكريم:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣-٤)، فالإيمان بالغيب يعني أنهم لا يتعبدون مع الله بل يقبلون ما هو في الغيب نظرا للقرائن المرجحة، ويرون أن أوجه الصدق غالبية على أوجه الكذب. فمن الخطأ الفادح أن يتوقع الإنسان أن ينكشف عليه كل أمر كالشمس، فإذا حصل ذلك فأخبروني متى سوف ينال الثواب، فإذا قلنا بعد رؤية الشمس أننا آمننا بما فهل سوف نكسب أي ثواب؟ كلا، وذلك لأنه ليس فيه أي جانب للغيب، لكننا حين نؤمن بالله وملائكته والقيامة ننال الثواب وسبب ذلك أن فيه جانبًا للغيب. فلإيمان يجب أن يكون شيء من الخفاء أيضا، بحيث يقبل طالب الحق هذه الأمور نظرا لعدد من قرائن الصدق.

وقوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يعني أن كل ما رزقناهم من عقل وفكر وفهم وفراصة ورزق ومال وغيره ينفقون منه في سبيل الله، أي هم يسعون (لنيل رضا الله) بفعلهم أيضا، فالذي يسأل بالدعاء والسعي فهو المتقي. كما قد أشار الله تعالى إلى ذلك في سورة الفاتحة أيضا في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. تذكروا أن الذي لا ينشد بكل فهم وعقل كامل وقوة فلا يعد طالبا عند الله تعالى، وكذلك الذي يختبر يبقى محروما أبدا، لكن إذا كان يدعو أيضا مع بذل السعي ثم يتعرض للعثار، فالله تعالى ينقذه، فالذي يأتي أعتابه برغد وتنعم وسهولة ويمتحن الله فلا يعاب الله به أبدا، فقد تمتع أبو جهل وغيره بصحبة النبي ﷺ وزار النبي ﷺ مرارا أيضا، إلا أنه لما كان

يأتيه دوماً من باب الامتحان لذا تردى ولم يحظ بالإيمان. (بدر، المجلد ٢ رقم ٤٨، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٣م، ص ٣٨٤)

المراد من الهداية هنا هو أمر أعلى آخر يدل على ترقيات الإنسان ويتأتى نتيجة كسب تلك الأعمال بالصبر والمثابرة. المرحلة الأولى من الإيمان هي الإيمان بالغيب، ولكن إذا بقي مقتصرًا على الغيب فقط فلا فائدة منه لأنه كلام سمعه من الناس فقط. فبعد هذه المرحلة يجب الارتقاء إلى مرتبة المعرفة والمشاهدة التي يُعطاهها الإنسان رويدا رويدا كإنعام من الله تعالى بعد الإيمان، وتنتقل حالة الإنسان من الغيب إلى علم الشهود؛ أي أنّ الأمور التي كان يؤمن بها من قبل كغيب يصبح في هذه الحالة عارفاً بها. ويُعطى رويدا رويدا درجة حتى يرى الله في هذه الدنيا. إذن، يُطَوَّر الإيمان بالغيب أكثر ويبلغ مبلغ المشاهدة. (بدر، المجلد ٦ رقم ٣، عدد ١٧/١/١٩٠٧م، ص ١٢)

فكرت ذات مرة عن الفرق بين الصلاة والدعاء، فقد ورد في الحديث الشريف: الصلاة هي الدعاء، والصلاة مخ العبادة. إذا كان دعاء الإنسان مقتصرًا على الأمور الدنيوية فقط فهو ليس صلاة، ولكن عندما يريد أن يلقي الله ويجعل مرضاته وَعَلَى نصب عينيه ويقوم في حضرة الله بالأدب والتواضع والاستغراق طالبا رضاه عندها يُعدّ في الصلاة. إن حقيقة الدعاء هي التي بواسطتها تتقوى العلاقة بين الله والإنسان. وهذا الدعاء يكون سببا للحصول على قرب الله تعالى وينهى الإنسان عن المنكرات. الأصل هو أن ينال الإنسان رضا الله تعالى ثم ليدعُ لحاجاته الدنيوية أيضا، وذلك لأن المشاكل الدنيوية أيضا تحول دون الأمور الدينية، وتكون حجر عثرة خاصة في زمن عدم النضج. إن كلمة الصلاة تدل على الحرقه، فكما تنتج الحرقه من النار فعلى المنوال نفسه يجب أن تكون الحرقه في الصلاة. عندما يصل المرء فيها إلى حالة تشبه الموت عندها تسمى "الصلاة". (بدر، المجلد ١، رقم ٨، عدد ٢٥/٥/١٩٠٥م، ص ٤)

الأمر الثاني هو الصلاة التي أكد القرآن الكريم على الالتزام بها مرارا. ولكن اعلموا إلى جانب ذلك أنه قد لُعن في القرآن الكريم المصلّون الذين يجهلون حقيقتها ويعاملون إخوتهم بالبخل. الحق أن الصلاة سؤال في حضرة الله لينقذ من السيئات والمنكرات كلها. يكون الإنسان في مواجهة الألم والفرقة دائما ويود أن يحظى بقرب الله والطمأنينة والسكينة التي هي نتيجة النجاة. ولكن هذا الأمر لا يتسنى نتيجة ميزة أحد أو حذلقته، ولا يمكنه أن يصل إلى الله ما لم يدعُ الله إليه. ولا يتطهر ما لم يطهّره الله. إن الكثيرين يشهدون على أن حماسا ينشأ في طبائع الناس مرارا ليزول الذنب الذي فيهم ولكنه لا يكاد يزول مهما حاولوا، ومع أن النفس اللوامة تلومه إلا أنه يصدر منه الخطأ؛ فتبين من ذلك أن التطهير من الذنب في يد الله وحده ولا يستطيع أحد أن يتطهر بقوته هو. صحيح أن السعي في ذلك ضروري.

باختصار، الصلاة هي الوسيلة الوحيدة لتطهير الباطن المليء بالذنوب والبعيد عن معرفة الله وقربه، ولتقريبه من الله، وبها تُزال السيئات ويملاً مكانها بالعواطف الطيبة. هذا هو السر فيما قيل بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ما هي الصلاة؟ هي دعاء، والدعاء الذي فيه ألم وحرقة كاملة هو الذي يُسمّى الصلاة لأن المرء يسأل الله تعالى بالحرقة والألم ليزيل الرغبات والأهواء السيئة من داخله ويخلق مكانها حبًا طاهرًا بفيضه العام.

إن كلمة "الصلاة" تدل على أن ترديد الكلمات وأداء الصلاة وحدها لا يكفي، بل لا بد من أن تصحبها الحرقة والرقّة والألم. إن الله تعالى لا يجيب دعاء أحد ما لم يُشرف الداعي على الموت. القيام بالدعاء الحقيقي أمر في غاية الصعوبة، ولا يدرك الناس حقيقته، يكتب إليّ الكثيرون أنهم دعوا لأمر كذا وكذا ولم يُستجب لهم، وهكذا يسيئون الظن بالله تعالى ويهلكون قانطين، ولا يعرفون أنه لا جدوى من الدعاء الذي تعوزه مستلزماته التي منها أن يذوب القلب وتسيل الروح كالماء على عتبة الله تعالى، ويحدث فيها نوع من الكرب والاضطراب. بالإضافة إلى ذلك يجب

ألا يستعجل الإنسان وألا يعيل صبره، بل ينبغي أن يواظب عليه بكل صبر ومثابرة، ثم تُتَوَقَّع استجابة مثل هذا الدعاء.

الصلاة هي الدعاء من الطراز الأول ولكن للأسف لا يقدرها الناس، ولا يفهمون حقيقتها أكثر من أنها طقس يحتوي على القيام والركوع والسجود وأداء بعض الجمل التي حفظوها كاللبغاء سواء أفهموا معانيها أم لا. وظهر للعيان أمر مؤسف آخر أن المسلمين كانوا يجهلون حقيقة الدعاء سابقا ولا يتوجهون إليه، ثم نشأت فوق ذلك فرق كثيرة أزالوا قيود الصلاة ووضعوها مكانها بعض الأوراد والمجاهدات. فمن تلك الفرق "نوشاهي" و"جشتي" وغيرها. إنهم يهاجمون الإسلام وأحكام الله خفية وينقضون التزامات الشريعة ويريدون أن يوجدوا شريعة جديدة. اعلّموا، أننا -وغيرنا من الباحثين عن الحق- لسنا بحاجة إلى أي بدعة في حال وجود نعمة الصلاة. كلما واجه النبي ﷺ مصيبة أو ابتلاء قام للصلاة فوراً. تفيد تجربتنا وتجربة الصالحاء قبلنا أيضاً أنه ليس من شيء يماثل الصلاة في إيصال الإنسان إلى الله تعالى. يلتزم الإنسان بالأدب عند قيامه فيها كالعبد الذي يشبك يديه عند قيامه أمام سيده. ثم في الركوع أدب أكثر من القيام، أما السجدة فهي قمة في الأدب، فحين يلقي الإنسان نفسه في القناء يختر ساجداً. فالأسف كل الأسف على الحمقى وعبداء الدنيا الذين يريدون أن يغيروا طريق الصلاة ويعترضون على الركوع والسجود، في حين أنها أمور سامية تتسم بالكمال. الحق أنه ليس بيد الإنسان شيء ما لم يأخذ نصيباً من ذلك العالم الذي أتت منه الصلاة. (الحكم المجلد ١١، عدد ٢٠: عدد ١٧/١/١٩٠٧م، ص ٥)

الصلاة أكبر معيار لزهة الإنسان. إن الذي شيمته البكاء والابتهاال في حضرة الله أثناء الصلاة يصبح في مأمن. فكما أن الوليد الصغير الذي يبكي ويصرخ في حضن أمه يشعر بحبها وحنانها، كذلك الإنسان الذي يتضرع ويبتهل إلى الله في الصلاة يلقي نفسه في كنف ربوبية الله وعطفه تعالى. واعلموا أن الذي لم يجد المتعة

في الصلاة لم يذق حلاوة الإيمان. ليست الصلاة بضع نقرات فقط، إذ يُنهي البعض الصلاة بوضع نقرات كنقرات الدجاجة، ثمّ يشرع في دعاء طويل عريض، فيضيع الفرصة المتاحة له للابتغال والخشوع في حضرة الله. إن مثل هؤلاء يؤدون الصلاة بسرعة على سبيل التقليد والعادة فقط، ثم يخرجون من حضرة الله ويشرعون في الدعاء. عليكم أن تدعوا في الصلاة وتعدّوها وسيلة وذريعة للدعاء. (الحكم، المجلد ٤، رقم ٤٦، عدد ١٩٠٠/١٢/٢٤، ص ١)

الصلاة التي نصليها تتضمن نوعاً من الاضطراب، فتارة يقوم المصلي ويركع ويسجد تارة أخرى، ويأخذ الحيلة والحذر من عدة أنواع. ويكون المراد من ذلك أن يتعلم الإنسان تحمّل الألم والمصيبة لوجه الله وإلا كان ذكر الله ممكناً جالساً في مكان واحد أيضاً، ولكن الله لا يرضى بذلك. إن كلمة الصلاة تدل بحداها على الحرقة. فما لم ينشأ في قلب المرء نوع من القلق والاضطراب وما لم يترك راحته لوجه الله، لا يتم شيء. نعلم أن هناك أناساً كثيرين يملكون طبيعة تجعلهم لا ينجحون في هذه الأشياء، وتوجد فيهم أنواع الضعف خَلْقاً فلا يمكنهم المثابرة في هذه الأمور، ومع ذلك يجب الاستمرار في التوبة والاستغفار بكثرة حتى لا نكون من الذين لا يبالون بالدين قط ويحسبون الدنيا وحدها غايتهم المنشودة.

الامتحانات والابتلاءات في كل زمن تكون مختلفة. لقد ضحى الصحابة عليهم السلام بحياتهم في سبيل الله وقبلوا أن تُقطع رؤوسهم. أما في أزمنة الأنبياء الآخرين فكانت الآلام والمصائب من أنواع أخرى. فما لم يجتَز الإنسان الامتحانات والابتلاءات بنجاح، لا يتقدم ولا يكون مقبولا عند الله. لا يتم شيء بدون المشاكل والمصائب المتنوعة.

اعلموا أن الله تعالى رحيم وكريم، فلا تسيئوا به الظن. الذي يتنبه إلى سنّته ويكون جاهزاً لتحمل المشاق والمعاناة من أجله سينجح حتماً. وإن لم يسلك مسلكاً يبيّن وَجَلَّ ويتكاسل فلن ينجح. انظروا إلى الذين ينضمون إلى الجيش، يتوظفون فيه للقتال

وليُقتلوا من أجل الدنيا، مع أنهم لا يتقاضون رواتب بآلاف الروبيات بل يقبلون أن يُقتلوا من أجل عشرة أو اثنا عشرة روبية فقط. ولكن كم هو مؤسف أن الناس لا يهتمون بشيء من أجل الله وللجنة الأبدية والسعادة الدائمة....

الصلاة التي تصلونها كان الصحابة أيضا يصلون الصلاة نفسها، وبها نالوا منافع روحانية كبيرة ومدارج عالية. الفرق الوحيد هو الخشوع والإخلاص. فإذا كان فيكم أيضا الصدق والإخلاص والصمود نفسه يمكنكم أن تنالوا بالصلاة نفسها تلك المدارج كلها التي نالها الأوائل. يجب أن تكونوا مستعدين لتحمل الآلام في سبيل الله دائما. اعلّموا أنه لن يتم شيء ما لم تعملوا بالإخلاص والصدق. هناك أناس كثيرون يأتون إلى هنا ويباعون ويعودون إلى بيوتهم ثم إذا واجهوا معاناة بسيطة أو هددهم أحد يرتدّون فورا. الناس مثلهم يبيعون إيمانهم. انظروا إلى الصحابة عليهم السلام أنهم قبلوا أن تُقَطَّع رؤوسهم في سبيل الدين، وكانوا دائمي الاستعداد للتضحية بكل شيء في سبيل الله. لم يبالوا بعداوة أيّ عدوّ قط. كانوا جاهزين دائما لتحمل كل مصيبة وألم في سبيل الله، وقرروا ذلك في قرارة قلوبهم. أما الناس المعاصرون فيتركون الدين إذا هددهم قليلا حتى عُمدة القرية أو أمثاله. ليست عباداتهم إلا قشرا فقط. فلا تصل صلواتهم إلى الله بل تُردّ إليهم فورا وتكون لعنة عليهم. يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥-٦).

الذين يجهلون حقيقة الصلاة تكون صلواتهم نقرات محضة، إنهم يسجدون سجدة لله وسجدة أخرى للدنيا. ما لم يقبل الإنسان مشاكل ومصائب لوجه الله لا يُقبل عند الله. هذه الأمثلة تلاحظ في الدنيا أيضا، فمثلا إذا كان خادم يرافق سيده في كل صعوبة ومعاناة وفي كل موطن خطير لا يبقى خادما بل يصبح صديقا له. هكذا تماما يعامل الله تعالى، فلو لم يخذله الإنسان وخرّ على عتباته دائما وبقي مخلصا له بالمثابرة فلا يخذله الله ويعامله معاملة الأصدقاء. (الحكم، المجلد ١١،

يسلّم كل واحد من خلال التجارب العلمية أن الخواص تكمن في الأدوية رغم إيمانه بمسألة القضاء والقدر، وأن المريض إذا تناول دواءً مناسباً بحسب المرض فهو ينتفع به بفضل الله ورحمته، فكذلك لا يجد كلُّ عارف بدءاً من الاعتراف -من خلال التجارب العلمية- بأن للدعاء علاقةً بالإجابة، فسواء تمكّنا من ترسيخ هذا السر في قلوب الناس على وجه معقول أم لم نتمكن من ذلك، إلا أن تجارب مئات الملايين من الصادقين بالإضافة إلى تجربتنا الشخصية قد كشفت لنا هذه الحقيقة الخفية، وهي أن دعاءنا يتمتع بقوة مغناطيسية ويجذب إليه فضل الله ورحمته، إن مغزى الصلاة ولبّها هو الآخر الدعاء حصراً الذي علّمناه في سورة الفاتحة، فحين نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فإنما نتوخى بواسطة هذا الدعاء انجذاب ذلك النور الذي ينزل من الله وينور القلوب باليقين والحب. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٤٠-٢٤١)

فاستيقظوا في جوف الليالي وادعوا الله تعالى واطلبوا فضله. هناك في كل صلاة فرصٌ عديدة للدعاء كالركوع والقيام والقعود والسجود وغيرها. ثم في اليوم هناك خمس صلوات: الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء. ثم هناك صلاة الضحى والتهجد. وكلها فرص للدعاء نفسه.

إنما هدف الصلاة ولبّها هو الدعاء. والدعاء يتفق مع النواميس الطبيعية تماماً. فمثلاً نجد -عادةً- أن المولود إذا بكى وصرخ واضطرب سارعت إليه أمه قلقاً لإرضاعه. ويوجد بين الألوهية والعبودية علاقةً مماثلة لا يمكن أن يستوعبها كل إنسان. عندما يختر المرء على باب الله تعالى ويعرض عليه حاله بمنتهى التواضع والخشوع والخضوع ويسأله حاجاته، فإن كرم الألوهية يبدأ في الهيجان والجيشان، فيرحم هذا الإنسان.

إن لبن فضل الله وكرمه أيضاً يتطلب بكاءً، ولذلك ينبغي تقديم عين باكية أمام الله تعالى. يظن البعض أن البكاء والابتهاال أمام الله تعالى لا يجدي شيئاً. كلا، إنه

ظنّ خاطئ وباطل. الحق أن مثل هؤلاء القوم لا يؤمنون بوجود الله وبقدرته وسلطانه، إذ لو كانوا مؤمنين به حقًا لما تجاسروا على هذا القول. كلما أتى الإنسان إلى الله تعالى ورجع إليه بتوبة صادقة تفضّل الله عليه دائما. والله در القائل:

عاشق که شد که یار بحالش نظر نہ کرد
اے خواجہ درد نیست و گرنہ طیب ہست

أي: أي عاشق هذا الذي لا ينظر حبيبهُ إلى حاله المزرية! يا صاحبي، ليس بك وجع، وإلا فإن الطبيب لموجود.

إنما يريد الله تعالى أن تأتوه بقلوب طاهرة، والشرط الوحيد أن تجعلوا أنفسكم في توافق معه سبحانه وتعالى، وتحدثوا في أنفسكم ذلك التغيير الطيب الصادق الذي يجعل الإنسان أهلاً للقاء الله تعالى. أقول والحق أقول إن الله تعالى غرائب القدرات وعجائب الأفضال والبركات التي لا نهاية لها، ولكن رؤيتها ونيلها يحتم عليكم أن تخلقوا لكم عين المحبة. إذا كان الحب صادقا، فإن الله تعالى يستمع لأدعية كثيرة ويؤيد كثيرا. لكن الشرط هو أن يحب الإنسان الله تعالى ويخلص له.

إن حُبَّ الله تعالى شيء يحرق حياة الإنسان السفلية ويحوّله إلى إنسان جديد نقيّ، وعندها يرى ما لم يكن يراه من قبل، ويسمع ما لم يكن يسمعه من قبل. (الحكم، المجلد ٩، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٥ م، ص ٥)

إن الذي يكتنّ ظنونا فاسدة يكون ناقص الخلقة، لأنه ليس عنده إلا أمور تقليدية، لذا لا يكون دينه سليما ولا دنياه. إن هؤلاء الناس يصلون ولكن لا يدركون مفهوم الصلاة ولا يدرون قط ما يفعلون. يؤدون الصلاة ببعض النقرات ثم يقضون بعدها ساعة كاملة مثلا في الدعاء. الغريب في الأمر أنهم لا يدعون في الصلاة التي هي للدعاء في الحقيقة ومخها الدعاء. إن أركان الصلاة بحد ذاتها تحرك المرء إلى الدعاء، وفي الحركة بركة. يحدث أحيانا أنه لا يحظر ببالي مضمون، ثم عندما أتجول قليلا عندها يداهم قلبي. والحال نفسه فيما يتعلق بالأعمال كلها. لولا الانتباه إلى حقيقتها ومغزاها لكانت تقليدا وعادة فحسب. كذلك لا بد من طهارة النفس

لوجه الله عند الصوم ولكن لو لم يتضمن الحقيقة لكان تقليدا محضاً. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م، ص ٢)

عندما تعرف الله تبقى في الصلاة. من طبيعة الإنسان أنه إذا أحب شيئاً مهما كان بسيطاً انجذب إليه قلبه تلقائياً. كذلك عندما يعرف الإنسان الله ويحب حسنه وإحسانه يفر قلبه إليه عفويًا، ويتحول عدم الذوق إلى الذوق. الصلاة الحقيقية هي التي يرى فيها الإنسان الله تعالى. يشعر الإنسان بمتعة الحياة حين ينال الذوق والمتعة كلها - التي تنال في أسباب الراحة - في الدعاء وحده. اعلّموا أنه لا يمكن لأحد أن يضمن حياة أحد أو موته، فقد تصيبه المنية في أي وقت ليلاً أو نهاراً. الذين يعلّقون قلوبهم بالدنيا يزعمون كأنهم لن يموتوا أبداً، يرحلون محرومين منها ولا يكون لهم رصيد للآخرة لينالوا به المتعة واللذة...

ما هي الصلاة؟ الصلاة دعاء في حضرة رب العزة يستحيل أن يعيش الإنسان بدونها ولا أن يتمتع بأسباب العافية والفرحة. إنما ينعم المرء بالسرور والراحة الحقيقيين عندما يتغمده الله تعالى بفضله، وعندها يجد المتعة واللذة في الصلوات. فيجد عندها اللذة في البكاء والابتهاال مثلما يجدها في تناول الأطعمة اللذيذة، وتتيسر له هذه الحالة في الصلاة. لكن لا بد له - قبل تيسر هذه الحالة - من الصلوات والأدعية الفارغة من اللذة شأن المريض الذي يتناول الأدوية المُرّة من أجل الشفاء. وعليه - في الحالة الخالية من اللذة - أن يقوم في الصلاة بالدعاء التالي من أجل المتعة:

يا الله، أنت تعلم كم أنا أعمى لا أبصر، كما أنني في الوقت الحالي كالميت. وأعلم أنني عمّا قريب سأدعى فأمثّلُ بين يديك، ولن يقدر أحد على منعي من ذلك. ولكن قلبي أعمى ويخلو من المعرفة. فأنزل عليه شعاعاً من نور يبعث فيه حبّك والشوق إليك. أنعم عليّ بفضلٍ من لدنك يا رب حتى لا أبعث يوم القيامة أعمى ولا أكون من العميان.

عندما يدعو العبد بهذا الشكل، ويثابر عليه، فسيأتيه وقتٌ يرى فيه نزول شيء عليه من السماء عند الصلاة الخالية من الذوق، وسيذيب قلبه ويُنشئ الرقة في الصلاة. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٣م، ص ١١)

لا يمكن أن تُعدَّ الصلاة صلاة حقيقية ما لم تكن هناك علاقة صادقة وطاهرة مع الله تعالى وما لم يفنَّ المرء في رضا الله وطاعته ويقدم الدين على الدنيا لدرجة أن يكون مستعداً للتضحية بنفسه وللموت في سبيل الله. عندما تتولد هذه الحالة في الإنسان عندها يمكن أن يقال بأن صلاته صلاة حقيقية. وما لم تتولد هذه الحقيقة في الإنسان ولا يُري نموذج الإخلاص الصادق والوفاء تبقى صلواته وجلّ أعماله الأخرى بلا تأثير. (الحكم، المجلد ٨، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٤م، ص ٣)

ما لم يلتزم المرء بالتوحيد كاملاً لا يترسخ فيه حب الإسلام وعظمته... ولا يحظى بلذة الصلاة والسرور. إن مدار كل ذلك هو أنه ما لم تفن النيات والمخططات السيئة وما لم تتلاش فيه الأنانية والتجاسر وما لم يحل محلها الفناء والتواضع لا يمكن أن يُدعى عبداً حقيقياً لله تعالى. إن الصلاة هي المعلم الأفضل والوسيلة المثلى لتعليم العبودية الكاملة.

أقول لكم مرة أخرى بأنه إن كنتم تريدون أن تنشئوا علاقة حقيقية مع الله تعالى فالتزموا بالصلاة حتى لا يبقى الوجود وجودكم ولا اللسان لسانكم بل يجب أن تصبح روحكم ونياتكم وعواطفكم كلها الصلاة بعينها. (الحكم، المجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٧)

"إن الصلاة مركَّبٌ يوصل العبد إلى رب العباد، فيصل بها إلى مقام لا يصل إليه على صهوات الجياد، وصيْدُها لا يُصاد بالسهام، وسرُّها لا يظهر بالأقلام. ومن التزم هذه الطريقة، فقد بلغ الحق والحقيقة، وألْفَى الحبِّ الذي هو في حُجب الغيب، ونجا من الشك والريب، فترى أيامه غُرَّراً، وكلامه دُرَّراً، ووجهه بدرّاً، ومقامه

صدرًا. وَمَنْ ذَلَّ اللَّهُ فِي صَلَوَاتِهِ أَذَلَّ اللَّهُ لَهُ الْمُلُوكَ، وَيَجْعَلُ مَالِكًا هَذَا الْمَمْلُوكَ. " (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٦٦، ١٦٧)

بالصلاة يزداد الذوق والأنس والسرور، ولكن الأسلوب الذي يصلي به الناس لا يتسنى به الخشوع القلبي، بل يؤدي إلى عدم الذوق وعدم المتعة. لقد نصحت جماعتي بألا يصلّوا بأسلوب لا يؤدي إلى الذوق، ولا يصل بهم إلى الخشوع، بل يجب أن يحاولوا الحصول على الخشوع القلبي الذي يجلب لهم السرور والمتعة. الحالة السائدة بوجه عام هي أن الناس لا يحاولون الحصول على الخشوع القلبي بل يُنْهَوْنَ الصلاة بسرعة، ثم يدعون كثيرا بعد الصلاة ويطيلون الدعاء مع أن الهدف من الصلاة -وهي معراج المؤمن- هو أن يدعو الإنسان في أثنائها. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٣٨، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٢م، ص ١١)

لقد نصحت مرارا بالاهتمام بالصلاة جيدا حتى يؤدي ذلك إلى نشوء الخشوع والمتعة. تصلّون الفريضة جماعة ثم يمكن أن تطيلوا السنن والنوافل كما تشاءون. فلتكن الصلاة متممة بالبكاء والتضرع حتى تتولد حالة هي الهدف الحقيقي من الصلاة. **﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾** (هود: ١١٥)، أي أن الصلاة تزيل السيئات كلها، فالمراد من الحسنات هي الصلاة. الانطباع السائد حاليا هو أن الملتزم بأداء الصلاة يُعَدُّ مكارا بوجه عام، لأن عامة الناس أيضا يعلمون أن الصلاة التي يصلّيها هؤلاء الناس هي مما قال الله بأنها تجلب الويل على صاحبها؛ لأنه لا يترتب عليها تأثير طيب أو نتيجة حسنة. أنا لا أحب الخوض في الكلمات فقط إذ لا بد من الحضور أمام الله بعد الموت.... إن مذهبي هو أنه لو صلّى المرء لعشرة أيام بشروط الصلاة الكاملة لتسّى له تنوير القلب. ولكن هناك من يصلّون إلى خمسين عاما مثلا ومع ذلك ما زالوا عاكفين على الدنيا والحياة السفلية ولا يدرون ماذا يقرأون في الصلاة، وماذا يعني الاستغفار... فعلى سبيل المثال يصلّي شخص أفغاني الصلاة ولكنه يجهل تأثيرها

نُهايا. اعلّموا أن التقليد شيء والصلاة شيء آخر. ما من وسيلة أفضل من الصلاة للتقرب إلى الله تعالى، إنها مفتاح القرب، وبها يحظى الإنسان بالكشف والإلهامات والمكالمات. إنها وسيلة استجابة الدعاء. ولكن ما لم يصلّها أحد بشروطها وما لم يفهمها فإنه يلتزم بالتقليد والعادة. (الحكم، المجلد ٦ رقم ٣٨، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٢م ص ١١-١٢)

الصلاة مكتوبة على كل مسلم، فقد ورد في الحديث الشريف أن قوما أسلموا ثم جاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا يا رسول الله، نرجو أن تُعفينا من الصلاة لأننا تجار وبسبب مواشيننا لا نثق بطهارة الثياب، كما لا نجد وقت فراغ. فقال لهم ردًّا على ذلك: ماذا يبقى إن لم تكن هناك صلاة؟ لا قيمة لدين لا صلاة فيه.

ما هي الصلاة يا تُرى؟ ألا إنما الصلاة أن يعرض المرء تذللّه وعجزه وضعفه أمام الله ويطلب منه قضاء حاجاته. تارة يقف رابطا اليدين أمامه تعظيمًا له واستجابة لأوامره، وطورًا يخرّ له ساجدًا بمنتهى التذلل والتفاني، ويسأله سدّ الحاجات. الصلاة هي أن يحمّد المرء المسؤول كالمسؤول قائلاً: إنك تتصف بكذا من الصفات، ثم يثير رحمته بإظهار عظّمته وجلّاله، ثم يطلب منه. الدين الذي يخلو من ذلك ليس دينًا أصلاً. الإنسان محتاج دائماً إلى أن يسأله سبيل رضاه، ويطلب فضله منه وحده، لأنه بتوفيقه فقط يمكن إنجاز كل شيء. ربنا وقّنا لنكون لك ونتمكن من إرضائك بالسلوك على طرق رضوانك. المراد من الصلاة أن يكون القلب منهمكا في حب الله وخوفه وذكره وهذا هو الدين. والذي يريد أن يتخلّى عن الصلاة والإعفاء منها فماذا فعل أكثر من الدواب؟ الأكل والشرب والنوم كالبهائم ليس من الدين في شيء، بل هي سيرة الكفار؛ وصحيح تماماً ما جاء في المثل الذي تعريبه: لحظة الغفلة إنما هي لحظة الكفر. لقد ورد في القرآن الكريم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٣)، أي أذكروني يا عبادي، وانشغلوا في ذكري دوماً، فسأذكركم أنا أيضاً أي سأعتني بكم. واشكروا لي، أي اقدروا إنعاماتي ولا تكفروها.

من هذه الآية يتبين جلياً أن ترك ذكر الله والغفلة عنه كفر. فالمثل القائل: لحظة الغفلة إنما هي لحظة الكفر صحيح تماماً. لقد فرض الله الصلوات الخمس كمثال، أما ذكر الله فيجب أن يشغل بال الإنسان كل حين وآن، وألا يتغافل عنه لحظة. انهماك المرء في الذكر قياماً وقعوداً ومشياً صفة يستحق بها الإنسان أن يسمى إنساناً، ويستحق أن يرجو الله ويثق به.

هناك قاعدة أنه إذا كان الإنسان يريد الوصول إلى محطة معينة فهو بحاجة إلى المشي، وبقدر ما تكون المحطة بعيدة يضطر الإنسان للمشي بسرعة وجهد وسعي أكبر. الوصول إلى الله أيضاً محطة، وهي مسافة بعيدة. الذي يريد الوصول إلى أعتابه تكون الصلاة له بمنزلة المركبة التي توصله بسرعة. أما الذي ترك الصلاة فأنى له أن يصل؟ الحق أنه منذ أن ترك المسلمون الصلاة - أي تركوا أداءها بسكينة القلب والحب غافلين عن حقيقتها - ظلت حالتهم تتردى رويداً رويداً. فكروا جيداً كيف كان الإسلام في الزمن الذي كانت الصلوات تقام فيه باهتمام. كان الإسلام مسيطراً على العالم كله، لكن حين تركوها تُركوا. الصلاة بحرقه القلب هي التي تخرج الإنسان من كل مأزق. فقد جربت مراراً أن دعوت في أثناء مشكلة ما ووجدت أن الله يحلّها وأنا في الصلاة. ماذا يحدث في الصلاة، إنما يلتمس المرء ويمدّ يدي الطلب، والطرف الثاني يستمع لهذا الطلب جيداً. ثم يأتي زمان يبدأ المستمع بالكلام، ويجب الطالب. هذا هو حال المصلي، إذ يسجد لله سبحانه ويعرض عليه مصائبه وحاجاته. وتكون نتيجة الصلاة الحقيقية أن يحين الوقت عاجلاً لأن يكلمه الله رداً على طلبه، ويطمئنه بالجواب. هل يمكن ذلك بدون الصلاة الحقيقية؟ (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣م، ص ٧-٨)

لا تؤدوا الصلاة كما تنقر الدجاجة لالتقاط الحبوب، بل يجب أن تؤدوها بحرقه والتباعد وأكثر من الدعاء، إن الصلاة مفتاح الفرج، وبالإضافة إلى الأدعية والكلمات الماثورة ادعوا الله فيها كثيراً بلغتكم أيضاً لكي يؤدي ذلك إلى الحرقه

والالتئاع، ولا تتركوها ما لم تنشأ هذه الحرقه والالتئاع. لأنها تركي النفس، وتكسب كل شيء. ينبغي أن يكون القلب أيضا تابعا لكل أركان الصلاة، فحين قيامكم ماديا يجب أن يقوم القلب أيضا لإطاعة الله، وإذا ركعتم فليركع القلب أيضا، وإذا سجدتم فليسجد القلب أيضا. وسجدة القلب أن لا يهجر الله في أي حال من الأحوال، وإذا تحققت هذه الحالة فسوف تبدأ الذنوب بالمغادرة. المعرفة أيضا تمنع الإنسان من ارتكاب الذنب، فكما أن الإنسان عندما يعلم أن كلا من سم الفأر والثعبان والأسد يهلك فلا يقترب منه، كذلك إذا حصلت لكم المعرفة فلن تقتربوا من الذنب. لذا من الضروري أن تزيدوا اليقين، وهو يتأتى بالدعاء. والصلاة بحد ذاتها دعاء، وقد ما تحسنون الصلاة تتخلصون من الذنوب تدريجا. والمعرفة لا تتحقق بالقول فقط، فكبار الفلاسفة تركوا الله ﷻ لأن نظرهم توقفت عند المصنوعات ولم يلتفتوا إلى الدعاء. فكما ذكرنا في البراهين الأحمدية أن النظر إلى المصنوعات يقود الإنسان إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يكون لها صانع، ولا يثبت من ذلك أنه موجود بالفعل. إن القول "ينبغي أن يكون" أمر، بينما "هو موجود بالفعل" أمر آخر تماما. وهذا العلم بأنه فعلا موجود لا يتحقق إلا بالدعاء، فالذين يستخدمون العقل فقط لا ينالون العلم بأنه موجود، ولذلك قيل: "خدارا بخدا" "توان شناخت" أي: لا تتأتى معرفة الله إلا بتوفيقه. وهذا هو معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٤)، أنه لا يُعرف بالعقول فقط، بل يجعل المرء يعرفه من خلال الوسائل التي بيّنها هو نفسه. ولتحقيق ذلك ليس هناك دعاء مثل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ.

عليكم بالصلاح والتقوى والبر وإصلاح الحالة الأخلاقية. وإني ليحزني شأن جماعتي أن منهم من يغضبون لأنفه الأسباب. كذلك فإن وصف أحد بالأحمق في المجلس لخطأ كبير أيضا. إذا رأيتم عيبا في أخيك فادعوا الله تعالى أن يخلصه منه لا أن تعلنوا عنه بين الناس. عندما يتورط ابن أحد في عمل سيئ فلا يدعه يضيع، بل

يأخذه في ناحية من البيت وينصحه بأنه قد عمل عملا سيئا وعليه أن يتجنبه. فكما أنكم تتعاملون مع أولادكم برفق وحلم ولين كذلك ينبغي أن تتعاملوا مع إخوانكم. إن الذي ليست أخلاقه حسنة أخشى على إيمانه، لأن فيه جذرا من الكبر، وهو هالك لو لم يرض الله عنه. وما دامت هذه حالته الأخلاقية فكيف يحق له نصح الآخرين. يقصد حصرا أن لا ينسى الإنسان نفسه ويتقرب عيوب الآخرين، بل يجب عليه أن يتقرب أخطائه. فحين لا يتمسك بهذه الأمور شخصا يكون في نهاية المطاف مصداقاً ل: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣).

إن نصح أحد بإخلاص وحب صعب للغاية، لكنه يكمن في النصيحة أحيانا بغض خفي وكبر. فلو كانوا ينصحون بحب خالص لما خاطبهم الله ﷻ بهذه الآية. فالسعيد الكبير من ينظر أولا إلى عيوبه، وهي لا تنكشف ولا يتم الاطلاع عليها ما لم يفحص المرء نفسه باستمرار. اعلموا أنه لا أحد يقدر على أن يتركى بقوة ساعده ما لم يزره الله. وما لم يركز على الدعاء حتى يورد على نفسه الموت، لا يتمكن من إحراز التقوى الصادقة. ويجب طلب الفضل من أجل ذلك بالدعاء. هنا ينشأ السؤال كيف يمكن أن يُطلب الفضل؟ فلا بد لذلك من اتخاذ التدبير، فمثلا إذا كانت تنبعث من النافذة رائحة كريهة فعلاجها أن تغلق تلك النافذة، أو يلتقط ذلك الشيء الذي تنبعث منه رائحة كريهة ويرمى به بعيدا. فإذا كان أحد يريد التقوى ولا يتخذ التدبير له فهو مسيء إلى الله إذ يعطل القوى الموهوبة منه. إن استخدام كل عطاء إلهي في محله يسمى تدبيرا، وهو واجب على كل مسلم. غير أن الذي يتكل على التدبير فقط فهو الآخر مشرك ويصاب بالآفة نفسها التي أصيبت بها أوروبا. يجب أداء حق التدبير والدعاء كليهما كاملا، فليدبر ثم يفكر في كيانه. إن الفضل دوما يأتي من الله، فما لم تذرفوا الدموع لن تفيدكم التدابير مهما كانت محكمة وكثيرة. في الإنسان أيضا سم كالثعبان، وترياقه الدعاء الذي تنبع به العين من السماء، فالذي يتغافل عن الدعاء فهو هالك، والذي خلا يومه وليلته

من الدعاء فقد اقترب إلى الشيطان. يجب أن يفحص الإنسان هل أدى حق الدعاء أم لا. الاكتفاء بالصورة الظاهرة للصلاة لَسَفَهٌ وغباء، معظم الناس يصلّون اتباعاً للعادة ويسرعون كأنها ضريبة غير شرعية ويسعون للتخلص منها عاجلاً، وبعضهم يُهْون الصلاة بسرعة ثم يجلسون بعدها للدعاء، وهذا الدعاء يشغل ضعفين أو ثلاثة أضعاف وقت الصلاة، مع أن الصلاة بحمد ذاتها دعاء، فالذي ليس من نصيبه أن يدعو في الصلاة فلا صلاة له، ينبغي أن تجعلوا صلاتكم لذينة وممتعة بالدعاء مثل الطعام والماء البارد، وحذار أن تكون ويلًا.

إن الصلاة حقٌّ الله تعالى، فأدّوه حق الأداء، ولا تعيشوا مع عدوّ الله عيشة المداهنين، بل عليكم الوفاء والصدق. لا تتركوا الصلاة حتى لو أدى أداؤكم الصلاة إلى دمار البيت كله. إنهم لكافرون ومنافقون أولئك الذين يعتبرون الصلاة نحسًا. ويقولون لقد بدأنا أداء الصلاة فأصبنا بكيت وكيت من الأضرار. كلا، إن الصلاة ليست جالبة غضب الله أبدًا، بل الذين يعتبرونها نحسًا في أنفسهم سمّ، فلا يجدون في الصلاة متعةً شأن المريض الذي يجد طَعْمَ الحلو مُرًّا. إن الصلاة تُصلح دين المرء وتصلح أخلاقه وتصلح دنياه، وإن متعتها أعظم من مُتْع الدنيا كلها. إن المرء ينفق الآلاف من أجل اللذات المادية، وفي النهاية يصاب بأنواع الأمراض، بينما يجد هذه الجنة مجانًا. لقد ذكر القرآن الكريم جنتين، إحداها جنة هذه الدنيا، وهي المتعة في الصلاة.

الصلاة ليست ضريبة جبرية، بل إن للعبودية علاقةً وجذبًا أبديين تجاه الربوبية، وللحفاظ على هذه العلاقة قد فرض الله الصلاة، وأودعها لذةً لتدوم هذه العلاقة. فكما أن الفتى والفتاة إذا لم يجدا في لقائهما متعةً بعد الزواج فسد زواجهما، كذلك إذا خلت الصلاة من المتعة أدّت إلى انفصام علاقة العبد مع الله تعالى. على المرء أن يغلق عليه باب حجرته ويدعو لتدوم هذه العلاقة ولكي يشعر بتلك اللذة. إن علاقة العبودية مع الربوبية عميقة جدا ومملوءة بأنوار يستحيل تفصيلها، وما لم تتيسر تلك العلاقة للإنسان فهو كالبهائم. ولو شعر بتلك المتعة، ولو بضع

مرات فقط، لنال حظاً من ذلك النور. ومن لم يشعر بها ولو بضع مرات فهو أعمى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣) والوعود المستقبلية كلها مرتبطة بهذا. (بدر، المجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨/٣/١٩٠٤م، ص ٦-٧)

يكفي النظر إلى التزام المرء بالصلاة بُغية تقدير مدى خشيته لله. وإنني على يقين أن الذي يؤدي الصلوات باهتمام لائق، ولا يمنعه الخوف والمرض وظروف الفتنة من الصلاة؛ فإنه يؤمن بالله إيماناً صادقاً دون شك. ولكن هذا الإيمان قد أُعطيهِ الفقراء، أما الأغنياء الحائزون على هذه النعمة فقلة قليلة. (إزالة الأوهام، الخرائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٤٠)

الخوف والحب شيئان يبدو اجتماعهما مستحيلاً في الظاهر، بمعنى أنه أتى للمرء أن يحب شخصاً يخافه؟ ولكن لخشية الله وحبه طابع مختلف تماماً؛ فبقدر ما يتقدم في خشية الله يزداد حبا له وَجَلَّ. وكلما يتقدم في الحب تغلبه خشية الله وتنقره من السيئات والمنكرات وتجذبه إلى الطهارة.

لقد فرض الإسلام لأداء كِلا الحقين الصلاة التي أودعها خشية الله، ولإظهار الحب سنّ الحج. إن جوانب الخشية كلها واضحة جيداً من أركان الصلاة، كم فيها من التذلل والإقرار بالعبودية. أما الحج ففيه أركان الحب كلها. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٣)

الصلاة رقية للإنسان إذ يجد فرصة للدعاء خمس مرات فلا بد أن يجاب دعاء من أدعيته، لذا عليكم أن تؤدوا الصلاة بكل شروطها. هذا ما أحبه أكثر من أي شيء آخر. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠١م، ص ٧)

الهدف من كثرة الأجر والثواب في الصلاة بالجماعة هو أنها تؤدي إلى الوحدة. وقد تم التركيز على تحقيق هذه الوحدة بصورة عملية لدرجة أن أمر المصلّون أن تكون أقدامهم محاذية والصف مستقيماً، وأن يقفوا متلاصقين وكأنهم شخص واحد

لكي تسري أنوار بعضهم إلى بعض وتتلاشى من بينهم أوجه التمييز التي تؤدي إلى الأناية والعُجب والطمع.

تذكروا جيدا أن في الإنسان قوة يجذب بها أنوار الآخرين. فلتحقيق هذه الوحدة أمر المسلمون أن يجتمعوا للصلوات في مسجد الحي كل يوم، ثم في مسجد المدينة مرة كل أسبوع، ويجتمعوا في مصلى العيد مرة كل سنة، ويجتمعوا من جميع أنحاء المعمورة مرة واحدة في السنة في بيت الله. والهدف من وراء كل هذه الأوامر هو تحقيق الوحدة. (محاضرة لدهيانه، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٨١-٢٨٢)

يريد الله تعالى أن يجعل الناس جميعا كنفس واحدة، وهذا ما يُسمّى وحدة الجمهور، التي بسببها يُعدّ عددٌ كبير من الناس في حكم شخص واحد. يهدف الدين أن ينخرط الجميع في خيط واحد لوحدة الجمهور كحبات المسبحة. الصلوات التي تصلى جماعة هي أيضا لتحقيق الوحدة ليُعد المصلّون كلهم وجودا واحدا. والأمر بالوقوف معا هو ليسري نورٌ من كان يملك نورا أكثر إلى الضعيف فيقوّيه، وقد سنّ الحج أيضا للغرض نفسه. فلتحقيق وحدة الجمهور هذه وبقائها أمر الله تعالى أولا أن يصلي أهل الحارة خمس صلوات جماعة في مسجد الحارة ليتبادلوا الأخلاق وتجتمع الأنوار وتزيل الضعف وينشأ الأُنس والتعارف المتبادل. التعارف شيء رائع، لأنه يؤدي إلى ازدياد الأُنس الذي هو أساس الوحدة لدرجة أن العدو المعروف أفضل من الصديق غير المعروف بكثير لأنهما إذا تم اللقاء في بلد أجنبي ينشأ في القلوب أُنس بسبب التعارف. والسبب في ذلك أن البُغض -هو نزعة مؤقتة- يزول عند الابتعاد عن أرض الضغينة ويبقى التعارف.

والأمر الثاني هو أن يجتمع الناس في مسجد جامع يوم الجمعة لأن اجتماع سكان المدينة كلهم يوميا متعذر، لذا أمر الله أن يجتمع الناس في المدينة مرة في الأسبوع ويتعارفوا ويخلقوا الوحدة، وبذلك سيتوحدون يوما من الأيام. ثم سنّ العيدين بعد عام وأمر بأن يصلي الناس من القرى والمدينة معا ليزداد الأُنس والتعارف

وتنشأ وحدة الجمهور. ثم حدد يوما واحدا مرة في الحياة للاجتماع العالمي ليجتمع الناس جميعا في ميدان مكة. وبذلك أراد الله تعالى أن يزداد الأُنس والألفة المتبادلة. (بدر، المجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨/٩/١٩٠٤م، ص ٥)

من المؤكد أن في الصلاة بركاتٍ لكن لا ينالها كل فلان وعلان، فلا أحد يتمكن من أداء الصلاة إلا من وثَّقه الله لها، وإلا ما يؤديه ليس صلاة وإنما هو قشر يمسك به، ولا علاقة له بالمغزى. وكذلك لا ينطق بالشهادتين إلا من يُنطقه الله بهما. فما دام الإنسان لا يتلقى جرعة من النبع السماوي بالصلاة والنطق بالشهادتين، فلا يستفيد. فالصلاة التي ينشأ فيها الذوق والحلاوة وتنشأ بها العلاقة الصادقة بالله وتكون نموذجاً للخشوع والتواضع، فهي التي تُحدث في المصلي تغييرا يشعر به فوراً بأنه لم يعد كما كان قبل بضعة أعوام. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٦)

الصلاة التي نصليها خمس مرات كل يوم تتضمن أيضا إشارة إلى أنه لو لم نُنقذها من الأهواء والأفكار النفسانية لن تكون صلاة حقيقية أبدا. ليس المراد من الصلاة أن ينقر المرء نقرات أو يؤديها تقليدا وعادة فقط، بل الصلاة ما يشعر به القلب وتذوب الروح وتخر على عتبات الله خاشية، وعلى المرء أن يسعى جاهدا لإنشاء الرقة فيها قدر المستطیع ويدعو بالتضرع ليزول التجاسر والذنوب الكامنة في نفسه. هذه هي الصلاة التي تكون مباركة، ولو ثابر عليها المرء لرأى أن نورا سينزل على قلبه ليلا أو نهارا ويقلّ تجاسر النفس الأمارة. فكما في الثعبان سمّ قاتل كذلك في النفس الأمارة أيضا سم قاتل، والذي خلقه عنده علاجه أيضا. (بدر، المجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨/٩/١٩٠٤م، ص ٣)

يقول البعض إن البركات لا تُنال بالصلاة والصوم، ولكنهم مخطئون في ذلك. المرء ينال بركات الصلاة والصوم وثمراتهما وينالها في هذه الدنيا. ولكن يجب أن يبلغ المرء الصلاة والصيام والعبادات الأخرى مبلغا تؤتي به بركاتها. أُخلقوا في أنفسكم

صفات الصحابة. اتَّبِعُوا النَّبِيَّ ﷺ اتِّبَاعًا صَادِقًا وَكَامِلًا ثُمَّ تَعْلَمُونَ كَمْ تَنَالُونَ مِنْ الْبَرَكَاتِ. (الحكم، المجلد ١٠، رقم ٢٤، عدد ١٠٠٦/٧/١٩٠٦م، ص ٣)

أَلَا فَاسْمَعُوا وَعُوا جِيدًا: إِنَّ الْمِيلَانَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ يَعْنِي قَطْعَ الْعَلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّ الصَّلَاةَ -أَوِ التَّوْحِيدَ بِتَعْبِيرٍ آخَرَ؛ لِأَنَّ إِقْرَارَ التَّوْحِيدِ عَمَلِيًّا هُوَ الصَّلَاةُ فِي الْوَاقِعِ- يَظَلُّ صَاحِبُهَا مُحْرَمًا مِنْ بَرَكَتِهَا وَفَوَائِدِهَا مَا دَامَ لَمْ يَصَلِّهَا بِرُوحِ الْفَنَاءِ وَالتَّذَلُّلِ وَبِقَلْبٍ حَنِيفٍ. أَلَا إِنَّ الدَّعَاءَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) يَتَطَلَّبُ رُوحًا صَادِقَةً، أَمَا إِذَا كَانَ التَّضَرُّعُ وَالْخُشُوعُ خَالِيًا مِنَ الْحَقِيقَةِ فَلَا يَعْدُو الْأَمْرُ تَرْيِيدَ الْكَلِمَاتِ كَالْبِغْيَاءِ. (كُتِبَ بِعَنْوَان: خُطَابُهُ ﷺ وَالرَّسَالَةُ عَلَى مَسْأَلَةِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، تَدْوِينُ شَيْخِ يَعْقُوبَ عَلِيٍّ عِرْفَانِي ﷺ، ص ١١)

الصَّلَاةُ وَالِاسْتِغْفَارُ عِلَاجَانِ مِثَالِيَانِ لِإِزَالَةِ غَفْلَةِ الْقَلْبِ. يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ ذُنُوبِي. إِذَا اسْتَمَرَ بِالدَّعَاءِ بِصَدَقِ الْقَلْبِ سَيَجَابُ بِالتَّأَكِيدِ حِينَ مِنَ الْأَحْيَانِ. التَّسَرُّعُ لَيْسَ مُسْتَحْسِنًا. الْفَلَاحُ عِنْدَمَا يَزْرَعُ الْأَرْضَ لَا يَحْصِدُ الزَّرْعَ فُورًا. الْمُتَسَرِّعُ يُحْرَمُ. مِنْ عِلَامَاتِ الْإِنْسَانِ الْبَارِ أَنَّهُ لَا يَتَسَرَّعُ. لَقَدْ لَوْحِظَ أَنَّ الْمُسْتَعْجِلِينَ يُحْرَمُونَ دَائِمًا. فَمِثْلًا إِذَا حَفَرَ الْمَرْءُ بُئْرًا إِلَى عِشْرِينَ ذِرَاعًا، وَبَقِيَ حَفَرُ ذِرَاعٍ فَقَطْ، لَكِنَّهُ تَرَكَ الْعَمَلَ حِينَئِذٍ ضَارِبًا بِالصَّبْرِ عَرْضَ الْحَائِطِ فَسَوْفَ تَضِيعُ جُهُودُهُ كُلُّهَا، وَإِذَا صَبَرَ أَكْثَرَ قَلِيلًا وَحَفَرَ ذِرَاعًا آخَرَ بَلَغَ مَرَامَهُ. مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنَّهُ يُعْطِي نِعْمَةَ الذَّوْقِ وَالشُّوْقِ وَالْمَعْرِفَةِ بَعْدَ الْمَصَائِبِ. إِذَا وَجَدَ الْإِنْسَانُ كُلَّ نِعْمَةٍ بِسَهُولَةٍ لَا يَقْدَرُهَا كَمَا يَجِبُ. نَعَمْ مَا قَالَ السَّعْدِيُّ:

گرنباشد بدوست راه بُردن شرط عشق است در طلب مُردن

أَيُّ: مَنْ مُقْتَضَى الْحُبِّ أَنْ يَضْحِي الْمَحَبَّ بِحَيَاتِهِ بَحْثًا عَنِ الْحَبِيبِ إِنْ لَمْ يَعْرِفْ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ. (بَدْر، الْمَجْلَد ١، رَقْم ٧، عَدَد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٠)

الْإِيمَانُ شَرْطٌ قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى هِنْدُوسِي مِثْلًا فَمَاذَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا. وَمَنْ كَانَ إِيْمَانُهُ قَوِيًّا فَسِيرَى كَيْفِيَةِ الْمُتَعَةِ فِي الصَّلَاةِ. فَالْمَعْرِفَةُ تَسْبِقُ الصَّلَاةَ وَتَأْتِي بِفَضْلِ

الله تعالى كما تأتي إلى حد ما نتيجة حسن طوية أصحابها الذين يملكون فطرة محمودة ومنسجمة مع فضل الله تعالى ويكونون أهلا له فعليهم ينزل الله أفضاله. ومن الضروري أن يسعى المرء في سبيل الله أيضا كما يسعى من أجل الدنيا... أدوا الصلوات بالتدبر. إن دعاء المرء في لغته ليس حراما بعد الأدعية المأثورة. فحين تحظون بالذوبان والحرقة فاعلموا أنكم أعطيتم فرصة مواتية فادعوا حينذاك بكثرة حتى تحظوا بالركة. هذا الأمر ليس في خيار المرء بل تنشأ الأفضال من الله تعالى. (بدر، المجلد ١، رقم ١١، عدد ١٩٠٣/١/٩ م، ص ٨٦)

الدعاء إكسيرٌ يحول حفنةً من التراب تيرا، وإنه ماء يغسل الأدران الباطنية، وإنه ابتهاج تذوب معه الروح وتسيل مثل الماء وتختر على عتبة حضرة الأحدية، فهي تقوم في حضرة الله وتركع وتسجد أيضا. وصورة ذلك تلك الصلاة التي علمها الإسلام. والمراد من قيام الروح هو أنها تكون مستعدة لتحمل الصعاب والانصياع لكل أمر في سبيل الله. والمراد من ركوعها أنها تركع لله تاركة كل أنواع الحب والعلاقات، وتصبح لله وحده. والمراد من سجودها أنها تختر على عتبات الله وتتخلى عن إرادتها كلياً، وتمحو وجودها تماما. هذه الصلاة توصل صاحبها إلى الله. وقد صوّرها الشرع الإسلامي في الصلاة لتحرك صلاة الجسد إلى صلاة الروح؛ لأن الله تعالى قد خلق الإنسان بحيث تؤثر الروح في الجسد، ويؤثر الجسد في الروح. فحين تحزن روحكم تسيل الدموع من عينيكم أيضا، وحين تُسرُّ الروح تعلو البشاشة وجوهكم لدرجة أن الإنسان يضحك عفويا في كثير من الأحيان، كذلك حين يعاني جسده الألم والأذى تشاركه الروح أيضا فيهما، وعندما يسعد الجسد مثلاً بجو النسيم البارد، تنال الروح أيضا نصيبا منه.

فالهدف من العبادات الجسدية هو أن تكون هناك - بسبب العلاقات بين الروح والجسد - حركة في الروح إلى الله الواحد الأحد، فتعكف على القيام والركوع والسجود الروحاني؛ لأن الإنسان بحاجة إلى المجاهدات من أجل الرقي، وهذا أيضا نوع من المجاهدة.

واضح أنه إذا كان هناك شيان ملتصقين ببعضهما، ورفعنا أحدهما؛ لتحرك الملتصق به أيضا. ولكن لا طائل من وراء القيام والركوع والسجود الجسدي وحده ما لم يرافقه السعي لمشاركة الروح أيضا بطريقتها. وهذا الاشتراك يعتمد على المعرفة، والمعرفة تعتمد على فضل الله. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٣ - ٢٢٤)

لإنشاء العلاقة بالله تعالى ثمة حاجة للمحوية. إنني أنصح جماعتي بذلك مرارا وتكرارا، لأن الثبات لا يتسنى ما لم يتم انقطاع تام عن الدنيا ويفتر حبها في القلوب وما لم يتولد في الطباع الحماس والاستغراق الطبيعي. لقد قال بعض الصوفية أن الصحابة كانوا يستغرقون في الصلاة لدرجة أنهم ما كانوا يستطيعون أن يعرفوا بعضهم بعدها. عندما يأتي الإنسان من مكان آخر فقد أمرته الشريعة أن يقول "السلام عليكم". هذه هي حقيقة التسليم عند الانتهاء من الصلاة أيضا أنه عندما عقد المرء العزم للصلاة وقال "الله أكبر" فكأنه خرج من هذا العالم ودخل عالما آخر فكأنه دخل مقام الاستغراق. ثم عندما خرج من ذلك المقام قال: "السلام عليكم ورحمة الله" والتحق بالآخرين. ولكن النطق بذلك في الظاهر وحده لا يكفي ما لم يؤثر في القلب. القشور وحدها لا تنفع ولا تكفي الصورة الظاهرية بل يجب أن يورد الإنسان هذه الحال على نفسه. الغاية المتوخاة هي الحال، أما الصورة والقال وحده الذي لا ترافقه الحال فتؤدي إلى الهلاك. عندما يخلق الإنسان الحال ويُنشئ مع خالقه ومالكه الحقيقي حبا وإخلاصا صادقا لدرجة أن يطير إليه عفويا ويستولي عليه الاستغراق الحقيقي؛ فكأنه يصبح سلطانا وتصبح كل ذرة خادمة له. (بدر، المجلد ٣، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٨/١٩٠٤ م، ص ٣)

الحق أن الذي يترك الصلاة فهو يترك الإيمان، وبذلك يحدث الفتور في علاقته مع الله. وعندما يحدث الفتور من قبله يحدث الفتور كذلك من جانب آخر أيضا (أي من الله). (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م، ص ١١)

ليس ثمة وردٌ أفضل من الصلاة، ففيها الحمد الإلهي والاستغفار والصلاة على النبي. فالصلاة هي مجموعة جميع الأوراد والأذكار، فيها تزول جميع أنواع الهموم والأحزان وتنحل المشاكل.

كان النبي ﷺ إذا أصابه حزن بسيط قام للصلاة، ولذلك قيل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٩) فلنيل الطمأنينة وسكينة القلب ليس ثمة وسيلة أكبر من الصلاة. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ٩)

لا يجوز للمرء أن يصلي في لغته، يجب ألا نهمّل لغة أنزل الله تعالى فيها القرآن، بينما يمكن للمرء أن يعرض على الله حوائجه في لغته بعد القيام بالطريق المسنون والأذكار، ولكن لا يجوز إهمال اللغة الأصلية أبدا. ماذا جناه المسيحيون بترك اللغة الأصلية؟ لم يبق شيء (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٢م، ص ٨)

والوسيلة الخامسة التي وضعها الله للفوز بالمرام الأصلي هي المجاهدة، أي أن نطلب الله بإنفاق أموالنا في سبيله، وتسخير قوانا من أجله، والتضحية بنفوسنا وبذل عقولنا في سبيله، كما يقول ﷺ: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٤١)، ويقول تعالى: ﴿وَمَا زَرَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤)، ويقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠) أي ابذلوا في سبيل الله أموالكم وأنفسكم بجميع ما فيها من قوى وملكات، وأنفقوا في سبيله كل ما أعطاكم من عقل وعلم وفهم ومهارة وغيرها. والذين يسعون بكل طريق في سبيلنا فإننا لا بد أن نُرِيَهُمْ سُبُلَنَا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٨-٤١٩)

لقد تلقيت الوحي التالي مرارا: "أجيب كل دعائك"، أي أن كل دعاء هو نافع ومفيد سوف يجاب. عندما أفكر في هذا الأمر تغمر روحي لذّة وسرور. عندما تلقيت هذا الوحي أول الأمر، قبل حوالي ٢٥ أو ٣٠ عاما، فرحت فرحة كبيرة بأن الله تعالى سيستجيب أدعيتي لي ولأحبابي حتما، فقلت في نفسي لا ينبغي لي أن أكون بخيلا في هذا الأمر، لأنها نعمة ربانية، وقد قال الله تعالى في وصف المتقين:

﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤)، ولذلك فإنني أدعو لأحبابي بخير الدنيا والآخرة دوماً، سواء ذكروني بالدعاء أم لا، وسواء عرضوا عليّ أمراً خطيراً أم لا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٣٢)

إن لفظ المتقي من باب الافتعال الذي يفيد التكلف، مما يعني أنه بحاجة إلى كثير من المجاهدة والسعي، ويكون في حالة النفس اللوامة أثناء مجاهداته. عندما يعيش المرء عيشة الأنعام يكون في حالة النفس الأمارّة، فإذا تطور وتغلّب على النفس الأمارّة صار في حالة النفس المطمئنة. والمتقي يتطور ويخرج من حالة النفس الأمارّة ويصير في حالة النفس اللوامة، ولذلك قيل في المتقين: ﴿الَّذِينَ يُتَّقُونَ الصَّلَاةَ﴾ (الأنفال: ٤)، وكأنهم في حرب في صلاتهم حيث تهاجمهم الوسواس والأوهام وتحيرهم، ولكنهم لا يضيّقون ذرعاً ولا تسبب لهم هذه الوسواس فتوراً ولا تعباً، بل يستعينون بالله تعالى مرة بعد أخرى، ويصرخون ويكون فيقهرهم الوسواس والشبهات. كما أن الشيطان ينهّاهم عن إنفاق أموالهم، ويُرِيهم الإسراف والإنفاق في سبيل الله سيّئ، مع أنه شتآن بينهما، لأن المسرف يهدر أمواله بدون جدوى، أما المنفق في سبيل الله فإن ما ينفقه يُردّ إليه، فينفق أكثر من ذي قبل، ومن أجل ذلك قيل في المتقين: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠١م، ص ٢)

إن الأثرياء وميسوري الحال يستطيعون خدمة الدين بصورة أفضل، ولذلك قد ذكر الله تعالى من صفات المتقين أنهم: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ولا خصوصية للمال هنا، بل ينبغي أن ينفق المرء في سبيل الله من كلّ ما رزقه الله تعالى. أي أن يكون مواسياً لجميع الناس ومعيناً لهم.

اعلموا أن مدار شريعة الله على أمرين اثنين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. وفي قوله تعالى ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ تعليم للشفقة على خلق الله. والأثرياء يجدون الفرص لخدمات دينية عظيمة. فذات مرة ذكر نبينا الكريم ﷺ حاجته للمال،

فجاء أبو بكر رضي الله عنه بكل ما في بيته، فسأله النبي ﷺ: يا أبا بكر ماذا تركت في البيت؟ قال: تركت الله ورسوله. وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ما في بيته، فسأله النبي ﷺ: يا عمر ماذا تركت في البيت؟ قال: النصف. فقال النبي ﷺ: الفرق بين درجة أبي بكر وعمر كالفرق بين فعليهما. (الحكم، المجلد ٤، رقم ٣٠، عدد ١٩٠٠/٨/٢٤، ص ٣-٤)

من صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب ويطيعون الصلاة و﴿مَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي ينفقون في سبيل الله مما أعطيناهم من العلم والمال والقوى الظاهرية والباطنية الأخرى، وهم الذين وعدهم الله بإنعامات كبيرة. (بدر، المجلد ٣، رقم ٣٢، عدد ١٩٠٤/٨/٢٤، ص ٨)

ثم تأتي على المتقي مرحلة أخرى وهي: "مما رزقناهم ينفقون" وينفقون بالاستمرار. لقد قيل بأن الإيمان يتقوى في حالات مختلفة لذلك فقد ورد أنه يجب على المرء أن يدعو لنفسه أولاً ثم يطلب الدعاء ممن يحسن به الظن. وإلا فليصدق. عندما يريد التصديق تنقبض روحه فعليه ألا يبدأ بنهر السائل لأن ذلك يؤدي إلى الانقباض نوعاً ما فلا يوفق لإعطائه شيئاً. أما إذا عامله بالرفق وحسن الخلق لانشرح صدره لإعطائه شيئاً. بالصدقات تساعد المرء على اجتياز المراحل الدنيوية، ونشوء الأخلاق الفاضلة فيه، ثم يوفق للحسنات الكبيرة. فهناك مدارج وأسباب مختلفة وذلك ليصل المتقي مرتبته الحقيقية وهذه هي المرحلة الثانية للإصلاح. ففي هذه المرحلة يُسمّى المتقي صالحاً حين يضعف الشيطان. وليكن معلوماً أيضاً أن درجة الصالح هي درجة ضمنية تأتي بالتقوى. المرحلة الأولى صعبة جداً لأنه تكون هناك معركة خطيرة مع الشبهات ويهاجم الشيطان بقوته الكاملة ولكن في هذه الدرجة تزول المفاسد ويكون الشيطان قد مُني بالهزيمة مراراً وتضمحلّ قواه. والمرحلة الثالثة بعدها هي أن الفساد يزول وتحل محله الأخلاق الفاضلة وحب الله. هذه هي درجة الاطمئنان وسميت: "يا أيها النفس المطمئنة" (الفجر: ٢٨). إنني أستنتج منها معنى

كُشف علي؛ فعندما يبلغ المرء هذه الدرجة يحظى بجذب إلى الله تعالى تلقائيا ويصل إليه متدحرجا مثل الكرة ويتعذر عليه البقاء بعيدا لأن هذه الدرجة تقتضي المعية. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٧، عدد ١٩٠١/٢/٢٤ م، ص ١-٢)

أعلم يقينا أن الخاسرين هم الذين ينفقون في مناسبات الرياء بالمئات ولكن يترددون كثيرا عند الإنفاق في سبيل الله. من المخجل ألا يترك المرء الخسة والبخل بعد انضمامه إلى هذه الجماعة أيضا. من سنة الله أن كل حزب من أهل الله يكون بحاجة إلى التبرعات في البداية. لقد فرض نبينا الأكرم ﷺ أيضا التبرعات على الصحابة رضي الله عنهم أكثر من مرة وقد سبقهم أبو بكر رضي الله عنه جميعا... الذين ينصروننا سيرون نصرة الله في نهاية المطاف. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ٣٠٨)

إن ما قال الله تعالى في القرآن الكريم واضح وبيّن تماما، ثم فسّره لنا النبي ﷺ بالعمل به، وحياته أسوة كاملة لنا، ومع ذلك هناك أمور قد لا يقدر الإنسان لضعفه على أن يجد بشأنها أمرا واضحا في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، وفي هذه الحالة عليه الاجتهاد فيها. فمثلا يُقدّم الطعام بمناسبات العرس والزواج، فإن كان هدف المرء منه التفاخر والتباهي فهذا رياء واستكبار، وبالتالي كان حراما، ولكن إذا كانت النية في تقديم هذا الطعام العمل بقول الله تعالى: ﴿أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١٢) وقول الله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤)، أو حُسْن معاشرته الناس، فلا يكون حراما. فإذا كانت نية المرء حسنة في تقديم هذا الطعام، ولم يرد به الزهو والتباهي، بل ابتغاء مرضاة الله، فلا مانع منه ولو أطيح بمئة ألف شخص، ليس مئة فقط؛ فإنما الأعمال بالنيات. أما إذا كانت النية فاسدة وسيئة، جعلت الحلال أيضا حراما. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٣ م، ص ٢. والملفوظات المجلد ٢ ص ٣٧٩)

إن المتقين هم أولئك الذين يؤمنون بالكتب المنزلة من قبل وبالكتاب الذي نزل عليك، ويوقنون بالآخرة. وهذا الأمر أيضا لا يخلو من التكلف حيث يكون إيمان

المتقي حتى هذه المرحلة في نوع من الحجاب، وتفتقر عيونه إلى المعرفة والبصيرة، كل ما في الأمر أنه قد آمن بشيء حتى الآن نتيجة تصديه للشيطان بالتقوى. وهذا هو حال جماعتنا الآن، فإنهم قد آمنوا لما عندهم من تقوى، ولكنهم لا يدرون مدى التطور والتقدم المقدر لهذه الجماعة بيد الله تعالى. فإنه إيمان سوف ينفع في نهاية المطاف.

علمًا أنه إذا استعمل اليقين عمومًا فيراد به أدنى درجاته، أعني أن العلم له ثلاث مراتب أدناها علم اليقين، وصاحب التقوى يتبوأ هذه المرتبة، إلا أنه يبلغ مرتبة عين اليقين وحق اليقين أيضا بعد ترقيه في مراحل التقوى.

التقوى ليست بأمر هين. بالتقوى يقاوم المرء كل أولئك الشياطين المسيطرين على كل كفاءة وقوة بداخله. إن كل هذه القوى والكفاءات إنما هي شياطين بداخل الإنسان حين يكون في حالة النفس الأمارة، وإن لم تُعدّل هذه الكفاءات جعلته عبداً لها. فالعلم والعقل نفسهما يصبحان شياطين إذا أسيء استخدامهما، ومن واجب المتقي تعديلهما وكذلك تعديل كافة الكفاءات الأخرى. كذلك فإن الذين يستنكرون الانتقام والغضب والنكاح في كل حال، فهم أيضا يخالفون نوااميس الطبيعة، ويحاربون القوى الإنسانية. إنما الدين الحق ما يربي القوى الإنسانية، ولا يستأصلها. إن إلغاء قوة الرجولة أو الغضب التي قد أودعها الله فطرة الإنسان إنما هو حرب على الله تعالى. كذلك فإن ترك الدنيا والرهبانية وما إلى ذلك من أمور إنما هو إتلاف لحقوق العباد. لو كان الأمر كما يظنون لوقع الاعتراض على الله الذي خلق فينا هذه القوى. فمثل هذه التعاليم الإنجيلية التي تستلزم القضاء على القوى الإنسانية تؤدي إلى الضلال في نهاية المطاف. إنما يأمر الله تعالى بتعديلها ولا ينبغي إهدارها. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧، ص ٤٧-٤٨)

الإيمان بالآخرة من أكبر الوسائل الدافعة للإنسان إلى فعل الصالحات والحسنات، أما إذا عدّ الإنسان الآخرة وما يتعلق بها قصةً فارغة فاعلموا أنه قد أصبح من المردودين، وخسر الدنيا والآخرة.

لذا فإن خوف الآخرة أيضا يجعل الإنسان خائفاً ورجلاً ويجذبه إلى نبع المعرفة الحقيقي جذباً. والمعرفة الحقيقية لا تتيسر بدون خشية الله وتقواه الحقيقية. فاعلموا أن نشوء الوسواس عن الآخرة في القلب يعرض الإيمان للخطر ويهدد العقابة الحسنی. هل تظنون أن كل الأبرار والأخيار والصالحين الذين كانوا يبيتون الليالي سجّداً وقياماً حتى الصباح كانوا أكثر منكم قوّةً وكانت لهم أجسام هيكلية قوية كالمصارعين؟ كلا. اعلّموا واعلموا جيداً أن هذه الأعمال لا تُنجز بالقوة الجسدية أبداً بقدر ما تُنجز بالقوة الروحانية. لا شك أنكم قد رأيتم أناساً يأكلون في اليوم الواحد ثلاث أو أربع مرات كل ما لذ وطاب من الأطعمة المغذية من الأرز مع اللحم وما إلى ذلك، ولكن ما هي النتيجة؟ يغطّون حتى الصباح من شدة النوم، ويغلب عليهم النوم والكسل، ويشقّ عليهم أداء صلاة العشاء، دُع عنك أن يصلّوا التهجّد. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧، ص ٦٤)

لقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم والحديث أنه سيأتي عصر آخر حين لا يكون مع الله شيء آخر، وسيكون ذلك العصر خطيراً جداً. وإن الإيمان بمجيء ذلك العصر واجب كل مؤمن ومسلم، ومن لم يؤمن به فهو ليس بمسلم، بل هو كافر لا إيمان له. فكما أننا مأمورون بالإيمان بالجنة والنار والأنبياء والكتب وغيرها، كذلك نحن مأمورون بالإيمان بتلك الساعة التي سوف يُنفخ فيها في الصور ويقضى على كل شيء ويصبح الجميع من الهالكين. هذه سنة الله وعادته.

لقد استخدم الله تعالى ثلاثة طرق لتقريب فهم ذلك العصر لنا؛ أولها أنه قد منح الإنسان العقل. فلو استعمل عقله قليلاً وتدبر لانكشف عليه بكل جلاء أن حياته القصيرة تقع بين عدمين، وأنها لا يمكن أن تكون أبديةً. يستطيع الإنسان معرفة المجهول بالقياس، فمثلاً لو تدبرنا في مصير آبائنا وفكرنا أين ذهبوا، فلا بد لنا من الاعتراف أن سبيلنا جميعاً هو السبيل نفسه الذي سلكه آبائنا. وغبيّ الذي لا يتعظ ولا يعقل رغم وجود آلاف المواقظ والنماذج أمامه.

من المعروف المسلم به عموماً أن القبور في كل قرية وفي كل بلدة تزداد كل يوم، أما قبور القدامى فبعضها خفية وبعضها ظاهرة، وقد رأينا في أحيان كثيرة عند حفر بئر في المدن أن العظام تخرج مع التراب، مما يعني أنه توجد في كل مكان في باطن الأرض عموماً قبور، وإن لم تكن بعضها ظاهرة، وتدل على الأناس الذين صاروا تراباً. والدليل الثاني الذي قدمه الله تعالى على وجود الآخرة هو أن الخسرة تخرج من الزرع، وتكون جميلة، ثم يأتي عليها زمن تصفرّ وتجفّ فيه تدريجياً، ثم تميل إلى السقوط وتكاد تضيع، فيحصدها الفلاح بنفسه لكي لا تتحطم فتذروها الرياح فتضيع. كذلك فإن هذه الدنيا مزرعة زرعها الله تعالى، وكما أن الفلاح يحصد زرعاً ناضجاً في بعض الأحيان وغير ناضج في أحيان أخرى، نظرًا إلى النفع والمآل، كذلك تماماً نربي نحن البشر، ثم نُحصّد، كل في موعد أجله، وفقاً لمشيئة الله وإرادته. على المرء أن يتعظ بفعل الفلاح ويأخذ منه العبرة، لأن هذا هو حال حياة الإنسان. فكما أن بعض البذور لا تنمو أصلاً، بل تضيع في باطن الأرض، كذلك تضيع بعض الأجنة داخل الأرحام. ثم من البذور ما يضيع بعد بضعة أيام من النماء، فبحسب هذه القاعدة والقانون تماماً يصبح الإنسان وليداً وشاباً وشيخاً، ويحصده منجل إرادة الله في مواعيد المناسب بحسب المصلحة الإلهية، فأحياناً يموت الأولاد في الصغر، فيقال إنهم ماتوا بمرض يسمى "الثّرا"، كما يموت الشباب ذوو الأبدان الصحيحة القوية، كما يموت الآخرون أيضاً بعد أن يبلغوا سن الشيخوخة والهرم.

باختصار، إن ظاهرة القطع والموت هذه جارية في الدنيا مذكرةً كلّ إنسان في كل آن أن هذه الدنيا ليست بدار الخلود. باختصار، إن هذا أيضاً أحد الأدلة على الآخرة.

^١ هو مرضٌ يصيب النساء حيث لا تحمل المرأة أصلاً، أو تجهض الجنين، أو يموت الجنين، أو يموت الوليد بعد الولادة بفترة. (المترجم)

وهناك دليل ثالث قدمه الله تعالى ليفهمنا حَقِيَّةَ ذلك الزمن، وهو معجزات الأنبياء القهرية التي قلبت العالم رأساً على عقب في آن واحد، ومحت أي أثر للناس. إن الإنسان تحت قبضة قهر الله الذي يمكن أن يبيده متى شاء، وهذا هو الأمر الذي قدمه الله تعالى كدليل، حيث يتفشى بعض الأمراض تفشياً مخيفاً وشديداً، بحيث إن الذين قد رأوا تفشيها يمكن أن يقولوا إنها تكون نموذجاً للقيامة. (مجلة الإنذار، ص ٥٤-٥٦، الطبعة الأولى)

إن طالب النجاة هو الذي يؤمن بكل ما أنزل على خاتم النبيين، نبي آخر الزمان، وبما أنزل قبله على الأنبياء من الكتب والصحف. "وبالآخرة هم يؤقنون" كذلك طالب النجاة هو الذي يؤمن بالساعة الأخيرة أي بالقيامة والجزاء. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٣٤-٣٥، عدد ١٠-١٧/١٠/١٩٠٤م، ص ٩)

لقد خطر ببالي اليوم بأن ذكر الإيمان بوحى القرآن الكريم وما قبله موجود في القرآن الكريم فلماذا لم يرد ذكر الإيمان بوحى أتلقاه أنا؟ كنت أفكر في ذلك حين أُلقي في قلبي دفعة بأن الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ تتناول ثلاثة أنواع من الوحي: المراد من: ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ هو وحي القرآن الكريم، ومن: ﴿مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ هو وحي الأنبياء السابقين، والمراد من: "الآخرة" هو وحي المسيح الموعود. الآخرة تعني: ما يأتي فيما بعد. فما هو ذلك الذي يأتي فيما بعد؟ يتبين من سياق الكلام أن المراد هنا هو الوحي الذي سينزل بعد القرآن الكريم لأن الحديث هنا يدور عن أقسام الوحي، أوله الذي نزل على النبي ﷺ والثاني الذي نزل قبله والثالث الذي كان سينزل بعده ﷺ. (مجلة مقارنة الأديان، المجلد ١٤، رقم ٤، عدد آذار ونيسان ١٩١٥م، ص ١٦٤ الحاشية)

رسم الله أولاً حياة المتقين ثم ذكر النتيجة وقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أي أن الذين يسلكون سبل التقوى، ويؤمنون بالغيب، ويطيعون الصلاة حين

انخيارها، وينفقون مما رزقهم الله، ويؤمنون بالكتب السابقة وكتاب الله هذا بدون تردد وتفكير رغم ما يساور نفوسهم من أفكار، ويصلون أخيراً إلى درجة اليقين، فأولئك هم على الهدى، وسائرون على طريق يؤدي بالإنسان إلى الأمام باستمرار حتى يوصله إلى الفلاح، فأولئك هم المفلحون الذين سيصلون إلى غايتهم والذين قد صاروا في مأمن من أهوال الطريق. ومن أجل ذلك قد أمرنا الله بالتقوى منذ البداية، وأعطانا كتاباً فيه الوصايا بالتقوى. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٤٩)

الذين يتحلون بالصفات المذكورة في الأعلى هم على الصراط المستقيم من رحمهم وهم الناجون وينتمون إلى الفرقة الناجية. هذا هو طريق النجاة الذي قدمه الإسلام، وهذا هو الصراط السوي والمستقيم. يلزم لكل طالب نجاة أن يسير عقله في ضوء الإلهام والوحي الإلهي وإلا سيضل. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٣٤-٣٥، عدد ١٠-١٧/١٠/١٩٠٤م، ص ٩)

الآية ٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾

لقد بين الله تعالى هنا بكل جلاء أن الذين يستحقون الهداية في علم الله عز وجل ويتصفون بفطرتهم الحقيقية بصفة التقوى فقط سيهتدون حتماً. ثم زاد الموضوع شرحاً وتفصيلاً في الآيات التي تلتها فقال تعالى بأن الذين سيؤمنون -بحسب علم الله- سينضمون إلى المسلمين عاجلاً أو آجلاً وإن لم ينضموا إليهم إلى الآن، ولن يبقى بعيداً إلا الذين يعلم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا بالإسلام الحقيقي. وسواء أُسديت إليهم النصيحة أم لا، فلن يؤمنوا، أو لن يصلوا إلى مراتب التقوى والمعرفة الكاملة. باختصار، قد بين الله تعالى في هذه الآيات بوضوح تام أنه لا يستفيد من هدي القرآن إلا المتقين الذين لا تغلب على فطرتهم الصحيحة ظلمة النفس، فسيهتدون

بهذا الهدى حتما. أما غير المتقين فلا يستفيدون من هدى القرآن، وليس ضروريا أيضا أن يصلهم هديّه في كل الأحوال.

إذن، فإن ملخص الجواب هو أن الناس في الدنيا على نوعين؛ بعضهم متّقون وطلاب الحق وهم الذين يقبلون الهداية، وبعضهم ذوو طبائع فاسدة، سواء عليهم أوعظتهم أم لم تعظهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ٢٠١-٢٠٢)

الآية ٨: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

إن الله ﷻ لا يظلم أحداً بل الإنسان يظلم نفسه، فسنة الله أنه حين يصدر من الإنسان أيُّ فعل أو عمل فإن الله ﷻ يُظهر التأثير الخفي والميزة التي تكمن فيه حتماً. فمثلاً حين نغلق جميع أبواب الحجرة فيتربط على فعلنا هذا نتيجة من الله أن تُظلم حجرتنا، ومعلوم أن خلق الظلام من فعل الله ومندرج في قانونه الطبيعي منذ القدم، وكذلك إذا تناولنا كمية كافية من السم فمن المؤكد أنه فعلنا، أما إهلاكنا - نتيجة لذلك - فهو فعل إلهي ثابت في قانونه الطبيعي منذ القدم. باختصار، إن فعلنا مقرون بفعل إلهي أيضاً بالضرورة، ويظهر إثر فعلنا حتماً ويكون نتيجته اللازمة. فهذا النظام كما هو مرتبط بالظاهر يرتبط بالباطن أيضاً، فكل عمل لنا سواء أكان صالحاً أو طالحاً، تلازمه نتيجة تظهر بعد فعلنا. إن المراد من ختم الله في الآية: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة: ٨)، أنه حين يرتكب الإنسان سيئة فإن الله يُظهر نتيجة تلك السيئة على قلبه ووجهه، وهذا هو معنى الآية ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٦)، أي حين أعرضوا عن الحق حرم الله قلوبهم من أن تنسجم مع الحق، وأخيراً حدث فيهم انقلاب بتأثير الثوائر المعادية وزاغوا وتغيّروا تماماً وكأنهم أناس جدد،

واستولى سُمُّ المعارضة على أنوار فطرتهم تدريجًا. (كتاب البراءة، الخزانة الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧-٤٨)

يعترض الآريون أنه قد ورد في القرآن الكريم ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة: ٨)، فما ذنب الإنسان إذن؟ فمن قصور فهم هؤلاء أنهم لا يقرأون سياق الكلام وسباقه، وإلا قد بين الله ﷻ صراحة أن هذا الختم الذي يقوم به الله ﷻ هو نتيجة أفعال الإنسان في الحقيقة، لأنه حين يصدر أي فعل من الإنسان فمن سنة الله ﷻ أنه يترتب عليه فعل إلهي أيضا، فكما أن الإنسان حين يغلق أبواب بيته فهذا فعله الشخصي، لكن الفعل الإلهي الذي يترتب عليه هو أن يجعل البيت مظلمًا، وذلك لأن الإنسان بنفسه قد أغلق مداخل النور، فكذلك قد ذكر الله أسباب هذا الختم في آية أخرى في القرآن الكريم حيث قال ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٦)، فهذا هو الختم. إلا أنه ليس من شأن ربنا أن لا يزيل هذا الختم بعده، فهو إذا كان قد ذكر أسباب الختم ففي الوقت نفسه بين الوسائل لإزالة ذلك الختم أيضا، فقال ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٦). (بدر، المجلد ٢، رقم ٣٤، العدد ١١/٩/١٩٠٣م، ص ٣٦٧)

الآية ٩: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

أحسب الناس أن يرضى الله تعالى بمجرد قولهم بأنهم آمنوا، ولا يُفْتَنُونَ. إن الذين يرون نجاحهم في ذلك فحسب فليعلموا أنه قد ورد عنهم: ﴿وما هم بمؤمنين﴾. (الحكم، المجلد ٨، رقم ١٧، العدد ٢٤/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

ينبغي ألا يفتخر الإنسان بأدائه الصلوات الخمس والصيام وغير ذلك من الأحكام في الظاهر حيث يزعم أنه كان يجب عليه أن يصلي ويصوم ويؤتي الزكاة فقد صلى وصام وآتى الزكاة، وعمل غيرها من الأعمال. كلا، بل النوافل دوما تتمم

وتكمل الأعمال الحسنة، وهي التي تؤدي إلى الترقيات. فمن تعريف المؤمن أنه ينجز ما فرض الله عليه من فعل الخيرات ودفع الصدقات، وأن ينجز كل الحسنات برغبة قلبية، ولا يكون في قلبه أي أثر للتصنع والرياء. فحالة المؤمن هذه تعبر عن إخلاصه الصادق وعلاقته، وتنشئ له علاقة صادقة وقوية بالله ﷻ. عندها يكون الله لسانه الذي ينطق به، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي ينجز بها الأعمال. باختصار؛ يكون كل فعل وتصرف وحركة وسكون له لله فقط. فالذي يعاديه في هذه الحالة فإنما يعادي الله ﷻ، ثم يقول الله ﷻ إنه لا يتردد في شيء كما يتردد في قبض روحه.

فقد ورد في القرآن الكريم أنه يجعل الفرقان دوماً بين المؤمن وغيره، فعلى العبد أن لا يمتنع أبداً عن الخضوع لمشيئة الله والاستسلام لرضاه ﷻ، فمن ذا الذي يريد أن يجعل الله محكومه بإنكاره العبودية. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٤، العدد ٣٠/٦/١٩٠٣م، ص ١١)

الآية ١١: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾

الحق أنه ما دامت أعراض المرض خافية، فلا يمكن علاجه، أما لو ظهرت الأعراض وبرزت للعيان، لكان علاجه ممكناً. الكلمات القاسية التي استعملها الأنبياء كان السبب وراءها هو التنبيه فقط لكي ينشأ الحماس في خلق الله فيستيقظوا من رقود الغفلة نتيجة هذه الهزة، ويتدبروا ويتمعنوا في الدين، ويتحركوا في هذا السبيل وإن كانت الحركة سلبية، وأن يقيموا صلة مع أهل الحق نوعاً ما وإن كانت علاقة عداوة. فإلى هذا الأمر يشير الله تعالى في الآية الكريمة حيث يقول: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾.

اعلموا يقينا أن الذين عكفوا على تصفُّح الكتب الدينية نتيجة التحذيرات القاسية والزاجرة وبدأوا يخطون في هذا السبيل بخطى حثيثة وبحماس - وإن كان

ذلك في العداوة حاليا - هم الذين سيدخلون الإسلام بصدق القلب يوما من الأيام. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١١٨)

النقطة الدقيقة الأخرى التي نطلع عليها بالتدبر في سورة "القدر" هي أن الله تعالى قد قال في هذه السورة بجلاء وبكلمات صريحة بأنه كلما يأتي مصلح سماوي إلى الدنيا، ينزل معه الملائكة، ويجذبون إلى الحق أناسا مهيتين له. وبهذا نستفيد فائدة جديدة من مضمون آيات سورة "القدر" وهي أنه إذا نشأت في قوى الناس - في زمن الضلال والغفلة الشديدة - حركة عفوية وخارقة للعادة للتحري والبحث في أمور الدين من تلقاء أنفسهم، وكانت هذه إشارة إلى أن مصلحا سماويا قد جاء، لأن نشوء هذه الحركة دون نزول روح القدس مستحيل. وإن تلك الحركة تكون على قسمين بحسب مواهب الطباع واستعدادها؛ أي الحركة التامة والحركة الناقصة. إن الحركة التامة هي تلك التي تهب الروح نزاهة، وتنشط العقل والفهم إلى حد كبير، وتوجههما إلى الحق. أما الحركة الناقصة فهي أن يتنشط العقل والفهم إلى حد ما بتحريض من روح القدس، ولكنهما لا يتوجهان إلى الحق بسبب عدم سلامة المواهب والاستعداد، بل تنطبق عليهما آية: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. أي أن الحركة في فهم هذا الشخص وعقله تؤدي إلى تدهور حالته أكثر من ذي قبل، وذلك مثلما حدث في أزمنة جميع الأنبياء؛ إذ أنه كلما نزلت الملائكة، تنشأ مع نزولهم حركة عامة في الطباع بوجه عام، وبتحريض باطني من الملائكة. فيجذب أبناء الصدق إلى هؤلاء الصادقين، أما الذين هم ذرية الشيطان فهم أيضا يستفيقون من رقود الغفلة ويتوجهون أيضا إلى أمور الدين، ولكن لا يستطيعون التوجه إلى الحق بسبب النقصان في مواهبهم واستعدادهم.

إذًا، إن الملائكة الذين ينزلون مع المصلح الرباني يقع تأثيرهم في كل شخص، فيتأثر الصالحون بالتأثير الطيب، ويتأثر الطالحون بالتأثير السيئ.

باران که در لطافت طبعش خلاف نیست در باغ لاله روید در شوره بوم خس

أي: لا خلاف في طبيعة المطر، ولكن بنزوله تنبت في الحدائق الأزهار والورود، وفي الأراضي القاحلة الكأ والعشب.

فالآية: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ تشير إلى ذلك التأثير ذي الأنواع المختلفة، كما قلت من قبل. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٥٥-١٥٧) ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ أي ابتلاهم وبذلك أظهر حقيقتهم. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣٤)

كما أن الله تعالى غني فقد أودع صفة الغنى عباده الأصفياء أيضا. فيكونون أغنياء تماما مثل الله، وما لم يحرك أحد فيهم عاطفة الرحم بكل تواضع وإخلاص فلا تهيج فيهم تلك القوة. واللافت في الأمر أنهم يملكون صفة الرحم أكثر من أي واحد في العالم ولكن تنشيطها لا يكون بوسعهم. ومع أنهم كثيرا ما يريدون أن تظهر هذه الصفة للعيان، ولكنها لا تظهر دون مشيئة الله. فهم لا يعبأون قط بالمنكرين والمنافقين وفاتري الاعتقاد خاصة ويعدونهم كدودة ميتة. وشأن صفة غناهم هذه كشأن معشوق يستر وجهه بحجاب جميل. ومن شعب هذا الغنى أنه إذا أساء الشرير بهم الظن فكثيرا ما يزيده في سوء الظن نتيجة حماس الغنى بسبب التخلق بأخلاق الله كما يقول ﷺ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. وعندما يريد الله تعالى أن تظهر منهم معجزة، يخلق في قلوبهم حماسا، فيتولد في قلوبهم كرب وقلق شديد تجاه أمر معين، فيرفعون حجاب الغنى عن وجوههم فيستبين حسنهم - الذي لا يراه إلا الله - على ملائكة السماء وعلى كل ذرة.

والمراد من رفعهم الحجاب عن وجوههم هو أنهم يرجعون بوجه خارق للعادة إلى الله تعالى بالصدق والصفاء الكامل وبالحسن الروحاني الذي بسببه صاروا محبوبين عند الله، وتتولد فيهم حالة الإقبال إلى الله التي تجذب رحمة الله بما يفوق العادة، فتتجذب إليهم كل ذرة من هذا العالم تلقائيا. تتركز شدة حرارة عشقهم نحو السماء وتُري

وجهاها للملائكة أيضا كالسحاب. وإن آلامهم التي تضم في طياتها صفات الرعد تثير ضجة في الملاء الأعلى فينشأ بقدرة الله السحاب التي تمطر غيث رحمة الله الذي يتمنونه. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٢١-٢٢٢)

من ميزات الأنبياء عليهم السلام أن المؤمنين والكفار يصلون إلى الكمال في إيمانهم وكفرهم بواسطتهم. لقد ورد أنه لو لم يأت النبي ﷺ لما كمل كفر أبي جهل. كان كفره مخفيا من قبل وظهر للعيان ببعثة النبي ﷺ. كذلك كان صدق أبي بكر رضي الله عنه أيضا خفيا فظهر عندئذ. لقد قدم النبي ﷺ بمجيئه دعوة روحانية فقبلها واحد ورفضها آخر. فعن هؤلاء الناس يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. يُظهر الأنبياء والرسل بمجيئهم خبث هؤلاء الناس وشقاوتهم التي يبطنونها. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٣٨، العدد ٣١/١٠/١٩٠٥م، ص ٤)

عندما يحل ابتلاء أو امتحان يُظهر حقيقة الإنسان، عندئذ ييدي المرض الكامن في قلبه تأثيره بالكامل ويهلك صاحبه. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ هذا المرض يتفاقم عند الابتلاء وييدي قوته كاملاً. ومن سنة الله أنه يُظهر قوى القلوب الباطنية. من كان في قلبه نور أظهر الله تعالى صدقه وإخلاصه، ومن كان في قلبه خبث وشر فضحه الله ولا يمكن أن يبقى شيء خافيا. (الحكم، المجلد ١٠، رقم ١، العدد ١٠/١/١٩٠٦م، ص ٥)

الكمال ليس اجتناب السيئات فقط، فعلى أفراد جماعتنا ألا يكتفوا بذلك بل ينبغي أن يسعوا للحصول على الكمالين، ويستمروا من أجلهما في الدعاء والمجاهدة، أي يجب أن يجتنبوا السيئات ويكسبوا الحسنات. فيجب على أفراد جماعتنا ألا يحسبوا الله ساذجا حتى تنطلي عليه المكاييد والحيل. والذي كان ذا طبع سافل ويريد أن يخدع الله ويزور تحت عباءة الحسنة والصلاح فليعلم أن الله سيخزيه أكثر. فقال عن مثل هؤلاء الناس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ

مَرَضًا. إن حياة النفاق والرياء حياة ملعونة، ولا تخفى على أحد بل تظهر للعيان في نهاية المطاف وتخزي صاحبها بشدة. إن الله تعالى لا يخفي شيئا لا الحسنة ولا السيئة. الصالحون والصادقون يخفون حسناتهم ولكن الله يُظهرها. لما أمر موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون نبيا أخذ يقدم الأعذار. كان السر في ذلك أن الذين يخلصون لله تعالى إخلاصا كاملا يكونون نزيهين من الرياء وإبراز أنفسهم تماما. إن علامة الإخلاص الحقيقي هي ألا يفكر المرء ماذا سيظن به الناس. من كان في قلبه شائبة من ذلك فهو يرتكب الشرك. (الحكم، المجلد ١٠، رقم ٢٥، العدد ١٧/٧/١٩٠٦م، ص ٣)

الآية ١٢- ١٣: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

أي عندما يقال لهم ألا يفسدوا في الأرض ولا ينشروا الكفر والشرك والمعتقدات السيئة يقولون إن طريقنا هو الأصح ولسنا مفسدين بل نحن مصلحون. انتبهوا! إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ الذين يفسدون في الأرض. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، الرابع ص ٦٠٤، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ١٥: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾

لقد وُصف هؤلاء الناس في القرآن الكريم بأنهم منافقون، لذا ما لم يعمل المرء بالقرآن الكريم كاملا لا يدخل الإسلام بالكامل. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ١، عدد ١٩٠٨/١/٢م، ص ٥)

الآية ١٩: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

"لا يرجعون"، أي سيبقون بعيدين عن الله. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١ ص ٤٦٣، الحاشية)

إن قانون الله هو أنه عندما تتلاشى خشية الله ولا تبقى في القلوب الرقة ولا الحرقه تظهر الآيات المندرة. إن ذلك مقام خوف ولكن من المؤسف أن هؤلاء القوم عموا وبكموا فتركوا الآيات الإلهية التي من شأنها أن تخلق التضرع والابتهاال وتنفخ حياة جديدة في الإيمان، ورحلوا من الدنيا وهم صمّ وبكم. ماذا نستطيع أن نعمل تجاههم. لقد صدرت بحقهم الفتوى من الله تعالى أنهم ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. (الحكم المجلد ٤، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٠م، ص ٣)

فكلما ازداد المتقي قرباً من الله تعالى تلقى نوراً من الهدى يلقي على معلوماته وعلومه ضوءاً خاصاً، وكلما ابتعد المرء عن الله تعالى سيطرت على قلبه ودماغه ظلمة مهلكة، وأصبح مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٩)، وصار عرضة للخزي والدمار. ولكن الذي يفوز بالنور والضوء، فينعم بأسمى أنواع الراحة والعزة. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ١٣٤)

العمى نوعان: عمى العين وعمى القلب. أما عمى العين فلا تأثير له على الإيمان، ولكن عمى القلب يؤثر على الإيمان، فلا مناص لكل إنسان من الانهماك في الدعاء كل حين بمنتهى التذلل والخشوع بأن يهبه الله تعالى معرفة صادقة وبصيرة حقة ويحفظه من وساوس الشيطان. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٦٣)

الإنسان لا يملك حتى نفسه دع عنك أن يملك المال والثروة. الملعقة لا تتذوق طعم الشراب مع أنها تدخله مرارا. الحلوى تصل إلى الفم بواسطة اليدين ولكنهما لا تتذوقان حلاوتهما. كذلك الذي لم يعطه الله تعالى حواس لا يمكن أن يستفيد وإن صار وسيلة. (البراهين الأحمدية الجزء الخامس (المذكرات)، الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ٤٢٥)

القول في مسألة حياة المسيح، أليس الله قادرا على أن يرفعه إلى السماء حيا؟ يدل على عدم معرفة قدرة الله و...^١. نحن نؤمن بذلك أكثر من غيرنا ونوقن: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ونؤمن أيضا بأنه قادر على أن يفعل ما يشاء، ولكنه منزّه عن الأمور التي تعارض صفاته الكاملة، ويعادي أمورا تخالف دينه. (ما الفرق بين الأحمدى وغيره، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٦٥)

الآية ٢٠: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

المراد من الظلمات هو ظلمات الابتلاء والامتحان. (الإعلان الأخضر، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٤٦٢)

الآية ٢١: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ هذه شيمة المنافقين. إنهم يدخلون في الدين قاموا، ولا ينتفعون من أي حذر. حين كان الظلام منسوباً إلى الله يكون المراد منه ابتلاء في نظر العدو، ولذلك يقال له "غاسق الله". (بدر، المجلد ٢، رقم ٦، عدد ٢٧/٢/١٩٠٣م، ص ٤٣)

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أي إن الله القادر الذي لا مستحيل أمامه. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢١)

^١ يبدو أن كلمة ما سقطت هنا بسهو الناسخ. (الناشر)

وفي قوله تعالى: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سلوانٌ للعابدين.. إذ ما الفائدة أن نعقد عليه أملاً ورجاءً إذا كان عاجزاً غير قادر؟ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٥)

إننا نؤمن بأن الله قادر على أن يفعل في الدنيا كل ما يريد فعله يوم القيامة لأنه "عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، ولكن في هذا الحالة لن يبقى الإيمان إيماناً ولن تيسر ثماره. إن الذين يجهلون حقيقة الإيمان لا يدركون ذلك ويوجهون مثل هذه الأعذار. ولكن لا بد من أن تبقى حقيقة الإيمان مخفية بعض الشيء. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٣م، ص ١١)

يعتقد البعض أنه ما دام الله ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو قادر على أن يكذب أيضاً. هذا الاعتقاد إساءة كبيرة لأن عزو ما يخالف وعده وجلاله وصفاته ﷻ معصية كبيرة. والله تعالى لا يتوجه قط إلى ما يخالف صفاته. (بدر، المجلد ١، رقم ٢٤، عدد ١٤/٩/١٩٠٥م، ص ٢)

فكروا؛ إن الإله القادر خلقه بعد تمريره بانقلابات حتى أصبح إنساناً فيختار العقل حين يفكر ماذا كان وإلامَ تحوّل! أمعنوا النظر في الأنف والوجه والأعضاء الأخرى ثم انظروا كيف خلقه الله، ثم أعطاه حواسّ خمساً إضافة إلى قوى وقدرات أخرى. إذن، كيف جعله الله القادر إنساناً بتصرفاته العجيبة منذ أن كان نطفة، فهل يصعب عليه ﷻ أن يعيده إلى الحالة الطاهرة ويُجرّمه من العواطف السيئة؟ من يفكر في ذلك سيقول عفويا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحكم، المجلد ١٠، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٦م، ص ٣)

الآية ٢٢-٢٣: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً

وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الْأَحَدَ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ وَالَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَبَائَكُمْ
وَأَجْدَادَكُمْ وَاتَّقُوا ذَلِكَ الْقَادِرَ الْقَوِيَّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ بِأَنْوَاعِهَا رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَلَقَتْ لِفَائِدَتِكُمْ. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن
الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٠، الحاشية في الحاشية الرقم ٣)

أي يا أيها الناس اعبدوا الله الذي خلقكم واتخذوه كفيلاً في كافة أموركم. (حقيقة
الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٤٠)

عندما يُعَدُّ وجود أحد ضرورياً إلى أقصى الحدود يصبح معبوداً، والحق أن الله
وحده الذي لا بديل له، ولا يمكن قول ذلك عن أي إنسان أو أي مخلوق. (الحكم،
المجلد ٩، رقم ٤٣، عدد ١٠/١٢/١٩٠٥ م، ص ٥)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾... إنما الجدير بالعبادة من خلقكم،
أي هو الذي سيحيي للأبد، فأحبوه. فالإيمان هو أن ينشئ المرء علاقة قوية بالله
ﷻ ويحسب كل ما سواه باطلاً. أما الذي يحب الأولاد أو الوالدين أو شيئاً آخر
يشغل باله كل حين فهو الآخر يعبد الأوثان. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٤٨، عدد
٢٢/٨/١٩٠٨ م، ص ١)

الآية ٢٤-٢٥: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

أي إذا كنتم ترعّمون أنه افترى هذا القرآن من عنده أو تعلّمه من الجن، أو
كان نوعاً من السحر أو الشعر، أو ينتابكم شك من أي نوع آخر فأتوا بسورة

من مثله. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٤، حاشية رقم ١١)

... فأكرر وأقول: قبل أن تتجشموا عناء البحث عن كلام مثل القرآن الكريم، من واجبكم أن تتأكدوا هل هناك كلام آخر ادّعى ما ادّعاه القرآن الكريم كما رأيتم في الآيات المذكورة آنفاً؟ لأنه لو لم يدّع متكلم أن كلامه عديم النظر والمثال ويعجز عن مواجهته والإتيان بنظيره الجن والإنس كلهم أجمعون، لكان مثل عدّ كلامه عديم النظر دون مبرر كمثل ما يُقال في المثل الأردّي ما مفاده: المدّعي لا يحرك ساكناً ولكن الشهود متحمسون.

وإضافة إلى ذلك يجب الإثبات - عند عدّ كلامٍ نظير القرآن الكريم وشبيهه - أن هذا الكلام يشمل كمالات ظاهرية وباطنية كما يشملها القرآن الكريم، لأنه لو لم يكن للكلام الذي قُدِّم نظيراً ومنافساً أي نصيب من كمالات القرآن، فإن تقديمه نظيراً ليس إلا غباوة وحمقاً. تذكّروا جيداً أنه كما أن الإتيان بالنظر والشبيه للأشياء الصادرة من الله تعالى مستحيل، كذلك الإتيان بنظر القرآن الكريم أيضاً مستحيل. لهذا السبب اضطرّ فحول الشعراء العرب - الذين كانت العربية لغتهم الأم وكانوا مطلعين جيداً على مذاق الكلام بطبيعتهم وبناء على اكتسابهم أيضاً - للاعتراف بأن القرآن الكريم يفوق قدرات البشر. وذلك لا يقتصر على العرب فقط، بل الحق أنه كان من بينكم أيضاً كثير من العميان الذين بدأوا يبصرون بسبب هذا النور الكامل، وكان هناك كثير من الصم الذين أصبحوا يسمعون ببركته. والآن أيضاً لا يزال النور نفسه يزيل الظلمة من كل الجوانب والنواحي، ولا تزال أنوار القرآن الكريم الحقّة تنور القلوب.

بل الحق أنه بقدر ما تفتح عيون الناس يعترفون بعظمة القرآن الكريم؛ فإن كبار المتعصبين من الإنجليز الذين يُدعّون حكماء وفلاسفة قد أعلنوا بأعلى صوته أن القرآن الكريم عديم النظر فصاحةً وبلاغةً. وقد اضطرّ المسيحي المتحمس "كاد

فري هيكنس^١ ليقول في البند ٢٢١ من كتابه بأن العبارات العظيمة التي توجد في القرآن الكريم، قد لا يمكن العثور في العالم كله على ما يزيد عليها في الدنيا كلها. كذلك اضطر يوت^٢ ليشهد في كتابه الشهادة نفسها.

إن أتباع آريا سماج الذين ختموا الإلهام من الله وكلامه على الفيدا، ينكرون مثل المسيحيين أن القرآن عديم النظير، ويدعون بفصاحة فيدهم وبلاغته. ولكنني أرى من واجبي أن أؤكد للغافلين مرارا وتكرارا بأنه لا يجوز لأحد أن ينكر كون القرآن عديم النظير إلا مَنْ استطاع أن يُخرج لنا من كتاب آخر أوجه التفرد التي بينت مثالا منها في هذا الكتاب للقرآن الكريم. فإذا كان أتباع آريا سماج يتوقعون عن "فيدهم" أنه سيقدر على مواجهة القرآن الكريم في هذا المجال، فلهم أن يُظهروا قدرته هذه. ولكن الادّعاء الفارغ والتفوه بكلام الأوباش والرعاع ليس من شيمة الأبرار. إن نُبل الإنسان وعقله يكمن في أن يقَدِّم على ادّعائه دليلا إذا كان يملكه، وإلا فليصمت ويمسك لسانه عن ادّعاءٍ ليس مآله إلا الهراء وسخف الكلام.

اعلموا أن بلاغة القرآن بلاغة طاهرة ومقدسة، وهدفها الأعلى هو سرُّ نور الحكمة والصدق في كلام فصيح، وأن تُملأ حقائق علوم الدين ودقائقه كافة في عبارات موجزة ومدعومة بالأدلة. وحيثما مست الحاجة إلى الشرح والتفصيل تقوم بالشرح، وحيثما كانت في الإجمال كفاية تكتفي به، وذلك دون ترك ذكر أية حقيقة دينية؛ مفصلة أو مجملة. وإلى جانب ذلك يجب أن يكون الذكر بناء على مقتضى الضرورة الحقّة وليس دون الحاجة. ثم يجب أن يكون الكلام فصيحاً وسلساً ومتماسكا فلا يمكن لأحد أن يأتي بأحسن منه، وأن تُحالفه البركات الروحانية أيضا. هذا ما ادّعاه القرآن الكريم وأثبتته بنفسه. وأعلن أيضا في أماكن عديدة أنه لا يسع أحدا من المخلوقات أن يأتي بنظيره.

^١ اسمه بالإنجليزي Godfrey Higgins. (الناشر)

^٢ يبدو أنه سهو والصحيح: John Davenport. (الناشر)

والآن، لا يخفى على كل من أراد النقاش بالعدل أنه يجب -بغية المقارنة مع القرآن الكريم- أن يقدم كتابٌ توجد فيه الميزات نفسها التي يتحلى بها القرآن الكريم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٤٧٣ - ٤٧٧، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

إن دقائق سورة الفاتحة ومعارفها وخواصها التي كتبتُها إلى الآن إنما هي عديمة المثال والنظير بالبداهة. فمثلاً لو تدبّر أحد بالإنصاف المرتبة العالية التي تحتلها الحقائق الموجودة في سورة الفاتحة، ثم نظر إلى الدقائق والنقاط التي تشملها هذه السورة، ثم لاحظ حسن البيان وإيجاز الكلام وكيف ملئ بمعان واسعة وكثيرة في كلمات قليلة، ثم نظر إلى رونق العبارة وبهائها وكم تحتوي على السلاسة والنقاء والنعومة وكأنها ماء في غاية النقاء والصفاء يجري بهدوء، ثم فكّر في نفسه عن تأثيراتها الروحانية التي تطهر القلوب من الظلمات البشرية بوجه خارق للعادة، وتجعلها محط أنوار الله تعالى التي أثبتتُها في هذا الكتاب في كل مكان لتبين له علو شأن القرآن الكريم - الذي لا يسع القوى البشرية مبارزته - بجلاء لا يُتصوّر أكثر منه. ولكن إذا ظل هذا الكلام المقدس مشتبهاً على عَمِّهِ مع مشاهدة كل هذه الكمالات، فإن علاجه الذي بينه القرآن الكريم بنفسه وأتم حجته على المنكرين على وجه أكمل هو كما قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي وقودها أناس وأوثانهم، ويؤججونها بذنوبهم وتجاسرهم. وهذا هو القول الفصل الذي أصدره الله بنفسه لإدانة منكري إعجاز القرآن الكريم. والآن إذا ظل أحد ينكر بلاغة القرآن الكريم، مع كونه مدانا لا يطيق جواباً ولا يتورع عن الهذيان وهراء الكلام؛ فلا علاج في الدنيا لوقح ذي فطرة منقلبة مثله، ولا علاج له إلا ما وعد به الله ﷻ في قوله الفصل. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية،

...أيها المنكرون، إذا كنتم لا تعدّونه كلامَ الله وتظنون أن الإنسان قادر على الإتيان بمثل هذا الكلام فألّفوا أنتم أيضاً سورة تشتمل على الكمالات الظاهرية والباطنية مثله... الحجارة (الأوثان) ... أي أن الأصنام والمشركون والعصاة هم من يتسببون في اتقاد هذه النار. فلو لم تكن في الدنيا عبادة الأوثان والشرك والإلحاد والمعصية لما اشتعلت تلك النار. فكأن هذه الأشياء حصراً وقودها وتتسبب في اشتعالها. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٦٢-٦٣، الحاشية)

"ألست تعلم أن القرآن ما ادّعى إعجاز البلاغة إلا في الريافة، فإن العرب في زمانه كانوا فصحاء العصر وبلغاء الدهر، وكان مدار تفاخرهم على غرر البيان ودُرره وثمار الكلام وزهره، وكانوا يناضلون بالقصائد المبتكرة والخطب المحبّرة، ولكن ما كان لهم أن يتكلموا في اللطائف الحِكْمية، وما مسّت بياهم رائحة المعارف الإلهية، بل كان مسرح أفكارهم إلى الأبيات العشقية، والأضاحيك الملهية، وما كانوا على ترصيع مضامين الحِكم قادرين. وكانوا قد مروا من سنين على أنواع النظم والنثر ولطائف البيان، وسلّموا وقُبِلوا في الأقران، وكانوا أهل اللسان وسوابق الميادين. فخطبهم الله وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ... * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وقال: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، فعجز الكفار عن المقابلة وولّوا الدبر كالمغلوبين. ولما عجزوا عن النضال في البيان، مالوا إلى السيف والسنان، متندمين مغتاظين. وكثير منهم أسلموا نظراً على هذه المعجزة كليد بن ربيعة العامري، صاحب المعلقة الرابعة، فإنه أدرك الإسلام وتشرف به وأرى الإخلاص التام، ومات سنة إحدى وأربعين. وكذلك كثير منهم أقروا بأنّ القرآن مملوّ من العبارات المهذّبة، والاستعارات المستعدّبة، والأفانين المستملّحة، والمضامين الحِكْمية الموشّحة، بل من أمعنَ منهم النظرَ فسعى إلى الإسلام وحضر ودخل في المؤمنين. فلو كان القرآن

متنزلًا من أعلى مدارج الكمال في فصاحة المقال وبلاغة الأقوال، لكان الأمر أسهل على المخالفين، ولقالوا أيها الرجل.. إن الكلام الذي عرضت علينا والحديث الذي أتيت به لدينا ليس بفصيح بل ليس بصحيح، ولا نجد فيه غير المعاني المطروقة الموارد والكلام الرقيق البارد، وما جئت بأطيب وأحلى، وفيه ألفاظ كذا وكذا، وإنك أسقطت في كلامك وباعدت عن مرامك، ولست من المُجيدين؛ فلا حاجة إلى أن تأتي بمثله من الأقوال، أو تتوازن في المقال، ونتحاذى حذو النعال، فإليك عَنَّا وتجاف، واترك الأوصاف، فإن كلامك سَقَطَ عند الأدباء المشهورين والفصحاء الماهرين. ولكنهم ما سَرَوْا ذلك المسرى، وما قدحوا في هذا الدعوى، بل قبلوا أعلى مراتب بلاغته، وعجبوا لعلو شأن فصاحته، وقالوا إن هذا إلا سحرٌ مبين. وأكثرهم آمنوا بإعجازه وأقروا بتناؤش بازه، وعجزوا عن درك هُندازه، وقالوا كلامٌ فاق كلمات البشر، وكلُّهُ لُبٌّ وليس معه شيء من القشر، وعليه طلاوة، وفيه حلاوة، وهو غَدَقٌ لا ينفد من شرب الشاربين. وما نبسوا بكلمة في قدح شأنه، وما فاهُوا بكلامٍ في جرح بيانه، ونسوا جمال الفكر في ميدانه، ثم رجعوا مرعوبين نادمين، وأكثرهم كانوا يكون عند سماعه ويسجدون باكين.

هذا ما نجد في القرآن الكريم وأحاديث النبي الرؤوف الرحيم، إيمانًا وديانةً وصدقًا وأمانةً، وما نجد كلمةً خلاف ذلك من أسلاف النصارى أو المشركين، وكانوا خيرا منكم في تنقيد الكلمات يا معشر الجاهلين.

وأما ما ظننت أن في القرآن بعض ألفاظ غير لسان قريش، فقد قلت هذا اللفظ من جهل وطيش، وما كنت من المتبصرين.

اعلم أيها الغبي والجهول الديني، أن مدار الفصاحة على ألفاظ مقبولة سواء كانت من لسان القوم أو من كلمٍ منقولة مستعملة في بلغاء القوم غير مجهولة، وسواء كانت من لغة قوم واحد ومن محاوراتهم على الدوام، أو خالطها ألفاظٌ استحلاها بلغاء القوم، واستعملوها في النظم والنثر من غير مخافة اللؤم، مختارين غير مضطرين. فلما

كان مدار البلاغة على هذه القاعدة فهذا هو معيار الكلمات الصاعدة في سماء البلاغة الراحدة، فلا حرج أن يكون لفظٌ من غير اللسان مقبولاً في أهل البيان، بل ربما يزيد البلاغة من هذا النهج في بعض الأوقات، بل يستملحونه في بعض المقامات، ويتلذذون به أهلُ الأفانين. ولكنك رجلٌ غمَّرَ جهولٌ، ومع ذلك معاندٌ وعجولٌ، فلأجل ذلك ما تعلم شيئاً غير حقدك وجهلك، وما تضع قدماً إلا في دُخلك، ولا تدري ما لسان العرب وما الفصاحة. " (نور الحق، الجزء الأول، الخزانة الروحانية المجلد ٨، ص ١٤٥-١٥٠)

وقد أعلن القرآن بشأن إثبات إعجازه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٤). هذه معجزات روحانية. وكما ساق القرآن الكريم الأدلة على وحدانية الله تعالى، كذلك لا يقدر البشر على الإتيان بمثله في حكمته وفصاحته وبلاغته. وقد قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾. (الإسراء: ٨٩)

ولا يظنُّ أحد بأن المعجزات الروحانية إنما هي مجرد زعم المسلمين ووهْمهم. إن الطبيعيين المعاصرين - بل الأحرى أن أسميهم غير الطبيعيين - لا يؤمنون بمعجزة فصاحة القرآن وبلاغته، حتى إن السيد سيد أحمد^١ أيضاً قد تعثر وأنكر معجزة فصاحة القرآن وبلاغته. عندما نتذكر ذلك نتأسف على أن السيد سيد أحمد قد أنكر المعجزات. من المحال أن يؤمن السيد المحترم بكون القرآن معجزة بشكل من الأشكال، إذ يزعم أن بوسع أي شخص بسيط أو شخص عالي الطراز أن يأتي بنظير القرآن. من المؤسف أنه لا يدري أن الإنسان الذي جاء بالقرآن الكريم قد بلغ من العظمة أن وصفه الله تعالى بقوله: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (البينة: ٣-٤)، أي يتلو سيفراً جامعاً لكافة الكتب والحقائق. والمفهوم العام للكتب هنا هو كل الأمور الحسنة التي يراها الإنسان بطبعه صالحة للعمل.

^١ أي السير سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليغره بالهند. (الترجم)

والقرآن الكريم جامع لمثل هذه الحِكم والمعارف كلها، كما هو خالٍ تماما من كل ما هو تافه وغير نافع، ويفسّر كل أمر بنفسه، وفيه ما يسدّ كل حاجة، وهو آية ومعجزة من جميع النواحي. ولو أنكر أحد هذا فإننا مستعدون لإثبات وإراءة إعجازه من كل النواحي.

تُشنّ اليوم على وحدانية الله ووجوده هجمات شديدة، وقد بذل النصارى أيضا جهدهم وكتبوا كثيرا في الدفاع عن الله تعالى، ولكن كل ما كتبوه وقالوه فإنما هو عن إله الإسلام فقط، وليس عن إله ميت مصلوب وعاجز. ونقول على الملاءم بكل تحيّد إن كل من أراد أن يمسك قلمه دفاعًا عن وجود الله تعالى سيرجع في النهاية -طوعًا أو كرهًا- إلى ذلك الإله الذي قدّمه الإسلام، ذلك أن كل ورقة في الكون تنبئ عن ذلك الإله، وكل إنسان يحمل في طبعه نقش ذلك الإله نفسه. فمثل هؤلاء القوم كلما تقدموا في هذا الموضوع فإنما يتقدمون إلى ساحة الإسلام. وهذا في حد ذاته إعجاز عظيم للإسلام.

إذا كان أحد ينكر معجزة القرآن هذه فيمكن أن نختبره في أمر واحد فقط، أعني أن الذي يزعم أن القرآن ليس بكلام الله فعليه أن يكتب، في عصر النور والعلوم هذا، الأدلة على وجود البارئ تعالى، ونحن بدورنا سوف نستخرج له كل تلك الأدلة من القرآن الكريم. ولو كتب أدلة مماثلة ثم ادّعى أنها لا توجد في القرآن الكريم فسوف نستخرج له كل تلك البراهين من القرآن نفسه، ثم لو كتب أدلة أخرى مدعيا أنها لا توجد في القرآن الكريم، أو كتب حقائق وتعاليم مقدسة زاعما أن لا أثر لها في القرآن، فسوف نثبت له بكل جلاء مدى صدق دعوى القرآن الكريم: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (البينة: ٤). أو لو أراد أن يكتب الأدلة على الدين الحقيقي الفطري، فسوف نكشف له إعجاز القرآن الكريم من جميع النواحي، ونريه أن كافة الحقائق والتعاليم الحقّة موجودة بين دفتي القرآن الكريم.

باختصار، إن القرآن الكريم كتاب يحوي المعارف والأسرار بكل أنواعها، ولكن الاطلاع عليها يتطلب تلك القوة القدسية التي أشار الله إليها بقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠).

كذلك من المحال أن يُبَارَى القرآن الكريم في فصاحته وبلاغته. خذوا سورة الفاتحة مثلاً، فلو غَيَّرْنَا ترتيبها الحالي لاستحال بيان ما فيها من معان سامية ومقاصد عظمى تتبين بترتيبها الحالي. بل خذوا أيّ سورة قرآنية، بل خذوا مثلاً سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أيضاً، فإن المعارف والحقائق التي احتوتها هذه السورة بمنتهى اللطف والروعة، لا يقدر أحد على بيانها. إنما هذا من إعجاز القرآن فقط. تأخذني الحيرة حين يقول بعض الجهلة أن المقامات الحيرية أو المعلقات السبع لا نظير لها ولا مثيل، وذلك لكي يهاجم حقيقة كون القرآن منقطع النظر. إن هؤلاء لا يدرون أن صاحب المقامات الحيرية لم يدّع قط أنها عديمة النظر. هذا أولاً، وثانياً كان الحيري نفسه معترفاً بإعجاز فصاحة القرآن الكريم. وثالثاً إن هؤلاء الطاعنين لا يأخذون في الاعتبار ما في القرآن من حق وصدق، وإنما يأخذون الكلمات وحدها في الحسبان. والحق أن الكتب المذكورة أعلاه خالية من الحق والحكمة.

إنما ميزة الإعجاز وسببه أن يكون الكلام متحلياً بكل أنواع المحاسن من فصاحة وبلاغة وصدق وحكمة. وهذه المعجزة لا توجد إلا في القرآن الكريم الذي هو واضح وضوح الشمس ومزود بقوة إعجازية من كل النواحي. إن القرآن لا يقوم على ثرثرة اللسان كالإنجيل الذي قال: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا". (إِنْجِيلُ مَتَّى ٥ : ٣٩)، دون أن يراعي مدى انسجام هذا التعليم مع الحكمة والفترة. وعلى النقيض لو قرأت القرآن الكريم لأدركت أن أفكار البشر لا تقدر على الإحاطة بالنواحي كلها كما فعل القرآن، وأن هذه التعاليم القرآنية الكاملة المنزهة عن النقص والعيب يستحيل أن تكون نتاج عقول أهل الأرض. إذا كان أماننا ألف مسكين، فهل يجوز لنا أن نعطي بعضهم شيئاً ولا نفكر في الآخرين

ونهملهم تماماً؟ ولكن هذا ما فعل الإنجيل، فقد ركّز على جانب واحد فقط مهملاً الجوانب الأخرى تماماً.

إلا أننا لا نتّهم الإنجيل في ذلك، إذ نزل هذا التعليم عقاباً على سوء أعمال اليهود، وجاء الإنجيل بما يتفق مع كفاءاتهم، كما يقال عندنا: "كيفما تكون الأرواح، تكون معها الملائكة". فأبي ذنب في ذلك للإنجيل؟

ثم هناك قانون آخر، وهو كون الشيء مختصاً بمكان وزمان وقوم. نجد الإنجيل أيضاً يستنّ بعض القوانين التي تكون مختصة بمكان وزمان ولا يكون لها أثر فيما وراء ذلك. وكان الإنجيل قانوناً مختصاً بعصره ولم يكن عامّاً. أما القرآن فنطاق تعاليمه واسع جداً، فهو قانون أبدي لن يتبدل إلى يوم القيامة، وهو لكل قوم ولكل زمان ومكان. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢٢)، أي إنما ننزل من كنوزنا بقدر معلوم. جاء الإنجيل لسد حاجة ذلك العصر فقط، ولذلك يمكن تلخيصه في صفحة واحدة فقط.

أما القرآن الكريم فكانت غايته إصلاح العصور كلها. كان هدفه الارتقاء بالإنسان من حالته الوحشية ليكون إنساناً، ثم إنساناً مهذباً متحلياً بالآداب الإنسانية، لكي يكون قادراً على العمل بحدود الشرع وأحكامه، ثم ليكون إنساناً ربّانياً. إنها كلمات موجزة إلا أن لها آلاف الفروع والشُعَب. لما كان اليهود والطبعيون والمجوس وغيرهم من الأمم يعيشون عيشة انحراف وسوء، فخاطبهم النبي ﷺ جميعاً بإعلام رباني وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فكان لزاماً أن يكون القرآن الكريم جامعاً للأحكام الصادرة في الماضي من حين لآخر، وشاملاً لكافة الحقائق التي وصلت من السماء إلى أهل الأرض على أيدي الأنبياء عبر العصور الغابرة. لقد أخذ القرآن الكريم في الحسبان جميع البشرية، لا أمة معينة أو بلداً خاصاً، أو عصرًا خاصاً، أما الإنجيل فكان جُلُّ

اهتمامه بأمة معينة، ولذلك قال المسيح عليه السلام مرارا: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ". (إنجيل متى ١٥ : ٢٤).

يقول البعض ما الجديد الذي أتى به القرآن، إذ ليس فيه إلا ما في التوراة؟! إن هذا الاعتراض ناشئ عن قصور نظر، وهذا ما شجع بعض المسيحيين على كتابة مقالات مثل "عدم ضرورة القرآن". ليتهم أعطوا نصيبًا من الفطنة والفراسة الحقّة لكيلا يضلّوا. يقولون: ورد في التوراة لا تزنوا، وكذلك ورد في القرآن: لا تزنوا، ويعلم القرآن وحدانية الله، كما تعلّم التوراة عبادة الإله الأحد، فما هو الفرق بينهما إذن؟ هذا السؤال معقد جدا في بادئ النظر، ولو وُجّه إلى شخص لا علم له لأصابه الذعر، الحق أن الرد على مثل هذه الأسئلة الدقيقة والمعقدة محال إلا بفضل خاص من الله تعالى. وهذا هو السبيل لانكشاف المعارف القرآنية التي تنكشف في حينها. الواقع أن هناك توافقا بين القرآن الكريم والتوراة، لا ننكر ذلك، ولكن التوراة ذكرت الأحكام فحسب دون بيان الأدلة والبراهين عليها ولا شرحها، أما القرآن الكريم فقد ذكر الأحكام بأسلوب معقول. ذلك أن كفاءات الناس عند نزول التوراة كانت لا تزال ذات صبغة همجية، أما عند نزول القرآن فكانت كفاءات الناس متصبغة بصبغة المعقولية، فاتّبع القرآن أسلوبا يكشف فوائد الأخلاق، ويبيّن ما في الأحكام من حكم ومنافع، ولم يكتف القرآن ببيانها فحسب، بل ذكرها بأسلوب منطقي مصحوب بأدلة وبراهين، لكيلا يبقى أمام الذين يُعمِلون عقولهم مجال للإنكار. وكما قلت إن كفاءات الناس عند نزول القرآن تطورت وأخذت طابع المعقولية والمنطق، أما في زمن التوراة فكانت متصبغة بصبغة الوحشية. لقد ظلت الكفاءات البشرية تتطور عبر العصور منذ آدم إلى أن اكتمل تطورها في عصر القرآن الكريم. لقد ورد في الحديث الشريف أن الزمان مستدير، وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١).

... وهذا هو الإعجاز القرآني حيث لا يدع أتباعه بحاجة إلى أحد، بل يذكر بنفسه الأدلة والبراهين لهم فيغنيهم عن الآخرين. لقد ذكر القرآن الأحكام مع أدلتها، وساق على كل حكم أدلة مستقلة.

باختصار، هذان هما الفرقان الكبيران بين التوراة والقرآن الكريم، فالكتاب الأول لا يذكر دعواه مقرونة بالأدلة، بل على القارئ أن يبحث عن أدلتها بنفسه، أما الكتاب الثاني فيقدم دعواه مع الأدلة بكل أنواعها، ولا يُكره المرء على قبول أحكام الله قهراً، بل يجعله يقول بطيب نفسه: قد صدقتُ وآمنتُ، ولكن لا بالإكراه والجبر بل باستدلالة اللطيف وبسيادة الفطرة. كانت رسالة التوراة موجهة إلى فئة معينة، لكن القرآن يخاطب كافة الناس إلى يوم القيامة. (تقرير الجلسة السنوية، ١٨٩٧م، ص ٨٤-٨٨)

فانظروا الآن أن كلام الله ﷻ توارَد مع كلام عبد الله بن أبي سرح، أي قد خرجت من لسان عبد الله العبارة: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٥) وجاءت العبارة نفسها في وحي الله أيضاً.

وإن قلت: ما الذي يميز إذاً كلام الله من كلام البشر؟ قلتُ في الجواب أولاً ما قاله الله تعالى بنفسه في القرآن الكريم بأن الكلام الذي يُعدّ كلام غير الله يجب أن يعادل سورةً من سور القرآن المجيد كمّاً، لأن هذا القدر ضروري لإثبات الإعجاز، كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٤)، ولم يقل الله: فأتوا بآية من مثله أو فأتوا بكلمة من مثله. لا جرم أن كلمات الله بصورتها المنفصلة هي الكلمات نفسها التي كانت تجري على لسان الكفار أيضاً، ثم صارت الكلمات نفسها معجزة من حيث المجموع بسبب كونها محبّرة ومن حيث نظم الكلام ومستلزمات أخرى. والإعجاز الذي يوجد في أفعال الله هو أيضاً من النوع نفسه، بمعنى أنها تشكل معجزة من حيث المجموع كما يصبح الكلام معجزة من حيث المجموع. ومما لا

شك فيه أن الجمل الوجيزة التي يقولها الله تمتاز كلياً عن كلام الإنسان من حيث ما تضم من معانٍ سامية، فإنها تتضمن لا محالة أنواراً كامنة، هي بمنزلة روح تلك الكلمات، وإن لم يبلغ الإنسان إلى حقائقها ومعارفها الكامنة، كما تحتوي الآية: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٥) على إعجاز فريد لعلاقتها مع آيات سبقتها، بمعنى أنها تزخر بفلسفة روحانية هي معجزة بحد ذاتها لا يوجد نظيرها في كلام البشر. (البراهين الأحمديّة الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٨٤-١٨٥)

إن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته سامية جداً، وهو أمر مسلم به، حتى اضطر الأعداء المنصفون أيضاً لقبولها. لقد تحدّى القرآن الكريم: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، ولكن ما استطاع أحد أن يأتي بنظيره إلى يومنا هذا، وعجز عن مبارزته فصحاء العرب وبلغاؤهم أيضاً الذين كانوا ينشدون قصائد في اجتماعات حاشدة بمناسبة خاصة.

ثم إن فصاحة القرآن الكريم وبلاغته ليست مما يركز على الكلمات فقط دون الاهتمام بالمعاني والمفاهيم، بل قد رُصِّعت فيه الكلمات بأعلى درجة من الترتيب العجيب، كما فُصِّلَت فيه الحقائق والمعارف أيضاً. وليس بوسع الإنسان أن يُعنى ببيان الحقائق والمعارف ودرجات الفصاحة والبلاغة معاً. يقول الله تعالى في آية: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ (البينة: ٣-٤). أي يتلو عليهم صحفاً فيها الحقائق والمعارف. ويعرف الأدباء أن الاهتمام بالتعليم الطاهر والأخلاق الفاضلة في الأدب صعب جداً، ولا سيما التعليم المؤثر والجذاب الذي يزيل الرذائل ويخلق مقابلها الميزات السامية. إن حالة العرب آنذاك ليست خافية على أحد إذ كانوا مجموعة من المعايير والمنكرات. كانوا في هذه الحالة المتدهورة منذ قرون. ولكن انظروا كم كانت فيوضه عليه السلام وبركاته قوية إذ قلبهم رأساً على عقب في غضون ٢٣ عاماً، وكان ذلك بتأثير التعليم فقط.

لو أخذنا أصغر سورة من القرآن الكريم لوجدناها مليئة بمزايا التعليم والكمالات إضافة إلى مراتب الفصاحة والبلاغة. خذوا سورة الإخلاص مثلا ترون أنها تبين مراتب التوحيد كلها وتدفع كل نوع من الشرك. ثم انظروا إلى سورة الفاتحة، كم هي معجزة تلك السورة الوجيزة ذات الآيات السبع، وهي ملخص القرآن كله وفهرسه. فيها التعليم عن ذات الله وصفاته وضرورة الدعاء وأساليب استجابته وأسلوب الأدعية المفيدة والمجدية وتعليم اجتناب السبل الضارة، وفيها دحض الأديان الباطلة الموجودة في العالم كله. سترون أن معظم الكتب وأهل الأديان يذكرون مثالب الأديان الأخرى وعيوبها، ويطعنون في تعاليم الآخرين، ولكن لا يقدم أهل أي دين عند الطعن تعليما بديلا أحسن، بمعنى أنه إذا كان ذلك الدين ينوي إنقاذ الناس من سلوك سيئ ما، فلا بد أن يقدم مقابله تعليما جيدا. ولكن هذا لا يلاحظ في أي دين، بل هذا الشرف خاص بالإسلام فقط إذ إنه حين يدحض الأديان الباطلة ويذكر تعاليمها الخاطئة، يقدم أيضا تعليما أصيلاً وحقيقياً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٣م، ص ١-٢)

في زمن رسول الله ﷺ كانت الفصاحة والبلاغة في أوجها، فأعطى ﷺ القرآن الكريم كمعجزة من النوع نفسه. لقد اختير هذا الأسلوب لأن الشعراء عندها كانوا يُعَدُّون ذوي بيان ساحر، وكان في لسانهم تأثير، فكانوا يجعلون الناس يفعلون ما يريدون بمجرد قراءة بعض الأبيات، مثلما اخترع أهل أوروبا في العصر الراهن آلات الموسيقى لإثارة المشاعر والعواطف. كان الشعراء عندها يملكون لسانا يخلق الشجاعة والجرأة، فكانوا يستخدمون الشعر في كل شيء، وكانوا مصداق: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيْمُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٦)، ولذلك كان ضروريا أن ينزل الله كلامه، فأنزل كلامه وقدم معجزته على شاكلة الكلام فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٤)، أي أنكم تعتزون وتباهون بامتلاككم ناصية اللغة والكلام، فإن كنتم تقدرتون وتملكون قوة فقدّموا شيئا مقابل

معجزة القرآن. فلم يستطيعوا أن يقدموا شيئا، مع أنهم كانوا يعلمون أنهم إن لم يقدموا شيئا - خاصة وقد قيل لهم بالتحدي إنكم لن تقدروا على الإتيان بمثله - سوف يدانون ويهانون. فلو أنهم فعلوا شيئا وقدموه لشهد عليه التاريخ الصحيح حتما، ولكن ليس بوسع أحد أن يُثبت أن أحدا استطاع فعل شيء. إذن، فقد أظهر الله تعالى حينذاك معجزة من النوع نفسه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٧)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ لقد استنبط كثير من المفسرين من كلمة ﴿من مثله﴾ معنى أنهم لو كتبوا شيئا مقابل القرآن الكريم يجب أن يكون فيه نبوءات أيضا كما في القرآن الكريم. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥١)

وقال الله في موضع آخر: ﴿وَقُودُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ أي أن الوقود الذي يُبقي نارَ الجحيم مضطربة على الدوام شيئا: أولهما الناس الذين نسوا الإله الحقيقي وأخذوا يعبدون ما سواه من المخلوقات، أو الذين يدعون الآخرين أن يعبدوهم، كما يقول الله عنهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: ٩٩) أي سوف تُلقون في جهنم أنتم وأهلتكم الباطلة الذين نصبوا أنفسهم آلهة مع كوثهم من البشر. والثاني: الأصنام والأنصاب، إذ لولاها لما وُجدت جهنم أيضا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٣)

الآية ٢٦: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتَا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

لقد شبه الله تعالى الإيمان في هذه الآية بالجنة التي تجري من تحتها الأنهار. وليكن واضحا أنه قد أُخبر هنا بصورة فلسفة غليا، وقيل بأن مثل العلاقة بين البستان

والأنهار كمثّل العلاقة بين الإيمان والأعمال. فكما لا يمكن لبستان أن يبقى مخضرا
نضرا بدون الماء، كذلك الإيمان لا يسمى إيمانا حيا بدون الأعمال الصالحة. فإذا
كان الإيمان ولم تكن الأعمال فلا قيمة للإيمان، وإذا كانت الأعمال ولم يكن الإيمان
كانت الأعمال رياءً.

إن حقيقة الجنة الإسلامية هي أنها ظل إيمان الإنسان وأعماله في الحياة الدنيا
وليست شيئا جديدا سيناله الإنسان من الخارج، بل إن جنة الإنسان تنشأ من باطن
الإنسان نفسه، وأن جنة المرء إنما هي إيمانه وأعماله الصالحة التي تبدأ تمتعها في هذا
العالم نفسه. فيتراءى الإيمان وحدائق الأعمال خفية وتترأى الأنهار أيضا،
وسيشاهدان في الآخرة عيانا. إن تعليم الله المقدس يعلمنا أن الإيمان الصادق الخالص
الراسخ الكامل بالله وصفاته وإراداته جنة نضرة وشجرة مثمرة، وأن الأعمال الصالحة
أنهار هذه الجنة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٠)

إن حالة الإنسان بعد الموت ليست في الحقيقة حالة جديدة، بل إن حالة حياته
الدنيوية نفسها هي التي تنكشف يومئذ بجلاء أكبر. إن كفيات العقائد والأعمال
-صالحة كانت أم طالحة- تكون كامنة في باطن الإنسان في هذا العالم، ويبعث
ترياقها أو سمها في كيانه تأثيرا خفيا، وأما في العالم الأخروي فلن يظل الأمر هكذا،
بل كل هذه الأحوال سوف تنكشف انكشافا واضحا. ونجد مثال ذلك في عالم
الرؤيا، فإن الحالة الغالبة على الجسم تترأى في عالم المنام في صورة متجسدة. فمثلا
كثيرا ما يرى المريض في منامه النار ولهيبها قبيل إصابته بالحمى، ويرى المصاب
بالإنفلونزا والزكام والرشح أنه في الماء. وبذلك، فإن حالة المرض التي يتهيأ لها الجسد
تتمثل كفياتها في عالم المنام.

فبالندبر في عالم المنام يستطيع كل إنسان أن يدرك أن هذه السنة جارية في
الآخرة أيضا. فكما أن المنام يُحدث فينا تغييرا معينا ويرينا الحالة الروحية في صورة
متجسدة كذلك يحدث في ذلك العالم، فتتمثل يومئذ أعمالنا ونتائجها أمانا في

صور محسوسة، ويلوح على وجوهنا بوضوح كل ما نكون قد اصطحبناه من هذا العالم في صورة خفية. وكما أن النائم يوقن بأن ما يراه من تمثلات شتى أمورٌ حقيقية، ولا يتوهم أبداً أنها تمثلات، كذلك يحدث في ذلك العالم، بل الواقع أن الله سوف يظهر قدرته الجديدة يومئذ بواسطة التمثلات لأنه تعالى هو القدرة الكاملة. والحقيقة أنه لو سمينا هذه التمثلات خلقاً جديداً أو حياة جديدة تَمَّتْ بقدرة الله تعالى لكان قولنا صحيحاً في الواقع. يقول عليه السلام: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٨). يعني لا تدري أية نفسٍ صالحةٍ النعيم الذي أُخفي لها في عالم الآخرة. لقد وصف الله هنا جميع نِعَم الآخرة بأنها مخفية عنا.. لا مثال لها في النعم الدنيوية. والواضح أن نعم الدنيا غير خفية علينا، فإننا نعرف اللبن والرمان والعنب ونأكل منها دوماً. فيتبين من ذلك أن نِعَم العالم الثاني هي غير ما في هذا العالم، وإنما تشترك مع هذه في الاسم فقط. فمن ظن أن الجنة هي موجودات هذه الدنيا فلم يفهم من القرآن حرفاً.

يقول سيدنا ومولانا ونبينا عليه السلام في شرح الآية المذكورة وهو يصف الجنة ونعيمها: "أَعَدَّ الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، مع أننا نرى نِعَم الدنيا بأعيننا، ونسمع عنها بأذاننا، وهي تمر بخواطرنا. فما دام الله ورسوله يصفان نعيم الفردوس بكونه شيئاً غريباً نكون قد انخرطنا عن القرآن انحرافاً كبيراً لو ظننا أن في الجنة أيضاً لبنا مادياً كالذي يُحلب من البقر والجاموس. وكأنما يكون فيها قطعان من حيوانات حلوبة! وكأن النحل تكون قد بنت هنالك في الأشجار كثيراً من البيوت، والملائكة يبحثون عنها ويشتارون منها العسل ويصبّونه في الأنهار! هل هناك أية علاقة بين أفكار كهذه وبين ذلك التعليم السامي الذي تنطوي عليه آيات عديدة تعلن أن تلك الأشياء لم ترها الدنيا قط، وأنها تنير الروح وتزيد معرفةً بالله، وأنها أغذية روحانية. هذه الأغذية - وإن كانت قد صُوِّرت لنا بصورة مادية - إلا أن الله قد نَبّه أيضاً إلى أن منبعها هو الروح والصدق.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي بَشِّرِ المؤمنين الذين يقومون بأعمال صالحة، ولا يوجد فيهم ذرة من الفساد أنهم ورثة الجنة التي تجري من تحتها الأنهار، وأنهم كلما نالوا من ثمار تلك الأشجار التي قد نالوا منها في الدنيا أيضا قالوا إنها الثمار نفسها التي أوتيناها من قبل، لأنهم سيجدون هذه الثمار شبيهة بالثمار الأولى. ولا يظن أحد أن الثمار الأولى في الآية تعني نعمة مادية من هذه الدنيا. كلا، إنه خطأ فاحش ومخالف تماما لمفهوم الآية ومغاير لمعناها البديهي. وإنما المراد الإلهي من الآية أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات قد غرسوا بأيديهم جنَّة أشجارها الإيمان وأنهارها الأعمال الصالحة، وسيأكلون من ثمار هذه الجنة نفسها في الآخرة، وتكون ثمارها يومئذ أبرز صورةً وأحلى طعما. وبما أنهم يكونون قد أكلوا من هذه الثمار من قبل في الدنيا بصورة روحانية، لذلك سوف يعرفونها في الدار الآخرة، ويقولون: يبدو أنها الثمار نفسها التي سبق أن أكلناها، إذ يجدونها مشابهة لغذائهم الأول.

فالآية المذكورة تبين بصراحة أن الذين كانوا في الحياة الدنيا يتغذون بغذاء المحبة الإلهية، سيُرزقون هذا الغذاء يوم الآخرة رزقا متجسدا. وبما أنهم يكونون قد ذاقوا لذة الحب والوداد وعرفوا كيفيتها، لذلك تتذكر أرواحهم ذلك الزمن الذي كانوا ينجون فيه حبسهم الحقيقي بحب وولِّه، وكانوا يستمتعون بذكره، منفردين في الزوايا والخلوات وظلمات الليل. فلا ذكر هنا للأغذية المادية أبدا.

ولن خطر ببال أحد أنه ما دام العارفون قد رزقوا من هذا الغذاء الروحاني في الدنيا وكانوا يعرفونه فكيف يصح وصف نعيم الآخرة بأنه ما لم يره أحد أو لم يسمع عنه أحد أو لم يخطر بقلب بشر؟ فذلك يستلزم تناقضا بين الآيتين المذكورتين؟

فالجواب: إنما يتحقق التناقض إذا كان المقصود من كلمات الآية نعيم الدنيا، ولكن ليس المراد هنا نعيم الدنيا، بل كل ما يتلقاه العارف هنا بطريق العرفان إنما

هو في الحقيقة من النعيم الأخروي، الذي يوهب له منه شيء ههنا على سبيل العينة ترغيباً وتشويقاً.

اعلموا أن الإنسان الرباني ليس من هذه الدنيا، ومن أجل ذلك تمقته الدنيا؛ بل هو من السماء لذلك يُعطى النعمة السماوية. الإنسان الدنيوي ينال نعم الدنيا، والإنسان السماوي يظفر بالنعمة السماوية. فالحق كل الحق أن النعيم السماوي قد أُخفي تماماً عن أسمع الدنيا وأبصارها وقلوبها. ولكن الذي طرأ الموت على حياته الدنيوية وسُقِيَ بالطريقة الروحانية تلك الكأس التي سوف يُسقاها في الآخرة مادياً، سيتذكر شربه الأول عندما تقدم له الكأس نفسها. ومن الحق أيضاً أنه سوف يجد أن باصرة الدنيا وسامعتها كانتا في غفلة عن ذلك النعيم، ولكن بما أنه كان في الدنيا - وإن لم يكن منها- لذا سوف يشهد أن ذلك النعيم الأخروي ليس من نعم الدنيا، إذ لم تر عينه في الدنيا مثل هذه النعمة، ولم تطرق سمعه، ولم تخطر على قلبه، وإنما رأى نماذج نعمة الحياة الآخرة، التي لم تكن من هذه الدنيا، وإنما كانت بمنزلة بشير بالعالم الأخروي، وكانت ذات صلة به، ولم تكن تمت إلى الدنيا بصلة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٦-٤٠٠)

حقيقة العبادة أن يتخلص الإنسان من كل ما فيه من شدة وقسوة وعوج، ويمهّد أرض قلبه وينقيها ويصفيها كما يمهد المزارع أرضه وينقيها ويصفيها ويسويها. تقول العرب: مَوَّرَ مَعْبَدًا، أي كما يُدَقُّ الكُحْلُ دَقًّا وَيُجَعَّلُ ناعماً صالحاً لِكُحْلِ العيون، كذلك حين تُصَفَّى أرض القلب وتُنَقَّى، ولا يبقى فيها حجر ولا حصى ولا عوج، وتصير ممهّدةً مستوية تماماً كأنما لم يبق فيها إلا الروح فقط، فهذا ما يسمّى العبادة. إن المرأة إذا ما تم إصلاحها وتصفيتها وصقلها على هذا النحو ظهرت فيها الصورة، كذلك لو سُويت الأرض على هذا النحو أنبتت أنواع الفواكه والثمار. فالإنسان

^١ ورد في القواميس: المَوَّر هو الطريق والتراب. والمور المعبّد هو الطريق الموطوء المذلّل المُستوي بكثرة الوطاء، أو التراب الناعم اللين، أو الشيء اللين. (الناشر)

الذي خُلِقَ للعبادة إذا ما طَهَّرَ قلبه وصفَّاه، ولم يترك فيه عوجاً أو نتوءاً أو حجارة أو حصى وما إلى ذلك، ظهر الله في قلبه.

وها إني أقول مرة أخرى ستنبت في قلبه أشجار حب الله تعالى وستنمو وتحمل ثماراً حلوة وطيبة، وتكون مصداقاً لقول الله تعالى ﴿أَكُلْهَا ذَائِمًا﴾ (الرعد: ٣٦). اعلّموا أن هذا هو المقام الذي ينتهي إليه سلوك الصوفية. عندما يصل السالك إلى هذا المقام لا يرى إلا تجلي الله تعالى، ويصبح قلبه عرش الله، وينزل الله عليه. إن منازل السلوك كلها تنتهي هنا، أي أن تستوي أرض تعبد الإنسان وتصبح صالحة لكي تنبت فيها حدائق غناء من الروحانية، ويرى الله فيها كما يرى الوجه في المرآة. عند الوصول إلى هذا المقام يرى الإنسان نموذج الجنة في هذه الدنيا، ويستمتع بلذة القول: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ (البقرة: ٢٦). باختصار، إن إصلاح حالة التعبد هو ما يسمّى العبادة. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٦، العدد ٢٤/٧/٢٠١٩م، ص ٩)

كلما ذكر القرآن الكريم الجنة ذكر الإيمان أولاً، ثم أتبعه ذكر الأعمال الصالحة، وقال إن جزاء الإيمان والأعمال الصالحة هو ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، أي أن جزاء الإيمان هو الجنة. ولأن بقاء الجنة خضرةً نضرةً على الدوام بحاجة للأثمار، فتلك الأنهار نتيجة للأعمال الصالحة. والحق أن الأعمال الصالحة نفسها ستتمثل في العالم الأخروي أنهاراً جارية.

ونرى في الدنيا أيضاً أنه كلما تقدم الإنسان في الأعمال الصالحة، واجتنب معصية الله، ونبت التمرد والاعتداء على حدود الله، ازداد إيماناً، وأن كل عمل صالح جديد يزيده رسوخاً وثباتاً، ويجعل قلبه أشدَّ قوة واستمتاعاً بذكر الله تعالى، حتى تنشأ في قلب المؤمن -نتيجة هبة الله وفيضه- حالة من حب الله وعشقه بحيث يمتلئ كيانه كله بهذا الحب والسرور كالكأس المترعة، وتحيط أنوار الله بقلبه، وتزيل عنه كل ظلمة وضيق وانقباض، ولا تقدر المصائب والكروب التي تحلّ به في سبيل

الله على تشتيت ذهنه وانقباض قلبه ولو للحظة واحدة، بل تصوير بنفسها لذّة ومتعة له. وهذه هي آخر درجات الإيمان.

وأنواع الإيمان الأولية سبعة أيضا، ثم هناك درجة أخيرة تُعطى كهبة من الله تعالى، ولذا هناك سبعة أبواب للجنة أيضا، والباب الثامن يُفتح بفضل الله تعالى فقط.

باختصار، تذكروا أنه لن تكون في ذلك العالم جنة جديدة ولا جحيم جديد، بل هما نتيجة لإيمان الإنسان وأعماله. هذه هي فلسفتهم الحقيقية. ليس منهما شيء يناله الإنسان من الخارج، بل كلاهما ينبع من داخله. تكون الجنة للمؤمن في هذه الدنيا بكل الأحوال، وهذه الجنة الموجودة في الدنيا تكون بحكم الجنة الموعودة له في الآخرة. فما صدقَه وأوضحَه من بيان بأن جنة كل امرئ هي إيمانه وأعماله الصالحة التي يبدأ في الاستمتاع بلذتها في هذه الدنيا، ثم يتراءى له هذا الإيمان والأعمال الصالحة في الآخرة حدائق وأنهارا.

أقول والحق أقول بناءً على تجربتي الشخصية إن هذه الحدائق والأنهار تتراءى للإنسان في هذا العالم، وسيشعر بها في العالم الثاني بصورة أوضح، كذلك ستكون الجحيم نتيجة عدم إيمان المرء وسوء أعماله. فكما أن الله تعالى ضرب مثل العنب والرمان وغيرهما من الأشجار الطيبة في الجنة، كذلك ذكر أنه ستكون شجرة الزقوم في الجحيم. وكما أنه ستكون في الجنة أنهار وسلسيل وأنهار زنجبيلية وكافورية، كذلك ستكون في الجحيم أنهار من ماء حميم وصديد.

والتأمل في هذا الأمر يكشف جليا أنه كما ينشأ الإيمان في المرء بتواضعه وعدم تعصبه لرأيه، كذلك يتولد فيه الإلحاد نتيجة كبره وأنانيته، وبالتالي ستكون له شجرة الزقوم في الجحيم. إن سوء الأعمال والتجاسر المتولد نتيجة الكبر والعجب هو الماء الحميم أو الصديد الذي سيعطاهما أهل جهنم.

فمن هنا صار واضحا جدا أن حياة الجنة تبدأ من هذه الدنيا، كما أن الإنسان يأخذ حياة الجحيم أيضا معه من هذه الدنيا نفسها. لقد قال الله تعالى عن الجحيم:

﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة: ٧-٨)، أي أن الجحيم نارٌ منبعها غضبُ الله، وهي نتيجة الإثم، وهي تسيطر على القلب أولاً. لقد تبين من هنا بوضوح أن أساس هذه النار هي تلك الهموم والغموم والحسرات التي تحيط بالإنسان، ذلك لأن كافة أنواع العذاب الروحاني تبدأ من القلب، كما أن كافة أنواع السرور والروحانية منبعها القلب، بل الحق أنها يجب أن تبدأ بالقلب أصلاً، لأن القلب هو منبع الإيمان أو الإلحاد. إن نبات الإيمان أو الإلحاد يطلع من القلب أولاً، ثم يعمل عمله في سائر الجسم والأعضاء، ويحيط بالجسد كله.

باختصار، تذكروا أن الإنسان يأخذ الجنة أو الجحيم معه من هذه الدنيا نفسها. ولا يغيب عن البال أيضاً أن الجنة والجحيم ليستا كالدنيا المادية، بل مبدؤهما ومنشؤهما أمور روحانية، غير أنهما ستترآيان في عالم المعاد متمثلة بصورة مادية حتماً. هذا موضوع هام جداً، وقد أخطأت كل الأمم في فهمه، وكانت نتيجة فشلهم في فهم حقيقته أن أنكر بعضهم وجود الله تعالى، واعتنق بعضهم عقيدة التناسخ، واختلق البعض شيئاً، والآخر شيئاً آخر. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٤٢، العدد ١٧/١١/١٩٠١م، ص ١-٢)

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. لقد شبه الله تعالى هنا الإيمان بالجنة، والأعمال الصالحة بالأنهار. إن العلاقة بين الأعمال الصالحة والإيمان هي كالعلاقة بين النهر الجاري والأشجار. فكما لا يمكن أن تبقى حديقة خضراء أو تحمل ثماراً بدون الماء كذلك لا ينفع الإيمان ولا يفيد ما لم ترافقه الأعمال الصالحة. ما هي الجنة؟ هي مشاهد الإيمان والأعمال الصالحة المتجسدة. وهي، مثل الجحيم، أيضاً ليست شيئاً خارجياً، بل إن جنة الإنسان أيضاً تتبع من داخله. اعلّموا أن السعادة التي تُنال في الآخرة هي النفس الطيبة التي تُصنع في الدنيا. الإيمان يشبه شجرة طيبة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة هي بمنزلة الأنهار التي تسقي هذه الشجرة والتي تحافظ على خضرتها ونضرتها. إن مثلها في هذه

الدنيا كمثال الأحلام، ولكنها ستكون محسوسة مشهودة في ذلك العالم. لذلك عندما ينال أهل الجنة هذه الإنعامات سيقولون: ﴿هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾. ولكن ليس المراد من ذلك أن الأشياء التي نأكلها في الدنيا كاللبن أو العسل أو العنب والرمان وغيرها سنعطأها نفسها في الآخرة أيضا. كلا، بل إن تلك الأشياء ستكون مختلفة تماما نوعية وحالة، غير أن الاسم فقط هو القاسم المشترك بينها. لقد رُسمت هذه النعم كلها بصورة مادية، ولكن جاء في صفتها أيضا بأنها ستثير الروح وتولد معرفة الله، ومنبعها ومصدرها هي الروح والصدق. فلاستنتاج من كلمة ﴿رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ بأنها نعم دنيوية باطل تماما، بل المراد من قول الله تعالى هذا أن المؤمنين الذين عملوا الأعمال الصالحة قد خلقوا لأنفسهم جنة بأيديهم يأكلون ثمارها في العالم الآخر أيضا. ولما كانوا قد أكلوها في الدنيا أيضا روحانيا، فسيعرفونها في ذلك العالم وسيقولون إنها تبدو الثمار نفسها. وهي في الحقيقة أنواع التقدم الروحاني التي أحرزوها في الدنيا، لذا سيعرفها هؤلاء العابدون والعارفون.

أقول مرة أخرى وبوضوح أكثر إن هناك في الجنة والجحيم فلسفة قائمة على الأساس الذي بيّنته آنفا. ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن العقوبات الدنيوية إنما هي للتنبيه والعبرة أساسا.

وهناك علاقة بين السياسة والرحمة، والجزاء والعقوبة هي أظلال تلك العلاقة. إن أفعال الإنسان وأعماله تُحفظ وتسجل كما يُحفظ الصوت في آلة التسجيل. فما لم يكن الإنسان عارفا لا يستطيع أن يستمتع أو يستفيد من التدبر في الأمر. (الحكم، المجلد ٦، رقم ١، العدد ١٠/١/١٩٠٢م، ص ٥-٦)

ورد بحق أهل النار أنهم سيعطون زقوما للأكل، وأهل الجنة مقابلهم سيتمتعون بأنهار العسل واللبن وأنواع الفواكه، فما سر ذلك؟

الحقيقة أن هذين الأمرين وردا متقابلين: في موضع يقول الله بعد ذكر الجنة أيضا ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾

(البقرة: ٢٦)، فليس المراد من "رزقنا من قبل" أنهم سيتذكرون المانجو والشمام والفواكه الأخرى واللبن والعسل الماديين. كلا، بل الحقيقة أن المؤمنين حين يعبدون الله تعالى بحب وإخلاص سوف يتذكرون عند الفوز بالفواكه في الجنة اللذة التي يجدونها في هذا الحماس والشوق، وسيقولون في أنفسهم لقد متّعنا الله بمثل هذه اللذات اللذيذة من قبل أيضا. فلما كانت الحياة الفردوسية تبدأ من هذا العالم حصرا لذا يبدأ الحصول على تلك النعم أيضا في هذا العالم. وإلا قد ورد عن نعماء الجنة أنها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. فما علاقتها إذن بهذه الفواكه المادية؟

لقد شبه الإيمان والأعمال في القرآن الكريم بالأشجار، فقد سمي الإيمان شجرة والأعمال بمنزلة أنهار تسقيها، فما لم تُسقَ شجرة الإيمان بماء الأعمال لا تحمل ثمارا حلوة. صاحب الحياة الفردوسية يتلذذ بذكر الله ﷻ كل حين وآن. أما الشقي الذي حياته جهنمية فهو يأكل الزقوم في هذا العالم أيضا كل حين وآن. وتكون حياته مرة فهي التي سميت ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أيضا، وهي التي ستمثل في الزقوم يوم القيامة. باختصار؛ هناك علاقات متبادلة في كلتا الحالتين. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٣٠، العدد ١٧/٠٨/١٩٠٣ م، ص ١٠)

لا يُنال شيء دون الفضل الإلهي. فالذي نال الفضل في هذه الدنيا هو الذي سيناله في الآخرة أيضا، كما قال الله ﷻ ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ (الإسراء: ٧٣)، ولذلك من الضروري أن يسعى الإنسان للحصول على هذه الحواس التي ينال بها الحياة الفردوسية في هذا العالم بالذات، وتلك الحواس لا تنال إلا بالتقوى. لا يستطيع الإنسان أن يرى الله بهذه العيون المادية لكنه يستطيع أن يراه بعيون التقوى. فإذا تحلى بالتقوى فسوف يشعر أنه يرى الله وسوف يأتي يومٌ يقول فيه بنفسه إني قد رأيت الله. وتفصيل هذه الحياة الفردوسية التي يكسبها المتقي في هذه الدنيا مذكورة في موضع آخر من القرآن الكريم حيث ورد ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٦) فعندما يجدون

في العالم الآخر ثمار هذه الأشجار التي كانوا قد وجدوها في الحياة الدنيا سلفا سيقولون إنها نفس الثمار التي أوتيناها من قبل، لأنهم سيجدونها متشابهة. فليس المراد منه قطعاً أن النعم التي أكلوها في الدنيا مثل اللبن والعسل والسمن والرمان والأعنان سيجدونها نفسها في الجنة أيضاً، وأنه لتوفير هذه الأشياء ستكون في الجنة الحدائق والأشجار والبستانيون والثيران وقطعان البقر والجواميس وتكون على الأشجار طوائف نحل العسل، حيث يؤخذ منها العسل ليقدم لأهل الجنة، فكل هذه الأفكار باطلة. إذا كانوا سيجدون في الجنة النعم التي قد وجدوها في الدنيا أيضاً فما الفرق بين المؤمنين والكفار، فالكفار والمشركون أيضاً شركاء فيها، فما هي ميزة الجنة إذن. لكنه ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أن نعم الجنة أشياء لم ترها عينٌ، ولا سمعت عنها أذنٌ، ولم تخطر على قلب بشر. أما النعم المادية فقد رأتها جميع العيون وسمعتها الآذان، وتخطر ببال البشر أيضاً. فمن هنا يستشف أن نعم الجنة قد ذكرت في الصبغة المادية تماماً، لكنها في الحقيقة أمور مختلفة، وإلا ما معنى ﴿رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ؟﴾ وإنما معناه ما تعنيه الآية ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾. وفي موضع آخر يقول القرآن الكريم ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (الرحمن: ٤٧)، أي كل من يخاف الله ويخشى مرتبة عظمتة وجلاله، فله جنتان، إحداها هذه الدنيا نفسها والأخرى هي الآخرة. فالذين ينشدونه ﷻ بعد إفناء أنفسهم بصدق القلب والإخلاص في سبيله وبعبدونه، هم يشعرون في ذلك بلذة، وينالون الأطعمة الروحانية التي تنور الروح وتزيد معرفتهم بالله. لقد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: حين يصبح الإنسان عارفاً، يفقد ثواب الصلاة. فلا يعني ذلك أن صلاته في هذه المرحلة لا تُتقبل عند الله، وإنما معناه أنه لما كان قد بدأ يشعر اللذة، فالأجر الذي كان مقدراً له عند الله قد بدأ يناله في هذه الدنيا. فمثلاً إذا كان شخص يخلط الثلج وزكّي المنكّهات في الحليب ويشربه، فهل يمكن أن نقول أنه سينال الثواب؟ فقد نال لذته هنا. فرضوان الله وقبول العمل أمراً،

والثواب أمر آخر تماما. كل كلمة تطلق في سياقها، وانطلاقا من هذا قال الشيخ عبد القادر رحمه الله أن العارف يفقد ثواب الصلاة. فأهل الحال يكونون وهم في مكانهم في الجنة، وعندما تنشأ للإنسان العلاقة الكاملة بالله ﷻ، تُرفع من عنقه كل الأوزار والأغلال. فاللذة التي توهب للإنسان من الله عند عبادته مختلفة تماما عن التي يجدها في الأكل والشرب والجماع وغيرها من الأعمال. فقد ورد أن العارف حين ينشغل في عبادة ربه ومناجاته بعد إغلاق الباب عليه فهو يكون حريصا جدا على إخفاء هذه الحالة، فلا يرغب بأي حال من الأحوال أن يطلع عليها أحد، وإذا فتح أحدهم الباب ودخل إليه يصاب باضطراب وخجل كزانٍ إذا ضُبط متلبسًا. فحين تبلغ لذته هذه الدرجة يكون في حال مختلف. وتذكرُ لذلك الحال سيقول في الجنة ﴿رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾، فأساس الحياة الفردوسية توضع في هذه الدنيا نفسها بالذات. وبعد الموت عندما يدخل الإنسان الجنة سيتذكر هذه اللذة والكيفية، فيجب أن يتحرى هذا الأمر كلُّ طالب. (بدر، المجلد ٢، رقم ٤٣، العدد ١٦/١١/١٩٠٣م، ص ٣٣٤-٣٣٥)

لقد وعد الله تعالى في القرآن الكريم أن الصالح يدخل الجنة بعد الممات. يبدو في الظاهر أن هذا الوعد حكاية محضة. ولكنها ليست حكاية فقط وإن ذكرت بصورة الحكاية. الحق أن العرب كانوا كالأطفال في الإلهيات والروحانيات لذا فقد اختار الله تعالى أسلوب الاستعارة بغيّة تقريب الأمر إلى الفهم. وقال في آية أخرى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (الرعد: ٣٦) أي كل ذلك إنما هو مثال تلك الجنة. وقال في مقام آخر على لسان النبي ﷺ: لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ. أي لن تكون هنالك أنهار اللبن والعسل الدنيوي. ثم قال: ﴿وَيَبْشِرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقال أيضا: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: ٢٥). فقد وضّح الله تعالى هنا أن الإيمان بمنزلة البذرة والشجرة، والأعمال إنما هي للري. (بدر، المجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ٢٥/٦/١٩٠٨م، ص ٤-٥)

في هذه الآية؛ مقابل الإيمان والأعمال الصالحة نجد الجنات والأنهار، أي نتيجة الإيمان هي الجنة ونتيجة الأعمال الصالحة هي الأنهار، فكما أن البستان يبذل عاجلا دون نهر وماء، ولا يعيش طويلا، فكذلك الإيمان دون الأعمال الصالحة عقيم. وكذلك في آية أخرى شبه الإيمان بالأشجار وقال إن الإيمان الذي يُدعى إليه المسلمون هو أشجار ترويضها الأعمال الصالحة. باختصار، قدر ما تدبرتم في هذا الأمر انكشفت عليكم المعارف. فكما يجب على الفلاح أن يبذر، كذلك يجب على الفلاح الروحاني بذر الإيمان، ثم كما يسقي الفلاح الحقول والزرع والبستان ثمة حاجة لسقي هذا البستان الروحاني -وهو الإيمان- أيضا بماء الأعمال الصالحة. تذكروا أن الإيمان بدون الأعمال الصالحة عديم الجدوى كما يكون البستان الرائع دون مياه الأنهار ووسائل الري الأخرى عديم الجدوى. فمهما كانت الأشجار رائعة ومثمرة ومن نوع رائع، حين يغفل مالكها عن ريها يجد النتيجة واضحة جلية. وهذا هو حال شجرة الإيمان في الحياة الروحانية. الإيمان شجرة والأعمال الصالحة بمنزلة الأنهار لريها روحانيا، ثم كما يجب على كل فلاح أن يبذل جهودا إضافية على البذر والري، كذلك جعل الله المجاهدات ضرورية للحصول على الثمار الطيبة للفيوض والبركات الروحانية. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ٥)

لقد ذكر الله تعالى العمل الصالح أيضا في القرآن الكريم مع الإيمان. المراد من العمل الصالح هو ما ليس فيه شائبة من الفساد. اعلّموا أن المراد من العمل الصالح ألا تشوبه أدنى شائبة من الفساد. اعلّموا يقينا أن اللصوص يحاولون دائما أن ينهبوا أعمال الإنسان. وما أدراك ما تلك اللصوص؟ منها الرياء؛ حين يعمل الإنسان لإراءة الآخرين، ومنها العُجب؛ أي يفرح المرء في نفسه بعد القيام بعمل ما. ومنها أنواع عدة من سوء الأعمال والذنوب التي تصدر منه فتبطل بها الأعمال. والعمل الصالح هو الذي لا تشوبه شائبة من الظلم والعُجب والرياء، والكبر وإتلاف حقوق الناس. فكما ينال الإنسان النجاة في الآخرة بناء على الأعمال الصالحة كذلك تماما

ينالها في الدنيا. إذا كان في البيت شخص واحد ذو أعمال صالحة يُنقذ البيت كله. اعلّموا أنه لا فائدة من الإيمان ما لم تكسبوا أعمالاً صالحة. (بدر، مجلد ١، رقم ٩، عدد ١٢/٢٦/١٩٠٢م، ص ٦٦)

تذكروا جيداً أنه ما لم تمارس هذه الأعمال بصدق القلب والروحانية فلن تفيد، ولن تغني عن شيء. إنما تسمى الأعمال صالحةً حين لا يشوبها أي نوع من الفساد، إن نقيض الصلاح الفساد، فالصالح ما تبرأ وتنزه من الفساد. فالذين في صلاتهم فساد وتكمن فيها الأغراض النفسانية، فليست صلواتهم لله تعالى حتماً، وهي لا ترتفع عن الأرض قيد شبر، لأنها تخلو من روح الإخلاص والروحانية. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١، عدد ١٠/١٠٤/١٩٠٤م، ص ٢)

العمل الصالح لا يتأتى باقتراحنا وقرارنا. فالأعمال الصالحة في الحقيقة تلك التي ليس فيها أي نوع من الفساد، لأن الصلاح ضد الفساد، فكما أن الغذاء يصبح طيباً عندما لا يكون نيباً ولا محترقاً، ولا يكون من نوعية رديئة، بل ينبغي أن يكون من نوع يصير جزءاً من البدن فوراً. وعلى غرار ذلك من الضروري ألا يكون في العمل الصالح أيضاً أي نوع من الفساد، أي يكون بحسب أمر الله وموافقاً لسنة النبي ﷺ، ثم لا يكون مشوباً بأي نوع من الكسل والعجب والرياء، ولا يكون من اقتراح النفس، فإذا تحقق كل ذلك فيسمى عملاً صالحاً، وهذا كبريت أحمر. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٤-١٥، عدد ٣٠/٤/١٩٠٤ و ١٠/٥/١٩٠٤م، ص ١)

كذلك ورد ذكر بقاء أهل الجنة الدائم فيها في آيات أخرى من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٣) وغيرها. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨١)

الفلّاح الأخرى لا يُنال بغير الأعمال الصالحة، وأن تُكسب الأعمال الصالحة بالمشقة وعلى عكس أهواء النفس. لقد جرت عادة الله أنه إذا عقد المرء عزمًا صميماً على عمل من الأعماق يُعطى قوة لإنجازه، فينبغي على الإنسان أن يتوجه

إلى الأعمال بالعزم الصميم والعهد الوثيق. (مكتوبات أحمد، المجلد ٥، رقم ٥، ص ٦٠، مكتوب رقم ١٦ إلى منشي ظفر أحمد ﷺ)

يجب ألا يفهم من ذكر أنهار اللبن والعسل في الجنة أنه سيكون هنالك قطع من البقر وكثير من الحلابين الذين سيحلبون اللبن باستمرار ويصبونه في الأنهار، أو تكون هناك أقراص عسل كثيرة ويشار العسل منها ويصَّب في الأنهار. هذا ليس بالمعنى. وما كشف الله تعالى عليّ هو أن الأمر لن يكون كذلك، فلو كان هنالك الشمام والبطيخ والرمان نفسه فما معنى ذلك؟ الكفار أيضا يستطيعون القول بأننا أكلناه في الدنيا وأنتم ستأكلونه في الآخرة. حقيقة هذا الأمر التي كشفها الله تعالى علي هي أنه قال في القرآن الكريم: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ففي هذه الآية شبه الله تعالى الإيمان بالساتين التي تجري من تحتها الأنهار، وقد بين فيها حقيقة الجنة أن مثل علاقة الأعمال بالإيمان كممثل علاقة البستان بالأنهار. فكما لا يمكن أن تبقى حديقة أو شجرة مخضرة بغير الماء كذلك لا يمكن أن يبقى الإيمان حيا وقائما دون الأعمال الصالحة. إذا لم ترافق الإيمان أعمالاً صالحة فلا معنى له، وإذا كانت الأعمال دون الإيمان فإنها رياء. الجنة التي قدمها القرآن الكريم حقيقتها وفلسفتها أنها ظلُّ الإيمان والأعمال المكتسبة في هذه الدنيا. وجنة كل شخص تبدأ بأعماله وإيمانه، ويشعر المرء بلذتها ومتعتها في هذه الدنيا وتترأى حدائق الإيمان والأعمال وأنهارها سرّاً. ولكن الحدائق نفسها ستترأى في العالم الآخر بوضوح ويتراءى وجودها الخارجي. يتبين من القرآن الكريم أن الإيمان يُسقى بالأعمال الصالحة ويجف بدونها. إذن، فقد بين هنا أمرين اثنين، الأول: أن الجنة بمنزلة حديقة، والثاني: تلك الأشجار تُسقى بالأنهار. اقرؤوا القرآن وتدبروا فيه من البداية إلى النهاية عندها ستتمتعون بهذه الحقيقة. لا أقدم الاستعارة أو المجاز قط بل هذه هي حقيقة الأمر. الله الذي خلق الإنسان من العدم وهو قادر على الخلق من جديد سيجعل إيمان الإنسان يتمثل في الأشجار حتما وأعماله في

الأنهار، وسيُريها على وجه الحقيقة، أي سيتراءى وجودها في الخارج أيضا. يمكن أن يفهم ذلك من خلال مثال موجز أنه كما يأكل الإنسان فاكهة لذيذة في الخُلم ويشرب ماء باردا وزلا لا وتكون الفاكهة لذيذة والماء باردا في الواقع، فلا يخطر بباله حينذاك أمر آخر، فيشبع بأكل الفواكه ويخمد ظمأه فعلا بشرب الماء، ولكنه عندما يستيقظ لا تكون الفواكه موجودة ولا الماء. فكما يخلق الله تعالى هذه الأشياء في الحالة المذكورة كذلك سيجعل الإيمان والأعمال الصالحة متمثلة في عالم الآخرة كما يقول: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾. لو استنبطنا من ذلك معنى أن أهل الجنة عندما يأكلون هذه الثمار والفواكه سيقولون إن تلك الفواكه والشمام أو البطيخ أو الرمان هي نفسها التي أكلناها في الدنيا فهذا الاستنباط ليس صحيحا، لأننا في هذه الحالة لن تكون ممتعة، وفي ذلك استخفافٌ بنعماء الجنة. فمثلا إذا سافر أحد إلى كشمير وأكل فيها الإجاص وقال بأنه الإجاص نفسه الذي أكله في البنجاب لكان ذلك استخفافا واضحا به. فإذا كان هذا هو مثل نعماء الجنة أيضا فهذه ليست بسعادة بل تبرُّم منها. لذا ليس هذا هو المعنى والمراد من ذلك، بل المراد هو أن أهل الجنة هؤلاء الذين كانوا عابدين وزهادا كبارا في الدنيا عندما يستمتعون بما تمثّل من أعمالهم الصالحة ينالون تلك اللذة الإيمانية ومنتعة المجاهدات والأعمال الصالحة التي كسبوها في هذا العالم فيقولون: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٦).

فبقدر ما سيقرأ القرآن الكريم أحدٌ يتدبر وإمعان سيعرف هذه الحقيقة بالقدر نفسه وسيفيد من هذه اللذات بصورة تمثيلية. إن حبّ الله لذات. المفهوم الذي تتضمنه كلمة اللذة يوجد في اللذة الروحانية أكثر من اللذة المادية بآلاف المرات. لو لم يستمتع الإنسان بهذا الحب بصورة خارقة فلماذا يترك أحبّاء الله الملذات المادية؟ كان هناك مَنْ تركوا الحكومة أيضا مثل إبراهيم أدهم. وتحمل الأنبياء عليهم السلام مئات المصائب بل الآلاف. فلو لم تكن المتعة والذوق كامنين في حب الله الذي

كان يجذبهم بكل حب وشوق لماذا تحملوا كل هذه المصائب بكل سرور وسعادة؟ لما كان النبي ﷺ يفوق الجميع من هذه الناحية كانت أسوته أيضا أفضل وأعلى من الجميع. عرض كفار مكة عليه ﷺ كل أنواع النعم والشرف الدنيوي مثل المال والثروة والسلطنة والنساء وطلبوا منه ألا يسب أوثانهم ولا يبلغ دعوة دين التوحيد وينبذ هذه الفكرة. كان هؤلاء القوم أناسا ماديين فلم تتعدّ نظرهم ملذات الدنيا الفانية وعديمة الحقيقة فزعموا أن دعوته قد تكون ناتجة عن هذه الأطماع، ولكنه ﷺ رفض عروضهم كلها وقال: لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري لما تركتُ هذا العمل. ثم آذوه ﷺ مقابل ذلك إيذاء شديدا لا يوجد نظيره في إيذاء أي شخص آخر، ولكنه قبل كل تلك المعاناة بلذة وسرور ولم يترك ذلك الطريق. فلو لم تكن فيه متعة وذوق فلماذا تحمل كل هذه المصائب والمعاناة؟ الحق أنها كانت اللذة نفسها التي تُنال في حب الله تعالى، وليس لأحد أن يقدم مثالها ونظيرها.

لقد أراد الله بإرسال عبد صادق في هذا الوقت أن يؤسس جماعة تحبه ﷺ. إنني أرى أن بعض الضعفاء ينضمون إلى الجماعة ثم عندما يتلقون تهديدا وإن كان بسيطا أو خوْفهم الناس يكتبون إلي أننا قمنا بالتقية. ولكن قولوا بالله عليكم، هل كان الأنبياء يقومون بهذا النوع من التقية؟ كلا، إنهم يكونون بواسل ولا يبالون بمصيبة أو معاناة قط ولا يستطيعون أن يخفوا ما يأتون به وإن لم يساندتهم شخص واحد في الدنيا. لا يحبون الدنيا بل يكون محبوبهم الوحيد هو الله. ويحبون أن يُقتلوا في هذا السبيل، لا مرة واحدة بل ألف مرة. من هنا يمكن أن تفهموا أنه لولا المتعة واللذة في العلاقة مع الله فلماذا يتحمل هؤلاء القوم مصائب جمّة؟ اقرؤوا سوانح النبي ﷺ كم آذاه الكفار؟ خططوا لقتله، ذهب ﷺ إلى الطائف وعاد منها مُلْطَحًا بالدماء، واضطر للهجرة من مكة أخيرا ولكن لم يترك ولا للحظة ما كان يكنّه قلبه وما بُعث من أجله. لا يمكن احتمال هذه المصائب والمعاناة ما لم يكن هناك جذب باطني. إذا كان لشخص عادي بضعة أعداء لا يكاد يتحمل أذاهم فيضطر إلى الصلح

معهم أخيرا. أما من كان العالم كله عدوًا له أتى له أن يتحمل هذا العبء ما لم تكن علاقته مع الله قوية؟ العقل لا يقبل هذا.

باختصار، إن لذة حب الله أثقل في الميزان من جميع اللذات الأخرى. فاللذات التي ينالها المرء في الجنة هي اللذات نفسها التي استمتع بها من قبل، ولا يدركها إلا من استمتع بها من قبل.

وإذا سألت عن كيفية تلك النعماء فجوابه واضح بأن الله قادر على خلق جديد. إن وجود الإنسان أيضا عجيب. ما حقيقة النطفة التي يتولد منها؟ ثم فكروا كيف يتولد من تلك النطفة إنسان جميل، عاقل وشجاع. إذن، الله هو الذي سيخلق خلقا جديدا في العالم الثاني. تلك اللذات والثمار ستبدو هي في بادئ الرأي ولكنها ستكون لذينة الطعم لدرجة لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم يتذوقها لسان ولم تخطر ببال أحد.

هناك ميزة أخرى أيضا في لذات الجنة لا توجد في ملذات دنيوية ومادية؛ فمثلا عندما يأكل الإنسان طعاما ينسى الملذات الأخرى كلها. أما متعة الجنة فليست مقتصرة على متعة جسدية فقط بل تمتع الروح أيضا، أي تجتمع في طياتها كلتا اللذتين، ولن تكون فيها كثافة. واللذة الكبرى هي أن المرء سيحظى برؤية الله. ولكن ضروري لرؤية الله أن يستعد لها المرء من هذه الدنيا ويجب أن يصطحب العينين لرؤيته من هذه الدنيا. والذي لا يستعد لها هنا سيحرم هنالك أيضا. (الحكم مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م ص ٩-١٠)

الآية ٢٧: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾، الذين يقومون بتصرفات تنم عن الفسق؛ أي أن الإنسان ينال من الله جزاء أعماله؛ كما أن المرء

إذا فتح نافذة بيته أمام الشمس كان من الطبيعي أن تقع أشعة الشمس وضياؤها على وجهه. ولكن عندما يغلق النافذة يخلق لنفسه الظلام بفعله هو.

لأن الله تعالى علة العلل لذا نسب كلا الأمرين إلى نفسه. ولكنه قد صرّح في كلامه المقدس مرارا وتكرارا أنه حينما تقع ظلال الضلال على قلب أحد إنما تقع نتيجة سوء أعماله والله لا يظلم أحدا مثقال ذرة. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣٣-٢٣٤)

جدير بالانتباه أن أنباء الله تُخفي بعض الأمور وتُظهر بعضها الآخر، ومن النادر جدا أن تُظهر جميع الأمور من كل الوجوه، لأن الله تعالى يريد أن يتلي الناس من بعض الوجوه، وتكون معظم الأنباء مصداقا للآية: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾. لذا فإن المتشبهين بظواهر الأمور يتعرضون للابتلاء وينخدعون عند ظهورها. فالذين يريدون أن تتحقق كل كلمة من كلمات النبوة حرفا حرفا بصورة ظاهرية كما فهموها - وهذا لا يحدث مطلقا - هم الذين ينكرون النبوءات في معظم الحالات ويحرمون من غايتها المتوخاة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٣٣-١٣٤)

واسأل الله حمايته دوما، لأنه خبيثٌ وشقي القلب من لا يخرّ باستمرار على أعتاب الله ﷻ، فيحرم. إن لم يحم الله ﷻ الإنسان تعذر عليه العيش حتى لحظة واحدة. كل شيء من تحت الثرى إلى الثريا مليء بالأعداء فإن لم يحفظه الله ﷻ فما الأمل؟ اسأل الله دوما أن يتبتك على الهدى. إن له إرادتين فقط وهما الإضلال والهدى. كما يقول ﷻ ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٧). فما دام ﷻ يريد الإضلال أيضا فيجب على المرء أن يدعوه دوما ليجنبه الضلال ويهديه. كن لطيفا وهادئ الطبع. فالذي يلطف يتلطف به الله أيضا. الصالح يضع حتى قدمه على الأرض بمنتهى الحذر حتى لا يؤذي حشرة. باختصار، لا تؤذ أحدا بيدك

ولا برجلك ولا بأعضائك الأخرى مثل العيون بأيّ نوع من الإيذاء، وداوم على الدعاء. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٨، عدد: ٢٨/٢/١٩٠٣، ص ١٤-١٥)

الآية ٢٩: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

يأتي على الإنسان زمان يكون فيه نطفة قبل أن يكون له وجود، ثم يمر بالمرحل الست وتوافيه المنية، ثم يُحيا. إنها مسألة مسلّم بها بأن موتا يصيب قبل كل حياة حتما. فخاطب الله تعالى الصحابة في هذه الآية أنه قد مرّ عليهم زمان حين كانوا أمواتا كليا، أي كانوا خائضين في كل نوع من الضلال والظلمة. ثم أُعطوا حياة جديدة بواسطة النبي ﷺ، ثم اكتملوا، ثم حلّ بهم موت الفناء في الله، ثم نالوا مرتبة البقاء بالله ونالوا حياة أبدية. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢ م، ص ١٦)

الآية ٣٠: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لفائدتكم. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٧٥)

أراد أن يخلق آدم، فخلقه في اليوم السادس أي في الجزء الأخير من يوم الجمعة. لأن الأشياء التي كانت قد خُلقت في اليوم السادس قد خُلِق آدم بعدها بحسب النص القرآني، ويبرهن على ذلك ما ورد في سورة "فصلت" بصراحة وهو أن الله خلق سبع سموات في يوم الخميس والجمعة، وفهّم سكان كل سماء أمرهم المتعلق بتلك السماء، وزين السماء الدنيا بقناديل النجوم، كما خلق هذه النجوم لأن أمور حفظ العالم الكثيرة كانت تتوقف عليها. هذه تقادير الله العزيز العليم. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧ ص ٢٧٧-٢٧٨، الحاشية)

الآية ٣١: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

من الثابت المتحقق أن الله القادر على كل شيء لم يجعل الحوادث في العالم محصورة ومحدودة على هذه السلسلة الظاهرية فقط بل أجرى إلى جانبها سلسلة باطنية أيضا. خذوا مثلا الشمس والقمر أو الأرض أو بخار الماء الذي ينزل مطرا أو العواصف العاتية أو البرد التي تنزل على الأرض أو الشهب الثاقبة التي تسقط، فمع أن كل هذه الأشياء مصحوبة في أعمالها وتغيراتها وتحولاتها وحدوثها بالأسباب الظاهرية أيضا التي تملأ دفاتر علماء الأفلاك والطبيعة، ولكن مع كل ذلك يعرف العارفون أن هناك أسبابا أخرى تحت هذه الأسباب وهي التي تدير الأمور، وتُسمى بتعبير آخر: "الملائكة" الذين إذا كانوا على علاقة مع شيء يوصلون أموره إلى منتهاها. وينتبهون دائما في أمورهم إلى الأهداف الروحانية التي كلّفهم الله بها. لا تكون أعمالهم لاغية بل يهدفون في كل أمر إلى أهداف سامية وعظيمة...

لقد وضع الله الحكيم القدير نظامين اثنين لإدارة شئون العالم على أحسن وجه. والنظام الباطني منهما يتعلق بالملائكة. ليست هناك جزئية من النظام الظاهري لا يرافقها النظام الباطني في الخفاء. ... إن حركات هذا العالم وحوادثها ليست من تلقاء نفسها، وليست بغير مشيئة المالك وليست عبثية وسخيفة بل إن الأجرام العلوية مسخرة من قبل الله في الخفاء كمذبذبة للأجسام السفلية وتسمى الملائكة بتعبير آخر. وما دام أحد ملتزما بالإيمان بوجود الله تعالى وليس ملحدا لا يسعه إلا أن يقبل بأن كل هذا النظام ليس عبثا بل في كل حدوث وظهور تعمل يد حكمة الله والمصلحة المدبرة بالإرادة. وتلك الإرادة تظهر بحسب النظام المتكامل بواسطة الأسباب لأن الله تعالى لم يهب الأجرام والأجسام المادية شعورا لذا هناك حاجة

للأشياء التي أعطيت علما وشعورا - وهي الملائكة - لإنجاز الأمور التي إنجازها يقتضي العلم والشعور. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٢٤-١٢٨، الحاشية)

السبيل الأسهل والأقرب للاعتراف بوجود الملائكة هو أن نوجه عقولنا إلى أنه من المحتوم والمحسوم أن الله تعالى قد وضع - من أجل تربية أجسامنا وتكميلها المادي وقيام حواسنا المادية بالأفعال المطلوبة كما ينبغي - قانونا في الطبيعة بأن سحر شتى العناصر والشمس والقمر والنجوم كلها في خدمة إعانة أجسامنا وقوانا لتصدر منها جُلّ أعمالها بوجه أحسن. ولا نستطيع أن نهرب من قبول حقيقة أن عيننا على سبيل المثال لا تستطيع أن تُنجز أيّ شيء بنورها الذاتي ما لم يحالفها ضوء الشمس، ولا يمكن لآذاننا أن تسمع شيئا بقوة الذاتية ما لم يُعنها الهواء المحمل بالصوت. أفلا يثبت من ذلك أن قانون الله تعالى قد جعل اكتمال قوانا متوقفا على الأسباب الخارجية، وأنه لا يسع فطرتنا أن تستغني عن مساعدة تلك الأسباب الخارجية؟ ولو تأملتم في الموضوع لوجدتم أننا نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا وجميع قوانا وجُلّ قدراتنا وليس لتكميل حاسة أو حاستين أو قوة أو قوتين. فإذا كان هذا القانون والنظام لله الواحد الذي لا شريك له - الذي توجد في كافة أفعاله الوحدة والاعتدال - موجودا بكل شدة وإحكام وكمال التزام من أجل تكميل قوانا وحواسنا الخارجية وأهدافنا المادية؛ أفليس ضروريا أن يكون هذا النظام نفسه موجودا لتكملنا الروحاني وأهدافنا الروحانية أيضا لكي يجري كلا النظامين على نمط واحد ويدلّا على خالق واحد؟ ومن البديهي أن الحكيم القدير الذي وضع هذا الأساس للنظام المادي وأحبّ أن تكتمل أجسامنا المادية وقوانا وحواسنا تحت تأثير الأجرام السماوية والعناصر وغيرها من الأسباب الخارجية، قد أحب ذلك الحكيم القدير نفسه النظام نفسه لروحانيتنا أيضا لأنه واحد لا شريك له، وفي حِكمه وأعماله الوحدة والاعتدال. والدلائل الإيتية أيضا تدل على الأمر نفسه؛ فالكائنات الخارجية

التي تؤثر على روحانيتنا وتُنَجِّز أهدافنا الروحانية - شأن الشمس والقمر والعناصر التي تساعدنا على أهدافنا المادية - نسمّيها الملائكة.

فمن هذا البيان يثبت وجود الملائكة بوجه أحسن، وإن لم يُكشَف علينا كنهها؛ كما ليس ضروريا أصلا. ولكننا مضطرون للاعتراف بوجودها بإلقاء النظر مجملا على توافق النواميس الكونية واتحادها، ذلك أننا اعترفنا بالقانون المادي بطيب خاطر فما السبب إذًا ألا نعتزف بالقانون الروحاني على النمط والمثال نفسه؟ لا شك أنه لا مندوحة لنا من قبول النظام الباطني أيضا كما قبلنا النظام الظاهري تماما. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ٥، ص ١٣٣-١٣٥، الحاشية)

والحق أن الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والشمس والقمر والسماء بحسب تعليم القرآن الكريم، وبقاء كل هذه الأشياء يتوقف على علاقتها بالملائكة، وإذا انتقل الملائكة إلى "الأرجاء" أصاب الموت جميع الأجرام أي النجوم والشمس والقمر والسماء، أفليسوا بمنزلة الروح والحالة هذه؟

إنني أتأسف على حالة هؤلاء المشايخ أنهم يقرأون هذه الآيات القرآنية الواضحة ومع ذلك يترددون في القبول أن الملائكة بل لبعض الملائكة الذين هم عنصريون علاقة قوية مع العناصر والأجرام السماوية كعلاقة الروح مع القوالب. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٣-١٤٤، الحاشية)

أما الإثبات من حيث المعقول أن كل الأمور الخيرة التي تحدث في النظام الظاهري إنما تحدث وتصدر بأعمال الملائكة الخفية في الحقيقة، فيتبين عند التدبر أن الله يستخدم كل شيء للعمل الذي أعطاه قوى من أجله. إذًا، فالظن أن كل تغير في الأجرام السماوية وفضاء الكون يظهر للعيان نتيجة الأسباب الطبيعية والخارجية فقط ولا حاجة لسبب روحاني قط فكرة غير معقولة تماما لأنه لو حدثت التغيرات في الأجرام السماوية أو الحوادث في كائنات الجو التي تحتوي على حُكْم عظيمة - وتدعم وتعين بقاء بني آدم وصحتهم وسد حاجات حياتهم بشرط ألا يكون فيها

إفراط ولا تفريط - من تلقائها دون أن يكون فيها دخلٌ للأشياء التي لديها شعور وتستطيع أن تراعي الإرادة والفهم والمصلحة والاعتدال؛ بل تُركت جُلّ أمور الحياة والبقاء وحاجات الحياة على الأشياء التي لا تشعر ولا تدرك ولا تعرف مصلحة الوقت ولا تستطيع أن تحفظ أفعالها من الإفراط والتفريط ولا تقدر على التمييز بين إنسان صالح وطالح لتُعامل كل منهما معاملة مناسبة بحسب مقتضى الأمر؛ لأظلمت الدنيا ولا استحالَت معرفة الخالق الحكيم والقدير والعدل والرحيم والكريم، ولما استمرت سلسلة ذوي الأرواح القاطنة على الأرض لحظةً واحدة بل لواجه العالم مع لوازمه كلها صدمة نهايته. فأَي دليل أوضح وأكثر صراحة من أنه لا يوجد في السلسلة السماوية وكائنات الجوّ أيّ فساد أو فوضى كان لا بد منه إذا كان مدار هذا النظام على الأشياء التي لا حياة فيها ولا شعور. فإن نور هذا الدليل يهبنا بصيرةً على وجود الملائكة وضرورتهم وكأننا نراهم بأم أعيننا.

وإذا عرض أحد هنا شبهة: لماذا لا يعمل كل شيء دون توسط الملائكة بمجرد أمر من الله وإذنه وتبديير محكم بحسب ما تقتضيه مشيئة الله جلّ شأنه؟ فإن شبهة مثلها ناتجة في الحقيقة عن سوء الفهم لأننا كتبنا قبل قليل بأنه من الثابت المتحقق أن الأجرام العلوية والعناصر وكائنات الجوّ التي جعلت خادمة لبقائنا وحياتنا ومعيشتنا لا تملك علما ولا شعورا ولا إرادة. فمن المحال بالبدهة أن نتحقق لنا من تغييراتها وأحداثها فقط تلك الأعمال والأهداف والمقاصد التي لا تصدر إلا عن تصرفات العقل والتعديل والتخطيط ومراعاة الحكمة فقط. والحق أن الله تعالى عندما يريد أن يستخدم شيئا لعمل يزوّده بقوى تناسب جميع المصالح المتعلقة بذلك العمل. فمثلا من أفعاله المطر الذي نحتاجه لتحقيق شتى الأغراض، فينزله تعالى أحيانا في وقت مناسب تماما بحسب أعمال عباده، وينقذ أراضينا وصحتنا من أضرار إفراطه أو تفريطه، وأحيانا أخرى ينوي إنزال التنبيه في الدنيا فيمسك المطر من بلد يشاؤه، أو يجعل فيه إفراطا أو تفريطا. وتارة يريد أن يعاقب بعض الناس في بلد أو مدينة أو

قرية أو قطعة أرض معينة فيحرمها من منفعة المطر كليا. وينشر السحاب في الجوّ بقدر ما يشاء حتى يهطل المطر على مزرعة ولا تسقط قطرة واحدة على مزرعة متصلة بها فتبقى جافة ومحتركة في حر الشمس القوية. كذلك إن فساد الريح يجلب الوباء على مدينة أو إقليم أو حارة معينة، وينقذ الجانب الآخر كليا. فعلى هذا المنوال نرى آلاف الحُكَم الربانية الدقيقة التي لا نستطيع أن ننسبها قط إلى عناصر وأجرام لا تعقل، بل نعرف يقينا أن هذه الأعمال المليئة بالحُكَم لا يمكن أن تنجزها قط الأجرام والعناصر وكائنات الجوّ الأخرى التي لا حياة فيها ولا شعور. ولا شك أن الله تعالى قادر على أن يستخدم كل هذه الأشياء لإنجاز الأعمال المذكورة ولكنه لو فعل ذلك لوهب أولا تلك الأشياء فهما وإدراكا وإحساسا وشعورا وعقلا لوضع الشيء في محله. وما دام ذلك غير ثابت فثبت بالضرورة أن مع هذه الأشياء هناك في الخفاء أشياء أخرى أُعْطِيت عقلا لوضع الشيء في محله وهي الملائكة بعينها.

أَعْلَم أن الذي يؤمن بالله تعالى ويَعُدُّه رحيمًا وكرِيمًا ومدبِّرًا وعادلا لن يقول بأن ذلك الحكيم والكرِيم قد وضع نظام ربوبيته كله في أيدي أشياء لم تُعْطَ قدرة على التمييز بين صالح وطالح، ولم تَوْهَب قوَى للتدبير والتعديل وإدراك المصلحة. ولكن التابع لمذهب الطبيعة والملحد الذي ينكر وجود الله تعالى سيقول ذلك حتما. وسيقول أيضا بناء على غفلته بأن ما يظهر من الأجرام السماوية أو العناصر أو كائنات الجو ليس وفق الحكمة والمصلحة، وبأن الله ليس موجودا لنؤمن به عاملا بالحكمة والمصلحة بل يصيب الإنسان خيرٌ أحيانا أو شرٌّ أحيانا أخرى على سبيل المصادفة نتيجة الأحداث والتغيّرات الحادثة في الأجرام العلوية والسفلية. فلاقناعه هناك طريق آخر سديد جدا يُفحِّمه بسرعة، وهو أن أفعال الله ونبوءاته العظيمة التي تضم في طياتها قوة ربانية ويُعطاها الملهمون والواصلون إلى الله تعالى تدل على وجود الله جلّ شأنه وصفاته الكاملة الجميلة الجليلة دلالة قوية وقطعية و يقينية. ولكن الأسف كل الأسف على أن الذين يبحثون في العالم عن الله بصدق القلب

وهم جياع وعطاشى لمعرفة سبله ﷺ قلة قليلة ويمأ العالم أولئك الذين لا يسمعون دعوة الداع ولا يتوجهون إلى نداء المنادي ولا يفتحون عيونهم على ضجة الموقظ.

لقد دعونا - لتصديق هذا الأمر- بفضل الله تعالى وتوفيقه وإذنه، كل معارض ولكن لم يتوجه إلينا أحد بصدق القلب والطلب الصادق. ولو توجه أحد، أو يتوجه الآن أيضا لأقام ذلك الإله الحي عليه الحجة بنور سماوي الإله الذي قدراته ظلت تحير أتباع العقل دائما، ذلك القادر والقيوم الذي ظل يُجبل دائما الحكماء في هذا العالم.

الفساد الأكبر في العالم الذي يؤدي إلى الأفعال الشنيعة ولا يسمح لأصحابها أن يرفعوا بصرهم إلى الآخرة هو أن معظم الناس لا يؤمنون بالله كما هو حقه. فبعضهم يرفضون في هذا العصر وجود الله رفضا سافرا، وبعضهم يقرّون بوجوده باللسان ولكن أعمالهم وأفكارهم وجوارحهم تشهد بأنهم لا يؤمنون بالله جلّ شأنه، بل هم مشغولون في مشاغل دنيوية ليل نهار وكأنهم لا يذكرون الموت نهائيا. وسبب ذلك أيضا عائد إلى الظلام المخيم على قلوب أكثرهم، فلم تبقى فيها شائبة من نور المعرفة.

فليكن واضحا أنني قد أثبتت إلى الآن ضرورة الملائكة تماما، التي تتلخص في أن الله فوق كل شيء من حيث تنزّهه وتقّدهه ويستخدم المظاهر المناسبة في تدليّاته وتجلياته. ولما كانت الأجسام والأشياء المادية بعيدة كل البعد عن الله تعالى، علة العِلل والفياض الكامل، لكونها مقيدة في خواصها وقيودها، وتسميتها "الموجود" مقابل وجود الله البارئ، وكونها مختصة بإراداتها وأفعالها الطبيعية وكونها وجودا مستقلا وجامعة لهويتها، ومانعة لهوية غيرها، ولأن حُبْبا سميكة لأنانيتها ومخلوقيتها تحيط بها؛ لذا لم تعد جديرة بأن تنزل عليها فيوض الله الأحد بصورة مباشرة التي تنزل فقط إذا لم تكن الحجب المذكورة حائلة، وأن يكون هناك كيان يشبه العدم تماما.

ولأن وجود هذه الأشياء ليس شبيها بالعدم بل كل شيء من المخلوقات من هذا القليل يعلن وجوده بأعلى صوته، فمثلا تعلن الشمس أنا التي تتوقف عليها الحرارة والبرد والضوء كله، وألقي بتأثيراتي من ٣٦٥ نوعا على العالم في ٣٦٥ يوما، وأسبب

الحر عند مواجهة أشعتي، وأسبب البرد عند الانحراف عني، وأسيطر على الأجسام وموادها وأشكالها وحواسها.

وتقول الأرض: أنا التي يسكن على سطحي آلاف البلاد، وأنبت أنواع النباتات وأكوّن في أحشائي شتى الجواهر وأستقبل تأثيرات السماء كالمرأة.

وتقول النار بلسان حالها: أنا حارقة وأملك قوة الإحراق كخاصية ذاتية، وأنوب مناب الشمس في الظلام. كذلك يمدح كل شيء في الأرض نفسه بلسان حاله. فمثلا يقول السيّنا: أخلق في جسم الإنسان تأثيرا حارا في المرحلة الأخيرة من الدرجة الثانية. أما في الدرجة الأولى فأتترك في الجسم تأثير الجفاف. وأنا مسهّل للبلمغ والسوداء والصفراء والاختلاطات المحرّقة، وأنقي الدماغ. وأفيد في الصرع وألم الشقيقة والجنون والصداع المزمن وألم الجنب، وضيق التنفس والقولنج وعرق النسا والنقرس وتشنج العضلات وداء الثعلبة وداء الحية والحكة والجرب، والبثور المزمنة وأوجاع المفاصل، والمفرزات البلغمية والصفراوية وفي كافة الأمراض السوداوية.

ويقول عشبة الراوند: أنا دواء مقو، وأخلق في جسم الإنسان تأثيرا حارا من الدرجة الثانية في مرحلتي الأولى. ومبرّد أيضا عرضا بناء على شدة التحليل. وأملك بداخلي الرطوبات الزائدة، وأسبب الجفاف والإمساك ومنظّف ومُنضج وأقطع المواد اللزجة. وأنا ترياق للسموم الباردة وخاصة لسّم العقرب. وأسهّل المفرزات الغليظة والرقيقة وأيسر الحيض وأدرّ البول وأقوي الكبد وأفكّك غدده والغدد في الطحال والأمعاء، وأطرد الريح وأفيد في السعال المزمن وضيق التنفس والسل وقرحة الرئة والأمعاء وكافة أنواع مرض الاستسقاء واليرقان المصحوب بضخامة العقد والإسهال المصحوب بضخامتها. وأعالج المساريقا والدوسنطاريا، وأزيل الانتفاخ، وأطرد الريح، وأفيد في الأورام الباردة في الأحشاء، والتخمة والمغص والبواسير والنواسير والحمى الربعية.

ويقول الجنّوار: أنا أخلق الحرارة والجفاف في المرتبة الأولى من الدرجة الثالثة،

ولي علاقة متينة مع الحرارة الغريزية، وأُفْرِحَ وأَقْوَى الأعضاء الرئيسة مثل القلب والدماغ والكبد، والأحشاء. وأنا ترياق السموم الحارة والباردة التي تُنشئ في الجسد الحرارة والبرودة، لذا إذا أُضِيفَ إلي قليل من المسك والزنجبيل، وشيء من حامض الكبريت وماء حب الهال الأبيض، وعصير النعناع وعصير الشبت أفيد كثيرا في الهیضة البوائیة بإذن الله، وناجع في تسكين الأوجاع وتقوية البصر وتفتيت الحصى، وقلع القولنج وعسر البول ومعالجة الحمى الربیة. وأفید كثيرا إذا أُعْطِيتُ - بقدر نصف مثقال - ملدوغ الحية والعقرب وأزِيلَ تأثير سم العقرب الجرار أيضا، وأفید في ضعف القلب. وإذا أُضِيفَ إلي الصفصاف وعصير نیلوفر أزِيلَ ضعف القلب سريعا، وأتدارك النبض الهابط. وأفید وجع المفاصل مع عصير الورد، وأنفع حصة الكلية والمثانة. وإذا احتبس البول أُدِرُّهُ سريعا إذا استُعْمِلْتُ مع عصير بذور الخيار، وأفید في القولنج الریحي. وإذا تعسّرت عملية الطلق أسهل الولادة إذا شُرِبَتْ مع عصير حصرم أو عصير نبات الحلبة بقدر قيراطين فقط. وأفید كثيرا في داء أم الصبيان وفي معظم الأمراض الدماغية. وأنفع في أورام الخاضرتين ووراء الأذنين وتحت الإبط وفي أصل الفخذ، وأفید في الخناق وداء الخنازير وفي كافة أنواع أورام الحلق. وأفید في الطاعون. وإذا استُعْمِلْتُ مع الخل أزلتُ ورم الجفون. وإذا دُهِنَتْ بي الأسنان أزلتُ وجعها الناتج عن المواد الباردة. وإذا دُهِنَتْ بي البواسيرُ سكّنتُ ألمها. وإذا كُحِلَتْ بي العين أزلتُ رمدها البارد. وإذا حُقِنَ بي في الإحليل نفعتُ في أسر البول. وأترك تأثيرا إيجابيا قويا في القوة الجنسية إذا أُضِيفَ إلي المسك والأدوية المناسبة الأخرى. وأنفع في حالة الإصابة بالصرع والسكتة والفالج وشلل الوجه التشنجي، والاسترخاء والرعشة والخدر وما شابهها من الأمراض. وأنا إكسیر للأعصاب والدماغ.

باختصار، كل هذه الأشياء تمدح نفسها بلسان حالها وهي محجوبة بأنفسها أي محجوبة بحجاب خواصها لذا فقد بُعِدَتْ من مبدأ الفيض. فلا يمكن لمشيئة مبدأ الفيض أن تكون على صلة بها بغير توسط أشياء تكون منزّهة عن هذه الحجب لأن

الحجب تحول دون هذا الفيض. لذا فقد اقتضت حكمة الله أن يكون هناك مخلوق ليس محجوبا بنفسه ليكون المظهر الأول لإراداته وَعَلَيْكَ بل يكون خلق غريب يخلو من نفسٍ حاجبة من حيث فطرته على عكس الأشياء الأخرى، ويكون بمنزلة جوارح الله تعالى. ويكون عدده مطابقا لجميع إرادات الله تعالى التي لها علاقة مع المخلوق وكافة حاجاتهم. وتكون تلك المخلوقات الغريبة واقفة أمام الله تعالى دائما محافظة على فطرتها كالمرآيا النقية وتكون ذات جهتين من حيث وجودها. جهة للتجرد والتنزه وهي ألطف ومنزهة عن الحجب في حد ذاتها، وعلى ذلك تكون مختلفة عن المخلوقات الأخرى، وشبيهة تماما بوجود الله تعالى على وجه الظلية وغير محجوبة بنفسها.

والجهة الثانية: من حيث المخلوقية وبسببها تكون مطابقة للمخلوقات الأخرى وقرينة منها من حيث تأثيراتها. فبسبب إرادة الله هذه وجد هذا المخلوق الغريب الذي يُسمى الملائكة. والملائكة فانون في طاعة الله لدرجة لا يملكون شيئا من إرادتهم وتوجههم وقواهم الذاتية أي لا يملكون أن يكونوا لطفاء بأحد من تلقاء أنفسهم أو أن يغضبوا عليه، أو يريدوا شيئا برغبتهم أو يكرهوه من عند أنفسهم بل هم مثل جوارح الله تعالى تماما. إن كافة إرادات الله تنعكس من خلال مرآياهم النقية أولا ثم تنتشر في المخلوقات بواسطتهم. ولأن الله تعالى في مقام التجرد والتنزه التام بسبب قدسيته التامة لذا فإن الأشياء التي لا تخلو من كثافة الأنانية ووجودها المحجوب، بل هي محجوبة بنفسها، لا تنسجم مع مبدأ الفيض هذا. لذا كانت هناك حاجة إلى أشياء تطابق الله من وجهه، ومن وجه آخر تطابق المخلوق لكي تنال الفيض من جهة وتوصله إلى جهة أخرى.

ومن الواضح أنه ما من شيء في الدنيا مستقل بذاته من حيث وجوده وبقائه وحركته وسكونه وتغيراته الظاهرية والباطنية وفي إظهار خاصيته وفي أخذ عرضه أو تركه بل إن كافة أمور الخلق تسير بالاستناد إلى ذلك الحي والقيوم وحده، وإن كان يبدو في الظاهر أننا لسنا محتاجين للعون من الغيب في شؤوننا بل نستطيع أن نتحرك

حين نشاء ونتوقف حين نريد، ونستطيع أن نتكلم متى نشاء ونسكت متى نشاء، ولكن نظرة المعرفة توحى بجلاء تام أننا بحاجة حتما إلى النصرة من الغيب في كافة حركاتنا وسكناتنا وجميع أمورنا الأخرى. وإن قيومية الله تعالى تعمل في حالة كوننا نطفةً وعلقة ومضغة وكوننا جنينا وفي كل حركة من حركاتنا وسكناتنا وكل قولنا وفعلنا، أي في كل ما يستلزم كوننا مخلوقا. ولكن تلك القيومية لا تنزل علينا مباشرة لكوننا محجوبين بأنفسنا. لأنه لا تطابق بيننا وبين ذلك الذات الألف والآخر والأغنى ونور الأنوار لأن كل شيء منا سواء أكان حيا أم لا محجوبٌ بنفسه وبعيد كل البعد عن حظيرة تنزه القدسية. لذا صار توسط وجود الملائكة بيننا وبين الله تعالى ضروريا كضرورة توسط القوى الروحانية والحسية بين جسد الإنسان ونفسه، لأن النفس كانت في غاية التجرد واللطفة وأما الجسد فكان محجوبا بنفسه وواقعا في الكثافة والظلمة لذا فقد خلق الله تعالى بينهما القوى الروحانية والحسية ذات الاتجاهين كي تنال تلك القوى فيضا من النفس الناطقة وتؤدّب الجسد كله وتهدّبه. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٦-١٧٣، الحاشية)

إن علاقة الملائكة مع الأجرام العلوية والأجسام السفلية متينة في الحقيقة كعلاقة القوى الروحانية والحسية مع جسد الإنسان لأنه كما تقوم نفس الإنسان بتدبير جسده بواسطة القوى الروحانية والحسية كذلك فإن قيوم العالم الذي هو كنفس مدبرة لبقاء العالم كله وقيامه، وهو نور حياتهم بحكم الآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٦) يدبّر العالم الكبير بواسطة الملائكة. ولا يسعنا إلا القبول بأن كل ما ثبت في العالم الصغير من نظام الله الأحد الذي لا شريك له، يشبهه نظام آخر في العالم الكبير أيضا لأن كلا النظامين صادر من الذات نفسه. والحق أنه يجب أن يكون مقتضى ذلك الواحد الذي لا شريك له أن يكون كلا النظامين على شكل ونمط واحد ليدلا معا على خالق وصانع واحد، لأن وحدة النظام تؤيد توحيد البارئ عز اسمه، لأننا نستطيع القول بأنه لو كان هناك أكثر من إله لوجد

في هذا النظام اختلاف كبير.

باختصار، من الواضح تماما أن وجود ملائكة الله مهمّ للعالم الكبير كأهمية القوى الروحانية والحسّية في نشأة الإنسان الذي هو العالم الصغير. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥ ص ١٧٦-١٧٧، الحاشية)

إن قوانا وحدها لا تكفي لإدارة آلة بشرتنا بل نحن بحاجة إلى أنصار ومساعدين خارجيين. ولكن النواميس الطبيعية تخبرنا بأنه، وإن كان ذلك النصير والمعين الخارجي هو الله تعالى لكونه علة العلل، ولكنه لم يدبّر قط أن يؤثر في قوانا وأجسامنا بغير واسطة. بل بقدر ما نمنع النظر ونستخدم فكرنا وذهننا نرى بكل صراحة وبداهة ووضوح أن هناك عللا تتوسط بيننا وبين الله تعالى لنيل كل نوع من الفيض، وبواسطتها تنال كل قوة فيضا بقدر حاجتها. فمن هذا الدليل وحده يثبت وجود الملائكة والجنّة أيضا لأن ما نريد إثباته هو أن قوانا وحدها لا تكفي لاكتساب الخير أو الشر بل نحن بحاجة إلى مُمدّات ومعينات خارجية تملك تأثيرا خارقا للعادة، ولكن تلك الممدّات والمعينات ليس الله تعالى بذاته مباشرة ودون واسطة بل بواسطة بعض الأسباب.

فإن مطالعة النواميس الطبيعية كشفت لنا بالقطع واليقين أن تلك الممدات والمعينات موجودة في الخارج وإن لم نعلم كنهها وكيفيتها، ولكنه معلوم يقينا أنها ليست الله تعالى مباشرة وليست قوانا وملكاتنا بل هي خلق آخر ما عدا هذين القسمين ويملك كيانا مستقلا. وعندما نسبّي أحدهما الداعي إلى الخير فسنسبّيه روح القدس أو جبريل، وحين نسبّي غيره داعيا إلى الشر نسبّيه شيطانا وإبليس أيضا. ليس ضروريا أن تُرى روح القدس أو الشيطانَ عيانا لكل قلب مظلم، وإن كان العارفون يرونها إذ يمكن رؤيتهما في الكشوف، غير أن ذلك يكفي دليلا للمحجوب الذي لا يقدر على أن يرى الشيطان ولا روح القدس لأن وجود المؤثر يثبت بوجود المتأثر. وإذا لم يكن هذا القانون صحيحا فكيف يمكن العثور على

وجود الله تعالى إذًا؟ هل لأحد أن يُري أين الله؟ بل الحق أنه قد اعترف بضرورة ذلك المؤثر الحقيقي نظرا إلى المتأثرات التي هي نماذج قدرته. غير أن العارفين يرونه بعيون روحانية ويسمعون كلامه بعد وصولهم مرتبتهم الأخيرة. ولكن ما سبيل الاستدلال للمحجوب إلا أن يؤمن بوجود ذلك المؤثر الحقيقي بالنظر إلى المتأثرات. فبهذه الطريقة يثبت وجود روح القدس والشياطين، ولا يثبت فقط بل يُرى بكل جلاء. ولكن الأسف على الذين أنكروا وجود الملائكة والشياطين متأثرين بظلمة الفلسفة الباطلة، وبذلك أنكروا البينات والنصوص القرآنية الصريحة وسقطوا في هوة الإلحاد لغباهم.

فليكن واضحا هنا أن هذه المسألة من المسائل التي لإثباتها أفردني الله تعالى في استنباط الحقائق من القرآن الكريم، فالحمد لله على ذلك. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٨٥-٨٩)

فليكن واضحا أن القول: لماذا لا نرى الملائكة لغوٌ تماما. إن للملائكة وجودا لطيفا مثل الله تعالى تماما، فكيف يمكن رؤيتهم بالعيون المادية؟ هل الله تعالى الذي يسلم بوجوده هؤلاء الفلاسفة أيضا يُرى بهذه العيون الفانية؟ وإضافة إلى ذلك ليس صحيحا أيضا أن رؤية الملائكة لا يمكن بحال من الأحوال، لأن العارفين يرونهم بعيونهم الروحانية في كشوفهم التي يرونها في اليقظة في معظم الأحيان، ويتحدثون إليهم ويأخذون منهم علوما كثيرة.

أقسم بالله الذي نفسي بيده، والذي لا يترك المفترى الكذاب دون أن يخزيه ويعذبه بأنني صادق في بياني هذا؛ أي رأيت الملائكة مرارا في عالم الكشف وأخذت منهم بعض العلوم، وعلمت منهم الأخبار الماضية والمستقبلية التي كانت مطابقة للواقع تماما. فأني لي أن أقول بأنه لا يمكن لأحد أن يرى الملائكة؟ لا شك أنهم يُرون ولكن بعيون أخرى. وكما يضحك هؤلاء القوم على هذه الأمور كذلك يبكي عليهم العارفون. ولو بقوا في صحبتهم لاقتنعوا بالطرق الكشفية، ولكن المشكلة أن

في محّهم نوعاً من الكبر، فلا يسمح لهم أن يحضروا طالبين الحق متواضعين متذللين. أما القول بأنه لماذا لا نشعر بأفعال الملائكة؟ فهو أيضاً فرع الاعتراض الأول. فكما لا يُرى الملائكة في حالة المحجوبة، ولا يُعثر على وجود الله أيضاً، بل يكون مدار الإنسان كله على أفكاره هو، كذلك لا نشعر بأفعال الملائكة أيضاً لأنها روحانية. هنا يصدق المثل القائل بأن الأعمى أنكر وجود الشمس قائلاً بأنه لا يعثر عليها باللمس. فخاطبته الشمس وقالت: يا أيها الأعمى لا يمكن العثور عليّ باللمس لأنني بعيدة جداً عن يديك. فادعُ الله أن يهيك عينينٍ فستراني بهما.

أما الفكرة أنه إذا كانت الملائكة هي المدبّرات والمقسمات أمراً، فلماذا تنجح مساعيها نحن؟ ولماذا تخضع معظم أمورنا ومعاملاتنا وتصرفاتنا لمخططاتنا وتدابيرنا؟ فجوابه: إن مخططاتنا وتدابيرنا هذه أيضاً لا تخلو من تدخّل الملائكة وإلقائهم وإلهامهم. الأعمال التي يُنجزها الملائكة بإذنه تعالى يستخدمون لإنجازها شخصاً أو شيئاً أودعتْ فطرته موهبة لقبول تأثير الملائكة. فمثلاً إذا أراد الملائكة أن ينزلوا بإذنه تعالى مطراً في مزرعة أو قرية أو بلد فلا يمكن طبعاً أن يصبحوا ماء بأنفسهم ولا يستطيعون أن يأخذوا من النار خدمة الماء بل يوصلون السحاب بتأثيراتهم الجاذبة إلى المكان المقصود، وبصفتهم مدبّرات الأمر يجعلونها تمطر بحسبما قدّر كيفاً وكماً وتقديراً. توجد في السحاب كافة القوى التي يمكن وجودها فيما لا روح فيه ولا إرادة ولا شعور بصفته جماداً ولخاصيته العنصرية. إن المهمة الموكولة إلى الملائكة هي التقسيم والتدبير، لذلك سُمّوا "المقسمات" و"المدبّرات". أما الإلقاء والإلهام الذي ينزله الملائكة فيكون بقدر مواهب المتلقّي الفطرية. فمثلاً الإلهام الذي يُنزلونه على عباده الأصفياء لا ينزلونه على غيرهم بل لا يتوجّهون إلى ذلك أصلاً. فمن منطلق هذه القاعدة يستفيد كل شخص من فيض إلقاء الملائكة على قدر موهبته، والعلم أو الفن الذي يجعله الشخص نصب عينيه ينال العون من الملاك في مجال العلم والفن نفسه. فمثلاً حين يريد الله جلّ شأنه أن يصاب أحد بالإسهال نتيجة

تناول دواء معين يلقي الملاك في قلب الطبيب أن يعطيه دواء مسهلاً كذا وكذا. فيصف للمريض "الثريد" أو القرفة، أو السفرجل أو سقمونيا أو السنّا أو زيت الخروع أو شيئاً آخر بحسب ما أُلقي في قلبه. فيقبل طبعه هذا الدواء بتأييد الملائكة ولا يتقيأه. عندها يلقي الملائكة بتأثيرهم على ذلك الدواء ثم يوصلون تأثيراته إلى جسد المريض وتبدأ المواد المؤذية بالزوال بإذنه تعالى. فالله تعالى لم يسمح -نتيجة حكمته وقدرته الكاملة- أن تضع سلسلة العلوم والفنون الظاهرية ولم يعطل قدراته الإلهية وسيطرته الدائمة. لولا سيطرة الله الدقيقة إلى هذه الدرجة على عوارض مخلوقاته وبقائهم وفنائهم لما عدّ إلهاً قط، ولما صح التوحيد. غير أنه صحيح تماماً أن الله تعالى لم يُرد في هذا العالم أن تصبح جميع أسرار العالم بديهية في الأنظار لأنها إذا صارت بديهية لما ترتّب الثواب على الإيمان بها.

فمثلاً لو استطاع الناس أن يروا الله والملائكة بأبصارهم لدخلت هذه المعلومات أيضاً في قائمة المعلومات التي ينالها الناس بحواسهم وتجاربهم. ففي هذه الحالة لما كان الإيمان بهذه الأمور سبباً للنجاة كما لا يسبب النجاة الإيمان بمئات الأمور المعلومة الأخرى. فمثلاً نحن نؤمن بأن الشمس والقمر موجودان في الحقيقة، وتوجد في الأرض مئات أنواع الحيوانات ومئات أصناف الأعشاب، ومئات ألوان المناجم والأنهار والبحار والجبال، ولكن هل سُنّاب على هذا الإيمان؟ أو هل نكون مقرّين إلى الله نتيجة إيماننا بهذه الأشياء. كلا؟ فلماذا إذاً يعدّ عند الله مستحقاً للنجاة ذلك الذي يؤمن بصدق القلب بملائكة الله والجنة والنار وميزان الأعمال يوم القيامة، ويؤمن بالقيامة، ويؤمن أيضاً بحقيقة أن كتب الله نزلت في الدنيا وجاءت رسله أيضاً، وسيحشر الله الأجساد يوماً من الأيام، وأن الله موجود وهو واحد لا شريك له في الحقيقة؟

أيها الأحبة، اعلّموا يقيناً أن السبب في ذلك هو أن هذا الشخص يؤمن بالله الذي ما زال غيباً، ويؤمن بصحة أخبار كتابه الغيبية، فيُعدّ عند الله صالحاً وذا فكر مستقيم وحسن الظن، ومطيعاً، فيُغفّر له بركة صدقه، وإلا ما علاقة النجاة بمجرد

المعلومات؟ فلو قال أحد يوم القيامة بعد زوال الحجب كلها: ها هي الجنة والنار، ماثلتان للعيان، وها هم الملائكة واقفون صفاء، وها هو الميزان الذي يزن الأعمال، وها هو رب العالمين جالس على كرسي العدالة، فهل سينجو نتيجة إيمانه بكل هذه الأشياء؟ كلا. إذًا، ما السبب في عدم نجاته؟ أليس السبب وراء ذلك أنه قد رأى الآن بأم عينيه كل تلك الأشياء التي كانت في حجب الغيب من قبل فأفلتت من يده فرصة نيل الثواب الذي لا يناله إلا الذي يجهل تلك الأدلة البديهية ثم يصل إلى حقيقة الأمر بالاستنباط من القرائن الدقيقة البحتة؟

الأسف كل الأسف أن الذين يكادون يضحون بأنفسهم من أجل علم الفلسفة على عقولهم غشاوة فلا يفهمون أنه لو جعل العلم بذات البارئ تعالى وبوجود الملائكة وبحشر الأجساد وبالجنة والجحيم والعلم بالنبوة والرسالة واضحا وكُشف بالبدهة مثل علم الهندسة والرياضيات، وكما وُضِّح بعض أجزاء العلوم الطبيعية والطب والأفلاك؛ لما كان لهذه العلوم البديهية والضرورية أية علاقة مع نجاة الإنسان ما دامت حقيقة النجاة أنها فضل من الله المليء بحب الله جلّ شأنه الذي يتوجه إلى الصالحين والصادقين والمؤمنين الحقيقيين والأوفياء والمؤمنين بالأخبار الظنية، فأَيُّ صلاحية وصدق وصفاء يمكن أن يثبتته الإيمان بالأمور البديهية والضرورية؟ نرى بكل وضوح بأننا كما نؤمن أن نصف الأربعة هو اثنان، كذلك يعتقد به وقيح من الدرجة القصوى أيضا. نحن نؤمن ونعتقد بوجود آلاف الأشياء بل عشرات الملايين منها بالقطع واليقين ولا نشك في وجودها قط، فهل نثاب نتيجة الإيمان بها؟ كلا. فلهذا السبب لم يُظهر الله تعالى آياته بالبدهة بواسطة أنبيائه كما ظل يطلبها الجهال من الناس في العالم دائما. بل ألقى غشاوة الابتلاء أيضا على الذين كانت على مواهبهم غشاوة سابقا. كما ذُكر في القرآن الكريم أن جهّال مكة كانوا يقولون بأنهم سيؤمنون بشرط أن يُحيا جميع أموات العرب، أو ترقى أنت في السماء أمام أعيننا وتنزل منها أمام أعيننا مع كتاب نأخذه في أيدينا ونقرأه. ولكن هؤلاء الأغبياء

لا يعرفون أنه لو انكشفت الحقائق إلى هذا الحد فأَيَّ فرقٍ بقي بين هذا العالم وبين القيامة؟ وكيف يمكن إطلاق لفظ الإيمان على هذا القبول بعد ظهور الآيات بتلك البداهة؟ ومن لا يقبل الحقائق البديهية البينة؟

فلباب القول إن أساس أفكار الفلاسفة هو الخاطئ. إنهم يريدون أن يُصنّفوا الإيمانيات كلها في قائمة العلوم المشهوددة المحسوسة ويريدون أن يثبت وجود الملائكة والجنة والجحيم ووجود الله كما عُثر على أكثر بقاع المعمورة وكثير من النباتات والمناجم نتيجة البحوث الحالية. ولكن الشيء الذي أدخله الله تعالى في الإيمانيات منذ أول يوم لإيجاد سبيل لنجاة الإنسان أتى له أن يبلغ هذه الدرجة من الهداية على عكس مشيئة الله. غير أنه عندما يتقدم الإنسان من درجة الإيمان إلى مرتبة العرفان يرى هذه الأمور كلها بصورة الهداية دون أدنى شك. بل تثبت تلك الأمور بقوة أكثر من إثباتات الرياضيات لأن معظم إثباتات الرياضيات مبنية على الدوائر الوهمية بينما تكون الأمور الدينية حائزة على مرتبة العرفان ومنزهة من الشبهة والشك. بقدر ما أمكن إثبات شيء بداهة أكثر في العالم توجد على هذه المعتقدات أدلة على النمط نفسه بل أقوى من ذلك إذ لا يوجد نظيرها في العالم. ولكن الشقي لا يرغب في هذه السبل قط بل يريد أن يصل إلى حق اليقين بواسطة السبل التي لم تحددها سنن الله الأزلية في الكون لمعرفة هذه الأمور. ومثله في ذلك كمثله الذي يضع على عينه قطعة حلوى وبذلك يريد أن يعرف هل هي حلوة أو مرّة، أو كالذي يغلق عينيه ويريد أن يستخدم الأذنين للرؤية.

فليكن معلوماً أنه ليس صحيحاً القول بأن الله تعالى يريد أن يكلّف عباده في مرتبة الإيمان بما لا يطاق من أجل التسليم بهذه الأمور فقط. بل قدّم للتسليم بما براهين دقيقة لو أمعن فيها سليم العقل لأمكنه أن ينال نصيباً وافراً من اليقين. فمثلاً إن الإيمان بالله تعالى في مراتب الإيمان هو الإيمان بالغيب، ولكن انظروا كيف يزخر القرآن الكريم بالاستدلالات والبراهين القاطعة لإثبات وجود ذلك

الخالق. كذلك لا يسعنا أن نضع يد الملائكة في يد مَنْ ينكر وجودهم أو تُريه إياهم وهم يقومون بأعمال معينة، بل يكفي طالب حقٍّ أن تثبت في نظره ضرورة الملائكة حتما عند رؤيته إدارة النظام في منتهى الدقة. وإذا كان الطالب مثله ملحدا فسنثبت له وجود البارئ تعالى أولا، ثم نثبت له أنه لا يمكن أن يكون هناك إله سوى ذلك الإله الذي لا تسقط ورقة بدون أمره وإذنه. ثم نثبت أن الحكيم الدقيقة التي بها يُنعم الله تعالى على عباده بواسطة الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وغيرها لم تُعط تلك الأشياء قوى قط لمعرفة تلك الحكيم ووضع الشيء في محله، كما أثبتنا قبل قليل. وقد أثبتنا أيضا أن الله تعالى لا يعمل شيئا بغير الوسائط. والأشياء التي يجعلها وسائط يعطيها أولا قوى وقدرات مناسبة لإنجاز تلك الأعمال. فيسخر الأذكىاء لإنجاز أعمال تتعلق بالذكاء، ويستخدم أولي العزم لإنجاز أعمال ذات صلة بالعزم، ويستخدم الحيوانات لأعمال تتعلق بها ويستخدم أصحاب النظر الدقيق في هذا المجال المعني.

فلا شك أن ضرورة الملائكة تثبت دون شك بعد تقديم كل هذه الأدلة. أما في الإيمانيات فيكفي هذا القدر للإثبات كيلا يكون تكليف بما لا يطاق وكيلا يضيع ثواب الإيمان أيضا لأنه لو أثبت وجود الملائكة كأهم أحضروا أمام الأعين لما بقي الإيمان إيمانا، ولفانت الحكمة وراء النجاة، فافهم وتدبر ولا تكن من المستعجلين.

(مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج ٥، ص ١٨١-٢١٤، الحاشية)

كما أن للشمس والقمر والكواكب الأخرى تأثيرا في أجسامنا وقوانا الظاهرية، كذلك تؤثر الملائكة في قلوبنا وأذهاننا وكافة قوانا الروحانية تأثيرات مختلفة بحسب مواهبنا. كل ما يملك قدرة على التحول إلى شيء ذي بال، سواء كان ترابا أو قطرة ماء في المحار أو النطفة التي تُقذف في الرحم؛ يتحول بترية ملائكة الله الروحانية إلى لعلٍ أو ألماسٍ أو ياقوتٍ أو لؤلؤة لامعةٍ من الجواهر الثمينة، أو يصبح إنسانا صاحب ذهن وقلب ذي صفات عظيمة...

لقد ذكر القرآن الكريم الملائكة بأسلوب سلس وواضح إذ لا يسع الإنسان إلا قبوله. والتعمق في القرآن الكريم يبين أن هناك حاجة ماسة إلى الوسائط لتربية جميع كائنات الأرض ظاهرياً وباطنيّاً. ويتبين بصراحة تامة من بعض الإشارات الواردة في القرآن الكريم أن بعض الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة، لها علاقات مختلفة مع طبقات السماء؛ فبعضهم يتحكمون في الرياح بحكم تأثيرهم الخاص بها، وبعضهم يتحكمون في الأمطار، وبعضهم يُلقون على الأرض تأثيرات أخرى.

فلا بد أن تكون لتلك الأرواح الطيبة علاقة -بحكم علاقتها مع النور- مع الأجرام المضيئة والنورانية التي في السماء. ولكن يجب ألا تعدّ تلك العلاقة كما لكل كائن حي على وجه الأرض روحاً؛ بل إن لتلك النفوس الطيبة -بسبب نورها وضياؤها الروحاني- علاقة مجهولة الكنه مع الأجرام المضيئة. وإن طبيعة تلك العلاقة هي أنه لو افترضنا انفصال تلك النفوس الطيبة عن النجوم لوقع الخلل في جميع قواها. والمعلوم أن جميع الأجرام مسخرة لأعمالها بالقوة الكامنة بيد تلك النفوس. كما أن الله تعالى كالروح للعالم كله (ليس المراد هنا التشبيه الكامل) كذلك إن هذه النفوس النورانية بمنزلة الروح للكواكب. وإذا حدث الانفصال بينها، فلا بد من حدوث فساد كبير في كيفية وجودها أصلاً. لم يختلف أحد إلى يومنا هذا في أن النجوم والكواكب كلها في السماء تعمل دائماً على تربية كائنات الأرض وتكميلها. باختصار إنها حقيقة ثابتة ومتحققة تماماً أن الكواكب السماوية تؤثر ليل نهار في كافة النباتات والجمادات والحيوانات، حتى إن الفلاح الغافل والساذج أيضاً يوقن أن لضوء القمر على الأقل تأثيراً حتمياً في إنعاش الفواكه وزيادة نموها، وأن لحرارة الشمس تأثيراً في نضجها وحلاوة مذاقها، وأن لبعض الرياح تأثيراً حتمياً في كثرة الثمار. فما دامت سلسلة الكون الظاهرية تتربى وتتأثر بتأثيرات تلك الأشياء؛ فأى شك في أن تؤثر النفوس النورانية بإذن ربها في السلسلة الباطنية أيضاً، التي لها علاقة قوية مع الأجرام المضيئة كعلاقة الروح بالجسد.

ليكن معلوما أيضا أنه قد يبدو من سوء الأدب ظاهريا الاعتبار أن هناك واسطة بين الله وأنبيائه الأطهار لإفاضة أنوار الوحي، ولكن يمكن أن يفهم جيدا بشيء من التدبر أن ذلك ليس سوء أدبٍ قط، بل هو مطابق تماما لقانون الطبيعة العام المشهود والملاحظ بكل وضوح في كل شيء في الدنيا. فإننا نرى أن الأنبياء عليهم السلام؛ أيضا محتاجون لهذه الوسائط من حيث أجسامهم المادية وقواهم الظاهرية. وإن عيون الأنبياء أيضا، مهما كانت نورانية ومباركة، لكن ليس بمقدورها أن ترى شيئا - كما عيون عامة الناس - بغير واسطة ضوء الشمس أو ما يقوم مقامها، ولا يستطيعون أن يسمعو شيئا بغير واسطة الهواء. لذا لا بد من القبول أيضا أن روحانية الأنبياء تتأثر حتما، بل تتأثر أكثر من غيرهم بالنفوس النورانية التي في الكواكب، لأنه كلما كانت الموهبة لاستقبال التأثير أصفى وأكمل؛ كان التأثير أصفى وأكمل. ويتبين من القرآن الكريم أن للكواكب والنجوم روحا بحسب قولها، ويمكن تسميتها بنفوس الكواكب أيضا. وكما توجد في الكواكب والنجوم، بحسب قولها الظاهرية، خواص مختلفة تؤثر في كل شيء في الأرض بحسب الكفاءة، كذلك في نفوسها النورانية أيضا خواص مختلفة الأنواع والأقسام تؤثر بإذن الله الحكيم العليم في بواطن كائنات الأرض. وهذه النفوس النورانية تظهر على العباد الكُمَّل متجسدةً بأجساد وتُرى متمثلةً في صورة بشر.

وليكن معلوما أيضا أن هذا الكلام ليس من قبيل الخطاب البحت، بل يشمل حقيقة لا بد لطالب الحق والحكمة من قبولها؛ لأننا قد قبلنا أن الأجرام السماوية تربى الأجسام الأرضية حتما، وكلما أعمقنا النظر في الأجسام الأرضية من حيث الاستقرار نرى أمارات هذه التربية في كل شيء بالبدهة، سواء كان من النباتات أو الجمادات أو من الحيوانات. فنحن مضطرون للقبول بناء على التجربة الصريحة أن لهذه النفوس النورانية علاقة بتقدم سلسلة الكمالات الروحانية وتنوير القلب والذهن. وبسبب هذه العلاقة؛ جعلت الشريعة الغراء واسطة الملائكة بين الله ورسله

-على سبيل الاستعارة- ضرورة. وقد عُدَّ الإيمان بها من واجبات الدين. والذين لم يفهموا هذه الحقيقة لجهلهم البغيض مثل الآريين والبراهمو؛ اعترضوا، للؤمهم غير المبرر وبغضهم الذي ثلثت به قلوبهم، على تعليم القرآن الكريم قائلين بأنه يُعَدُّ واسطة الملائكة بين الله ورسله ضرورة. ولكنهم لم يفهموا حقيقة أن قانون الله تعالى عن التربية الجاري على وجه الأرض مبني على المبدأ نفسه. ألم يكن كبار علماء الهندوس الذين نزلت عليهم الفيدات الأربعة -بحسب قول الهندوس- محتاجين إلى تأثيرات الأجرام السماوية لسلامة قواهم الجسدية؟ هل كانوا قادرين على الرؤية بعيونهم وحدها دون الحاجة إلى ضوء الشمس؟ أو هل كانوا قادرين على سماع صوتٍ بغير واسطة الهواء؟ لا شك أن الجواب بالبداهة هو: كلا، بل كانوا حتماً محتاجين جداً إلى تأثير الأجرام السماوية. ثم متى وأين أنكرت فيدات الهندوس الملائكة؟ بل الحق أنها بالغت كثيراً في الاعتراف بهذه الوسائط وتقديرها، حتى حسبت مرتبتها تضاهي مكانة الله تعالى. فانظروا إلى "ريغفيدا" مثلاً لتعرفوا كم جاء فيه التأكيد على عبادة الأجرام السماوية والأجسام، وكيف سُودَّت أوراق كثيرة في مدحها والثناء عليها، وكيف قُدِّمت لها بالتضرع والابتهال الأدعية التي ما أُجيبَت. ولكن شريعة القرآن لم تفعل ذلك، بل ذكرت النفوس النورانية، المرتبطة بالأجرام السماوية والعناصر والدخانات ارتباط الروح بالجسم، باسم الملائكة أو الجنة. ولم تعد الملائكة النورانيين -الذين لهم مكانة خاصة في الكواكب والنجوم النورانية- واسطة بينه ﷺ وبين رسله لدرجة حسابان الملائكة قادرين ومحوّلين، بل بيّنت قدراتهم مقابلته ﷺ كالميت في يد الحيّ؛ يستخدمه الحي كما يشاء. لذا فقد أُطلق في بعض الأماكن من القرآن الكريم على كل ذرة من الأجسام أيضاً اسم الملائكة؛ لأن كل تلك الذرات تسمع لربها الكريم وتفعل ما تؤمر. فمثلاً إن المواد التي تُحدث التغيرات في جسم الإنسان باتجاه الصحة أو العِلَّة، فإن كل ذرة من تلك المواد تتقدم أو تتأخر بحسب مشيئة الله.

والآن يجب التدبر جيدا: هل الإيمان بالوسائط المذكورة في القرآن الكريم يستلزم أي نوع من الشرك؟ أو أي خلل يقع في قدرة الله وعظمته؟ بل الحق أنها أسرار المعرفة ودقائق الحكمة التي تلاحظ في كل صفحة من صفحات قانون الطبيعة، وبدون الإيمان بهذا النظام لا تثبت قدرة الله الكاملة، ولا يمكن أن تعمل ألوهيته على ما يرام. وكيف يمكن أن يجري الكون كله بحسب مشيئة الله ما لم تُظهر كل ذرة انقيادها التام له كالملائكة؟ هل لأحد أن يوضح لي ذلك؟ وإذا كان النظام الروحاني لملائكة السماء يعيب قدرة الله تعالى شيئا، فكيف لا يَطْعُن في قدرة الله الكاملة ذلك الإيمان بنظام الملائكة المادي الذي يماثل النظام الروحاني تماما؟ بل الحق أن معارضينا بمن فيهم الآريون وغيرهم قد أثاروا -لقلة بصيرتهم- اعتراضات لا أصل لها من الصحة، وإن أساسها موجود في معتقداتهم مع عقائد إشراكية كثيرة فقد عُدُوا - لفقدان بصيرتهم - الحق الصراح باطلا بغير حق...

فليكن معلوما أيضا أن مرتبة الملائكة الخواص بحسب الشرع الإسلامي ليست أعلى من خواص البشر، بل إن الخواص من البشر أفضل من خواص الملائكة. وكوّنهم الوسائط في النظام المادي أو النظام الروحي لا يدل على أفضليتهم، بل هم مسخّرون للخدمة كالحَدَم بحسب توجيه القرآن الكريم. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٨-٧٤)

الملائكة (كما قلت من قبل) ليسوا على مستوى واحد من حيث المرتبة والعظمة، وليسوا مكلفين بمهمة واحدة. بل كل ملاك مكلف بإنجاز مهمة مختلفة. فكل ما ترونه في الدنيا من تغيّرات وانقلابات، أو ما يحدث على صعيد الواقع بسبب القوة الكامنة، أو كلّما تصل الأرواح والأجسام إلى الدرجة المطلوبة من كمالها؛ كل ذلك يتم بعمل التأثيرات السماوية فيه. وفي بعض الأحيان يلقي ملاك واحد تأثيراته المختلفة في مواهب الناس وإمكانياتهم المتفاوتة. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٨٥-٨٦، انظروا أيضا تفسير سورة البقرة، آية: ٩٨)

لا يقتصر الأمر على أن الملائكة يُرون في بعض الأحيان فقط بل في كثير من الأحيان يُظهرون كونهم واسطة في الكلام. (بركات الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦، الحاشية)

من سنة الله ﷻ أنه عندما يُبعث أيُّ مأمور من الله ينزل معه الملائكة من السماء، أو نور بتعبير آخر، ويقع ذلك النور في القلوب المستعدة -لتلقيه- وينورها ويقويها، وكل إنسان يبدأ بفهم الأمور الروحانية بنيل القوة، فلما كان السبب الحقيقي لنزول ذلك النور هو ذلك المبعوث فقط، لهذا تُنسب إليه جميع المعارف الدينية في ذلك الزمن. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٨٧، الحاشية)

إن الملائكة يسمّون ملائكةً لأنهم ملاك الأجرام السماوية وملاك الأجسام الأرضية، بمعنى أنهم بمنزلة الروح لقيامها وبقائها. وأيضاً يسمّون ملائكة لأنهم يقومون بأعمال الرسل أيضاً. (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٨، الحاشية)

"وَالْمُسْلِمُ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُ نَحْرَ نَاقَةٍ نَفْسِهِ وَتَلَهَا لِلْجَبِينِ، وَمَا نَسِيَ الْحَيَّ فِي حِينٍ."

فَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ النُّشُكَ وَالضَّحَايَا فِي الْإِسْلَامِ، هِيَ تَذَكُّرَةٌ لِهَذَا الْمَرَامِ، وَحَثٌّ عَلَى تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقَامِ، وَإِزْهَاصُ حَقِيقَةِ تَحْصُلِ بَعْدَ السُّلُوكِ التَّامِّ. فَوَجِبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ كَانَ يَبْتَغِي رِضَاءَ اللَّهِ الْوُدُودَ، أَنْ يَفْهَمَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَيَجْعَلَهَا عَيْنَ الْمَقْصُودِ، وَيُدْخِلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى تَسْرِيَ فِي كُلِّ ذَرَّةِ الْوُجُودِ، وَلَا يَهْدَأَ وَلَا يَسْكُنَ قَبْلَ أَدَاءِ هَذِهِ الصَّحِيَّةِ لِلرَّبِّ الْمَعْبُودِ، وَلَا يَقْنَعُ بِنُمُودَجٍ وَقَشْرٍ كَالْجُفْلَاءِ وَالْعُمَيَّانِ، بَلْ يُؤَدِّي حَقِيقَةَ أَضْحَايَتِهِ، وَيَقْضِي بِجَمِيعِ حَصَاتِهِ وَرُوحِ ثِقَاتِهِ، رُوحَ الْفُرْبَانِ. هَذَا هُوَ مُنْتَهَى سُلُوكِ السَّالِكِينَ، وَغَايَةُ مَقْصِدِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَيْهِ يَحْتَسِمُ جَمِيعُ مَدَارِجِ الْأَتْقِيَاءِ، وَبِهِ يَكْمُلُ سَائِرُ مَرَاكِجِ الصِّدِّيقِينَ وَالْأَصْفِيَاءِ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي سَيْرُ الْأَوَّلِيَاءِ.

وَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى هَذَا فَقَدْ بَلَغْتَ جُهْدَكَ إِلَى الْإِنْتِهَاءِ، وَفُزْتَ بِمَرْتَبَةِ الْفَنَاءِ، فَحِينَئِذٍ تَصِلُ شَجَرَةُ سُلُوكِكَ إِلَى أَتَمِّ النَّمَاءِ، وَتَصِلُ عُقْوَ رُوحِكَ إِلَى لُعَاعِ رَوْضَةِ الْقُدْسِ

وَالْكِبْرِيَاءِ، كَالثَّاقَةِ الْعَنْفَاءِ، إِذَا أُوصِلَتْ عَنْقُهَا إِلَى الشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ جَذَبَاتٌ وَنَفَحَاتٌ وَتَجَلِّيَاتٌ مِنَ الْحُضْرَةِ الْأَحَدِيَّةِ، لِيَقْطَعَ بَعْضُ بَقَايَا عُزُوقِ الْبَشَرِيَّةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ إِحْيَاءٌ، وَإِنْقَاءٌ وَإِذْنَاءٌ، لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ الْفَانِيَةِ، لِيَسْتَعِدَّ الْعَبْدُ لِقَبُولِ الْفَيْضِ بَعْدَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ يُكْسَى الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ حُلَّةَ الْخِلَافَةِ مِنَ الْحُضْرَةِ، وَيُصَبَّغُ بِصَبْغِ صِفَاتِ الْأُلُوْهِيَّةِ، عَلَى وَجْهِ الظِّلِّيَّةِ، تَحْقِيقًا لِمَقَامِ الْخِلَافَةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ إِلَى الْخَلْقِ لِيَجِدِيَهُمْ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الْأَرْضِيَّةِ إِلَى الْأَنْوَارِ السَّمَائِيَّةِ، وَيُجْعَلُ وَارِثًا لِكُلِّ مَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدَّرَايَةِ، وَثُمَّوسِ الْقُرْبِ وَالْوَلَايَةِ، وَيُعْطَى لَهُ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَمَعَارِفُ السَّابِقِينَ مِنْ أُولِي الْأَبْصَارِ وَحُكَمَاءِ الْمِلَّةِ، تَحْقِيقًا لِمَقَامِ الْوَرَاثَةِ." (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٥-٤١)

قد أنبأ الله تعالى في "البراهين الأحمديّة" عني وبواسطتي بأنه جاعل خليفة على غرار آدم. فحين سمع بعض المعاندين هذا الخبر ووجدوا أحوالي تناقض بعض معتقداتهم قالوا في أنفسهم: أَتَجْعَلُ فِيهَا يَا رَبَّنَا خَلِيفَةً شَخْصًا يُفْسِدُ فِيهَا وَيُحْدِثُ الْفُرْقَةَ فِي الْقَوْمِ بغير وجه حق، ويخرُج عن مسَلّمات العلماء. فقال تعالى في الجواب: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. فهذا هو كلام الله الذي نزل عليّ. والحق أن بيني وبين الله أسراراً دقيقة لا تعلمها الدنيا. وإن لي مع الله صلة باطنية لا يمكن بيانها، ولكن الناس في هذا العصر غافلون عنها. فهذا هو معنى وحي الله تعالى القائل: "قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ." (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٨٠-٨١)

لا كمال للإنسان من الناحية الروحانية أكبر من أن يحظى بصفاء يصل إلى درجة بحيث تتراءى فيه صورة الله تعالى. فيشير الله في القرآن الكريم إلى هذا الأمر ويقول: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. والواضح أن الصورة تكون خليفة للأصل وتنبؤ

عنه، لذا حيثما تكون الأعضاء والملاحم في الأصل، فهي تظهر في الصورة كذلك تماما. لقد ورد في الحديث الشريف والتوراة أيضا أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته، والمراد من الصورة هنا هو التشابه الروحاني نفسه. وواضح أنه حين يقع ضوء الشمس على مرآة صافية فلا تتراءى فيها الشمس فقط، بل تُظهر المرآة صفاتها أيضا، ومنها انعكاس ضوئها إلى غيرها. والحال نفسها بالنسبة إلى صورة الشمس الروحانية، فحين يقبلها القلب النقي بصورة انعكاسية تخرج من ذلك القلب أيضا أشعة كأشعة الشمس وتنور الأشياء الأخرى، وكأن الشمس كلها تدخله بكل قوة وعظمة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٧)

"وإن نبينا ﷺ كان آدمَ خاتمة الدنيا ومنتهى الأيام، وحُلق كآدم بعدما حُلق على الأرض كلّ نوع من الدواب وكلّ صنف من السباع والأنعام، ولما خلق الله هذه الخليقة من أنواع النعم والسباع والدود على الأرضين؛ أعني كلّ حزب من الفاجرين والكافرين، والذين آثروا الدنيا على الدين، وخلق في السماء نجومها وأقمارها وشموسها.. أعني النفوس المستعدة من الطاهرين المنورين، خلق بعد هذا آدم الذي اسمه محمد وأحمد، وهو سيدٌ وُلِدَ آدمَ وأتقى وأسعد، وإمامُ الخليقة.. وإليه أشار الله في قوله ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. وبعزة الله وجلاله إنّ لفظ ﴿إِذْ﴾ يدلّ بدلالة قطعية على هذا المقصود، ويدل عليه سياق الآية وسباقها إن كنتَ لست كاليهود، فلا شك أنه آدمُ آخر الزمان، والأُمَّة كالدُّرّة لهذا النبي المحمود، وإليه أشار في قوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. فأمعن فيه وتفكّر، ولا تكن من الغافلين.

وإن زمان روحانية نبينا ﷺ قد بدأ من الألف الخامس وكُمّل إلى آخر الألف السادس، وإليه أشار في قوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾. وتفصيل المقام أن نبينا ﷺ قد جاء على قدم آدم، وأن روحانية آدم قد طلعت في اليوم الخامس لما حُلق إلى هذا اليوم كلّ ما كان من أجزاء هويته وحقيقة ماهيته، فإن الأرض بجميع

مخلوقاتهما والسماء بجميع مصنوعاتها كانت حقيقة هويّة آدم، كأن مادّته قد انتقلت من الحقيقة الجمادية إلى الحقيقة النباتية، ثم من الحقيقة النباتية إلى الهويّة الحيوانية، ثم بعد ذلك انتقلت من حيث الروحانية من الكمالات الكوكبية إلى الكمالات القمرية، ومن الأنوار القمرية إلى الأشعة الشمسية، وكانت هذه الانتقالات كلها مظاهر ترقّيات العالم إلى معارج الحقيقة الإنسانية. كأن الإنسان كان في وقت جمادًا، وفي وقت آخر نباتًا، وبعد ذلك حيوانًا، وبعد ذلك كوكبا وقمرًا وشمسًا، حتى جُمع في اليوم الخامس كلُّ ما اقتضت فطرته من القوى الأرضية والسماوية بفضل الله أحسن الخالقين. فكان الخلق كله فردًا كاملاً لآدم، أو مرآة لوجوده الذي أعزّه الله وأكرم، ثم أراد الله أن يُري هذه الخفايا على وجه الكمال في شخص واحد هو مظهر جميع هذه الخصال، فتجلّت روحانيّة آدم بالتجلّي الجامع الكامل في الساعة الآخرة من الجمعة، أعني اليوم الذي هو السادس من السّنة. فكذلك طلعت روحانيّة نبينا ﷺ في الألف الخامس بإجمال صفاتها، وما كان ذلك الزمان منتهى ترقّياتها، بل كانت قدماً أولى لمعارج كمالاتها، ثم كُملت وتجلّت تلك الروحانية في آخر الألف السادس، أعني في هذا الحين كما خُلق آدم في آخر اليوم السادس بإذن الله أحسن الخالقين. واتخذت روحانيّة نبينا خير الرسل مظهرًا من أُمته لتبلغ كمال ظهورها وغلبة نورها كما كان وعد الله في الكتاب المبين. فأنا ذلك المظهر الموعود والنور المعهود، فأمن ولا تكن من الكافرين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٥٩-٢٦٧)

ما معنى قول الملائكة لله ﷻ: أتبعل المفسد خليفة؟ فليتضح أن الحقيقة أن الله حين خلق في اليوم السادس سبع سماوات وقضى وقدر أمر كل سماء، وقرب اليوم السادس - الذي هو يوم نجم السعد الأكبر، أي المشتري - على الانتهاء، ولاحظ الملائكة الذين كانوا قد أوتوا علم السعد والنحس - حسب مدلول الآية ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ وكانوا قد علموا أن السعد الأكبر هو المشتري - أن آدم في

الظاهر لم يجد نصيبا من هذا اليوم، إذ ما تبقى من اليوم قليلٌ جدا، فخطر ببالهم أن خلق آدم سيكون في وقت "زحل"، وأن فطرته ستُدَوِّع التأثيرات الزحلية من القهر والعذاب وغيرهما، ومن ثم سيتسبب في ظهور فتن كثيرة، فكان الاعتراض مبنيًا على ظنٍّ لا يقينٍ. فاعترضوا بناءً على الظن وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟﴾ وحسبوا أنفسهم زُهَّادا وعابدين ومقدِّسين ومنزهين من كل سيئة، بالإضافة إلى أن خلقهم كان في عصر المشتري الذي هو رمز للسعد الأكبر. فقال لهم ﷺ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي أنكم لا تعلمون متى سوف أخلق آدم؟ سأخلقه في الساعة التي هي أكثر ساعات بركة من يوم المشتري. وصحيح أن يوم الجمعة هو يوم السعد الأكبر، إلا أن ساعة العصر فيه قد فاقت كل ساعة سعادة وبركة. فقد خُلِق آدم، في آخر ساعات يوم الجمعة، أي وقت العصر. ولهذا السبب هناك حثٌّ في الأحاديث على الإكثار من الدعاء بين العصر والمغرب يوم الجمعة. فإن فيه ساعةً يجاب فيها الدعاء. فهذه الساعة هي نفسها التي لم يكن الملائكة أيضا على علم بها. فمن خُلِق في هذه الساعة يسمى آدم في السماء، ويوضع به أساس لسلسلة عظيمة. فقد خلق آدم في هذه الساعة حصرا، ولهذا السبب أعطي آدم الثاني أيضا- أي هذا العبد المتواضع- الساعة نفسها، وإلى ذلك أشير في الإلهام الوارد في البراهين الأحمدية: "ينقطع آباؤك ويبدأ منك"، انظروا البراهين الأحمدية، الصفحة ٤٩٠. ومن المصادفات الغريبة أن هذا العبد المتواضع لم يولد فقط في الجزء الأخير من الألف السادس- الذي له العلاقة بالمشتري نفسها التي كانت لآدم باليوم السادس أي بجزئه الأخير- بل قد وُلِد هذا العبد المتواضع في يوم الجمعة، وفي الرابع عشر بحسب القمر. وهناك أمر آخر جدير بالبيان هنا أنه لو طرح سؤال أنه لماذا بوركت الساعة الأخيرة من يوم الجمعة وهي وقت العصر، التي خُلِق فيها آدم، لهذه الدرجة؟ ولماذا حُصِّت بخلق آدم؟ فجواب ذلك أن الله جعل نظام تأثير الكواكب بحيث ينال كوكب في الجزء الأخير من عمله شيئا من تأثير الكوكب القادم اللاحق

به. فلما كان الليل قريبا من وقت العصر الذي خُلِق فيه آدم، كان ذلك الوقت حائزا على شيء من تأثير زحل أيضا، كما كان مستفيضا بفيض المشتري الحائز على تأثيرات صبغة الجمال. فقد خلق الله آدم يوم الجمعة وقت العصر لأنه كان يريد أن يخلق آدم جامعا للجلال والجمال. وإلى ذلك تشير الآية ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ (ص: ٧٦)، أي خلقت آدم يدي. فالواضح الجلي أن يدي الله ليستا كيدي الإنسان، وإنما المراد من اليدين، التجلي الجمالي والجلالي. فالمقصود من هذه الآية أن آدم خُلِق جامعا للتجلي الجلالي والجمالي. ولما كان الله لا يريد أن يضع سلسلة علمية، فقد استخدم عند خلقه لآدم تأثيرات هذه الكواكب التي صنعها بيديه. وليكن معلوما أن هذه النجوم ليست للزينة فقط، كما يزعم عامة الناس، بل لها تأثيرات، كما يتبين من كلمة "حِفْظًا" في آية: ﴿وَرَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾. أي لهذه النجوم علاقة بحفظ نظام العالم، مثلما للدواء والغذاء علاقة بصحة الإنسان. وليس لها أي دخل في اقتدار الألوهية، بل إن كل هذه الأشياء بمنزلة الميتة أمام الجبروت الإلهي، فلا تقدر على فعل شيء دون إذن إلهي. إن تأثيراتها بيد الله. فالأمر الواقع الحق أن للنجوم تأثيرات في الأرض، فلا أحد أكثر جهلا في الأرض ممن يؤمن بتأثير "البنفسج" و"زنبق الماء" و"تربد" و"سقمونيا" و"خيار شنبر" ويرفض تأثيرات النجوم التي هي مظاهر لتجلي القدرة الإلهية من الدرجة الأولى. وهي مظهر العجائب، التي استخدم الله نفسه بحفظها كلمة "حفظا". فهؤلاء الغارقون في الجهل حتى الرأس - الذين يعدّون هذه السلسلة العلمية من الشرك - لا يعرفون أن قانون قدرة الله في العالم أنه لم يخلق أي شيء باطلا وعقيما وعديم التأثير. فحين يقول إن كل شيء سُخر للإنسان، فأخبروا الآن أي فائدة يجلب للإنسان ملء "سماء الدنيا" بملايين النجوم؟ أما قول الله تعالى بأن كل هذه الأشياء قد خُلقت لمنفعة البشر فيجذب انتباهنا حتما إلى أن هذه الأشياء أودعت تأثيرات خاصة تؤثر في حياة الإنسان وتحضره. كما كتب الحكماء المتقدمون أن الأرض في البداية كانت

غير مستوية جدا، فسوّاها الله بتأثيرات النجوم. وإن هذه النجوم ليست محصورة في السماء الدنيا فقط كما يظن الجهلة، بل تقع على مسافات شاسعة عن بعضها. ففي السماء نفسها يتراءى المشتري الواقع في السماء السادسة كما يُرى زحل الواقع في السماء السابعة. وسُمي زحل لكونه أبعد النجوم مسافةً، لأن زحل في المعاجم تعني الأبعد أيضا. والمراد من السماء، الطبقات اللطيفة التي يتميز بعضها عن الآخر بخواصها. فمن الجهل القول أيضا إن السماء ليست بشيء، ذلك لأننا إذا صعدنا إلى العالم الأعلى لن يظهر لنا الخلاء والفراغ المحض في أي مكان. فكامل الاستقراء الذي هو على الدرجة الأولى لاستكناه الجهولات، يفهمنا بجلاء وصراحة أنه ليس هناك خلاء محض أو فراغ. فكما خلق آدم الأول متمتعا بتأثيرات المشتري وزحل، أي بصبغة الجلال والجمال، يتمتع مثل ذلك الآدم الذي وُلد في نهاية الألف السادس بكلا نوعي التأثيرات. فعلى قدمه الأولى إحياء الموتى، وعلى الثانية موت الأحياء، أي في القيامة. وقد جعل الله في زمنه علامات الرحمة والغضب أيضا، لتثبت صفتا الجمال والجلال. أما ما قال الله تعالى عن الزمن الأخير بأن الشمس والقمر كلاهما سيظلم في وقت واحد، ويحدث الخسف في عدة أماكن في الأرض، وتنسف الجبال، فكل هذه علامات القهر والجلال. فعن زمن غلبة المسيحية أيضا توجد مثل هذه الإشارات في القرآن الكريم، لأنه قد ورد قوله وَعَلَىٰ ﴿تَكَاذُ السَّمَاوَاتِ يَتَّقَطَّرَن﴾ (مریم: ٩١) عند غلبة هذا الدين، ويحدث الموت نتيجة الخسف وغيره. باختصار؛ إن وجود آدم الثاني أيضا جامع الجلال والجمال، ولذلك خُلِق في نهاية الألف السادس. وهو يوم الجمعة من أيام الدنيا بحساب الألف السادس، ووقت العصر من يوم الجمعة حيث ولد آدم. وفي سورة الفاتحة هناك إشارة لطيفة بخصوص هذا المقام؛ وهي أنه لما كانت سورة الفاتحة تذكر المبدأ والمعاد، أي ذكرت صفات الله من الربوبية إلى مالك يوم الدين، فنظرا لهذه العلاقة قد قسمها الحكيم الأزلي على سبع آيات ليشير إلى أن عمر الدنيا سبعة آلاف عام. والآية السادسة لهذه السورة

هي: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فكأنها تشير إلى أن ظلام الألف السادس سيتطلب الهدى السماوي، وأن الطباع الإنسانية السليمة ستطلب من الله هاديا أي مسيحا موعودا. وأنهى هذه السورة على "الضالين"، أي على الآية السابعة التي تنتهي على كلمة الضالين. ففيها إشارة إلى أن القيامة ستقوم على الضالين. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٧٩-٢٨٤، الحاشية)

وُلد آدم وقت العصر في اليوم السادس حين كانت دورة زُحل على وشك الابتداء بعد نهاية دورة المشتري. ومن تأثيرات زحل القتل وسفك الدماء، ولذلك ظن الملائكة أن آدم سيولد متأثرا بتأثيرات زحل، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ (البقرة: ٣١). ومن المسلم به أن الإنسان كما هو مطّلع على تأثيرات الأرض وخواص نباتاتها، كذلك فإن المخلوقات السماوية مطّعة على التأثيرات السماوية. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٤، عدد ٢٦/٧/١٩٠٨م، ص ٣)

يمكن الاستنباط من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أن تكون أمة قبله أيضا، وفي موضع آخر يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٨) أي أن أمة باسم "الجان" كانت موجودة قبل آدم. فقد ورد في حديث البخاري أن الله خالق منذ الأزل، وهذا هو الحق. لأنه إن لم نؤمن بأنه خالق منذ الأزل، فسيرد الاعتراض على ذاته (والعياذ بالله) بما يفرض علينا الإيمان بأن الله كان معطلا قبل آدم. لكن لما كان القرآن الكريم يصف صفات الله بأنها أزلية، لذا فموضوع هذا الحديث صحيح. فكل ما يوجد في القرآن الكريم يدل على استمرار هذه الصفات، لكن لو كان بدء الخلق من آدم ولم يكن من قبله خلق لما كان هذا التركيب النحوي في القرآن الكريم. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٤، عدد ٣/٧/١٩٠٣م، ص ١٨٧)

فمن الممكن أن تكون هناك أمة، ويخلق رغم وجودها أمة أخرى، أو يهلك أمة ويخلق أخرى. فقد ورد في حدث موسى أيضا مثل هذه القصة، وفي زمن

آدم أيضا كان الله قد أهلك الأمم السابقة، وحين خلق آدم خلق معه أمة أخرى. فليس من الضروري للخليفة أن تكون أمة قبله حتما. فمن المحتمل أن تخلق أمة وتعد خليفةً للأمة السابقة، ويكون آدم مورثها الأعلى، لأن ذات الله أزلية وأبدية، ولا يطرأ عليها التغير، لكن الإنسان ليس أزليا وأبديا، ولقد سميت أنا أيضا آدم في إلهامي.

حين يرد الموت على الروحانية أي تموت الإنسانية الحقيقية، يخلق الله شخصا آخر كآدم، وعلى هذا النحو يتولد الأوامد على الدوام ومنذ الأزل. فلو لم يكن هذا النظام منذ الأزل لوجب علينا الإيمان بأن الله موجود منذ خمسة آلاف أو ستة آلاف سنة فقط، وليس منذ الأزل، أو كان موجودا وكان معطلا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٤، عدد ٣/٧/١٩٠٣ م، ص ١٨٧)

لا يتبنّى الإسلام ولا القرآن الكريم مذهبا أن الدنيا خلقت منذ ستة آلاف سنة، هذا اعتقاد النصارى. أما القرآن الكريم فيقول عن آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣١)، والمعلوم أن الخليفة هو من يأتي بعد أحد ويخلفه. فيتبين من ذلك أن الخلق كان موجودا قبل آدم أيضا وكان آدم خليفة الله. (بدر، مجلد ١، رقم ١٤، عدد ٦/٧/١٩٠٥ م، ص ٢)

أنا لا أقبل بذلك ولا أتبع التوراة بخصوص هذه المسألة، أن العالم بدأ قبل ستة أو سبعة آلاف سنة حين خلق هذا الآدم، ولم يكن قبل ذلك شيء، وكأن الله تعالى كان عاطلا. ولا أدعي أن كل هذا النسل الإنساني الموجود حاليا في شتى بقاع العالم هو نسل ذلك الآدم حصرا. بل أؤمن بوجود النسل الإنساني حتى قبل هذا الآدم كما يتبين من كلمات القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣١). فالخليفة من يخلف أحدا، ومن هنا يتبين بجلاء أن المخلوق كان موجودا حتى قبل آدم، فلا نستطيع أن نقول عن سكان أميركا أو أستراليا وغيرهم، إنهم ذرية هذا الآدم أو من سلالة آدم آخر.

هناك قول لحضرة محي الدين ابن العربي يناسب سؤالك، فقد كتب: ذهبت للحج فلقيت هناك شخصاً ظننته آدم، فسألته أأنت آدم؟ فقال عن أي آدم تسألني؟ فقد خلا آلاف الأوامد. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٥، عدد ٣٠/٥/١٩٠٨م، ص ٥) ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، لقد رأى الملائكة في الكشف فسادا كان أولاد آدم سيعيشونه. (الحكم، مجلد ٤٧، رقم ١٩-٢٢، عدد ٢١-٢٨/٥/١٩٤٣م و ٧-١٤/٦/١٩٤٣م، ص ١٥)

لا بد من الذكر هنا أن الله لم يستني "عيسى" فقط بل سماني بأسماء الأنبياء عليهم السلام جميعا من البداية إلى النهاية. فقد سماني "آدم" في الأجزاء السابقة من البراهين الأحمدية كما قال الله ﷻ: "أردت أن أستخلف فخلقت آدم". (انظروا: البراهين الأحمدية، الأجزاء السابقة ص ٤٩٢).

وقال أيضا: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، خلق آدم فأكرمه". (انظروا البراهين الأحمدية، الأجزاء السابقة ص ٥٠٤).

ومعنى هاتين الجملتين أنه تعالى خلق آدم، أي خلقي أنا. وقال في الجملة الثانية: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، خلق آدم هذا. والمراد من إسرائه في ليلة واحدة هو أنه أكمله تماما في ليلة واحدة وأبلغ سلوكه مبلغ الكمال في اثنتي عشرة ساعة. ومن دواعي تسمية الله إياي "آدم" أن الروحانية في بني آدم كانت قد ماتت في ذلك الزمن بوجه عام، فجعلني الله تعالى آدم لسلسلة الحياة الجديدة. وفي هذه الفقرة الوجيزة تكمن نبوءة أنه كما انتشرت ذرية آدم في العالم كله كذلك ستنتشر ذريتي الروحانية والمادية أيضا في الدنيا كلها. والسبب الثاني هو أنه كما اعترض الملائكة على جعل آدم خليفة فقال الله دحضا لاعتراضهم: إني أعلم من أحوال آدم ما لا تعلمون، فينطبق الأمر نفسه علي أيضا لأنه قد ورد في الأجزاء السابقة من البراهين الأحمدية وحي من الله أن الناس سيثيرون ضدي الاعتراضات نفسها التي أثبتت ضد آدم ﷺ. كما قال تعالى: "وإن يتخذونك إلا هزواً، أهذا الذي بعث الله؟ جاهل

أو مجنون". فقال وَعَلَّمَ رداً على ذلك في الأجزاء نفسها من البراهين الأحمدية: "أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق". هذا الجواب يماثل جواباً ورد في القرآن الكريم بحق آدم كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣١). فمع أن هذه الآيات لم ترد بعينها في الأجزاء السابقة للبراهين الأحمدية ولكنها مسجلة بحقي أيضاً في كتيبي الأخرى كوكحي الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١١٢-١١٣)

الآية ٣٢: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

"وعلم آدم الأسماء كلها أي علمه حقائق الأشياء كلها وجعله عالماً مجملًا مثل العالمين." (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٧٤)

"قال: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾، فهذا التعليم يدل على أشياء: منها أنه كان معلّم الكلمات بتوسط المسمّيات، ونعني بالمسمّيات كلّ ما يمكن بيانه بالإشارات، فعلاً كان أو من أسماء المخلوقات. ومنها أنه كان مُعَلِّم حقائق الأشياء، وخواصّها المكتومة المخزونة في حيز الاختفاء، بلغة عربي مبين.

وإن قلت إن النحويين خصّصوا لفظ الاسم بالأسماء المخصوصة التي لها معاني ولا تقتنرُ بأحد من الأزمنة الثلاثة، فجوابه أن ذلك اصطلاح لهذه الفرقة، ولا اعتبار به عند نظر الحقيقة، فانظر كالمبصرين.

وإن قيل إن المشهور بين العامة من أهل الملّة، أن الله علّم آدم جميع اللغات المختلفة، فكان ينطق بكل لغة من العربية والفارسية وغيرها من الألسنة، فجوابه أن هذا خطأً نشأ من الغفلة، لا يلتفت إليه أحد من أهل الخبرة، بما خالف أمراً ثبت بالبداهة، وما هو إلا زعم الغافلين. بل العربية هي اللسان من مستأنف الأيام ومستطرفها، وليس غيرها إلا كمزجانٍ من دُررٍ صدّفيها. وأنت تعلم أن القرآن والتوراة

قد أثبتنا ما قلنا وأكملنا الإثبات. ألا تعلم ما جاء في الإصحاح الحادي العشر من "التكوين"، فإنه شهد أن اللسان كانت واحدة في الأرضين، ثم اختلفوا ببابل مُعْرِقِينَ. وأما القرآن فقد سبق فيه البيان، ففكّر كالمحققين.

ثم ههنا طريق آخر لطلاب الحق والمعرفة، وهو أننا إذا نظرنا في سُنن الله ذي الجلال والحكمة، فوجدنا نظامَ خَلْقِهِ على طريق الوحدة، وذلك أمرٌ اختاره الله لهداية البرية، ليكون على أحديةٍ أَحَدٍ من الأدلة، وليدل على أنه الخالق الواحد لا شريك له في السماء والأرضين. فالذي خَلَقَ الإنسان من نفس واحدة، كيف تُعزى إليه كثرةٌ غيرُ مرتّبة، ولغاتٌ متفرقة غير منتظمة؟ ألا تعلم أنه راعى الوحدة في كل كثرة، وأشار إليه في صحف مطهرة وكتاب إمام العارفين؟ وأبان في صحفه الغراء، أنه خلق كل شيء من الماء، فانظر إلى سُنّة حضرة الكبرياء، كيف رَدَّ الكثرة إلى وحدة الأشياء، وجعل الماء أُمَّ الأرض والسماء، ففكّر كالعقلاء، فإنه عنوان الاهتداء، ولا تستعجل كالجاهلين. وإن هذه الآية دليل واضح على سُنّة خالق الرقيع والغبراء، وفيها تبصرة لأهل الأنظار والآراء. والله وترٌ يحب الوتر يا معشر الطلبةاء. هو الذي نور من نور واحدٍ نجوم السماء، وخلق نفوسًا متشابهة على الغبراء، وجعل الإنسان عالمًا جامع جميع حقائق الأشياء. فلو لم يكن نظام الخلق مبنياً على الوحدة، لما وجدت في خلق الله وجودَ هذه المشابهة، ولكان خلق الله كالمتفرقين. بل لو لم يكن النظام الوجداني، لبطلت الحُكم وضاع السر الروحاني، وسُدَّ الصراط الربّاني، وعسر أمر السالكين. فما لك لا تفهم وحدةً دالةً على الوحيد، وهي في الإسلام مدار التوحيد، وأصل كبير للتعظيم والتمجيد، وسراج منير لمعرفة الوجدانية الإلهية والأحدية الربّانية، وإنها من علوم اختصّت بالمسلمين. " (من الرحمن، الخزان

حينما خلق الله تعالى آدم في البداية وُجد حينذاك كِلَا الشرطين لتعليم اللغات إلهامًا: فأولاً؛ كانت المواهب الشخصية والضرورية لتلقي الإلهام موجودة في الإنسان الأول. وثانياً؛ إن الضرورة الحقة أيضاً كانت تقتضي الإلهام لأنه لم يكن حينها لآدم عليه السلام رفيق مشفق يعلمه اللغة ويبلغه مرتبة التحضر واللياقة نتيجة تعليمه سوى الله وَعَلَيْكَ، بل كان الله وَعَلَيْكَ هو الكفيل الوحيد لآدم وسدّ جميع حاجاته الضرورية، وأوصله إلى مرتبة الإنسانية الحقيقية بحسن تربيته وحسن تأديبه. وحين انتشرت ذرية آدم في الدنيا وعمّت فيهم وعلى نطاق واسع تلك العلوم التي علّمها الله وَعَلَيْكَ آدم، صار بعض الناس معلّمين لبعضهم الآخرين. وكان آباء كل ولدٍ كرفيق مشفق لتعليمه اللغة. أما آدم عليه السلام فلم يكن له أحد سوى الله تعالى ليعلمه اللغة ويحلّيه بالآداب الإنسانية. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٣١-٤٤٠)

من المحتمل أن يكون سكانُ المنطقة التي وُلد فيها آدم عليه السلام قد هلكوا بعذاب إلهي ولم يبق هناك أي إنسان. فهذا الطريق مستمرٌّ في العالم فقد يدمر موضعٌ ما نهائياً ثم يعمر الخراب ويعمر المدمر من جديد.... ففي هذه الحالة أي داع للتورط في هذه المشاكل؟ يجب الإيمان بأن الله رب ورحمن ورحيم ومالك يوم الدين منذ الأزل. فبعض الحيوانات تخلق من التكوّن وبعضها من التكوين. فمن المحتمل أن تكون هناك مخلوقات أخرى في زمن آدم، ولا تكون من جنسه، وحتى لو كانت فما الحرج في أن يخلق الله حواء من ضلعه لإظهار قدرته. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٣/٧/٣ م، ص ١٨٧)

لقد تلقيت إلهاما عن نفسي: "يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، أردتُ أن أستخلف فخلقت آدم." وفي ذلك إشارة إلى أن سلسلة الظهور المتكرر لوجود "آدم" صفي الله قد انتهت بوجودي أنا. والمسلم به عند أهل الحق والمعرفة أن مراتب

الوجود يتكرر ظهورها؛ أي يأتي بعض الناس حاملين صفات آخرين وطبيعتهم، ويتبين من الكتب السابقة أن إيليا جاء حاملا صفات النبي يوحنا وطبيعته، وكذلك جاء نبينا ﷺ حاملا صفات إبراهيم ﷺ وطبيعته؛ وبناء على هذا السر سُميت الملة الحمدية: ملة إبراهيم.

فكان ضروريا أن تنتهي سلسلة تكرار ظهور المرتبة الآدمية بنهاية الزمن. ففي هذا الزمن الذي هو الزمن الأخير خلق الله شخصا حاملا صفات آدم ﷺ وهو أنا، وقد سَمَّاني أيضا "آدم" كما يتبين من الإلهامات المذكورة آنفاً. وعلى غرار آدم الأول خلق الله - بعد خَلْق الأرض من أناس حقيقيين - هذا الآدم بيديه، أي بيد الجمال ويد الجلال ثم نفخ فيه من روحه، لأنه لم يعد في الدنيا إنسان روحاني يمكن أن يولد منه هذا الآدم الروحاني. لذلك فقد صار الله تعالى بنفسه الأب الروحاني وخلق هذا الآدم، أما من ناحية الولادة الظاهرية فقد خلقه ذكرا مع أنثى، كما خلق آدم الأول. أي خلقتني أنا أيضا - أي آدم الأخير - توأما، كما وردت هذه الولادة كإشارة دقيقة في إلهام نصه: "اسكن أنت وزوجك الجنة".

وقد أنبأ بعض أكابر السلف بإلهام من الله أن آدم الأخير، الذي هو المهدي الكامل وخاتم الولاية العامة، سوف يُخْلَق توأما من حيث خلقه المادي. أي سيُخلق ذكرا مع أنثى على غرار آدم صفى الله، ويكون خاتم الأولاد. ولأن آدم كان المولود الأول من نوع الإنسان فكان لا بد أن يكون الذي قُدِّر أن تنتهي عليه سلسلة حقيقة الآدمية بالتمام والكمال خاتم الأولاد، أي لن يخرج بعد موته إنسان كامل من بطن امرأة.

والجدير بالذكر هنا أن هذا العبد المتواضع لله الواحد قد وُلِد ولادة مادية بحسب هذه النبوءة، أي وُلِدَتْ توأما، إذ وُلِدَتْ معي بنتٌ كان اسمها "جنت". وفي كلمة "الجنة" الواردة في الإلهام: "يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" المذكور في الصفحة

٤٩٦ من "البراهين الأحمدية" منذ عشرين سنة إشارة دقيقة إلى أن البنت التي وُلدت معي كان اسمها "جنت"، وتوفيت بعد سبعة أشهر من ولادتها.

فما دام الله تعالى قد شَبَّهني في إلهامه بآدم صفي الله فإن في ذلك إشارة إلى أنه تعالى قد خلَقني - بحسب قانون الطبيعة المتعلق بتكرار ظهور مراتب الوجود الجاري من قبل الله الحكيم منذ القِدَم - حاملا صفات آدم وطبيعته وبما ينسجم مع مقتضى الأحداث والحال. فمن الأحداث التي جرت مع آدم عليه السلام أن ولادته كانت كزوج - أي وُلدت معه أنثى أيضا - كذلك كانت ولادتي أنا أيضا. فكما كتبتُ قبل قليل وُلدتُ معي بنتُ اسمها "جنت"، إذ وُلدتُ قبلي ثم تبعتها، ولم يولدَ لوالديّ ذكرٌ أو أنثى بعدي فكنتُ خاتَمَ الأولاد عندهم. وكانت ولادتي بالطريقة التي ذكرها أصحاب الكشف كعلامة من علامات المهدي خاتَمَ الولاية، وقالوا إن المهدي الأخير الذي لن يولدَ بعده أيّ مهدي، سينال الهداية من الله تعالى مباشرة كما نالها آدم، وستتحلى بالعلوم والمعارف التي نالها آدم من الله. ومماثلته الظاهرية مع آدم هي أنه أيضا سيولدُ كزوج، أي سيولدُ ذكراً مع أنثى، كما وُلدتُ الأنثى - أي "حواء" عليها السلام - مع آدم. فكما خلق الله زوجين في البداية، كذلك خلَقني أحدَ اثنين حتى تتم المماثلة التامة بين البداية والنهاية. أي ما دام كل وجود يتكرر ظهوره في سلسلة البروزات ويكون بروزه الأخير أتم وأكمل مقارنة مع البروزات الوسطى، فقد اقتضت حكمة الله أن تخلق مماثلة تامة بين أحداث آدم صفي الله وأحداث بروزه الأخير. فمن الأحداث الخاصة بآدم أن خلق الله تعالى حواء معه، فحدث الأمر نفسه مع الآدم الأخير بصفة بروزه الأتم إذ حُلِقَتِ الأنثى معه أيضا. وقد سَمَّيَ آدم الأخير عيسى أيضا للإشارة إلى أنه كانت لعيسى عليه السلام أيضا مماثلة نوعا ما مع آدم صفي الله. أما آدم الأخير الذي هو عيسى أيضا بصورة بروزية فيشبه آدم صفي الله مشابهة تامة، لأنه بقدر ما كان ممكنا لآدم صفي الله أن

يكمل سلسلة البروزات، فقد خُلق آدم الأخير بعد عبوره كل هذه المراتب للوجود البروزي، وقد أظهرت بواسطته حالة بروزية بصورة أتم وأكمل. وقد ورد كلام الله تعالى عني في الصفحة ٥٠٥ من البراهين الأحمدية، وهو إلهام من الله، نصه: "خلق آدم فأكرمه"، أي خلق الله الآدم الأخير وفضَّله بوجهٍ خاصٍّ على أوادم سابقين. ومعنى هذا الكلام الإلهي والإلهام هو مع أنه كانت هناك بروزات كثيرة لآدم صفي الله بمن فيهم عيسى عليه السلام أيضاً، غير أن البروز الأخير هو الأكمل والأتم. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٧٥-٤٨١)

"أن الله وترٌ يحبُّ الوتر، فاقتضتْ وَحْدَتُهُ أن يكون الإنسان الذي هو خاتم الخلفاء مشابهاً بآدم الذي هو أوَّلُ مَنْ أُعْطِيَ خلافةً عظمى، وأوَّلُ مَنْ نُفِخَ فيه الروح من ربِّ الورى، ليكون زمان نوع البشر كدائرة يتصل النقطة الآخرة بنقطتها الأولى، وليدل على التوحيد الذي دُعي إليه الإنسان. والتوحيد أحبُّ الأشياء إلى ربنا الأعلى، فاختر وضعاً دورياً في خلق الإنسان، فلذلك ختم على آدم كما كان بدأ من آدم في أوَّل الأوان، وإن في ذلك لآية للمتفكرين. وإنَّ آدمَ آخرَ الزمانِ حقيقةً هو نبيُّنا صلى الله عليه وسلم، والنسبة بيني وبينه كنسبة مَنْ علَّم وتعلَّم." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٥٦-٢٥٨)

الآية ٣٣: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

ما أروع العقيدة وأوضحها وأطهرها وكم هي تلائم عظمة الله وجلاله أن يقبل الإنسان ما ثبت منه ويستعد لقبول ما يثبت في المستقبل. وأن يؤمن بأن الله عز اسمه قادر على كل أفعال لا تنافي صفاته الكمالية، وأن يؤمن بما يمكن حدوثه بقدرته. فهذا هو طريق أهل الحق الذي به تُتقبل عظمة الله وكبرياؤه ويسلم به

الإيمان الذي عليه مدار الثواب كله أيضاً. (الكحل لعيون الآرية، الخزانة الروحانية، المجلد ٢ ص ١٠٣-١٠٤)

إنما العبودية أن يكون المرء مع الذين قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ (البقرة: ٣٣).
(تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٩١)

من أسماء الله العليم أيضاً، وقد جاء في القرآن: ﴿الرحمن علّم القرآن﴾ لذلك قال الملائكة: ﴿لا علم لنا إلا ما علّمتنا﴾ (الحكم، المجلد ٦، رقم ٢٥، عدد: ١٧/٧/١٩٠٢م، ص ٢)

الآية ٣٥: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

إن خلق الإنسان يضم في طبيعته نوعين من الحسن. أحدهما حُسن المعاملة، أي أن يراعي الإنسان في أداء كافة أمانات الله تعالى وعهوده بآلا يفوته شيء منها قدر الإمكان.... والنوع الثاني من الجمال في خلق الإنسان هو جمال البشرة. ومع أن هذين الجمالين يبرزان في المرتبة الخامسة من الخلق الروحاني والمادي ولكن لا يظهر لمعانهما ورونقهما إلا بعد فيض الروح. وكما تُنفخ روح الوجود المادي في الجسد بعد تكوّن القلب المادي كذلك إن روح الوجود الروحاني أيضاً تدخل في وجود الإنسان الروحاني بعد تكوين قلبه الروحاني، أي حين يحمل الإنسان نير الشريعة على عنقه بالتمام والكمال، ويكون جاهزا للخضوع لحدود الله كلّها بالمجاهدة وتحمل المشقة. ويكون جديراً نتيجة العمل بالشريعة وأوامر كتاب الله تعالى كلّها بأن تتوجه إليه روحانية الله تعالى. وفوق كل ذلك يجعل نفسه بحبه الذاتي مستحقاً لحب الله الذاتي الذي هو أبيض ناصع كالثلج وحلو كالعسل.

وكما قلت آنفاً، إن الوجود الروحاني يبدأ من حالة الخشوع ويبلغ الكمال عند المرتبة السادسة للنمو الروحاني، أي حين تنزل - بعد كمال القلب الروحاني - شعلة

حب الله الذاتي على قلب الإنسان كالروح وتهبه حالة الخشوع والخضوع الدائمين. عندها يتجلى الجمال الروحاني بتجليه الكامل. ولكن هذا الحسن الروحاني الذي يمكن تسميته بحُسن المعاملة يفوق حُسن البشارة كثيرا بسبب جذباته القوية، لأن جمال البشارة قد يكون مدعاة للعشق الفاني لشخص أو شخصين، وسرعان ما يزول ويكون جذبه أيضا فاترا جدا. أما الحسن الروحاني الذي سُمِّي بحُسن المعاملة فهو قوي متين من حيث جذباته حتى أنه يجذب عالمًا إلى نفسه، فتتجذب إليه كل ذرة في السماء والأرض. والحق أن هذه هي فلسفة استجابة الدعاء أيضا؛ فحين يدعو الحائز على حُسن روحاني - الذي تدخله روح حب الله لأمرٍ مستحيل أو متعذرٍ جدا ويركّز على الدعاء كثيرا - فتتجذب إليه كل ذرة من ذرات العالم بأمر من الله تعالى وإذنه، لأن هذا الداعي حائز في حد ذاته جمالا روحانيا. فتجتمع أسباب تكفي لنجاحه. والثابت من خلال التجربة وكتاب الله المقدس أن كل ذرة من ذرات العالم تعشق شخصا مثله تلقائيا، وأدعيته تجذب تلك الذرات كلها كما يجذب المغناطيس الحديد.

فبسبب هذا الجذب تظهر للعيان أمورٌ غير عادية لم تُذكر من قبل في علم من علوم الطبيعة والفلسفة. والحق أنه جذبٌ طبيعي أودعه الله الخالق القدير في كل ذرة منذ أن ركب عالم الأجسام بالذرات. وكل ذرة عاشقٌ صادق للجمال الروحاني، وكذلك كل ذي فطرة سليمة، لأن ذلك الحسن مهبط تحليلات الله. فعن هذا الحسن قال تعالى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، ولا زال هناك كثير من الأبالسة الذين لا يعرفون هذا الحسن، ولكنه ظل ينجز أعمالا عظيمة.

كان في نوح ﷺ الحسن نفسه الذي كانت رعايته مقدرة عند الله جلّ شأنه، فأهلك المنكرون كلهم بعذاب الطوفان. ثم جاء بعده موسى بالحسن نفسه الذي أغرق فرعون في نهاية المطاف بعد أن تحمل الإيذاء والمصاعب لبعض الوقت. ثم جاء بعدهم جميعا سيّد الأنبياء وخير الورى مولانا وسيدنا محمد المصطفى ﷺ

بالحسن الروحاني العظيم الذي تكفي لنعته الآية الكريمة: ﴿...دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩-١٠)، أي دنا ذلك النبي من الله تعالى كثيرا، ثم تدلّى إلى الخلق، وبذلك أدى كِلا الحَقِّينِ، أي حق الله وحق العباد، وأظهر الجمال الروحاني من كِلا النوعين، وصار كالوتر بين القوسين؛ فكان وجوده كما يظهر من الرسم التالي:



إن أصحاب الطبائع الخبيثة والعمهين لم يروا هذا الحسن كما يقول الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. أي ينظرون إليك ولكنك لا تتراعى لهم فهلك هؤلاء العمهون كلهم في نهاية المطاف.

إن أصحاب الطبائع الخبيثة والعمهين لم يروا هذا الحسن كما يقول الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٩). أي ينظرون إليك ولكنك لا تتراعى لهم فهلك العمهون جميعا في نهاية المطاف. (ملحق البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢١٨-٢٢١)

المراد من آدم هو الإنسان الكامل. حين يصبح الإنسان الكامل آدم يأمر الله تعالى الملائكة بالسجود (الطاعة) له، ويؤتم الله ﷻ لجلّ مهماته بواسطة الملائكة. ولكن من الضروري من أجل أن يصبح الإنسان آدم أن تكون له علاقة صادقة وممتينة مع الله تعالى. عندما يكون كل عمل من أعمال الإنسان بحسب أمر الله تعالى يصبح المرء لله تعالى تاما. عندئذ يصير الله وليّا وكفيلا له، فلا يستطيع أحد أن يمد يده إليه بالاعتداء. ولكن الذي لا يبالي بأوامر الله لا يبالي الله به أيضا...

كان آدم ﷺ إنساناً كاملاً لذلك أُمر الملائكة بالسجود (الطاعة) له. كذلك لو صار كل واحد منا آدم لاستحق سجد الملائكة له. (الحكم المجلد ٩، رقم ٥، عدد ١٠/٢/١٩٠٥م، ص ٤)

كان العرب يستنون من هذا القبيل، وإذا اطلعنا على قواعد النحو والصرف أيضاً فنجد أمثلة كثيرة لمثل هذا الاستثناء وهناك نظائر من هذا القبيل، كما يقال مثلاً جاءني القوم إلا حماراً، فمن الخطأ الفهم أن القوم كلهم كانوا من جنس الحمير. وهذا هو معنى ﴿كَانَ مِنَ الْجِنَّ﴾ (الكهف: ٥١) أي كان إبليس وحده من قوم الجن ولم يكن من الملائكة. فالملائكة جنس طيب والشیطان على حدة. فسرُّ الملائكة وإبليس خفيٌّ ومكتوم لدرجة أننا لا نجد بدءاً من القول: "أما وصدقنا". إن الله ﷻ لم يرزق إبليس اقتداراً وتوفيقاً إلا أنه يوسوس. فكما أن الملائكة يحفزون على الحسنات فإن الشيطان يولد الوسوس الحبيثة. فالملائكة يقصدون أن يتطهر الإنسان، وتكون أخلاقه رائعة، وبالمقابل يريد الشيطان أن يكون الإنسان خبيثاً قدرًا نجسًا.

فالحقيقة أن سنة الله تسير جنباً إلى جنب حوافز الملائكة والشیطان، ومشیئة الله غالبية في نهاية المطاف. فكأن في الخلفية صراعاً اندلع تلقائياً، وأخيراً يتغلب الحق القادر المقتدر، وينهزم الباطل.

هناك أربعة أشياء ليس في وسع الإنسان أن يتوصل إلى كنهها وسرّها. أولهما الله ﷻ والثاني الروح، والثالث الملائكة، والرابع إبليس. فالذي يؤمن بالله ﷻ من هذه الأربعة ويؤمن بصفات ألوهيته، فيجب عليه أن يؤمن بوجود الثلاثة الباقية أيضاً أي الروح والملائكة وإبليس. (الحكم المجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ١٣)

كثير من الذنوب تتعلق بالأخلاق مثل الغضب والغیظ والحقد والثورة والرياء والتكبر والحسد وغيرها، فكل هذه الأخلاق السيئة توصل المرء إلى جهنم، ومن هذه الذنوب نفسها التكبر الذي ارتكبه الشيطان فكان خلقاً سيئاً فحسب، كما ورد ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (البقرة: ٣٥)، مما أدى إلى عدّه مردود الخلائق وصار

لعينا للأبد. لكن تذكروا أن هذا التكبر ليس في الشيطان فقط، بل كثيرون يستكبرون على إخوانهم الفقراء وبذلك يحرمون من الحسنات الكثيرة، ولهذا التكبر دوافع كثيرة متنوعة. أحيانا يتكبر الإنسان بدافع الثروة، وأحيانا بدافع العلم، وأحيانا بدافع الحسن والجمال، وأحيانا بدافع النسب والعائلة. باختصار؛ يتكبر الناس لأسباب كثيرة ونتيجته الحرمان نفسه. (الحكم مجلد ٨، رقم ١١، عدد ١٧/٣/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٣٦: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

خُلقت "حواء" من الضلع. نحن نؤمن بقدرة الله تعالى. لو قال أحد: لو كان الأمر كذلك لما كان لنا نحن الرجال ضلع، قلت: هذا قياس مع الفارق. لا تقيسوا الله على أنفسكم. لو لم أؤمن بعظمة الله تعالى لما رأيت نماذج استجابة الأدعية كما أراها.... فالقول بأنه إذا كان ضلع آدم أُخرج وخُلقت منه "حواء" فمن أين نبت ضلع آدم مرة أخرى، قولٌ يدل على منتهى الغباء وإساءة الأدب في الحضرة الإلهية. (الحكم مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٠م، ص ٢)

يصبح الإنسان كافرا بمجرد الاعتراض على الأنبياء عليهم السلام، لكونه عديم المعرفة بعلاقات الأنبياء والرسل بالله ﷻ. لذا فإن قياس أي أمر يفوق فهمنا وعقلنا بمقياس عقلنا لحق صريح. فمثلا قد اعترض بعضهم على آدم ﷺ أنه أكل من الشجرة الممنوعة، أو أثاروا البحوث حول ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ (عبس: ٢). فهذا التصرف ينافي آداب الرسل، ويوصل إلى درجة الكفر. (الحكم مجلد ٨، رقم ١٤-١٥، عدد ٣٠/٤/١٩٠٤م و ١٠/٥/١٩٠٤، ص ٢)

﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي يا آدم... ادخل أنت ومن هو تابعك ورفيقك في الجنة أو في وسائل النجاة الحقيقية. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٩٠-٥٩١، بقية الحاشية في الحاشية)

سُئِلَ المسيح الموعود عليه السلام: ما اسم الشجرة التي مُنِعَ منها آدم؟ فقال عليه السلام: لقد كتب المفسرون حول هذا كثيرا وأبدوا آراء مختلفة، ويبدو أنها كانت شجرة العنب، إذ إن الخمر تُصنع من العنب وقد ورد عن الخمر ﴿رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة: ٩١). ومن المحتمل أن يكون عصير العنب في ذلك الزمن مسكراً دون أن يعتق، مثل شراب معروف في بلادنا باسم "تاري" الذي يصبح مُسكراً بعد فترة قصيرة.

(بدر، مجلد ٢، رقم ١١، عدد ٣/٤/١٩٠٣م، ص ٨٢)

سُئِلَ عليه السلام: أين كانت جنة آدم؟ فقال: إن ديننا هو أنها كانت على الأرض، يقول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ (طه: ٥٦). إن فكرة سكن آدم في السماء باطلة تماماً. (بدر، مجلد ٢، رقم ١١، عدد ٣/٤/١٩٠٣م، ص ٨٢)

الآية ٣٧: ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾

لا يقدر الشيطان على أن يمس أصحاب اليقين الكامل... إنني موقن بأنه كان بعض التساهل في استعداد آدم، فوجد الشيطان فرصة للوسوسة. والله لو كان هناك إنسان عظيم مثل سيدنا محمد رسول الله ﷺ لما استطاع الشيطان أن يفعل شيئاً قط. (بدر، مجلد ١٢، رقم ٢، عدد ١١/٧/١٩١٢م، ص ٢)

من الخطأ الظن أن الشيطان ذهب إلى "حواء". كلا. فكما يذهب الشيطان إلى الناس خفيةً اليوم، كذلك ذهب إليها خفيةً أيضاً. يلقي الشيطان وسوسته في قلب الإنسان، فيصبح ممثلاً للشيطان، وعلى هذا النحو كان الشيطان في ذلك الوقت قد وسوس هذا الأمر في قلب بعض معارضي الدين. علماً أن الجنة التي كان آدم عليه السلام يسكنها كانت على الأرض، فوسوس له شرير من الأشرار. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠١م، ص ١٠)

معنى الشيطان: الهالك. وقد استُمدَّت هذه الكلمة من "شيط". (فلسفة تعاليم

الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٢)

أما الوجود الشرير، أي وجود الشيطان الذي مكانته تقع في أسفل الانخفاض في ذوي العقول، فتأثيره يجذب إلى الشرك كل قلب ينشئ به علاقة ما. فبقدر ما يقوي أحد علاقته به يخطر بباله أفكار الإلحاد والخبث، حتى أن الذي ينسجم معه انسجاما تاما يتصبغ بصبغته تماما ويصبح شيطانا كاملا، وينال ظليا جميع كمالات الخبث التي يتمتع بها الشيطان الحقيقي. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٥٠ - ٢٥١، الحاشية)

قد تستغرب بعض الفرق التي تنكر الشيطان فيقولون: ما هو هذا الشيطان؟ فليعلموا أن هناك قوتين تلازمان دائما قلب الإنسان بالتناوب؛ قوة الخير وقوة الشر. إن قوة الخير تعزوها الشريعة الإسلامية إلى الملائكة، أما قوة الشر فتنسبها إلى الشيطان. والمراد من ذلك أن هاتين القوتين موجودتان في فطرة الإنسان؛ فيميل إلى الخير أحيانا ويميل إلى الشر أحيانا أخرى. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٧٩)

الشيطان يهيم الليل دوماً، ولا شأن له بالنهار، فهو لص قديم يأتي في الظلام. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩ ص ٤٥)

الظلام يخلق الظلام، والنور الباطني يجذب المزيد من النور لذلك شبه الظلام بالشيطان والنور يشابه روح القدس. (الحكم، مجلد ٥، ص ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠١ م، ص ٤)

يتبين من التوراة بأن الحية التي عصت أمر الله كانت ملعونة قبل إثم آدم أيضا. ولكن السؤال هو: كيف صارت ملعونة قبل آدم؟

تقول التوراة بأن الحية كلّمت "حواء"، ولكن من الواضح أنه ليس من القانون السائد في الطبيعة أن تكلم الحية الإنسان. فلا شك أن المراد من الحية هو الشيطان، وإن كانت كلمة "نحاش" تُطلق في العبرية على الحية فقط ولكن مما لا شك فيه أنه قد وردت الكلمة نفسها في العربية التي هي أم اللغات أي كلمة: "خناس". وقد قُلبت "خناس" بصورة غير مرتّبة وأزيلت نقطة "خ" ووُضعت ثلاث نقاط على "س" وجُعِلت "نحاش". ولكن السؤال هو أن الشيطان أيضا لا يكلم الإنسان بحسب

القانون السائد في الطبيعة. فجوابه أن الشيطان كلّم "حواء" متمثلاً في الحية في المنام أو الكشف الذي يشبه اليقظة. وفي علم تعبير الرؤيا يُطلق الحية على الشيطان. والمراد من الكلام مع الحية هو ظهور ملك ظالم كما ورد: "إن رأى أنه يكلم الحية ظهر عدو من الفراغة." فمن الأقرب إلى القياس أن السبب وراء خروج آدم كان أن تولى الحكم في البلاد ملك غاشم فنفى آدم من البلاد لأنه ليس من سنة الله تعالى أن يُخرج ملائكة الله أحداً. إن كلام الحية مع "حواء" يدل بجلاء على أنها استعارة لأن قانون الطبيعة لا يشهد أن تكلم الحيوانات الإنسان. وإن كلام سليمان مع الطيور أيضاً كان في الكشف وليس ظاهرياً لذلك كانت معجزة. أما إذا وقع ذلك الفعل بواسطة القوى الإنسانية فقط كان بإمكان عشرات ملايين الناس في العصر الحاضر أن يكلموا الحيوانات. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٨، عدد ٣١/٥/١٩٠٤م، ص ٥)

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾. أي تموتون في هذه الأرض بعد قضاء أيام التمتع. هذه الآية أيضاً تحول دون صعود الجسد المادي إلى السماء لأن لفظ ﴿لَكُمْ﴾ هنا يفيد التخصيص، ويدل صراحة على أن الجسد المادي لا يمكن أن يصعد إلى السماء، بل سيبقى في الأرض كما خرج منها، وسيعود إليها فقط. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٩)

هذه الآية أيضاً تماثل الآية المذكورة آنفاً (فيها تحيون...) من حيث المعنى. فكيف يمكن أن يعيش عيسى عليه السلام في الأرض - وهو مقام عيش الناس - ٣٣ عاماً فقط؟ ويسكن في السماء إلى أَلْفِي عام بل أكثر من ذلك إلى مدة غير معلومة، لأن ذلك يجعل الأمر مشبوهاً وكأنه ليس إنساناً، ولا سيما إذا كان لا يشاركه أحد من الناس في خواص تفوق البشرية. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٩٤-٣٩٥)

ستكون الأرض هي المستقر لكم، وفيها تعيشون إلى موتكم، هذا وعد من الله. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٨)

الجنة التي أخرج منها آدم كانت على الأرض. بل ذكرت في التوراة حدودها. وثبت من نصوص القرآن أيضا أن الأرض هي لعيش الإنسان ومماته. والذي يعتنق دينا غير ذلك فهو يسيء إلى كلام الله. (بدر، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ١٩٠٧/٢/٢١ م، ص ٥)

الآية ٣٨: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

عندما يكون الدعاء جديرا بالقبول يخلق الله تعالى حماسا صادقا واضطرابا في قلب الداعي. وفي كثير من الأحيان يعلم الله تعالى الدعاء بنفسه، ويخبر بالأسلوب أيضا بالإلهام كما يقول: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾. يتبين من ذلك بكل جلاء أن الله تعالى يعلم عباده الصالحين الأدعية الجديرة بالقبول إلهاما. وفي بعض الأحيان يكون في تلك الأدعية شيء لا يُعجب الداعي ولكنه يُجاب. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ١٩٠٢/٣/٣١ م، ص ٧)

الآية ٣٩: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أي أن الذين يتبعون كلامي فلن يخافوا ولن يحزنوا. فأنواع الموت والهلاك التي تصيب عبدة الدنيا، ينجو من خوفها أولئك الذين يتقبلون الموت روحانياا بالتفاني في الله. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٩)

الآية ٤٠: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

إن الذين يكفرون بعد تلقيهم كتابنا ويكذبون يُلقون في جهنم. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢١٠)

إنما نؤمن بأن الإنسان سيبقى في جهنم لمدة معينة ثم يخرج منها، فكأن الذين لم يتم إصلاحهم بالنبوة سُئِلَهم جهنم. فقد ورد في الحديث "يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها". (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ١٩٠٣/٥/٣١ م، ص ٣)

الآية ٤١: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

إن لقب "بني إسرائيل" هو من الله تعالى. ومعنى "إسرائيل" الذين لا يعصون الله. قوم منخرطون في سلسلة الطاعة والحب. هذا هو معنى الإسلام الحقيقي والأصلي. لقد ذكر اسم "إسرائيل" في كثير من النبوءات ولكن الناس لم يفهموه لقلة فهمهم. المراد من إسرائيل هو الإسلام، وتلك النبوءات هي بحق الإسلام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٧)

من الواضح أن مخاطبة قوم موجودين لا يستلزم قط أن يبقى الخطاب مقتصرًا على القوم الموجودين فحسب، بل الأسلوب المتبع في القرآن الكريم هو أنه كثيراً ما يخاطب قوماً ولكن المخاطب الحقيقي هم أناس آخرون خلوا أو سيأتون في المستقبل. فمثلاً يقول الله جلّ شأنه في سورة البقرة مخاطباً اليهود: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾. من الواضح أن اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ كانوا مصداقاً لـ "ضربت عليهم الذلة"، وما أنعم عليهم بشيء، ولم يؤخذ منهم عهدٌ أن يؤمنوا بخاتم الأنبياء. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٢٦)

الآية ٤٢: ﴿وَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾

إن قراءة كلام الله المقدس، القرآن الكريم مع أمور خبيثة إساءة إليه. المشايخ يفعلون ذلك لكسب الخبز فقط. وإن سكان هذا البلد يمارسون تقليد الختمة فيقرأ المشايخ سوراً طويلة ليكسبوا مزيداً من المرق والخبز. هذا كفرٌ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾
يرد الاعتراض في رأيي منذ القدم على أسلوب الصلاة أيضاً السائد حالياً. يؤمّ المشايخ الصلاة نظراً إلى أناس معينين فقط. هذا النوع من الإمامة لا يجوز شرعاً، إذ لا يوجد في الصحابة من أمّ الصلاة مقابل الأجرة على شاكلة المشايخ المعاصرين. ثم

إذا أُقِيل أحد من منصب الإمامة في مسجد ما تُرفع القضية في المحكمة العليا. ذات مرة رفع أحد المشايخ ست أو سبع تكبيرات في الجنازة، وسأله الناس عن السبب فقال: إن الإنسان يتذكر أمرا يقوم به كل يوم لكن إذا مات شخص واحد في سنة فكيف أتذكر؟ يموت شخص واحد بعد مدة طويلة حين أكون قد نسيت طريقة صلاة الجنازة. كذلك جاء شيخ إلى هنا وأقام، فقَسَمَ والذي المحترم عليه وعلى المشايخ الآخرين حاراتٍ، فجاءه ذات يوم باكيًا وقال بأنَّ سكان الحيّ الذي من نصيبه قصار القامة لذا عندما سيُهدى له قماشٌ عند موت أحدهم لن يكفيه ليجعل منه حتى رداء. إن أوضاع هؤلاء في العصر الراهن بائسة جدًا. يقول الصوفية إن القلب يقسو بأكل مال الميت. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧/٣/١٩٠٣م، ص ٧٣)

الآية ٤٤: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ﴾

كل من وجبت عليه الزكاة فليؤدها. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٥)

أيها الأعزّة، هذا أو أن خدمة الدين وتحقيق مقاصده، فاعتنموا هذه الفرصة فإنها لن تعود بعدها أبدًا. يجب على صاحب النصاب أن يرسل إلينا أموال زكاته. وليجتنب كل منكم الإسراف، ولينفق ماله في هذا السبيل، وليؤكد صدقه في كل حال لينال إنعام الفضل وروح القدس، لأن هذا الإنعام قد أُعِدَّ للذين قد دخلوا هذه الجماعة. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٨٣)

الحلى التي تُستخدم عادة أو يستعيرها الناس بمناسبة الزيجات مثلًا فهي استثناء من الزكاة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٢م، ص ٧)

طُرح السؤال عن رهن الحلى فقال ﷺ: سواء أكانت الحلية أو شيء آخر فما دام الانتفاع منها جائزًا فلماذا يدخلون في التكاليف دونما سبب. إذا كان الإنسان ينتفع من الحلية باستخدامها فيجب أن يدفع الزكاة عليها أيضًا. الزكاة واجبة على الحلية أيضًا. فمثلا قد دفع البارحة أهل بيتي ١٥٠ روبية زكاة على

الحلى. فإذا كان الإنسان يستخدم الحلية فليؤد عليها الزكاة أيضا. إذا كانت لديه شاة في الرهن ويشرب لبنها فليعلفها أيضا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١١)

سُئِلَ عليه السلام: هل الزكاة واجبة على نقود أُعطيت لأحد دينا؟ قال: لا. (بدر، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢١/٢/١٩٠٧م، ص ٥)

سأل أحد الإخوة: في مال التجارة يكون جزء لا بأس به للمشتري ويكون المال معلقا، فهل عليه زكاة أم لا؟ قال عليه السلام: لا زكاة على المال المعلق ما لم يُقبض. ولكن على التاجر ألا يماطل ولا يتحايل في أداء الزكاة، فإنه ينفق على حاجاته أيضا من المال نفسه على أية حال. عليه أن يحسب ماله الموجود والمعلق بالتقوى ويُرضي الله تعالى بأداء الزكاة المناسبة عليه. بعض الناس يستخدمون التحايل مع الله تعالى أيضا وهذا السلوك لا يصح بحال. (بدر، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١١/٧/١٩٠٧م، ص ٥)

هناك كثير من الناس الذين يؤدون الزكاة ولكن لا يفكرون مما يؤدونها. فإذا ذبح الكلب مثلا أو الخنزير فلا يصبحان حلالا بمجرد الذبح. كلمة الزكاة مستمدة من التزكية، أي طهروا الأموال ثم ادفعوا منها الزكاة. والذي يدفعها منها صدقه قائم. أما الذي لا يفرق بين الحلال والحرام فهو بعيد عن مفهومها. فيجب الابتعاد عن أخطاء من هذا القبيل. وينبغي فهم حقيقة هذه الأركان جيدا فعندها تكون سببا للنجاة وإلا فلا، ويتوه الإنسان كثيرا. اعلموا يقينا أنه لا داعي للاعتزاز والافتخار. لا تجعلوا لله شريكا، لا في الأنفس ولا في الآفاق. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧م، ص ٩)

إذا كان في جماعتي من تحب عليهم الزكاة بسبب أملاكهم وأموالهم وحليهم وغيرها فليعلموا أنه ليس أحد محتاجا ویتيمًا ومعوذًا اليوم مثل دين الإسلام. أما الإنذار الوارد في الشرع عمن لا يؤدي الزكاة فهو معلوم وظاهر للجميع،

ويوشك منكر الزكاة أن يكون كافرا. فبذل أموال الزكاة في إعانة الإسلام فرض عين، ويمكن أن تُشتري كتب بمال الزكاة وتوزع مجانا. (مجموعة الأعلانات المجلد ١، ٢٦٧)

ما سألته عن الحلى فهذه قضية مختلف فيها، ولكن ذهب معظم العلماء إلى أنه لا زكاة على حلى تُلبس. ولكن من الأفضل أن تُعار أيضا للآخرين. فمثلا لو أُعطيت سيدة مؤقتا لتلبسها لبضعة أيام لسقطت الزكاة عنها بالإجماع. (مكتوبات أحمد مجلد ٥، ص ٥٥، مكتوب رقم ١٣، إلى منشي حبيب الرحمن رحمته الله)

الآية ٤٥: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

من علامات الصالحين أنهم لا ينصحون الآخرين بما لا يتمسكون به أنفسهم. يقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٠٥)

الحق أن هناك حاجة ماسة ليكون قول الإنسان وفعله منسجمين متوافقين، وإن لم يتوافقا فلا معنى لهما أصلاً، ولذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٥)، أي تأمرون الآخرين بالبر ولا تحسبون أنفسكم مخاطبين بهذا البر، بل تنسون أنفسكم. (الحكم، مجلد ٩ رقم ١٦، عدد ١٠/٥/١٩٠٥م، ص ٢)

الذي ليست أخلاقه حسنة أخشى على إيمانه، لأن فيه جذراً من الكبر، وهو هالك لو لم يرض الله عنه. وما دامت هذه حالته الأخلاقية فكيف يحق له نصح الآخرين. يقصد حصراً أن لا ينسى الإنسان نفسه ويتقرب عيوب الآخرين، بل يجب عليه أن يتقرب أخطاءه. فحين لا يتمسك بهذه الأمور شخصياً يكون في نهاية المطاف مصداقاً لـ: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣).

إن نصّح أحد بإخلاص وحبٍّ صعبٌ للغاية، لكنه يكمن في النصيحة أحيانا بغضٍ خفي وكبر. فلو كانوا ينصحون بحب خالص لما خاطبهم الله ﷻ بهذه الآية. فالسعيد الكبير من ينظر أولا إلى عيوبه، وهي لا تنكشف ولا يتم الاطلاع عليها ما لم يفحص المرء نفسه باستمرار. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

الآية ٤٦: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

اطلبوا العون من الله بالصبر والصلاة لأن الحسنات يذهبن السيئات. (البراهين الأحمديّة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٢، حاشية على الحاشية رقم ٣)

ما هي الصلاة؟ إنها لدعاء يُدعى بالتضرّع وبالتسبيح والتحميد والتقديس والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ. فإذا صليّتم فلا تتقيّدوا كالغافلين في دعواتكم بالكلمات العربية فقط، فإن صلاتهم واستغفارهم كله مجرد عادة وطقوس خالية من لبّ الحقيقة. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٦٨-٦٩)

الأوامر التي أعطى الله الإنسان بصورة الشريعة مثل: "أقيموا الصلاة" أو قال: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فإذا ثبت عليها الإنسان لمدة تتحول تلك الأحكام من الصبغة الشرعية إلى الصبغة الكونية، عندئذ لا يستطيع أن ينقضها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ١٠/٧/١٩٠٣م، ص ١٥)

الآية ٥٦: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

هناك نقطة دقيقة أخرى في هذه الآية وهي أنه لما لم يجعل الله تعالى اليهود الموجودين حاليا لينوبوا عن أناس سبقوا بل اعتبرهم في الحقيقة أناسا خلوا من قبل، ففي هذه الحالة أطلق القرآن الكريم على اليهود الموجودين في عهد النبي ﷺ الميمون اسم بني إسرائيل الذين سبقوا لأنهم لمّا اعتبروا كأنهم هم صار لزاما أن تكون

تسميتهم أيضا هي هي. والسبب في ذلك أن الأسماء هي للحقائق كمثل صفات لا تنفك. والمعلوم أن الصفات اللازمة لا تنفك عن حقائقها قط.

الآن تفكروا بانتباه جيد أنه ما دام الله تعالى قد قال بكل وضوح وصراحة مخاطبا اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ بأنكم أنتم الذين ارتكبتم سيئات كذا وكذا في عهد موسى، فكم هو تجاسر وإجحاف كبيرٌ تأويل نص واضح مثله وإنزال عيسى عليه السلام الذي مات بحسب القرآن الكريم على الأرض بناء على الأحاديث!!

أيها الأعزة، إذا كان من عادة الله وسنته أن يعيد إلى الدنيا أناسا خلوا، فلا يجوز الإعراض قط عن النص القرآني الذي يخاطب الذين خلوا بال تكرار ويشهد على حياتهم. وإذا انتابت القلوب في هذا المقام شبهة أن هذا المعنى يخالف المعقول - إن لم يكن بعيدا عن قدرة الله - يلجأ إلى التأويل ويُستنبط منه معنى لا يُستبعد عقليا؛ ففي هذه الحالة يجب أن يُستنبط من النبوة عن مجيء عيسى عليه السلام معنى يجري على المنوال نفسه، لأنه إذا كانت عودة اليهود السابقين إلى الحياة في زمن النبي أو عودة أرواحهم على سبيل التناسخ يعارض المعقول فكيف يجوز إذا أن يعود إلى الدنيا المسيح عليه السلام الذي تشهد على وفاته بصوت عال الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٨). (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٢٩ - ٣٣٠)

لا أرى كشفا وإلهاما وعقلا وفرقا تحقق أمنيته ليروا يوما من الأيام المسيح ابن مريم نازلا من السماء في الحقيقة. إذن، فإن إصرارهم على أنهم لن يؤمنوا ما لم يروا المسيح بأم أعينهم نازلا من السماء، تعنتٌ خطير. إن قولهم هذا يشبه قول الذين ذكرهم الله جلّ شأنه في القرآن الكريم أنهم ظلوا يقولون: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فحرموا من الإيمان. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣،

الآية ٥٧ - ٥٨: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

معلوم أن موسى توفي قبل ألفي عام من وجود اليهود الذين خطبوا في القرآن الكريم، ولم يكن لهم أدنى أثر في زمن موسى، فأتى كان لهم أن يسألوا موسى؟ أين سقط عليهم البرق وأين أكلوا المنّ والسلوى؟ هل كانوا موجودين من قبل في زمن موسى ﷺ في قوالب أخرى ثم جاءوا في زمن النبي ﷺ تناسخا؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فماذا نستطيع القول إلا أن نؤول أنه ليس ضروريا أن يكون المخاطبون الموجودون عند الخطاب هم المصدّق الحقيقى للأحداث المذكورة في الخطاب. الأسلوب المتبع في كلام الله والأحاديث النبوية الشريفة هو أنه كثيرا ما يُنسب إلى شخص أو قوم حادث وتكون له في الحقيقة علاقة بشخص آخر أو قوم آخرين. وإن نبأ مجيء عيسى بن مريم أيضا من هذا الباب، لأنه قد نُسب في بعض الأحاديث إلى عيسى ﷺ حادثٌ سيحدث في الزمن الأخير مع أنه قد توفي من قبل. إذاً، فقد نُسب هذا الحادث أيضا إلى المسيح ﷺ كما نُسب حادث النجاة من فرعون وأكل المن والسلوى ونزول الصاعقة وعبور البحر، وقد نُسبت قصة: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ إلى اليهود الذين كانوا في زمن نبينا الأكرم ﷺ مع أن تلك الأحداث كانت تتعلق بقومهم الذين سبقوهم وماتوا قبلهم بمئات السنين. فإذا كان هناك أحد لا يتوجه إلى الجانب العقلي عند استنباط المعنى من هذه الآيات ويرى الإصرار على ظاهر الكلمات واجبا فأقل ما سيثبت من هذه الآيات هو أن مسألة التناسخ حق، وإلا فكيف يمكن أن ينسب الله عمل عامل إلى شخص لا علاقة له به قط، وهو القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: ١٦)؟ ثم إذا عصى موسى قومه وأخذتهم الصاعقة، أو عبدوا العجل ونزل عليهم

رجز من الله، فما علاقة قوم وُلدوا بعد أَلْفَي عام من هذه الأحداث؟ لا شك أن المتقدمين منذ زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا بمنزلة الآباء والأجداد للمتأخرين ولكن لا يمكن أن يُلقى وبال ذنب أحد على غيره. فكيف يمكن أن يكون لقول الله تعالى في القرآن الكريم - بأنكم عصيتم موسى وقتلتم لن نؤمن بالله ما لم نره بأعيننا، وبسبب هذه المعصية أخذتكم الصاعقة - معنى آخر من حيث ظاهر الكلمات إلا أن نقول بأن جميع اليهود الذين وُجدوا في زمن نبينا ﷺ كانوا موجودين في زمن موسى عليه السلام أيضاً، وعليهم نزل المنّ والسلوى، وعليهم سقط البرق، ومن أجلهم أُهلك فرعون، ثم وُلد اليهود أنفسهم في زمن النبي ﷺ مرة أخرى تناسخاً وبذلك صحَّ الخطاب؟

والسؤال هو: لماذا لا يُستنبط المعنى البسيط والسليم؟ هل هو بعيد عن قدرة الله؟ ولماذا تُقبل معانٍ تدخل في حكم التأويلات البعيدة؟ أليس الله قادراً - كقدرته على إنزال عيسى عليه السلام إلى الأرض بجسده المادي تماماً بعد مئات السنين كما يزعم معارضونا - على أن يحيي اليهود من زمن موسى مرة أخرى في زمن النبي ﷺ أو أن يأتي بأرواحهم إلى الدنيا تناسخاً؟ فلما قُبلت بناء على أقوال لا أصل لها عودة روح عيسى إلى الدنيا ثانية، فلماذا لا تُقبل عودة أرواح هؤلاء اليهود جميعاً إلى الدنيا ثانية تناسخاً في زمن نبينا الأكرم ﷺ، مع أن نصوص القرآن الصريحة والبيئة تشهد على وجودهم؟ (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٢٧-٣٢٩)

حين تفشى الطاعون في اليهود في طريق مصر وكنعان كانوا في البرية بعيدين تماماً عن عفونات المدينة، وكانوا يتغذّون على الترنجبين والسُّماني، وكانوا موقنين بأنه لن ينزل عليهم أيُّ بلاء، لكنهم حين بدأوا المعصية وتورطوا في الفسق والفجور تسببت الترنجبين والسُّماني نفسها في تفشي الطاعون. فما أدق هذا السر لحكم الله ﷻ. أي لما كان الله يعلم أن هذا القوم سيتورّط عن قريب في

التمرد والبغي فقد هيا لهم الترنجبين والسُّماني ليل نهار؛ فهذان الشيئان في الطب يسببان الطاعون بصفة خاصة، ولهذا السبب يجتنب الأطباء إعطاء الترنجبين وصفة لأمراض الجلد في مكان توجد فيه البثور والدمامل. فاليهود الأشقياء من ناحية ظلوا يرتكبون الجرائم، ومن ناحية ثانية جمعوا فيهم مادة الطاعون نتيجة تناول الترنجبين والسُّماني ليل نهار، فحين حانت مؤاخذتهم كانت الجرائم من ناحية قد بلغت منتهاها وكانت تتطلب العقاب، ومن ناحية ثانية كانت المادة الطاعونية قد اجتمعت فيهم إثر تناولهم الترنجبين والسُّماني لدرجة اقتضت تفشي الطاعون. ففي ليلة واحدة حين نزل من السماء أمر عقوبة اليهود، تلقت مادة الطاعون - التي كانت مستعدة أيضا - الأمر بالخروج ليهلك هذا القوم الشرير، فماتوا في الغابة كالكلاب. فاعتبروا يا أولي الأبصار. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٤٠)

"هذا ما جاء في القرآن وتقرأونه في كتاب الله الفرقان، مع أن ظاهر صورة هذا البيان يُخالف أصل الواقعة، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان. فإن الله ما فرق بين يهود زمان نبينا محمداً من البحار، وما أغرق آل فرعون أمام أعين تلك الأشرار، وما كانوا موجودين عند تلك الأخطار، وما اتخذوا العجل وما كانوا في ذلك الوقت حاضرين، وما قالوا يا موسى لن نؤمن حتى نرى الله جهرة بل ما كان لهم في زمان موسى أثراً وتذكراً، وكانوا معدومين. فكيف أخذتهم الصاعقة، وكيف بُعثوا من بعد الموت وفارقوا الحمام؟ وكيف ظلل الله عليهم الغمام؟ وكيف أكلوا المن والسلوى، ونجّاهم الله من البلوى، وما كانوا موجودين، بل وُلدوا بعد قرون متطاولة وأزمنة بعيدة مبعدة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، والله لا يأخذ رجلاً مكان رجل وهو أعدل العادلين. فالسر فيه أن الله أقامهم مقام آبائهم لمناسبة كانت في آرائهم، وسماهم بتسمية أسلافهم وجعلهم وُراء أوصافهم، وكذلك استمرت سنة رب العالمين." (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٧٦)

الآية ٦٠: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

لم يقل الله تعالى: أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وهذا يعني أن المؤمن المؤمن لا يعذب بالطاعون بحال من الأحوال، لأنه خاص بالكفار والمنافقين. لذلك لم يمِت نبي بالطاعون منذ أن خُلقت الدنيا. نعم، يمكن أن يموت به أحيانا بعض المؤمنين الذين ليسوا خلوا من الذنوب فيكون هذا الموت كفارة لذنوبهم. وهذا نوع من الاستشهاد لهم. ولكن لم يسمع أحد قط أن أحداً أُصيب بالطاعون مع كونه موسى. ومن اعتقد أن نبيا أو خليفة الله مات بالطاعون فهو خبيث ونجس وسيئ من الدرجة القصوى. فلو كانت هذه الشهادة محمودة ولا يقع عليها اعتراض لكان الأنبياء والرسل أول المستحقين لها. ولكن كما بيّنا قبل قليل لا يسع أحدا إثبات أن نبيا أو رسولا أو أحدا من أصفياء الله من الدرجة الأولى الحائز على مكاملة الله ومحاطبته مات بهذا المرض الخبيث منذ أن خُلقت الدنيا. إن أول المعرّضين لهذا المرض دائما هم مرتكبو أنواع المعاصي والفجور أو الكافرون الذين لا إيمان لهم. ولا يجوز العقل قطعا أن يصاب أنبياء الله ورسله والمُلهَمون أيضا بالمرض الذي قدّره الله لمعاقبة الكفار منذ القدم. لقد أجمعت التوراة والإنجيل والقرآن الكريم على أن الطاعون ينزل لمعاقبة الكفار دائما، وأن الله تعالى قد أهلك مئات الألوف من الكفار والفساق والفجار بالطاعون دائما كما يتبين من كتب الله والتاريخ. والله تعالى أعلى وأسمى من أن يُنزل على عباده المقدسين العذاب والبلاء الذي قدّره للكفار منذ القدم، وأن يسلط على أنبيائه المصطفّين بلاءً مات به آلاف الفساق والفجار في عهود الأنبياء دائما. فإن عذاب الله الذي نزل على قوم لوط مثلا لم يمِت به أي نبي قط، بل كل عذاب نزل لهلاك أمة من الأمم لم يمِت به نبي مطلقا. كذلك إن الطاعون الذي يمثّل عذابا خاصا بالكفار لا يمكن أن يصيب أحدا من الأصفياء. ومن ادّعى خلاف ذلك وقال إن

نبيا من الأنبياء السابقين قد هلك بالطاعون فهذا شأنه؛ إذ لا نستطيع أن نكف لسانَ وقحٍ سيئ الأدب. غير أن ما يثبت من كتاب الله هو أن الطاعون رجزٌ ويصيب الكافرين دائما. وصحيح أيضا أن الجحيم خاصة بالكفار، أما بعض المؤمنين الآثمين الذين سيُلْقون فيها فمن أجل التمحيص والتطهير فقط، وسيُبعد عباد الله الأصفياء عنها حسب وعده تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٢) كذلك إن الطاعون أيضا نوع من جهنم، يُلقى فيها الكفار للتعذيب. أما المؤمنون الذين ليسوا معصومين ولا بُرَاء من المعاصي فإن الطاعون الذي سماه الله تعالى جهنم وسيلة لتطهيرهم، فيمكن أن يصاب به المؤمنون الأقل درجة الذين يحتاجون إلى التزكية، أما الحائزون على أعلى مراتب قرب الله وحبه تعالى فلن يدخلوها أبدا. (ملحق حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٤٢-٥٤٤)

الحقيقة أن الناس ليسوا مطلَّعين على ويلات مرض الطاعون، بل يعدّونه مرضًا بسيطًا كالرشح والزكام.

لقد سماه الله رجزا، ومن معاني الرجز العذاب. وورد في القواميس أن هذا المرض يبدأ في أعلى فخذ البعير، حيث تتولد هناك دودة تسمى النغف. ونستنتج من هذا أمرا لطيفا، وهو أن في فطرة البعير نوعا من التمرد، والإنسان الذي يصاب بالطاعون يكون مصابا بالتمرد، فعندما يصاب الناس بالتمرد يصيبهم هذا العذاب الأليم. ومن معاني الرجز الدوام كما ورد في القواميس، ومرض الطاعون أيضا يدوم، ولا يخرج من البيت إلا بعد أن يرخل أهله كلهم من الدنيا. وهذا يبين أن هذا البلاء يكنس البيوت ويجعل الأولاد أيتاما ويحوّل كثيرا من النساء الضعيفات أرامل.

ثم إن التدبر في معنى الرجز يبين أن هذا المرض يتولد من الرجز والدنس وعدم الطهارة. والأماكن التي لا تنظّف جيدا وتكون جدرانها سيئة المنظر كالقبور ولا يدخلها الضوء ولا الهواء تتولد فيها العفونة السامة، فيتولد مرض الطاعون. ورد في

القرآن الكريم ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المذثر: ٦)، والرجز هو الرجس بكل أنواعه، والهجر يعني الابتعاد. مما يبين أن الذين يريدون الطهارة الروحانية لا بد لهم من النظافة والطهارة الظاهرة أيضا، لأن إحدى القوى تؤثر على القوة الأخرى وأحد الجوانب يؤثر على الجانب الآخر.

للإنسان حالتان، والذين يريدون نيل الطهارة الروحانية يراعون الطهارة الظاهرة أيضا. (كتيب "الإنذار"، ص ٦-٧، الطبعة الأولى)

قال ﷺ عند ذكر الطاعون: لقد سُمِّي الطاعون في القرآن الكريم بـ ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ فيُتَبَيَّن منه بجلاء أنه لا يمكن للإنسان أن يحده في حدود ولا يمكن أن تقاومه الخطط الدنيوية وإلا لما كان عذابا سماويا. لقد سُمِّي هذا المرض "طاعون" وهي صيغة المبالغة مثل "فاروق". عندما يتجاوز الطعن والتكذيب الحدود يأتي الطاعون كنتيجة له ولا يكاد غضب الله أن ينتهي ما لم يقض على الجميع.

قيل: ما العلاقة بين ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ و﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؟

قال ﷺ: الأوامر تأتي من السماء، أي ينزل أمر الطاعون من السماء ويفوق قدرة الإنسان. وعلاجه أيضا ينزل من السماء. المراد من دابة الأرض هو الطاعون لأن جرائمه أرضية.

ثم قيل له ﷺ: يقال إن الموت بالطاعون شهادة فكيف صار عذابا إذن؟ قال: الذين يقولون إن الموت بالطاعون شهادة لا يعرفون أن الموت بالطاعون عذاب من الله في الحقيقة، أما ما ورد في الحديث أنه إذا مات المؤمن بالطاعون فهو شهيد فقد ستر الله المؤمن على هذا النحو. فلو بدأ الناس يموتون بكثرة لما عُدَّ ذلك شهادة بل تحوّل إلى عذاب. الشهادة في حكم النادر، أما الميتات بالكثرة فتحدث في الكافرين دائما. لو كان الموت بالطاعون شهادة ومباركا لما سُمِّي رجزا من السماء، ولما به المؤمنون بكثرة ولأصيب به الأنبياء أيضا. ولكن هل لأحد أن يسمِّي نبيا أصيب به؟ كلا. فاعلموا أنه إذا مات به مؤمن - وهذا يحدث نادرا - فالله تعالى يستره

بستره، لذلك قيل بأنه مات شهيدا. وإضافة إلى ذلك لقد قلتُ مرارا بأنه إذا كان هناك حديث يعارض القرآن الكريم واستحال تأويله في ضوئه يجب تركه، لأن الحكم يُطلق على الكثرة دائما، والنادر كالمعدوم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٨)

الطاعون ليس شيئا أرضيا لتعالجه الأرض، بل ينزل من السماء ولا يمكن أن يحول دونه أحد. إنه رجزٌ من السماء. وقد تفشى في أزمنة الأنبياء السابقين أيضا كعلامة عذاب. إذن، إن علاجه هو أن تَبَلَّغُوا إيمانكم غايته العليا، وتصلحوا مع الله تعالى قبل حلوله واستغفروه وتوبوا إليه، وأكثرُوا من الدعاء. ليس للطاعون دواء. الدواء ممكن للمرض ولكن الطاعون عذاب الله وغضبه، فما علاجه إلا التقوى؟ اعلّمُوا أنه إذا كان في البيت تقِيّ واحد فإن الله ينقذ البيت كله. بل إذا كانت تقواه كاملة لأمكن أن يكون شفيعا لحارته كلها. لو مات المتقي لدخل الجنة مباشرة. أما في هذا الوقت حين كان الموت نموذج غضب الله وينزل على الأرض كآية فإن قلبي لا يشهد قط أن يموت المتقي بهذا الموت المخزي، بل المتقي سينقذ حتما. (الحكم، بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ٢٨/ ١١ و ١٢/ ١٩٠٢م، ص ٣٨)

تفيد الأحاديث أن بعض الصحابة أيضا ماتوا بالطاعون، لكنه كان استشهادا لهم، فالمؤمنون الذين يموتون بالطاعون هم شهداء، وكان للأمم السابقة ﴿رَجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ٦٠)، كم كان الصحابة حائزين على الدرجات العلي، وبعض منهم أيضا كانوا عرضة له، وهذا لا يعيب إيمانهم، ولا يُشك في إيمانهم، فقد استشهد الصحابي الجليل مثل أبي عبيدة بن الجراح الذي كان يحبه سيدنا عمر كثيرا بالطاعون نفسه، فلا حرج في أن يموت أي مؤمن بالطاعون، غير أن الله لا يتعامل هكذا حيث يحدث الخلل في النظام الإلهي، وأقصد أن أي مبعوث من الله أو المرسل لا يموت بالطاعون أبدا، ولا يموت بأي مرض خبيث آخر لأنه يترتب على ذلك نقص وخلل كبير في النظام الإلهي، فالأنبياء والرسل والمبعوثون من الله يعصمون من هذه

الأمراض، وهذا ما يسمى آية. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٨، عدد: ١٠/٣/١٩٠٤، ص ٥. والملاحظات، المجلد ٣، ص ٥٩٣-٥٩٤)

الآية ٦١: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

لا تسبوا في الأرض بنية الفساد، أي بنية السرقة أو الإغارة أو اختلاس أموال الناس بانتشال ما في الجيوب أو بأي طريق غير شرعي آخر. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ٦٢: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

الأحداث الماثلة للعيان تشهد بكل جلاء أن هذه الأمة وعلماءها قد حذوا في الحقيقة حذو اليهود الذين كانوا في زمن المسيح ﷺ. وما حذوا حذو هؤلاء اليهود فقط في أنه لم يبق فيهم التقوى والروحانية ومعرفة الحقيقة فحسب بل حالفهم الانحطاط الديني أيضا كما في ذلك الزمن. وكما دمر ملوك الروم ولايات يهودية وصار اليهود مصداقا لـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، وكانوا نظرا إلى ضعفهم وعدم حيلتهم ينتظرون مسيحا ليأتي كملك ويعمل السيف في الرومان، لأن هذا ما وعدوا به في نهاية التوراة؛ كذلك نرى قوما مسلمين أيضا في حالة الانحطاط والسقوط. إذا بقيت ولاية فقد أضعفها النفاق الداخلي وخيانة الوزراء والعاملين، وكسل الملوك

وجهلهم وغفلتهم وإشباعهم رغباتهم وخمولهم لدرجة يبدون وكأنهم يتنفسون أنفاسهم الأخيرة. وكان هؤلاء القوم أيضا ينتظرون مثل اليهود مسيحا ينزل لنصرتهم بجلال عظيم في حلّة الملوك. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥٧-٣٥٨)

كان اليهود أيضا أولاد الأنبياء، أفلم يأت فيهم مئات الأنبياء؟ ولكن ماذا نفعلهم كونهم أولاد الأنبياء؟ لو كانت أعمالهم حسنة لما صاروا مصداقا ل ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦٢). إن الله يريد تغييرا حسنا. فالعلو في النسب أيضا يحرم الإنسان من الحسنات بعض الأحيان إذ يظن أنه سينجو بناء على ذلك فحسب مع أنها فكرة باطلة تماما. يقول "كابير": كبير اچهاوا هم نیچے بھلے سب کو کریں سلام. أي: "من الأفضل أني سليل عائلة وضيعة فأسلم على الجميع."

إن الله يحب الوفاء والصدق ويريد الأعمال الصالحة ولا يمكن لأحد أن يُرضيه بالتباهي وسلطة اللسان. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢٥-٢٦، عدد ٣١ / ٠٧، إلى ١٠ / ٨ / ١٩٠٤ م، ص ١٣)

أما اليهود التعمساء ف ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، وكان ينطبق عليهم المثل القائل: أنظر إلى صورته، ولا تسأل عن حاله. فما كان هؤلاء يعرفون شيئا سوى عبادة الدنيا والتكالب عليها.... لم يكن لهم همٌّ إلا الأكل والشرب. ومن غرائب القدر أنه لما قرب موعد تحقق قول الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾... لو لم تكن حياة اليهود مجموعة القذارات فلماذا ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾؟ فتأملوا في هذا الأمر جيدا، ففيه أسرار خفية، وكان فيه نبأ بأن الأمة اليهودية سوف تصاب بالفساد. (الحكم، مجلد ٤، رقم ١٤، عدد ١٧ / ٤ / ١٩٠٠ م، ص ٦)

هل كانت معجزات موسى عليه السلام قليلة؟ ألم ير بنو إسرائيل آيات واضحة؟ ولكن قولوا بالله عليكم هل نشأت فيهم التقوى وخشية الله الكاملة التي كان موسى يريدتها. وفي نهاية المطاف صار القوم مصداقا ل ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾.

(الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٣١ / ٨ / ١٩٠٢ م، ص ٢)

يصفون النبي الذي كانت عاقبة أمته ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦٢)، أنه حي. كانت أمة عيسى عليه السلام اليهود وقد قال الله تعالى بحقهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، ولن يجدوا عِزَّةً إلى يوم القيامة. فلو جاء عيسى عليه السلام مرة أخرى، فكأنهم استردّوا مجدهم المفقود، وبطل حكم القرآن الكريم. من أية ناحية نتأمل نجد أن ما يؤمنون به يستلزم إبطال القرآن الكريم والإساءة للنبي صلى الله عليه وآله حتّمًا، ثم نستغرب كيف يعتقدون هذه المعتقدات وهم يدعون مسلمين؟ لقد أعلن الله تعالى عن اليهود أن النبوة قد انقطعت عنهم ودّلّوا، فكيف يمكن أن يُبعث فيهم نبي حي؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠٣ م، ص ٢)

إن بني إسرائيل الذين جاء فيهم الأنبياء والرسل بكثرة ورثوا واستحقوا أفضال الله العظيمة ولكن عندما فسدت حالتهم الروحانية وتركوا الصراط المستقيم واختاروا التمرد والفسق والفجور ماذا كانت النتيجة؟ صاروا مصداقاً لـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، وحلّ بهم غضب الله تعالى وسُمّوا قردة وخنازير. وانحطّوا إلى درجة أُخرجوا من دائرة الإنسانية. كم هو مقام عبرة! إن في حالة بني إسرائيل درساً مفيداً دائماً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٩/١٩٠٤ م، ص ٣)

إذا كان اليهود قد صاروا مصداقاً لـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾، وانتقلت النبوة من عائلتهم فمن المستحيل تماماً أن يأتي المسيح مرة أخرى في العائلة نفسها. ولو قبل ذلك لكانت النتيجة أن يُعَدَّ النبي صلى الله عليه وآله نبياً من الدرجة الدنيا وتعدّ هذه الأمة أيضاً أمة دنيا مع أن ذلك يخالف منطوق القرآن الكريم بكل صراحة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ٣١/١٠/١٩٠٥ م، ص ٥)

نعلم بتدبر الآية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أن العقوبة المذكورة في آية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦٢) أصيب بها اليهود على إيذائهم المسيح عليه السلام أيضاً. لأن الآية المذكورة آنفاً تتضمن وعيداً دائماً بحق اليهود أنهم سيخضعون دوماً لسيطرة غيرهم في الحياة، وهي أصل كل عذاب وذلة.

كما يثبت حتى الآن بملاحظة الأوضاع البائسة لليهود أنه لم يهدأ بعد غضب الله الذي ثار عليهم. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٩٩-٢٠٠)

"أما قول بعض العلماء أن الدجال يكون من قوم اليهود.. فهذا القول أعجب من القول الأول، لا يقرأون في القرآن آية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، فالذين ضرب الله عليهم إلى يوم القيامة كل ذلة، وأخبر في كتابه الكامل المحكم أن اليهود يعيشون دائما تحت ملك من الملوك صاغرين مقهورين ولا يكون لهم ملك إلى الأبد، كيف يخرج منهم الدجال ويملك الأرض كلها؟ ألا إن كلمات الله صادقة لا تبديل لها، ولكن القوم ما علموا معاني الأحاديث وما فهموها حق فهمها، والله بمنّ على من يشاء من عباده فيفهمه ما لم يفهم أحدا من العالمين". (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٩٥، الحاشية)

﴿يَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ﴾

ورد في التوراة أن المتقوّل يُقتل، ونقول حكما على ذلك: إذا ثبت بالنص القرآني الصريح والحديث المتواتر أن الأنبياء ظلوا يُقتلون فلا يسعنا إنكاره. على كل حال إن القتل ليس مما يحط من شأن النبي لأن القتل أيضا شهادة. إلا أن قتل النبي فاشلا ليس من علامات الأنبياء. فالأمر يتوقف على الحكمة، فإذا كانت الفتنة تترتب على قتل إنسان ما فالحكمة الإلهية لا تريد أن تحدث الفتنة بقتله، أما الذي لا يُخشى على قتله هذه الفتنة فلا بأس في قتله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م، ص ١٢)

الآية ٦٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

فقد استنتج من هذه الآية استنتاجا خاطئا بسبب غبائه وفهمه المعوج أنه لا حاجة للإيمان بالنبي ﷺ. من المؤسف جدا أن أناسا مثله يتبعون أنفسهم الأمانة

ويخالفون محكمات القرآن الكريم وبيناته، ويبحثون عن ملاذ في المتشابهات بُغية الخروج من الإسلام. فليعلموا أنهم لا يستطيعون الاستفادة شيئا من هذه الآية أيضا، لأن الإيمان بالله تعالى والإيمان بالآخرة يستلزمان الإيمان بالقرآن الكريم والنبي ﷺ. والسبب في ذلك أن الله تعالى قد بيّن في القرآن الكريم معنى اسمه "الله" أن الله هو رب العالمين والرحمن والرحيم الذي خلق الأرض والسماء في ستة أيام وخلق آدم، وأرسل الرسل والكتب، وأخيرا خلق محمداً المصطفى ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء وخير الرسل. والمراد من اليوم الآخر حسب القرآن الكريم هو اليوم الذي يحيا فيه الموتى ويدخل فريق في الجنة التي هي مكان النعم الروحانية والمادية، ويدخل فريق في جهنم وهي مكان العذاب الروحاني والجسدي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم إنما يؤمن باليوم الآخر أولئك الذين يؤمنون بهذا الكتاب.

فما دام الله قد بيّن بصراحة معنى كلمة "الله" و"اليوم الآخر" -وهو خاص بالإسلام- فإن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر يجب عليه أن يؤمن بالقرآن الكريم ويؤمن بالنبي ﷺ أيضا، ولا يسع أحدا أن يغيّر هذا المعنى. ولسنا محولين أن نخلق من عند أنفسنا معاني أخرى تتنافى مع المعاني التي بينها القرآن الكريم وتناقضها. لقد قرأنا القرآن الكريم مرارا وتبنا من البداية إلى النهاية وتدبرنا في معانيه جيدا، فعلمنا بكل وضوح وجلاء أن اسم "الله" جعل موصوفا لكافة الصفات والأفعال الإلهية المذكورة في القرآن الكريم. فمثلا ورد في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وهناك آيات أخرى كثيرة بهذا المعنى ورد فيها أن الله هو الذي أنزل القرآن، وأن الله هو الذي أرسل محمدا رسول الله. فما دام مضمون "الله" بحسب مصطلح القرآن يضم معنى أن الله الذي أرسل محمدا ﷺ فمن الضروري ألا يُمتد بإيمان من يؤمن بالله فقط، ولن يُعدّ كاملا وصادقا ما لم يؤمن بالنبي ﷺ. لم يقل الله تعالى في هذه الآية: مَنْ آمَنَ بِالرَّحْمَنِ، أو مَنْ آمَنَ بِالرَّحِيمِ، أو مَنْ آمَنَ بِالكَرِيمِ. بل قال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ والمراد من "الله" هو الجامع لجميع الصفات الكاملة. ومن

صفاته العظيمة أنه أنزل القرآن الكريم. ففي هذه الحالة لا يمكن لنا القول عن شخص مؤمن بالله إنه يؤمن حقاً به وَعَلَيْكَ إلا إذا كان يؤمن بالنبي ﷺ ويؤمن بالقرآن الكريم أيضاً. وإذا تساءل أحد: ما معنى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ فليعلم أن معناها الذين يؤمنون بالله فقط لا يُعتدُّ بإيمانهم ما لم يؤمنوا برسول الله، أو ما لم يكملوا إيمانهم.

والجدير بالذكر أيضاً أنه لا يوجد في القرآن الكريم أي تناقض قط؛ فلا يمكن أن يقول الله تعالى في مئات الآيات إن التوحيد وحده لا يكفي بل لا بد من الإيمان بنبيّه من أجل النجاة إلا إذا كان أحد لا يعرف عن النبي شيئاً، ثم يقول في آية أخرى عكس ذلك؛ أن في التوحيد كفاية للنجاة ولا حاجة للإيمان بالقرآن الكريم والنبي ﷺ! والأغرب من ذلك أن التوحيد لم يُذكر في هذه الآية أصلاً. لو كان المراد هو التوحيد لقليل: مَنْ آمَنَ بالتوحيد، بينما الكلمات الواردة في الآية هي: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فجملته: ﴿آمَنَ بِاللَّهِ﴾ تفرض علينا أن نتدبر بالمعنى الذي ورد فيه اسم "الله" في القرآن الكريم. فما دما قد علمنا من القرآن الكريم أن كلمة "الله" تتضمن معنى: الله الذي أنزل القرآن وأرسل محمداً ﷺ، فمن مقتضى أمانتنا أن نقبل المعنى الذي صرح به القرآن الكريم، ولا نختار سبلاً أخرى هي من اختراعنا نحن.

إضافة إلى ذلك، قد بينّا من قبل أنه يجب على الإنسان أن يكون يقينه بوجود الله كاملاً من أجل الحصول على النجاة، ولا يقتصر على اليقين فقط بل يجب أن يكون على أتم الاستعداد للطاعة أيضاً ويعرف سبل مرضاته ﷻ. وهذان الأمران لم يتحققا منذ خلق العالم إلا بواسطة رسل الله تعالى. فكم هي سخيفة الفكرة القائلة بأن الذي يؤمن بالتوحيد ولا يؤمن برسول الله يمكن أن ينال النجاة!

فيا أيها الجاهل العمّة! أتى يمكن الفوز بالتوحيد دون اتخاذ الرسول وسيلةً. إن مثّل ذلك كمثل الذي ينفر من النهار المشرق ويفر منه ثم يقول تكفيني الشمس ولا حاجة لي بالنهار. فهذا الجاهل لا يدري أن الشمس لا تنفصل عن النهار. يا للأسف! إن هؤلاء الجاهل لا يفهمون أن الذات الإلهية وراء وراء وغيب الغيب

وخفاء الخفاء، وليس بوسع أي عقل أن يدركها، كما قال تعالى بنفسه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (الأنعام: ١٠٤) أي لا تدركه الأبصار والبصائر وهو يعلم منتهاتها وغالب عليها. فمعرفة توحيده مستحيلة بمجرد العقل، لأن حقيقة التوحيد هي أن يتخلى المرء عن الآلهة الكونية الباطلة، أي يجتنب عبادة الأوثان أو الناس أو الشمس والقمر وغيرهما، كذلك عليه أن يجتنب الآلهة الباطلة الكامنة في نفسه، أي الاتكال على قواه الجسدية والروحانية، وأن يحمي نفسه من التعرض لبلاء العُجب الناتج عنها. والبديهي في هذه الحالة أن الفوز بالتوحيد الكامل لا يتحقق إلا بالتمسك بذيل الرسول والتخلي عن الأنانية. والذي يُشرك أيا من قواه مع البارئ تعالى فأنتى له أن يسمّى موحّداً؟!

ولهذا السبب أناط القرآن الكريم - في مواضع عدة - التوحيد الكامل باتباع الرسول. والتوحيد الكامل إنما هو حياة جديدة، ولا يمكن الفوز بالنجاة ما لم يكن الإنسان متبعا رسول الله ومتخليا عن حياته السفلية. وإضافة إلى ذلك إن قول قليلي الفهم هؤلاء يستلزم الاختلاف في القرآن الكريم، لأنه من ناحية يقول في شتى المواضع: لا يتسنى التوحيد ولا النجاة إلا بواسطة الرسول، ومن ناحية ثانية يبدو وكأنه يقول إن هذا ممكن. والحق أن الرسول وحده هو شمس التوحيد والنجاة ومظهرهما، وبنوره يتجلّى التوحيد. باختصار، لا يمكن أن يُنسب التناقض إلى كلام الله تعالى.

إن أكبر خطأ ارتكبه هذا الجاهل هو أنه لم يفهم حقيقة التوحيد قط. إن التوحيد نور ينشأ في القلب ويدخل كلّ ذرة من وجود الإنسان بعد تخليه عن الآلهة المترتبة على النفس والموجودة في الكون؛ فأنتى له أن يفوز به بقوته هو دون واسطة الله ورسوله! يجب على الإنسان أن يقضي على أنانيته ويتخلى عن الزهو الشيطاني الذي يوحى إليه أنه قد تربّى في محيط العلوم، وأن يعدّ نفسه كجاهلٍ ويظل عاكفا على الدعاء.. عندها سينزل عليه نور التوحيد من الله وسيهبه حياة جديدة.

وأخيراً أرى من المناسب أن أبين أنه لو قبلنا جدلاً أن كلمة "الله" تعطي معنى عادياً أي "الإله"، وغضضنا الطرف عن المعنى الذي يتضح بالتدبر في القرآن الكريم -وهي أن كلمة "الله" تعني أنه هو الذات الذي أنزل القرآن الكريم وبعث النبي ﷺ- ففي هذه الحالة أيضاً لا تفيد هذه الآية معارضتنا لأنها لا تعني أن الإيمان بالله وحده يكفي للفوز بالنجاة؛ بل معناها أن الذي يؤمن بالله -علماً أن "الله" اسمه الأعظم- الذي هو مجامع لجميع الصفات الكاملة فلن يضيعه الله بل يجذبه إلى الإسلام جذبا لأنَّ صِدْقاً يهدي إلى قبول صدق آخر. والمؤمنون بالله إيماناً خالصاً يصلون إلى الحق في نهاية المطاف.

لقد جاء في القرآن الكريم وعدٌ أن الذي يؤمن بالله بصدق القلب لن يضيعه الله، بل سيكشف عليه الحق ويهديه إلى الصراط المستقيم، كما يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، وتعني هذه الآية أن المؤمن بالله لا يُضَاع بل يهديه الله هداية كاملة. ولقد أورد الصوفيون على ذلك مئات الأمثلة أن أناساً من أمم أخرى حين آمنوا بالله بكمال الإخلاص وعكفوا على الأعمال الصالحة جزاهم الله على إخلاصهم ففتح عيونهم وكشف عليهم صدق النبي ﷺ آخذا بأيديهم بوجه خاص. وهذا هو معنى الجزء الأخير من الآية حيث قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، ولا يظهر أجر الله في الآخرة ما لم يظهر في الدنيا أولاً. وإن أجر الإيمان بالله في الدنيا هو أنه تعالى يهدي المؤمن مثله هداية كاملة ولا يضيعه. وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٦٠) أي إن الذين هم أهل الكتاب حقاً ويؤمنون بالله وكتبه بصدق القلب ويعملون بذلك سيؤمنون بهذا النبي في نهاية المطاف. وهذا ما حدث بالفعل. أما الخبثاء الذين لا يستحقون أن يُدْعَوْا أهل الكتاب لا يؤمنون. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك في تاريخ الإسلام يتبين منها أن الله كريم ورحيم بحيث لو كسب أحد حسنة مثقال ذرة لوقفه للإسلام جزاء عليها.

لقد ورد في الحديث ما مفاده أن صحابيا قال للنبي ﷺ بأني أنفقت كثيرا على المساكين في حالة الكفر ابتغاء مرضاة الله، فهل لي في ذلك أجر؟ قال ﷺ: تلك الصدقات هي التي أتت بك إلى الإسلام.

لذا فإن الذي يؤمن بالله واحدا لا شريك له ويحبه، أيا كان دينه، يُوفقه الله تعالى للإسلام حسب مدلول الآية: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وهذا ما حدث مع باوانانك^١، فقد ترك عبادة الأصنام واختار التوحيد بكل إخلاص وأحب الله تعالى فظهر عليه الإله الذي قال في الآية المذكورة أعلاه: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وهداه إلى الإسلام بوحي منه فأسلم ثم حج أيضا.

وقد ورد في كتاب "بحر الجواهر" أن يهوديا اسمه أبو الخير كان صالحا وصادقا يؤمن بالله واحدا لا شريك له، وكان قد مرّ في السوق حين سمع من مسجد صوت شاب يقرأ آية القرآن الكريم: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٣)... هل يوجد فيه الصمود والصدق والإخلاص مثل المؤمنين أم لا. فأثرت الآية في قلب أبي الخير كثيرا وَلَيَّتَهُ. فوقف مستندا إلى جدار المسجد وبكى بكاء مَرًّا. ثم جاءه سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ في منامه ليلا وقال: "يا أبا الخير أعجبني أن مثلك مع كمال فضلك ينكر بنبوتِي". وما إن أصبح الصباح حتى أسلم أبو الخير وأعلن إسلامه.

فملخص الكلام أني لا أستطيع أن أفهم قط أن يؤمن الإنسان بالله تعالى ويؤمن به واحدا لا شريك له فينقذه الله من النار ولا ينقذه من العَمَةِ، في حين أن أساس النجاة هي المعرفة كما يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٣) صحيح تماما أن الذي لم يعرف رسل الله لم يعرف الله. إن مرآة وجه الله تعالى هم رسله. وكلُّ من يرى الله تعالى فإنما يراه من

^١ يُعَدُّه الشيخ مؤسس الديانة السيخية. (المترجم).

خلال هذه المرأة. فأني نوع من النجاة هذه أن يكذب المرء النبي ﷺ وينكره طول حياته، وينكر القرآن الكريم أيضا فلا يرزقه الله عيونا ولا قلبا بل يبقى أعمى ويموت أعمى، ومع ذلك يحوز على النجاة؟ إن هذه النجاة لغريبة حقا. ونرى أيضا أن الله تعالى إذا أراد بأحد رحمة رزقه عيونا أولا ووهب له من لدنه علما. هناك مئات من الناس دخلوا جماعتنا عن طريق الرؤى أو الإلهام فقط. إن الله واسع الرحمة فمن يخطو إليه خطوة واحدة يخطو الله إليه خطوتين، ومن يأتيه مشيا يأتي الله إليه هرولة، ويصير عيون العميان. فكيف نقبل إذن أن يؤمن أحد به وَعَجَلًا ويؤمن به واحدا لا شريك له بصدق القلب ويحبه ويدخل في أوليائه ومع ذلك يتركه الله أعمى، فيبقى أعمى فلا يقدر على معرفة نبي الله. وهذا ما يؤيده الحديث: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٤-١٥١)

مع أننا نؤمن أن التوحيد الجاف البحت لا يمكن أن يكون سببا للنجاة، كما لا يمكن أن ينجي الإنسان عملٌ إن ترك اتباع النبي ﷺ، ولكن ليطمئن قلبي أريد أن أعرف معنى الآيات التي اقتبسها عبد الحكيم خان وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾

الجواب: ليكون واضحا أنه ليس المراد من إيراد هذه الآيات في القرآن الكريم أن النجاة ممكنة دون الإيمان بالرسول، بل المراد هو أن النجاة مستحيلة دون الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له ودون الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالله لا يكمل دون الإيمان برسله. والسبب في ذلك أنهم مظاهر صفاته، ولا يثبت وجود شيء إلا من خلال صفاته. وعليه فإن معرفة الباري تعالى تبقى ناقصة دون معرفة صفاته ﷻ. فمثلا كيف يمكن الإيمان بصفاته تعالى أنه يتكلم ويسمع، ويعلم الغيب، وقادر على إنزال الرحمة أو العذاب دون الاطلاع عليها بواسطة الرسول. ولو لم

تثبت هذه الصفات عن طريق المشاهدة لما ثبت وجود الله أصلا. فما معنى الإيمان به في هذه الحالة؟ والذي يؤمن به ﷺ فلا بد له من الإيمان بصفاته أيضا، وهذا الإيمان سيُجبره على الإيمان بالأنبياء. فمثلا كيف يمكن الاطلاع على مكاملة الله تعالى وتكلمه دون دليل على كلام منه. والذين يقدمون هذا الكلام مع الدليل هم الأنبياء وحدهم.

وليتضح أيضا أن القرآن الكريم يحتوي على نوعين من الآيات. أولا، المحكمات والبيّنات مثل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (النساء: ١٥١ - ١٥٢) فهذه هي آيات محكمات وقد سبق أن كتبنا عنها مفصلا. والنوع الثاني من الآيات هي المتشابهات وهي دقيقة المعاني، لا يعلمها إلا الراسخون في العلم. والذين في قلوبهم مرض النفاق لا يأبهون بالآيات المحكمات بل يتبعون المتشابهات. وعلامة المحكمات هي أنها كثيرة الوجود في كلام الله فيكون كلام الله زاخرا بها. وهي واضحة المعاني، وعدم الإيمان بها يؤدي إلى الفساد. فانظروا إلى الآية المذكورة آنفا مثلا، كيف أن الذي يؤمن بالله تعالى فقط ولا يؤمن برسله يضطر لإنكار صفات الله تعالى. ففي زمننا مثلا هناك فرقة جديدة تُسمّى "برهمو" يدّعي أصحابها أنهم يؤمنون بالله ولا يؤمنون بالأنبياء، وينكرون كلام الله أيضا. وواضح أنه إذا كان الله يسمع فهو يكلم أيضا. فلو لم يثبت كلامه لما ثبت سماعه أيضا. وبذلك فإن أناسا مثلهم يتحولون إلى ملاحظة بسبب إنكارهم صفات الله تعالى. والحق أن صفات الله كما هي أزلية، كذلك هي أبدية أيضا. والذين يُزوّنها للناس رؤية العين هم الأنبياء وحدهم. وإن إنكار صفات الله يستلزم إنكار وجوده تعالى. يتبين من هذا البحث كم هو ضروري الإيمان بالأنبياء عليهم السلام من أجل الإيمان بالله، لأن الإيمان بالله يبقى ناقصا وغير مكتمل بدون الإيمان بهم.

ومن علامات الآيات المحكمات أيضا أن الشهادة في حقها لا تكمن في كثرتها فقط بل تتسنى بصورة عملية أيضا، بمعنى أنه توجد بحقها شهادة الأنبياء المتواترة. فكل من يتدبر في كلام الله القرآن وكتب الأنبياء الآخرين سيرى أن كتب الأنبياء كما تتضمن التأكيد على الإيمان بالله كذلك تؤكد على الإيمان برسله أيضا.

وعلاوة المتشابهات هي أن استنتاج معاني منها تتضارب مع المحكمات، يؤدي إلى الفساد. وأنها تتعارض ظاهريا مع الآيات الأخرى التي يكثر عددها، ومعلوم أنه لا تناقض في القرآن الكريم مطلقا، فلا بد من جعل القليل تابعا للكثير في كل الأحوال. وقد سبق أن كتبت أن التدبر في كلمة "الله" يقضي على هذه الوسوسة لأنه قد تم التصريح عن كلمة "الله" في كلامه تعالى أن الله هو الإله الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل وبعث النبي ﷺ لينال الناس درجات ومراتب يمكن لهم نوالها باتباعهم رسول الله ﷺ. والمقامات التي يمكن أن يصلها المتبعون باتباعهم نور النبوة لا يصلها العميان. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وما دام الله تعالى قد جعل اسم "الله" موصوفا لكافة صفاته وأفعاله، فلا بد من الانتباه جيدا إلى هذا الأمر عند استنتاج المعنى منها. لا يهمننا بأي معنى كان العرب يستخدمون هذه الكلمة قبل نزول القرآن الكريم، وإنما علينا التقيد بأن القرآن الكريم لم يستخدمها من بدايته إلى نهايته إلا بمعنى أن الله تعالى هو مرسل الرسل ومنزل الكتب وخالق الأرض والسماء ومُتَّصف بصفة كذا وكذا وهو واحد لا شريك له. أما الذين لم يبلغهم كلام الله بل يجهلونه تماما فسيُسألون حسب علمهم وعقلهم وفهمهم. ولكن مع ذلك يستحيل عليهم أن يصلوا إلى المراتب التي سينالها الآخرون نتيجة اتباعهم النبي ﷺ. لأن الدرجات التي يصلها متبعو نور النبوة لا يصلها العميان، وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء.^١

^١ لو استنتجنا من هذه الآية الجملة هذا المعنى فلماذا لا نعتقد بحسب الآية الجملة الأخرى مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أن الشرك أيضا سيُغْفَر؟ منه.

ثم انظروا إلى الظلم الذي يقوم به ميان عبد الحكيم، إذ تقول مئات الآيات القرآنية بأعلى صوتها إن التوحيد وحده لا يكفي للنجاة بل يُشترط لها الإيمان برسول الله ﷺ، ولكنه مع ذلك لا يأبه بها قط بل يقدم -مثل اليهود- مرة بعد أخرى معنى مقلوبا لآيتين اثنتين جاءتا مجملتين. كل عاقل يستطيع أن يدرك أنه لو كان المراد من تلك الآيات مثلما يفهمه عبد الحكيم لاختفى الإسلام من الدنيا نهائيا، ولصارت جميع الأحكام التي علّمنا إيّاها النبي ﷺ مثل الصلاة والصوم وغيرها عبثًا ولاغية وباطلة. لأنه لو صحّ أن كل شخص يستطيع أن ينال النجاة بناء على التوحيد المبني على أفكاره فقط، لما عُددَ تكذيب النبي ذنبا، ولن يضرّ أحدا ارتداده شيئا.

اعلموا يقينا أنه ليس في القرآن الكريم آية تحمل طاعة النبي ﷺ. حتى إذا افترضنا جدلا أن هناك آيتين أو ثلاث آيات يتعارض معناها مع الآيات الأخرى التي تُعدّ بالمئات لكان واجبا أن تُجعل القليلة تابعة للكثيرة بدلا من ارتداء لباس الارتداد مهملين الآيات الكثيرة. والحق أنه ليس هناك أي تناقض في كلام الله في هذا المقام. بل إنما هو سوء الفهم والظلمة التي تسود الطوائع. علينا أن نستنتج من كلمة "الله" معنى بيّنه الله تعالى بنفسه بدلا من اختلاق معنى آخر مثل اليهود.

إضافة إلى ذلك فإن من سنة كلام الله وأنبيائه القديمة أنهم يرشدون كل متمرّد منكر شديد الإنكار بطريقة أخرى أيضا أن يؤمن بالله إيمانا حقيقيا وخالصا، ويحبّه سبحانه ويؤمن به واحدا لا شريك له لينال النجاة. والمراد من هذا الكلام هو أنهم لو آمنوا بالله حق الإيمان لوفّقهم الله للإسلام. إن هؤلاء القوم لا يقرأون القرآن الكريم، فقد ورد فيه بصراحة تامة أن الإيمان الحقيقي بالله تعالى يتسبب في الإيمان برسوله، ويشرح صدر مثل هذا الشخص لقبول الإسلام. لذلك من عادتي أنا أيضا كلما أساء أحد -من الهندوس أو من فئة براهمو أو مسيحي أو يهودي أو سيخي أو غيرهم من منكري الإسلام- الأدب في النقاش حول الإسلام ولم يعد يتوقف

بأي طريقة.. أقول له في الأخير إن نقاشك هذا لن يجديك شيئاً، إنما عليك أن تؤمن بالله بكامل الإخلاص فينجيك. ولكنني لا أقصد بهذا الكلام أبداً أن النجاة ممكنة دون الإيمان بالنبي ﷺ، بل المراد هو أن الذي يؤمن بالله بصدق كامل يوفقه الله ويشرح صدره للإيمان برسوله. كذلك جربت شخصياً أن حسنة تقود إلى حسنة أخرى وعملاً صالحاً يهب قوة على عمل صالح آخر. لقد وردت في تذكرة الأولياء حكاية غريبة حيث يقول أحد أولياء الله إنه قد حدث مرة أن هطل المطر إلى بضعة أيام متواصلة، وحين توقف قليلاً صعدتُ إلى سطح البيت لأمرٍ ما ورأيت جاري -الشيخ المسن الذي كان من عبدة النار- ينثر حبوباً على سطح بيته. سألته عن سبب ذلك فقال: الطيور جائعة منذ بضعة أيام بسبب المطر، فرَّق لها قلبي فنثرت الحبوب لتأكلها وأنال الأجر على ذلك. قلت: يا أيها الشيخ إن ما فكَّرت به ليس صحيحاً لأنك مشرك ومن عبدة النار والمشرِك لا ينال أي أجر أو ثواب. قلتُ هذا ونزلت عن السطح، ثم حدث بعد فترة أن سنحت لي فرصة للحج فوصلت إلى مكة المعظمة. وبينما كنت أطوف بالبيت إذ ناداني من ورائي طائف آخر بذكر اسمي. فالتفتُ وإذ بالشيخ نفسه يطوف بعد أن تشرف بالإسلام. فقال لي: أتراني تُؤبَّت على نثر الحبوب للطيور في ذلك اليوم أم لا؟ فما دام نثر الحبوب للطيور يجذب إلى الإسلام فهل يمكن أن يحرم منه مَنْ يؤمن بالله المَلِك الحق والقادر الحقيقي؟ كلا، ثم كلا.

عاشق که شد که یار بحالش نظر نہ کرد اے خواجہ درد نیست وگر نہ طیب ہست

أي عاشق هذا الذي لا ينظر إليه حبيبته، يا صاحبي، ينقصك الألم وإلا فالطبيب موجود.

فليتضح أن التوحيد لا يتأتى كاملاً بغير اتباع النبي ﷺ، وكما بينا آنفاً أن صفات الله التي لا يمكن انفصالها عن ذاته لا تُرى بالعين إلا من خلال مرآة وحي النبوة، والنبي وحده هو الذي يُريها رأي العين. ولو افترضنا جدلاً حصول

هذه الرؤية - وإن كان بصورة ناقصة - فلا يخلو ذلك من شوائب الشرك، ما لم يقبل الله تعالى هذا المتاع المعشوش ويوفّق صاحبه للإسلام؛ لأن ما يناله الإنسان من الله بواسطة رسوله إنما هو ماء سماوي، ولا فخر له فيه ولا مجال للعُجب والزهو. أما ما يحصل عليه الإنسان بسعيه هو فتشوبه شوائب الشرك لا محالة. فبناء على هذه الحكمة أرسل الرسل لتعليم الناس التوحيد ولم يُترك أمرهم لعقولهم فقط، وذلك لكي يبقى التوحيد خالصاً ولا تشوبه شائبة شرك عُجب الإنسان. ولهذا السبب لم يكن التوحيد الخالص من نصيب الفلاسفة الضالين، لأنهم كانوا أسرى الرعونة والكبر والعُجب بينما التوحيد الخالص يقتضي الفناء. وهذا الفناء لا يحصل ما لم يدرك الإنسان بصدق القلب أنه لا دخل لسعيه في ذلك، وإنما هو فضل الله البحث. فمثلاً هناك شخص يسهر الليل كله، ويسقي زرعته متكبدًا عناءً كبيراً، وهناك شخص آخر ينام طول الليل نوماً هادئاً فتأتي سحابة وتملأ أرضه ماء. هنا أتساءل: هل سيكون كل واحد منهما على درجة واحدة من الشكر لله؟ كلا، بل الذي سُقي حقله دون أدنى سعي منه سوف يشكر الله أكثر من صاحبه. لذا قد ورد في كلام الله تعالى مراراً وتكراراً أن اشكروا الله الذي أرسل الرسل وعلمكم التوحيد. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ١٧٢-١٧٩)

الإيمان بالله يعني أن يؤمن المرء بأنه ﷺ متصف بجميع الصفات الواردة في القرآن الكريم مثل الرب والرحمن والرحيم وصاحب جميع المحامد ومرسل الرسل ومرسل النبي ﷺ. فأخبرني الآن ألا تعني ذلك كلمة الله الواردة في القرآن الكريم؟ فالذي لا يؤمن بالنبي ﷺ ولا يؤمن بالقرآن فهل آمن بالله الذي قدمه القرآن الكريم؟ فكما أن الورد إذا نُزعت منه رائحته الطيبة لا يبقى ورداً ويُرْمى، فمثل ذلك المؤمن بالله هو الذي يؤمن بجميع صفاته التي بيّنها القرآن الكريم. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٤، عدد ١١/٩/١٩٠٣م، ص ٣٦٥)

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا أصاب همٌّ أو غمٌّ خارق للعادة خلق الله تعالى بإلهامه أسبابا خارجية لإزالته، أو يرزقهم صبورا خارقا للعادة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٢، عدد ١٠٥٠/٩/١٩٠٥م، ص ٨)

من الضروري لكون المرء متقيا أن يكون قويا في ترك السيئات الكبيرة مثل الزنا والسرقة وإتلاف الحقوق والرياء والعُجب والتحقير، والبخل، ويجتنب الأخلاق الرذيلة، ويتقدم مقابلها في الأخلاق الفاضلة. فليعامل الناس بالتسامح والأخلاق الحسنة، والمواساة، وليبدئ إخلاصا صادقا وصدقا لله تعالى، وليبحث عن مقام محمود في الخدمة. فهذه الأمور يُسمى الإنسان متقيا. والذين يجمعون هذه الأمور في أنفسهم هم المقتنون الحقيقيون. (أي إذا وُجد في أحد كل حُلُق على حدة لن نسميه متقيا ما لم توجد فيه الأخلاق الفاضلة بصورة جماعية) فعن هؤلاء الناس جاء: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (بدر، المجلد ٢، رقم ٤، عدد: ١٣/٢/١٩٠٣م. والملفوظات، المجلد ٢، ص ٦٨٠)

الآية ٦٤: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

تعلن الأحاديث الصحيحة بكلمات صريحة وواضحة أن زمن يأجوج ومأجوج هو زمن المسيح الموعود، كما ورد أنه عندما يغلب قوم يأجوج ومأجوج على جميع الأمم بقوتهم وقدرتهم ولن يقدر أحد على مواجهتهم، عندها يؤمر المسيح الموعود أن يحزّر جماعته إلى جبل الطور، أي يواجههم بالآيات السماوية ويستعين بعجائب الله القوية والمهيبة، كمثال الآيات التي أظهرت بجبل الطور تخويفا لقوم بني إسرائيل المتمردين كما يتبين من الآية: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ (البقرة: ٦٤) أي قد حدثت في جبل الطور زلازل قوية كآية، وزلزل الله تعالى الجبل على رؤوس اليهود وكأنه واقع عليهم في الحال. فخافوا كثيرا نظرا إلى هذه الآية المهيبة. وهذا ما

سيحدث بالتحديد في زمن المسيح الموعود أيضا. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٨-٨٩)

كان الناس يقولون: كيف نَتَقَّ الله تعالى الجبلَ فوق بني إسرائيل وأن هذه القصة لا تبدو صحيحة. أما الآن فقد فهم سكان منطقة "كانغره" و "دهرم ساله" جيدا كيف يتحقق ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، إذ يبدو نتيجة زلزال بسيط أيضا وكأن الجبل واقع عليهم، ثم إذا أراد الله أزاله أو أسقطه عليهم. هذا ردّ على أتباع مذهب الطبيعة الجاهلاء إذ ردّ به الله تعالى عليهم بواسطة الزلزال. نأمل أن بعض السعداء سيفهمون برؤية هذا المشهد البسيط أن الله قادر على كل شيء ويفعل ما يريد. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ٢٠/٤/١٩٠٥م، ص ٢)

الآية ٦٦: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

الإسلام يفند ويُطِل من التناسخ ذلك النوع الذي يُعْتَقَد بموجبه أن الأرواح الماضية تُعاد إلى هذا العالم مرة أخرى، لكن بمحاذاته هناك بعض أنواع أخرى للتناسخ قد أجازها الإسلام. فمنها أنه ثابت من التعليم الإسلامي أن الإنسان الموجود في هذا العالم يشبه وضعا أي حيوان أو دودة ما لا يكمل سلوكه بتزكية نفسه وما لم يطرد من قلبه أفكارا خبيثة من خلال المجاهدات الطاهرة. ويدرك أهل الباطن بنظرهم الكشفي أنه- في بعض مراحل عبودية النفس- يشبه ثورا أو حمارا أو كلبا أو حيوانا آخر، وهكذا يظل الإنسان متبع الأهواء النفسانية ينتقل من ولادة إلى أخرى، بحيث تنتهي حياته من ناحية وتبدأ الأخرى من ناحية أخرى. وهكذا تحل عليه آلاف الميئات في هذه الحياة الدنيا ويمر بالآلاف الولادات، وأخيرا يتولد في صورة إنسان على وجه الحقيقة إذا كان سعيدا. فبناء على ذلك قد قال الله ﷻ لليهود العصاة بأنهم صاروا قرودا وخنازير. فلم يتحولوا بموجب التناسخ إلى حيوانات في الحقيقة،

بل الحقيقة أن الثوائر النفسانية كانت قد تولدت فيهم كما في القردة والخنازير. فهذا النوع من التناسخ يبدأ من سلسلة غير منقطعة في هذه الحياة الدنيوية، وفيها ينتهي. والتولد فيها والموت والمحيي والذهاب أمرٌ نسبي، غير واقعي وحقيقي. والنوع الثاني للتناسخ ما يواجهه أهل النار يوم القيامة، وهو أنه سيعطى لكل جهنمي جسم حيوان بحسب العادة السيئة التي كان مصابا بها فيلقى به في جهنم. فالذين قد ابتعدوا عن الله ﷻ من جراء الجشع والطمع سيُحشرون في صورة الكلاب فيلقى بهم في النار. أما الذين عصوا أحكام الله وانكبوا على الجماع نتيجة اتباعهم الشهوات فسوف يلقي بهم في النار في صورة الخنازير. أما الذين شابهوا بمعصيتهم حيوانات كثيرة فسوف يواجهون ولادات متكررة كثيرة، وعندما يُنهون حياةً في حالة تشبه الموت سيبدأون حياة أخرى، وهكذا سيتعرضون لولادات متكررة كثيرة، وتصيهم ميتات كثيرة، وهذه هي الميتات التي عبر الله عنها بالقول: ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (الفرقان: ١٥) في القرآن الكريم. أما المؤمنون فلن يواجهوا إلا ميتة واحدة هي ﴿الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ (الدخان: ٥٧). أما النوع الثالث للتناسخ المذكور في القرآن الكريم فهو أن نطفة الإنسان تتكون في صورتها بعد المرور بآلاف التغيرات، إذ تكون في البدء حبة قمح، وتبقى لآلاف السنين في هذه الحالة بحيث يزرعها الفلاح وتنبت من الأرض في صورة خضرة وأخيرا تصير حبة، ثم يزرعها الفلاح مرة أخرى فتنبت الخضرة وهكذا يحدث في آلاف السنين وتمر في آلاف القوالب، حتى يحين أن تكون إنسانا؛ يأكلها إنسان ما وتتكون منها النطفة الإنسانية. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٠٦-٢٠٨)

المراد من الكلب رجل طماع يرضى بشيء بسيط ويسخط أيضا لأمر بسيط. أما القرد فالمراد منه الشخص الممسوخ. لا يثبت من المفسرين أن اليهود الذين مُسخوا ظهر على أجسامهم شعُر كالقرد وظهر لهم ذنب أيضًا. كلا! بل صارت

عاداتهم مثل القروود. الأمة في العصر الراهن صارت مثيلة اليهود. المراد منه أن خصال اليهود تطرقت إليهم؛ فينكرون المبعوث من الله. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧/٣/١٩٠٣، ص ٧٤)

لقد جاء على اليهود زمن لم يبق فيه فيهم إلا سلاطة اللسان، واكتفوا بالكلام فقط. كانوا يقولون بلسانهم أشياء كثيرة أما القلوب فكانت مليئة بأفكار فاسدة وسامة متنوعة. لذلك فقد أنزل الله تعالى على ذلك القوم عذابات متنوعة وأوقعهم في مصائب مختلفة وأخزاهم لدرجة جعلهم قردة وخنازير. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧، ص ٣)

الآية ٧٣: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

يقدمون وسوسة أخرى بأنه ثابت من القرآن الكريم أن بعض الأموات قد أحيوا؛ مثل الميت الذي كتم بنو إسرائيل قتله، وورد ذكره في آية: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: ٧٣). فجوابه: لا يتبين من آية قرآنية تشمل قصصا مثلها أن ميتا قد أُحيي في الحقيقة، ودبت الحياة حقيقة في جسده. بل كل ما يُثبت التأمّل في هذه الآية وما تلاها؛ هو أن جماعة من اليهود قتلوا نفسا وأخفوا القتل، واتّهم بعضهم بعضا بالقتل، فبيّن الله تعالى خطة للقبض على المجرم الحقيقي، وهي أن يذبحوا بقرة، ويضربوا الجثة بقطعة من لحمها، وأن يضرب كل واحد من المشتبه بهم بدوره الجثة بقطعة اللحم، وعندما تكون الضربة على الجثة بيد القاتل الحقيقي، تصدر منها حركات من شأنها أن تؤدي إلى كشف القاتل.

لا يثبت من هذه القصة قط، بأن الجثة قد أُحييت في الحقيقة. كذلك يزعم البعض أن هذا كان تهديدا فقط لكي يعترف القاتل بنفسه بالجريمة مدعورا، ولكن هذا التأويل يُظهر عجز الله العالم بالغيب، ولا يؤوّل مثل هذه التأويلات إلا الذين ليس لهم نصيب

من أسرار عالم الملكوت. الحقيقة أن هذا العمل كان نوعاً من علم التّرب (المسمرية، أو المسمريزم) التي من ميزاتها أن تُنشئ في الجمادات أو الدواب الميته حركةً ماثلة لحركة الحيوانات، وقد تؤدي إلى معرفة بعض المشتبهات والمجهولات. فعلينا ألا نضيع الصدق، وأن نعتبر كل حقيقة أو ميزة؛ هي من الله تعالى حصراً. إن لعلم التّرب شأنًا عظيمًا؛ إنه قسم روحاني من علوم الطبيعة، وفيه صفات وعجائب كثيرة. وحقيقته أنه كما أن الإنسان خليفة الله على كل شيء من حيث وجوده الكلي وقد جعلت الأشياء كلها تابعة له، كذلك إن كل تلك الأشياء تابعة للقوى الإنسانية التي يملكها الإنسان بحيث تتأثر بها وفق شروط مناسبة. لقد أرسل الإنسان إلى الدنيا بقوة فاعلة، أما الأشياء الأخرى فتملك قوة منفعة. إن أدنى تأثير لقوة الإنسان الفاعلة، هو أنه يمكن أن يستأنس به كل كائن حيٍّ لدرجة يعدّ نفسه من خدامه، ويصبح مسخرًا له. إن الذين وهبهم الفطرة نصيباً أكبر من القوة الفاعلة، تصدر منهم تصرفات عجيبة ناتجة عن علم التّرب. الحق أن الإنسان حيوان يمكن أن تتطور قواه الظاهرية والباطنية نتيجة تطویرها، فيزداد تأثير قوته الفاعلة. فمثلاً إن الناس الذين يسمّون في بلادنا مشعوذين أو سحرة؛ لا حقيقة لهم، إلا أن ضعيفي الخلق - مثل الأطفال - يتأثرون إلى حد ما بنظرهم السامة. وهناك أناس آخرون يُلْقُونَ تأثيرات نظراتهم السامة حتى في الحيوانات المفترسة، فيتغلبون عليها ويصطادونها بسهولة. إن بعض الناس يلقون بأفكارهم في قلوب الآخرين لكونهم متمرسين في علم التّرب. والبعض الآخر يقدر على أن يلقوا تأثيرهم في قلوب الآخرين بقوة العمل نفسه، كما يؤثر بعضهم في الجمادات؛ فتنشأ الحركة فيها. ففي الأيام الراهنة نرى كثيراً من الناس متمرسين في هذه الأمور. فمنهم - وعلى سبيل المثال - من يستطيع أن يحرك وبقوة نتيجة علم التّرب رأساً مبتوراً لشاة أو غيرها؛ فتراه يرقص، وبعضهم يعثرون على السارق بتحريك الإبريق، وذلك على إثر قيامهم بأعمال الشعوذة. فكل هذه الأمور فروع من علم التّرب في الحقيقة، وإمكانية الأخطاء فيها واردة، وتكون نتيجة فقدان بعض الشروط

الضرورة. والحق أن هذا النوع من الأخطاء قد حدث كثيرا للسبب نفسه، ولكنها لا تخط من شأنه، لأن كثيرا من التجارب الناجحة قد أثبتت حقيقته. لا شك أن تأثير حياة الإنسان وشعوره يمكن أن يقع على الأشياء الأخرى، بل إن تجلي قدرة الإنسان على الكشف يمكن أن يقع على جماد أو دابة ميتة ويجعلها وسيلة لاستكشاف المجهول. فالقضية المذكورة في الآية المذكورة آنفا هي من النوع نفسه. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٠٣-٥٠٦)

لقد أقسم الله تعالى أنه سيظهر حسنة الصالحين ولو كسبوها من وراء آلاف الحُجُب وكذلك السيئة. بل قد ورد أنه إذا كان عابد أو زاهد مشغولا في عبادة الله وحده وكان يُظهر له الصدق والحماس في قلبه إلى أقصى حد، وإذا نسي إغلاق الباب صدفة وفتحَه أحد، تكون حالته كحالة الذي يقبض عليه في حالة الزنى تماما لأن غاية كليهما واحدة، أي إخفاء السر، وإن كانت النية مختلفة بحيث يخفي أحدهما الحسنة والثاني يخفي السيئة. باختصار إن حالة عباد الله تكون بالغة هذه النقطة. الصالحون أيضًا يريدون أن تبقى حسناتهم خافية ويريد الطالحون أن تبقى سيئاتهم خافية عن أعين الناس. لكنه في هذا الحال لا يُتَقَبَّل دعاء الصالح والطالح كليهما، إذ قد سنَّ الله قانونًا: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١٠٣/٣/١٩٠٣ م ص ٧)

الآية ٧٤: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

هنا لا تُثبت الحياة الحقيقية، بل تشير إلى تجلي القدرة الأخرى نتيجة تحقق معجزة القدرة الأولى. وهذا الأسلوب شائع في القرآن الكريم؛ إذ قد قُدِّمَت نبت النباتات أيضا دليلا على إحياء الموتى، وقد وردت الآية نفسها؛ أي: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ في تلك الأماكن أيضا.

واعلموا أن ما ورد في القرآن الكريم أن أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ جُعِلَتْ أَجْزَاءُ وَوُضِعَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ جِبَالٍ منفصلة ثم أتت عندما نوديت ففي ذلك أيضا إشارة إلى عمل التَّرب، لأن تجارب هذا العلم توحى أن الإنسان يملك قوة مغناطيسية قادرة على جذب جميع كائنات الأرض إلى نفسه. ويمكن أن تتطور قوة الإنسان المغناطيسية لدرجة يتمكن بواسطتها من جذب طير أو دابة إلى نفسه، وذلك بمجرد التركيز عليها. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٠٦)

الآية ٨٣: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

إن ذكر بقاء أهل الجنة فيها إلى الأبد جاء بكثرة، والقرآن الكريم زاخر به. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨١)

جميع الآيات التي تنتهي على "خالدون" أو "خالدين" تبين أن الإنسان لا يعود إلى الدنيا قط بعد أن يتذوق الراحة أو يذوق الألم في عالم المعاد. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٢١، حاشية على الحاشية المتعلقة بصفحة ٩٤٢ ب)

الآية ٨٤: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾

قولوا للناس ما هو الحسن فعلا. (فلسفة تعاليم الإسلامية الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٠)

الآية ٨٨: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا

جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿١٠٩﴾

قولوا الآن بالله عليكم، أليست هذه كلها استعارات؟ وإذا حُمِلت جميع هذه الآيات على ظاهرها، فلا بد من الاعتقاد أن المخاطبين في هذه الآيات - الذين نُجِّوا من آل فرعون، وفُرق لهم البحر طريقًا، وأنزل عليهم المنّ والسلوى - كانوا كلهم أحياء إلى زمن النبي ﷺ، أو أُحيُوا بعد الممات وعادوا إلى الدنيا. هل تشرحون هذه الآيات في مساجدكم - حين تدرسون ترجمة معاني القرآن الكريم - بأنّ المخاطبين في هذه الآيات كانوا أحياء إلى زمن النبي ﷺ؟ أو أُخْرِجُوا من أجدانهم وعادوا إلى الدنيا أحياء؟

وإذا سألكم طالب: إنّ مضمون هذه الآيات يعني ظاهرياً أن المخاطبين فيها هم أولئك الذين كانوا موجودين في زمن موسى وما بعده، فهل يجب أن نعتقد الآن أنّهم كانوا أحياء كلهم في زمن النبي ﷺ أو أُحيُوا وعادوا إلى الدنيا؟ أليس جوابكم على ذلك أنّهم ماتوا كلهم. أما الآن، فإنّ المخاطبين مجازاً هم ذراريهم الذين رضوا بأعمال أسلافهم كأئمتهم هم. فافهموا من هنا أن هذا هو مثل نزول ابن مريم تماماً. لقد جرت سنة الله أن مراتب الوجود تعيد نفسها، وأن أرواح البعض، يعود إلى الدنيا غيرها مثيلاً لها، أما من حيث الروحانية فيكونون سواسية. اقرأوا الآية: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (البقرة: ١١٩) بامعان، وتدبروا جيداً. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤٦-٤٤٧)

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾، قال عليه السلام عند تقديم المشايخ بعض الأحاديث: لا يمكن الثقة (أي بالأحاديث) بها كالثقة بكلام الله لأنها لا تخلو من مسّ الإنسان على أية حال. ولكن كل ما نقاه الله أصبح صحيحاً. إذا جاء ذكر نزول المسيح في الأحاديث فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾، ويوضح الحقيقة. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ١/٢/١٩٠٣م، ص ٧٥)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾... فلما كان تحقق المماثلة في الإنعامات ضروريا - والمماثلة التامة لا تتحقق إلا إذا تحققت في الإنعامات - لذا حدث أنه كما أُعطي موسى خداما لشريعته إلى ما يقارب ١٤٠٠ عام كانوا رُسُلا وملهمين من الله، وانتهت تلك السلسلة على رسول دعا إلى الحق بالرحمة والخلق الحسن فقط وليس بالسيف. كذلك أُعطي نبينا الأكرم ﷺ خداما كانوا ملهمين ومُحدِّثين بحسب منطوق الحديث الشريف "علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل". وكما أُرسل عيسى عليه السلام - في نهاية مدة شريعة موسى - الذي ما دعا إلى الحق بالسيف بل بالخلق والرحمة فقط، كذلك أُرسل الله تعالى لهذه الأمة المسيح الموعود لكي يدعو هو أيضا إلى الصراط المستقيم بالخلق والرحمة والأنوار السماوية فقط. وكما جاء المسيح نحو ١٤٠٠ عام تقريبا من بعد موسى عليهما السلام كذلك ظهر هذا المسيح الموعود أيضا على رأس القرن الرابع عشر وبذلك تحققت المماثلة التامة بين السلسلة المحمدية والسلسلة الموسوية.

وإذا قيل بأنه قد جاء الأنبياء في سلسلة موسى لنصرة الدين، وكان المسيح أيضا نبيا. فجوابه أن الأنبياء والمُحدِّثون يحتلون المنصب نفسه من حيث كونهم مرسلين. وكما أطلق الله تعالى على الأنبياء "المرسلين" كذلك أطلق على المُحدِّثين أيضا "المرسلين". وللاشارة إلى هذا الأمر جاء في القرآن الكريم: ﴿وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾، ولم يأت "فقينا من بعده بالأنبياء". ففي ذلك إشارة إلى أن المراد من الرُّسُل هم المرسلون سواء أكانوا رُسُلا أو أنبياء أو مُحدِّثين. ولأن سيدنا ومولانا ورسولنا الأكرم ﷺ هو خاتم الأنبياء ولن يأتي بعده ﷺ نبي لذا جعل المُحدِّثون في هذه الشريعة ينوبون عن النبي. هذا ما تشير إليه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ٤٠ - ٤١). ولأن كلمة "الثُلَّة" جاءت في كلتي الجملتين فثبت على وجه القطع واليقين أن المُحدِّثين في هذه الأمة يماثلون المرسلين في أمة موسى من حيث عددهم وسلسلتهم الطويلة. وإلى هذه الحقيقة أشير في آية أخرى: ﴿وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٦). (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٢٢-٣٢٤) ﴿أيدناه بروح القدس﴾، عندما ينزل حب الله على حب العبد ينشأ ظل منير وكامل لروح القدس في قلب الإنسان بالتقاء الحبين، وفي درجة اللقاء هذه يكون نور روح القدس ساطعا جدا.

إن الخوارق الاقتدارية السابقة الذكر تصدر من هؤلاء لأن نور روح القدس يحالفهم دائما ويسكن فيهم فلا ينفصلون عنه ولا ينفصل النور عنهم أبداً في حين من الأحيان، ولا في حال من الأحوال. يخرج هذا النور مع أنفسهم دائما ويقع مع نظرهم على كل شيء، ويؤري الناس لمعانه من خلال كلامهم. وإن هذا النور يسمى روح القدس؛ ولكن هذا ليس روح القدس الحقيقي، بل إن روح القدس الحقيقي هو ذلك الذي في السماء وروح القدس هذا إنما هو ظله الذي يسكن في الصدور والقلوب والأذهان الطاهرة للأبد ولا ينفصل عنها طرفة عين، ومن رأى أن روح القدس هذا ينفصل عنه بكل تأثيراته فهو على الباطل تماما، ويسيء بأفكاره المظلمة إلى أصفياء الله المقدسين.

صحيح تماما أن روح القدس الحقيقي يبقى في مكانه، ولكن ظله -الذي يسمى مجازاً أيضاً روح القدس- يدخل تلك الصدور والقلوب والأذهان وكافة أعضاء الذين يستحقون نزول حب الله الكامل مع بركاته على حبه الأصفى والأجلى بعد نواهم مرتبة البقاء واللقاء. وعندما ينزل روح القدس المذكور يتعلق بكيان ذلك الإنسان تعلّق الروح بالجسد، فينوب مناب قوة البصر ويعمل عمل العيون، ويصبح قوة الشم ويهب الآذان حسّاً روحانياً، ويمثّل كلام اللسان وتقوى القلب وذكاء الذهن ويسري في اليدين ويوصل تأثيره إلى القدمين أيضاً.

زبدة الكلام أنه يزيل الظلمة كلها من كيان الإنسان وينوره من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. ولو انفصل عنه طرفة عين لَحَلَّ محله الظلام. ولكنه "نعم القرين" الذي أعطيه الكمّل من الناس إذ لا ينفصل عنهم لحظة واحدة. أما الاعتقاد

بإمكانية انفصاله عنهم فهو إقرار بتعبير آخر على وقوعهم في الظلام مرة أخرى بعد أن خرجوا إلى النور، وتعود إليهم النفس الأمارّة بعدما عُصِموا منها، وتُبطّل وتُعطلّ حواسهم كلّها بعد أن فُتحت عليهم حواس روحانية.

فيا مَنْ تُنكرون هذه الحقيقة وترفضون نكتة المعرفة هذه لا تستعجلوني واستشهدوا بنور قلوبكم، هل ابتعاد نور العباد الأصفياء عنهم كلياً في وقت من الأوقات أمرٌ واقعي؟ هل يصحّ أن تُفقد من المؤمنين الكُمل أحياناً جميع الآيات النورانية عند كمال إيمانهم؟

وإذا قلتم: متى قلنا إن نور الأصفياء الروحاني كله ينطفئ في وقت من الأوقات ويحيط بهم الظلام كلياً؟ فجوابه أن هذا ما يتبين من اعتقادكم؛ إذ تعتقدون أيضاً - التزاماً بآيات كلام الله واتباعاً - أن الأصفياء يُعطون كل نور وسكينة وطمأنينة وبركة واستقامة وكل نعمة روحانية بواسطة روح القدس فقط. وكما اعتُبر الشيطان بئس القرين للأشرار والكفار إلى الأبد لينشر فيهم الظلمة دائماً فلا يفارقهم في قيامهم وعودهم وحركتهم وسكونهم وفي حالة نومهم ويقظتهم، كذلك أُعطي المقربون روح القدس كنعم القرين لكي ينزل عليهم النور دائماً ويكون في تأييدهم في كل حين ولا ينفصل عنهم في وقت من الأوقات.

فمن الواضح الآن أنه ما دام ضرورياً أن يكون نعم القرين رفيق المقربين وأنيسهم دائماً وفي كل حين - كما يخبر القرآن الكريم - مقابل بئس القرين الذي يلزم أشد الناس شراً ويرافقهم دائماً، فلو جاز انفصال نعم القرين عن المقربين - كما يزعم إخواننا من قومنا الذين يعاندوننا من الداخل، ويقولون بأن روح القدس - وهو اسم جبريل - ينزل تارة من السماء ويقترن بالمقربين بشدة حتى يتبوأ قلوبهم، وتارةً أخرى يتركهم وحدهم ويهجرهم ويتبعد عنهم ملايين الأميال بل إلى مسافاتٍ لا تُعد ولا تحصى، ويصعد إلى السماء ويقطع علاقته عن هؤلاء المقربين تماماً ويختفي في

مستقره، عندها يجرمون كليا من ذلك النور وتلك البركة التي تنشأ عند نزوله في قلوبهم وأذهانهم وفي كل جزء من كيانهم - أفلا يستلزم هذا الاعتقاد أن الظلمة تحيط بهؤلاء الأصفياء مرة أخرى بعد انفصال روح القدس عنهم، ويسري فيهم تأثير بئس القرين نتيجة فراق نعم القرين؟ والعياذ بالله. يجب أن تفكروا قليلا بتقوى الله وخشيته، هل هذا هو الأدب؟! وهل هذا هو الإيمان والعرفان؟!

بأن يُسَمَّح بهذا العيب والحالة المتردية للنبي ﷺ وكأن روح القدس كان يهجره فترات طويلة وكان ﷺ يُحْرَم من الأنوار القدسية التي هي ظل روح القدس؟ والأدهى والأمر من ذلك أن المسيحيين يعتقدون بحق المسيح قطعاً وبقينا أن روح القدس لم يهجره قط منذ أن نزل عليه بل كان ﷺ مؤيَّداً به دائماً وأبداً حتى ما كان لينفصل عنه أثناء نومه ولم يصعد إلى السماء تاركاً إياه وحيداً مهجوراً، ولم ينفصل عنه ﷺ نورُ روح القدس ولا لحظة واحدة في حين من الأحيان، بينما يعتقد المسلمون بأن روح قدس النبي ﷺ كان يهجره، ويقرّون أمام أعدائهم بكل صراحة بأن النبي ﷺ لم يحظَ بصحبة دائمة لروح القدس مثل عيسى ﷺ. الآن، تأملوا جيداً، فأية إساءة وسوء أدب أكبر من أن يهان النبي ﷺ إهانة صريحة بإعطاء المسيحيين فرصة للاعتراض؟ مَنْ منا لا يعرف أن نزول روح القدس مدعاة للنور وأن هجره سبب الظلام والظلمة وسوء الاعتقاد وضياع الإيمان؟ أنقذ الله الإسلام من شر هؤلاء المسلمين الذين يدّعون نطق شهادة الإسلام ثم يهاجمون رسول الله ﷺ. إن المسيحيين لا يعتقدون - حتى عن الحواريين - أن روح القدس كان يهجرهم في وقت من الأوقات، بل يعتقدون أنهم كانوا يوصلون فيض روح القدس إلى الآخرين أيضاً، أما هؤلاء القوم فمع تسميتهم أنفسهم بالمسلمين والمشايخ والمحدثين ونيل الألقاب مثل "شيخ الكل" سيئون الظن بحق خاتم المرسلين وخير الأولين والآخرين ويطيّلون اللسان إلى هذه الدرجة ومع ذلك ييقون مسلمين! والآخرين في نظرهم كفار! (مرآة

كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥، ص ٧٢-٧٦)

قد اتفق المفسرون جميعا في تفسيرها على أن روح القدس كان قرينا ورفيقا دائما لعيسى ﷺ ولم يفارقه لحظة واحدة. انظروا التفسير الحسيني، والتفسير المظهري، والتفسير العزيزي، ومعالم وابن كثير وغيرها. ولقد أورد المولوي صديق حسن خان في تفسير فتح البيان تحت تفسير هذه الآية عبارة: "وكان جبريل يسير مع عيسى حيث سار، فلم يفارقه حتى صعد به إلى السماء".

وفي هذا المقام هناك أمران مؤسفان وجديران بانتباه القراء الكرام:

أولا: كان هؤلاء المشايخ يعتقدون بأن جبريل كان ينزل على الأنبياء بالوحي من السماء بين حين وآخر، ثم كان يصعد إلى السماء دون أدنى تأخير بعد تبليغه الوحي. أما الآن فقد اخترعوا بحق عيسى اعتقادا جديدا يناقض هذا الاعتقاد، أي أن جبريل ما كان يصعد إلى السماء من أجل نقل الوحي إلى عيسى بل كان الوحي يهبط من السماء تلقائيا، ولم يفارق جبريل عيسى ﷺ طرفة عين بل ما زار السماء إلا في اليوم الذي صعد فيه عيسى ﷺ إلى السماء، وبقي في الأرض قبل ذلك ٣٣ عاما متتالية ليل نهار ولم يفارق عيسى ﷺ لحظة واحدة. وظل ٣٣ عاما متتالية تاركا مقامه السماوي، الذي لا تقل مساحته عن ألف ميل طولا وعرضا، خرابا يبابا، بينما يثبت من الأحاديث الصحيحة أن السماء لا تخلو من الملائكة حتى قيد شبر ولو لحظة واحدة. والأسلوب الذي ظل جبريل ينقل به الوحي إلى عيسى إلى ٣٣ عاما كان أيضا أغرب من أساليب نقله إياه إلى جميع الأنبياء لأنه قد اتفق البخاري في صحيحه وكذلك أبو داود والترمذي وابن ماجه ومسلم على أن جبريل ينزل على الأنبياء من السماء بالوحي بين فينة وفينة، (أي التجلي الذي فصلناه قبل قليل). ولقد أورد ابن جرير وابن كثير في تأييد ذلك حديثا عن النواس بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة؛ من

خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجداً. فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام، فيكلّمه الله من وحيه بما أراد. فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلها من سماء إلى سماء يسأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول عليه السلام: قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض.

إن قوله عليه السلام: "تكلم بالوحي" يعني أنه يتكلم بكلام لا يزال فيه إجمال وإخفاء نوعاً ما؛ فتحدث رجفة في السماء بسبب الكلام المحجوب المعنى فيعم ذلك الكلام المهيب جميع السماوات ولا يدرك أحد معانيه. وكل ملاك يرتعد بخوف الله مرتقبا ما هو حادث. ويغشى الملائكة كلهم فيخرون لله سجداً، فيرفع جبريل رأسه قبل غيره ويفهمه الله تعالى تفاصيل الوحي كله ويطلع على مشيئته ومرضاته. عندها يذهب جبريل بذلك الوحي إلى الملائكة كلهم الموجودين في سماوات مختلفة، فيسأله كل ملاك: ماذا كان هذا الصوت المهيب، وما المراد منه؟ فيجيبهم جبريل: الحق، وهو العلي الكبير، أي أن هذا الوحي من الحقائق التي رأى الله العلي الكبير أن من الحكمة إظهارها، فيقولون كلهم مثل ما قال، ويبلغ جبريل ذلك الوحي حيث أمر بتبليغه سواء في السماء أو في الأرض.

تبين من هذا الحديث أن جبريل يكون في السماء عند نزول الوحي، ويبلغه إلى محله المناسب، حيث وهب الله تعالى صوته القوة والقدرة. فما أبطله من اعتقاد القول في هذه الحالة بأن جبريل هجر السماوات بوجوده الحقيقي وجاء إلى عيسى عليه السلام وبقي معه إلى ٣٣ عاماً متتالية وظلّت المهمات الموكولة إليه كلها -التي ذكرناها قبل قليل- ملغاة! وهذا الاعتقاد يستلزم أيضاً أن الوحي كان ينزل على الأرض تلقائياً دون واسطة جبريل، وكان جبريل يتلقاه على الأرض.

والأمر الثاني الجدير بانتباه القراء الكرام هو أن هؤلاء المشايخ أطروا عيسى في كل شيء وأسأؤوا إلى سيدنا ومولانا ﷺ. والأدهى والأمر من ذلك أن يعتقدوا بحق المسيح أن روح القدس لم يفارقه قط وكان ﷺ بريئا من مسّ الشيطان وأن كلا هذين الأمرين كان خاصا به وحده، ويعتقدوا في نبينا الأكرم ﷺ أن روح القدس لم يكن معه دائما ولم يكن ﷺ بريئا من مسّ الشيطان، والعياذ بالله، وأن سيدنا ومولانا محمدا ﷺ مَيّت في نظرهم، مع أنهم يُدعَوْنَ مسلمين. أما عيسى ﷺ فما زال حيا! وأن روح القدس رفيق عيسى الدائم، وأما نبينا ﷺ فمحروم من هذه النعمة! وأن عيسى ﷺ بريء من مسّ الشيطان ولكن نبينا ﷺ ليس معصوما منه! من ذا الذي لا يستطيع أن يقدر مدى الضرر الذي يلحق بالإسلام في هذا العصر على أيدي الذين يتمسكون بهذه المعتقدات! إن هؤلاء القوم أعداء رسول الله ﷺ المستترّون، فليبتعد عنهم كل مسلم ومحَبّ صادق للنبي ﷺ. إنهم يريدون أن يشركوا السلف الصالح في أقوالهم المردودة بكل وقاحة وتجاسر مع أنهم لا يفقهون أقوال السلف الصالح لعماهم، ولا يصلون إلى حقيقة أحاديث النبي ﷺ بل يقولون مخادعةً بأنه إذا كان هذا حالنا، فهذا ما يعتقد به السلف الصالح أيضا.

فيا قليلي الفهم، ليس هذا سبيل السلف الصالح مطلقا. لو اعتقد الصحابة في رسول الله ﷺ أن روح القدس كان يهجره حيناً من الأحيان أو إلى فترات طويلة لما أخذوا منه ﷺ الأحاديث التي قالها في كل وقت وفي كل زمن، كلا بل ظلّ نظرهم مركّزا على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥). ولو اعتنق الصحابة مثلكم اعتقادا بمسّ الشيطان لما عدّوا النبي ﷺ سيد المعصومين. اتقوا الله، لماذا أنتم مصمّمون على الافتراء؟ (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية المجلده، ص ١٠٤-١١٢)

إن لروح القدس علاقة بجميع الأنبياء والمقدسين فما خصوصية المسيح في ذلك؟

فجواب ذلك أنه ليس ثمة أي خصوصية، بل إن سيدنا محمد المصطفى عليه السلام حائز على أكبر نصيب وأعظمه من فطرة روح القدس. لكن لما كان اليهود الأشرار قد بَهِتوا المسيح عليه السلام بأن ولادته ليست من شراكة روح القدس بل كانت بشراكة الشيطان، أي كانت غير شرعية، فقد ركز الله تعالى ذنباً لهذا البهتان ودحضه على أن ولادة المسيح كانت بمشاركة روح القدس وهو منزّه عن مسّ الشيطان. فالاستنتاج من ذلك أن بقية الأنبياء لم يكونوا معصومين من مسّ الشيطان من عمل الملعونين فقط. بل إن هذا الكلام لمجرد تفنيد لفكرة اليهود الباطلة القائلة بأن ولادة المسيح كانت من مسّ الشيطان، أي كانت حراماً. ثم لما بدأ هذا النقاش من المسيح، لذا قد صار مثلاً في الولادة بروح القدس، وإلا لم تكن ولادته أفضل مثقال ذرة من ولادة مطهرة لسيدنا محمد المصطفى عليه السلام. بل إن المعصوم الكامل الذي ظهر في العالم هو محمد المصطفى عليه السلام وحده. أما كلمات بعض الأحاديث بأنه لا أحد معصوم من مسّ الشيطان إلا ابن مريم وأمّه، أي مريم؛ فهذا التصريح أيضاً لبيان طهارة المسيح أمام اليهود، كأنه قيل بأن في العالم حزبين فقط، أحدهما يسمّون في السماء ابن مريم إذا كانوا ذكورا، ومريم إذا كنّ إناثا. والحزب الثاني ما يسمّون في السماء اليهود المغضوب عليهم. فالحزب الأول معصوم من مسّ الشيطان والحزب الثاني هم أبناء الشيطان. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢٤، الحاشية على الحاشية)

فإن روح القدس أبو الحسنة. ففي فطرة الإنسان عاطفتان مختلفتان (١) إحداها الحافز على السيئة الذي يولّد في قلب الإنسان أفكاراً سيئة، فتتشأ فيه أفكارُ السوء والظلم. وهذا الحافز من الشيطان ولا أحد يرفض أن الإنسان مفطور على هذا الحافز. وإن كانت بعض الشعوب ترفض وجود الشيطان لكنهم لا يستطيعون إنكار هذا الحافز.

(٢) والحافز الثاني هو على البرّ الذي به تنشأ في قلب الإنسان الأفكارُ الحسنة والرغبة في إحراز الحسنات، وهذا الحافز من روح القدس. وصحيح أن هذين الحافزين موجودان في الإنسان منذ خلق، إلا أنه كان مقدرا للزمن الأخير أن يتدفق هذان الحافزان كلاهما بكل قوة. فوُلد اليهود بروزا في هذا الزمن ووُلد المسيح ابن مريم أيضا بروزا. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢٥، الحاشية)

فجميع السعداء والصلحاء الذين جاء بحقهم في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَأَنسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٣) هم أبناء روح القدس. يثبت من القرآن الكريم نوعان من المخلوق، أولهما أبناء روح القدس، والثاني أبناء الشيطان، فليست فيه أي خصوصية للمسيح. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٤، عدد ٢٦٨/٧/١٩٠٨م، ص ٣)

الآية ٨٩: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾
إن كلمة اللعنة مشتركة بين العربية والعبرية ولها معنى سيء جدا، بل الحق أن لها معنى خبيثا لدرجة لا يمكن أن ينطبق إلا على الشيطان، لأن الملعون في العربية والعبرية هو مَنْ يُجرَم من رحمة الله إلى الأبد. لذلك سَمِيَ الشيطان لعينًا لكونه قد حُرِم من رحمة الله إلى الأبد. ولم تُستخدم كلمة "الملعون" في كتب الله بدءًا من التوراة إلى القرآن الكريم في حق شخص نال نصيبا من رحمة الله وفضله في نهاية المطاف. بل إن كلمة "ملعون أو لعين" تُطَلَق دائما على الأشقياء منذ الأزل الذين حُرِموا من رحمة الله ونجاته ونظرة حبه، وبُعِدوا وأُبعدوا من لطف الله ورحمته وفضله إلى أبد الأبد، وقُطعت علاقتهم بالله تعالى إلى أبد الدهر، وكتب لهم الخلود في جهنم؛ التي هي جهنم غضب الله تعالى، ولم يعد هناك أمل في نيلهم نصيبا من رحمة الله تعالى إلى الأبد. كذلك لم تُطَلَق هذه الكلمة على لسان الأنبياء أيضا الذين حازوا هدى من الله تعالى وفضله ورحمته في وقت من الأوقات. لذا فإن هذا الاعتقاد متفق عليه في الكتاب المقدس لدى اليهود والكتاب المقدس في الإسلام أن الذي تُطَلَق عليه كلمة

"ملعون" في كتب الله يُحرم ويشقى من رحمته تعالى إلى الأبد، كما أشير في الآية: ﴿مَلْعُونَيْنِ أَنْتَمَا ثُقُفُوا أَخَذُوا وَفُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢). أي أن الزناة ومروجي الزنا في المدينة ملعونون، أي أنهم حُرِّموا من رحمة الله إلى الأبد، فهم يستحقون بأن تقتلوهم حيثما وجدتموهم. ففي هذه الآية إشارة لطيفة إلى أن الملعون يكون محروما من الهداية إلى الأبد، ويكون حماس الكذب والسيئة غالبا عليه من حيث خلقته، ولهذا السبب صدر الحكم بقتلهم، لأن الذي لا يمكن علاجه وهو مصاب بمرض مُعَدَّ وعضال كان موته خيرا. وقد ورد في التوراة أيضا أن الملعون يهلك.

وبالإضافة إلى ذلك، ما أسوأ المعنى المتضمن في كلمة "الملعون" بحيث يستلزم مفهوم اللعنة في العربية والعبرية أيضا أن الملعون يتبرأ من الله تعالى برغبته القلبية، ويتبرأ الله منه، ويكون الملعون عدوا لله بحماسة القلي، وألا يكون في قلبه ذرة من حب الله وعظمته جل شأنه، وكذلك ألا يحبه الله أيضا قيد ذرة، فيصبح وارث الشيطان لا الله. ومن مستلزمات اللعنة أيضا أن يكون الملعون محروما كلياً من معرفة الله وعرفانه وحبه. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٣٦-٢٣٨) لأن للعنة مدلولاً يخص قلب الملعون، وإن الرجل يسمى لعينا حين ينحرف قلبه عن الله تماماً ويعاديه، ولهذا يوصف الشيطان لعينا، ومن ذا الذي لا يعرف أن اللعنة تعني الحرمان من القرب؟ وتستخدم هذه الكلمة بحق إنسان قد انحرف قلبه عن حب الله وطاعته وصار في الحقيقة عدوا لله، فهذا هو مدلول كلمة اللعنة التي اتفق عليه أهل المعاجم... لأن اللعنة تخص الشيطان، واللعين اسم الشيطان، وأن اللعين هو الذي يأتي من الشيطان ويتصل بالشيطان بل هو الشيطان نفسه. (الرد على أسئلة أربعة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية المجلد ١٢، ص ٣٣٢-٣٣٣) فقد ورد في "لسان العرب" عن اللعان: اللعان والملاعنة، اللعن بين الاثنين فصاعداً. وقد ورد معنى اللعن في لسان العرب نفسه: "اللعن الإبعاد والطرْد من الخير." والمعنى اللغوي الثاني هو: "الإبعاد من الله ومن الخلق." أي المردود

من حضرة الله والمحروم من القبول عنده، والساقط في نظر الخلق أيضاً، الفاقد عزته ووجاهته.

باختصار، إن كلمة اللعنة تحيط عند الله بكافة أنواع الخيبة والحرمان من البركات وبقاء الملعون مخذولاً ومردوداً. فالحرمان من كافة أنواع البركات وكون الملعون مخذولاً ومردوداً من لوازم اللعنة. ومن حلت به اللعنة كانت نتيجتها الهلاك والدمار. لذا قال النبي ﷺ ما مفاده: لو باهلي أهل نجران (بقول: لعنة الله على الكاذبين) حلّ بهم الموت والدمار الشديد ولماتت حتى الطيور على أشجارهم. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٥٢)

إن معنى اللعنة عند علماء اللغة كافة مرتبطٌ بقلب الإنسان، ولا يُدعى أحد ملعوناً إلا إذا صار قلبه بالفعل مسوداً بالخروج عن طاعة الله، ومحروماً من رحمة الله، وخالياً من حبه، وصفرًا من معرفته سبحانه وتعالى، ممتلئاً بسموم الغواية، بعد أن أصبح كالشيطان شقيًا أعمى، فلا يبقى فيه ذرةٌ من نور معرفة الله وحبه، بل تنقطع أية صلة له بالله من الصدق والوفاء، حتى تظهر بينه وبين الله الكراهية والبغضاء والنفور والعداوة، فيصير الله عدوًّا له ويصير هو عدوًّا لله، ويتبرأ الله منه ويتبرأ هو منه؛ وبالاختصار إنه يرث كلَّ صفة من صفات الشيطان، ومن أجل ذلك سُمِّي الشيطان لعينًا. (المسيح في الهند، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ١٧-١٨)

لقد ورد في القواميس بصراحة تامة أن اللعين هو اسم الشيطان. والملعون هو الذي لا علاقة له مع الله تعالى وهو بعيد عنه ﷺ. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠٢م، ص ٣)

اللعنة تخص القلب ومدلولها أن يصير الملعون عدو الله ويصير الله عدو الملعون ولا تبقى له أدنى علاقة مع الله وأن ينحرف عن الله تعالى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/١٩٠٢م، ص ٧)

ليس المراد من اللعنة عند الله ما يُراد بها عند عامة الناس، بل المراد من لعنة الله هي اللعنة في الدنيا والآخرة أي الذلة والخزي في كليتهما. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٢، عدد ٢٨/٨/١٩٠٣م، ص ٢٥٠)

لقد ورد في لسان العرب وهو قاموس قديم من كتب إسلامية، وكذلك في قطر المحيط والمحيط وأقرب الموارد -وهي مؤلفات المسيحيين التي طُبعت ونُشرت في بيروت مؤخرًا- وكذلك في جميع القواميس الموجودة في العالم معنى اللعنة: "اللعن الإبعاد والطرْد من الخير ومن الله ومن الخلق. ومن أبعدَه الله لم تلحقه رحمته، وخلّد في العذاب. واللعين الشيطان والممسوخ. وقال الشماخ مقام الذئب كالرجل اللعين." تم كلامهم.

أي مفهوم اللعنة هو أن الملعون من كان جاهلاً ومحروماً كلياً من كل خير وميزة، ومن كل كفاءة شخصية ومن رحمة الله ومعرفته، ويخلد في العذاب، أي الذي صار قلبه مسوداً تماماً، ولا يبقى فيه خير أو حسنة صغيرة منها أم كبيرة وصار شيطاناً ومُسَخ من الداخل أي تتولد في نفسه خاصية الكلاب والخنازير. وقد أطلق "الشماخ" في بيت شعره على الإنسان الملعون "الذئب"، وذلك بسبب مماثلة أن باطن الملعون يُمسَخ. كذلك عندما يقال في العُرف: "لعنة الله على فلان" يفهم منه كل صغير وكبير أن ذلك الشخص نجس الباطن وملحد وشيطان فعلاً في نظر الله وأن الله بريء منه وهو منحرف عن الله. (مجموعة الإعلانات المجلد ٢، ص ٤٠-٤١)

أي يقول الكافرون بأن قلوبنا في حجب، فليست قلوبهم رقيقة حتى تقبل الحق بعد انكشافه. يقول الله جلّ شأنه في جواب ذلك أن ذلك ليس ميزة حسنة بل هو تأثير اللعنة على القلوب. بمعنى أنه عندما تنزل اللعنة على أحد كان من علاماتها أن يقسو قلب المرء فلا يقبل الحق مهما انجلي. (مجموعة الإعلانات المجلد ١، ص ٣٢٥-٣٢٦)

الآية ٩٠: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ معنى الآية أن هؤلاء كانوا يدعون الله تعالى من أجل نصرة الدين، وكانوا من قبل أصحاب كشف وإلهامات. لا شك أن اليهود الذين عصوا عيسى عليه السلام قد سقطوا من عين الله تعالى، ولكن عندما ماتت المسيحية بسبب ترويجها لعبادة المخلوق، ولم تعد فيها الحقيقة ولا النورانية؛ رُفِعَ عن اليهود إثم إحجامهم عن الإيمان بها، فتولدت فيهم النورانية مرة ثانية، وأخذ الكثير منهم يرون الكشف ويتلقون الإلهامات. وكان من رهبانهم من أحرزوا درجات عالية في هذا المجال لدرجة أنهم كانوا يتلقون إلهامات مدلولها أن ظهور إمام العصر وني آخر الزمان وشيك؛ مما حدا بهؤلاء العلماء الربانيين إلى التوجه إلى بلاد العرب، وكانوا يعرفون - حتى أطفالهم أيضا - أن سلسلة جديدة ستقام من السماء، وهذا هو معنى الآية: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: ١٤٧) أي أنهم يعرفون هذا النبي بكل دقة كما يعرفون أبناءهم، ولكن لما ظهر ذلك النبي الموعود عليه السلام؛ أهلك العجب والتعصب كثيرا من الرهبان، واسودت قلوبهم، إلا أن بعض السعداء منهم قد أسلموا وحسّن إسلامهم. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧٦)

كان أهل الكتاب ينتظرون مجيء رسول ليحاربوا الكفار متكاتفين معه، ولكن عندما جاء الرسول قاموا بإنكاره. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ٦، ص ٢٠١) انظروا كم كان هؤلاء المشايخ ينتظرون القرن الرابع عشر بلهفة إذ كان كل قلب يصرخ أن المهدي والمسيح سيظهر على رأس هذا القرن حصرا. كانت كشف كثير من الصلحاء والأولياء تجزم أن زمن المهدي والمسيح الموعود هو القرن الرابع عشر، فماذا حدث لقلوبهم ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا

عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٣٢٢﴾ (ملحق، عاقبة آتهم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ٣٢٢)

الآية ٩٤: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٥﴾﴾ (أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) أي أنهم أحبوا العجل لدرجة كأنهم أُشْرِبُوهُ كالشراب. والحقيقة أن الإنسان حين يحب أحدا حبا كاملا فكأنه يشربه أو يأكله، ويتصنع بأخلاقه وسلوكه، وينجذب إلى التصنع ببصغة حبيبه بقدر ما يحبه، حتى يصبح مظهرها لحبيبه. وهذا هو السر في اكتساب محب الله النور الإلهي ظلما بحسب سعته. أما الذين يحبون الشيطان فيكسبون الظلام الذي في الشيطان. (نور القرآن، رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٠)

الآية ٩٥: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

المراد من هذا القول هو أن اليهود يقولون بأنهم قتلوا المسيح على الصليب، ويستنتجون من ذلك أنه ملعون وليس نبيا صادقا - والعياذ بالله - وكذلك يقول النصارى إن المسيح قد مات على الصليب، ويستنتجون من ذلك أنه صار كفارة عن ذنوبهم، ولكن الحق أن كلا الفريقين مخطئ في أفكاره، ولا أحد من كلا الفريقين يؤمن في قرارة قلبه بهذه الأفكار. بل اعتقادهم القلبي هو أن المسيح ما مات على الصليب يقينا. لقد أراد الله تعالى من هذا الكلام أن يدرك المنصفون على وجه القطعية من سكوت اليهود والنصارى أنه ليس في أيديهم بهذا الصدد شيء إلا الشك. ولما لزم اليهود والنصارى الصمت بعد الاطلاع على هذه الآية ولم يبرزوا في الميدان للإنكار، اتضح أن السبب في ذلك أنهم كانوا يعرفون جيدا أنهم لو برزوا

للمواجهة وأدعوا بما ليس في قلوبهم، لواجهوا ذلة وخزيا، ولسوف تظهر من الله آية تُثبت كذبهم، لذا لم ينبسوا ببنت شفة، بل لزموا الصمت. مع أنهم كانوا يعرفون جيدا أن سكوتهم سيثبت إقرارهم بالأمر، وهذا سيؤدي من ناحية إلى استئصال عقيدة هؤلاء الكافرين، ومن ناحية أخرى يُبطل اعتقاد اليهود أن المسيح ليس رسولا صادقا من الله وليس من الذين يُرفعون إلى الله ﷻ بالإكرام. ولكن السيف اللامع لصدق محمد رسول الله ﷺ كان يبهر أبصارهم. فكما قيل لهم في القرآن الكريم: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولكن لم يفعل ذلك أحد لخوفهم، كذلك لا يسع أحدا الإنكار هنا أيضا لشدة خوفه، أي لم يستطيعوا القول بأننا نوقن بموت المسيح على الصليب، فلماذا نعد من غير الموقنين؟ فإن سكوتهم في زمن النبي صار حجة إلى الأبد، وأثرت أعمالهم وتصرفاتهم على ذرياتهم المقبلة أيضا، لأن السلف يكونون بمنزلة الشهود للخلف، ولا بد للأجيال القادمة من أن تقبل شهاداتهم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٩٢-٢٩٣)

الآية ٩٨: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

إن جبريل - وهو ملاك عظيم الشأن ومرتبطة بكوكب شديد التألق في السماء - مكلفٌ بخدمات عديدة وفقًا لخدمات أنيطت بالكوكب الذي يرتبط به جبريل. ومع أن هذا الملاك ينزل على كل شخص يُشرف بوحى الله تعالى، (المراد من النزول هنا هو إلقاء التأثير وليس بصورة ظاهرية) ولكن دائرة تأثيرات نزوله تنقسم إلى دوائر صغيرة أو كبيرة بحسب مواهب كل شخص وظروفه. إن أكبر وأوسع دائرة التأثير الروحاني لجبريل ترتبط بوحى سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ. لذلك فإن المعارف والحقائق وكمالات الحكمة والبلاغة التي توجد في القرآن الكريم بصورة أكمل وأتم، لا يحظى بهذه المرتبة العظيمة أي كتاب سواه.

ولا بد من التذكّر أيضاً، كما أشرت إليه من قبل أيضاً، أن تأثير الملاك على نفس الإنسان يكون على نوعين: النوع الأول: هو التأثير الذي يقع بإذن الله على الجنين وهو في الرحم، ويختلف التأثير على اختلاف البذرة في الرحم.

النوع الثاني: هو التأثير الذي يقع بعد تكوين الوجود، ويعمل عمله لإيصال مواهبه الممكنة إلى درجة الكمال قدر الإمكان. وإذا كان النوع الثاني من التأثير يتعلق بنبي أو وليٍّ كاملٍ؛ سُمي وحياً. فعندما تُنشئ النفس المتحمسة علاقة الصداقة - نتيجة نور إيمانها ونور حبها الكامل - مع مبدأ الفيوض ويستولي على حبها حبُّ الله واهبُ الحياة؛ فإن القدرة التي ينالها الإنسان على التقدم إلى ذلك الحين، تكون إظهاراً للتأثير الكامن الذي تركه ملاك الله في الجنين حين كان في رحم أمه. ثم حين ينال الإنسان المرتبة المذكورة آنفاً، نتيجة التأثير الملائكي الأول، يُلقَى عليه الملاك نفسه تأثيره النوراني من جديد، ولكن ليس من عند نفسه، بل لكونه خادماً وسيطاً، فإنه يجذب فيض نور الله في نفسه ويوصله إلى الجانب الثاني؛ تماماً مثل الأنبوب الذي يجذب الماء من جانب ويوصله إلى جانب آخر. عندما يطرح الإنسان نفسه قرب أنبوب روح القدس نتيجة اقتران الحبِّين؛ ينزل من ذلك الأنبوب فيضُ الوحي عليه دفعة واحدة. أو قولوا إن شئتم إن جبريل يلقي بأنواره على ذلك القلب المتحمس ويرسم فيه صورته. وعندها تسمّى تلك الصورة المنعكسة أيضاً جبريل، مثلما سُمي الملاك المستقر في السماء جبريل. أو يمكن القول مثلاً: إذا كان اسم ذلك الملاك "روح القدس" تسمّى تلك الصورة المنعكسة أيضاً روح القدس. ولكن هذا لا يعني أن الملاك يقتحم داخل الإنسان، بل تنعكس صورته في مرآة قلب الإنسان. فمثلاً لو واجهتهم مرآة نقيّة؛ لارتسمت فيها صورة وجهكم المنعكسة فوراً حسب ملاحظكم. ولكن هذا لا يعني أن رأسكم فُصل من العنق ووُضع في المرآة، بل يبقى الرأس في مكانه وإنما يقع على المرآة انعكاسه فقط. ثم الانعكاس أيضاً لا

يكون هُوَ هُوَ دائما، بل يتوافق مع سعة مرآة القلب. فمثلا لو رأيتم وجهكم في مرآة صغيرة في فَصِّ الخاتم؛ فسيظهر فيها الوجه بكامله أيضا، غير أن كل عضو من أعضائه سيبدو أصغر كثيرا من وضعه الطبيعي. ولكن لو أردتم رؤية وجهكم في مرآة كبيرة تكفي لعكس ملامحكم كاملة؛ لظهرت ملامحكم وأعضاء الوجه كلها على وضعها الطبيعي. فهذا هو حال تأثيرات جبريل، فإنه يلقي تأثيراته على كل وليٍّ مهما كان صغيرا، وقد ظلَّ جبريل نفسه يلقي تأثيراته أيضا على قلب سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ. ولكن الفرق بين النوعين من الوحي كالفرق بين المرأة الصغيرة والكبيرة. أي أن جبريل كان هُوَ هُوَ في الظاهر، وتأثيراته هيَ هيَ ولكن الموهبة المستقبلية في جميع الحالات لم تكن على مستوى واحد من السعة والصفاء.

ولقد أوردتُ هنا كلمة "الصفاء" فهو لبيان أن الاختلاف في تأثيرات جبريل ليس كمًّا فقط، بل كيفًا أيضا. بمعنى أن صفاء القلب - الذي هو شرط للانعكاس - لا يكون على مستوى واحد لدى جميع الملهمين، كما ترون أن كل المرايا أيضا ليست على مستوى واحد من الصفاء. فمنها ما هو مصقول جيدا وصافٍ جدا؛ فتظهر صورة الناظر فيها كاملة، ومنها ما هو وسخ وضبابيٍّ ومغبرٍّ؛ فلا تَظهر فيه الصورة بوضوح، بل تبدو بعضها مشوهة؛ فإن ظهرت الشفتان ما شوهد الأنف، أو إن شوهد الأنف ما ظهرت العينان. والحال نفسه بالنسبة إلى مرايا القلوب؛ فكلما كان القلب صافيا كان الانعكاس فيه أصفى وأجلى، وكلما كان القلب مكدرًا ظهر فيه الانعكاس مكدرًا. لقد حظي قلب النبي ﷺ بصفاء أكمل وأصفى لم يحظ به قلب آخر قط. (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٨٦-٨٨)

أن علاقة جبريل - التي عُدَّت ضرورية ومقبولة في الإسلام - بنزول وحي الله على القلوب الطاهرة ... بيانه أنه من الضروري حسب قانون الطبيعة المذكور آنفًا أن يعمل مخلوق عمل الجارحة لإظهار إرادة الله في مجال إلقاء الوحي أو تزويد أحد

بموهبة تلقي الوحي، وأن يعمل في مجال تنفيذ مشيئته ﷻ في أمور تتعلق بالإلهام والروحانية كما ينفذها مادياً. فهذه الجارحة نفسها تسمى بتعبير آخر "جبريل" الذي يتحرك بلا تأخير كجارحة تبعا لحركة ذلك الوجود الأعظم. أي عندما يتوجه الله تعالى بحبٍ إلى قلب محبٍ، يضطر جبريل - الذي علاقته بالله علاقة النفس بالهواء، وعلاقة العين بالنور - للتحرك إلى الاتجاه نفسه حسب المبدأ الذي ذكرناه قبل قليل. أو قولوا إن شئتم إنه يتحرك عفويا وتلقائيا على إثر حركة الله كما يتحرك الظل بصورة طبيعية بحركة الأصل.

فعندما يتحرك نور جبريل بجذبٍ من الله وحثٍ منه ﷻ ونفحاته النورانية؛ ترسم صورته - التي يجب أن تسمى روح القدس - على قلب المحب الصادق فورا، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من حبه الصادق. عندها تعمل هذه القوة عملَ الأذن لسماع صوت الله ﷻ، وتنوب مناب العين لرؤية عجائبه، وتؤثر على اللسان تأثير الحرارة المحركة لجريان إلهاماته ﷻ التي تحرك اللسان بقوة متزايدة على خط الإلهام. وما لم تنشأ هذه القوة يبقى قلب الإنسان عمها ويقي لسانه مثل قطار انفصل عن القاطرة. وليكن معلوما أن هذه القوة التي تسمى "روح القدس" لا تنشأ بمستوى واحد في كل قلب، وإنما يؤثر فيه هذا النور الملائكي لجبريل بقدر كمال حب الإنسان أو نقصه.

والجدير بالذكر أيضا أن قوة روح القدس التي تنشأ في قلب الإنسان باجتماع الحبين كانعكاسٍ لنور جبريل الملائكي؛ لا يُشترط لنشئها أن يسمع الإنسان على الدوام كلام الله المقدس أو يرى الكشوف باستمرار، بل هي بمنزلة أسباب فورية لتلقي الأنوار السماوية. أو قل إن شئت بأنها نور روحاني من الله لتبصر بواسطتها عيونٌ روحانية، أو هي هواء روحاني لإيصال الصوت إلى آذان روحانية.

والواضح أنه ما لم يكن هناك شيء موجودا أصلا؛ فلا يمكن للضوء أن يظهر وجوده. وما لم يتفوه المتكلم بكلام؛ لا يمكن للهواء أن يوصل أي خبر إلى الآذان. كذلك فإن هذا الضوء أو الهواء ما هو إلا كمؤيد سماوي للحواس الروحانية؛ ومثلهما

كمثل ضوء الشمس للعيون المادية، أو كمثل الهواء للآذان المادية. وعندما يريد الله تعالى إلقاء كلامه على قلبٍ ملهم؛ ففور توجّهه للكلام - من أجل الإلقاء - ينشأ تيارٌ ضوئيٌّ أو هوائيٌّ في نور جبريل الملائكي، أو تنشأ موجةٌ حراريةٌ لتحريك لسان الملهَم. وبسبب هذا التمثُّج أو الحرارة؛ يتراءى ذلك الكلام مكتوباً أمام عيني الملهَم فوراً، أو يتناهى صوته إلى أذنيه، أو تجري الكلمات الإلهامية على لسانه. إن الحواس الروحانية والنور الروحاني المعطيين للملهَم قبل الإلهام كملكَةٍ؛ إنما أُعطيا لكي يُحرز قوةَ استقبال الإلهام قبل نزوله عليه، لأنه لو نزل الإلهام وقلب الملهَم محرومٌ من الحواس الروحانية أو لم يصل عينَ قلبه نورٌ من روح القدس، لما كانت عنده عيون طاهرة لمعرفة الإلهام الإلهي. فلهذه الضرورة يُعطى الملهَم تلك الملكتين. وسيدرك القراء من خلال هذا البحث أن جبريل مكلفٌ في الوحي بثلاث مهمات:

أولاً: عندما تُقذف في الرحم نطفةٌ لتكوين الشخص الذي يريد الله أن يجعل فطرته قابلة لتلقي الإلهام بمقتضى رحمانيته سبحانه دون أن يكون للإنسان يد في ذلك، يُلقى عليه انعكاس نور جبريل الملائكي حال كونه نطفة. فتحرز فطرة ذلك الشخص ملكة تلقّي الإلهام بفضل الله البحث، فيُعطى حواسَّ مناسبة للإلهام.

ثانياً: ومهمة جبريل الثانية هي أنه عندما يدخل حب الإنسان في ظل حب الله، تحدث حركةٌ في نور جبريل نتيجة تحرك صفة الله المربي، فينزل ذلك النور على قلب المحب الصادق؛ أي ينعكس ذلك النور في قلب المحب الصادق فترسم عليه صورة جبريل التي تعمل عمل الضوء أو الهواء أو الحرارة، وتبقى في الملهَم كموهبة لتلقي الإلهام. وإن جانباً منها يكون متغلغلاً في نور جبريل، وجانبها الآخر يدخل قلب الملهَم، ويمكن تسميته بتعبير آخر بـ "روح القدس" أو صورته.

ثالثاً: ومهمة جبريل الثالثة هي أنه كلما ظهر من الله تعالى كلام؛ تنشط جبريل كالهواء وأبلغه إلى آذان القلوب، أو جعله أمام عيني متلقيه بصورة ضوء لامع، أو

أزكى الكلام بصورة حرارة تدفع اللسان وتُجرِّيه وراء كلمات الإلهام. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٩١-٩٤)

وإن جزءا من ستة وأربعين جزءا من نور جبريل منتشر في العالم كله، ولا يخرج عن نطاقه فاسق أو فاجر أو طالح من الدرجة الأولى أيضا. بل أعتقد أيضا أنه قد ثبت بالتجربة أن الرؤيا الصادقة؛ قد تراها أحيانا امرأة فاسقة من فئة المومسات، هدرت شبابها كله في الرذيلة. والأغرب من ذلك أن امرأة مثلها؛ يمكن أن ترى في ليلة قضتها في شرب الخمر وممارسة الرذيلة حلما يتحقق. وليكن معلوماً أنه من المفروض أن يحدث هذا، لأن نور جبريل يلقي بتأثيراته على العالم كله، مثل الشمس التي هي مركزه، بحسب إمكانيات المتلقين. وليس هناك أية نفس بشرية تُركت في الظلام تماما في هذا العالم. بل الحق أن شيئا من حب المستقر الأخير والمحبوب الحقيقي يوجد في كل شخص مهما كانت طبيعته دنيئة. ففي هذه الحالة كان ضروريا أن يقع تأثير جبريل إلى حد ما على جميع بني آدم حتى المجانين منهم، وهذا هو واقع الأمر، لأن المجانين الذين يسميهم عامة الناس المجذوبين؛ يتأثرون بنور جبريل في بعض الأحيان نتيجة انقطاعهم عن الدنيا نوعا ما، فيقع شيء من ضوء هذا النور على عيونهم الباطنية فترى شيئا من تصرفات الله الخفية. ولكن هذا النوع من الأحلام والمكاشفات لا يحيط من شأن النبوة أو الولاية ولا يقلل من عظمتها ولا يُحدث التباساً مريباً ومحيراً؛ لأن هناك فرقا بين الفريقين يستطيع كل ذي عقل سليم أن يدركه بسهولة. وهو أن رؤى الخواص والعوام ومكاشفاتهم ليست سواسية مطلقاً كيلاً وكمّاً واتصالاً وانفصالاً. إن عباد الله الخواص يحظون بهذه النعمة الغيبية على وجه خارق للعادة. أما الآخرون فمثل مشاركتهم في نعم يُعطاه الخواص كمثال مشاركة المتسول الذي يملك درهما واحداً في كنوز الملك. ومن الواضح أن هذه المشاركة البسيطة التي لا تكاد تُذكر لا تحيط من شأن الملك ولا ترفع من شأن المتسول شيئاً.

وإذا تدبرتم قليلا لوجدتم أن مثل هذه المشاركة كمثل مشاركة اليراعة الشمس في الضوء، فهل لليراعة أن تنال بهذه المشاركة نصيبا من مجد الشمس؟ (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٩٥-٩٦)

إنني أؤمن بالملائكة وجبريل تماما كما ورد ذكرهم في القرآن الكريم والأحاديث، ولقد ذكرت في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة علاقات العمل الموكلة للملائكة مع الأجرام السماوية. كذلك ذكرت في "توضيح المرام" ما كلف به الملائكة من الأعمال بوجه خاص. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٢٠)

في الأخير أنهي هذا الموضوع بعد نقل بعض الأقوال التي يظهر منها أن السلف الصالح لم يعتنقوا قط اعتقادا أن روح القدس كان ينزل على النبي ﷺ في بعض المناسبات الخاصة وكان ﷺ محروما منه كليا - والعياذ بالله - في بقية الأوقات. ومن جملة قول سجله الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في الصفحة ٤٢ من كتابه "مدارج النبوة" ويتلخص في أن ملائكة الوحي كانوا رفقاء النبي ﷺ وقرناه على الدوام. فينقل من "جامع الأصول" و"كتاب الوفاء" أن إسرئيل لازم صحبة النبي ﷺ منذ بداية نبوته إلى ثلاث سنوات متتالية، ثم جاءه جبريل للصحبة الدائمة. ثم ينقل المؤلف من صاحب "سفر السعادة" بأن النبي ﷺ كان بالغاً من العمر سبع سنوات حين أمر الله جلّ شأنه إسرئيل ليلازم صحبته ﷺ، فكان إسرئيل يلازمه ﷺ في كل حين وآن. وظل الحال على هذا المنوال إلى نهاية السنة الحادية عشرة من عمره ﷺ. ولكن إسرئيل ما كان يلقي في قلب النبي ﷺ بصورة الوحي إلا كلمة أو كلمتين. كذلك كان ميكائيل أيضا قرين النبي ﷺ. ثم أمر جبريل فكان قرينه ﷺ ومصاحبه إلى ٢٩ عاما متتالية قبل الوحي، ثم بدأ نزول وحي النبوة.

كل عاقل يستطيع أن يفهم من هذا البيان أن الأسلاف الذين كتبوا عن جبريل أنه كان رفيق النبي ﷺ في كل حين وآن وبصورة دائمة إلى ٢٩ عاما قبل النبوة أيضا لا يمكن أن يعتنقوا اعتقاداً قط أن جبريل كان يصعد إلى السماء في بعض الأحيان،

لأن تركه النبي ﷺ في وقت من الأوقات ينافي دوام القرب والمعية غير المنقطعة. ولكن إذا نظرنا إلى اعتقاد آخر أيضا لهؤلاء الصلحاء بأن مقر جبريل هو السماء فحسب وأنه يأتي بكل وحي من السماء فقط، فلا نجد سبيلاً للخلاص من التناقض الناتج عن هذين المعتقدين إلا أن نعتقد بأن نزول جبريل من السماء ليس على وجه الحقيقة بل على سبيل التمثّل. وإذا كان النزول على سبيل التمثّل فلا ضير في أن جبريل ظل مع الأنبياء عليهم السلام بوجوده التمثلي في كل حين وآن وفي كل طرفة عين لأنه ما زال في السماء بوجوده الحقيقي. وهذا المذهب صدّقه وصوّبه الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في الصفحة ٤٥ من كتابه "مدارج النبوة" فيقول ما مفاده إن لأهل النظر إشكالا في نزول جبريل الذي كان أحيانا بصورة دحية الكلبي أو بصورة إنسان آخر، وينشأ الاعتراض أنه إذا كان جبريل في الحقيقة يحوز جسدا جديدا شبيها بجسد دحية الكلبي وكان ينفخ فيه روحه ففيم كان جسده الحقيقي ذو الـ ٣٠٠ جناح؟ هل كان يبقى جسدا بلا روح وكان جبريل يموت ثم يظهر في جسد آخر على سبيل التناسخ؟ ثم يقول في جواب ذلك بأن هذا النزول تمثيلي عند المحققين وليس حقيقيا حتى يستلزم ترك جسد والدخول في جسد آخر على وجه الحقيقة. ثم يقول: الحق أنه كان في ذهن جبريل الصورة العلمية لدحية الكلبي فكان جبريل نتيجة قدرته الكاملة وإراداته الشاملة يظهر مع جميع صفاته في تلك الصورة على سبيل التمثّل أي كان يُظهر نفسه في صورة دحية الكلبي تمثُّلا. وكان يُظهر نفسه على النبي ﷺ باللباس صفاته تلك الصورة العلمية وليس أنه كان ينزل من السماء مع كيانه الحقيقي بل كان يبقى ثابتا وقائما في مقامه في السماء. وكان جبريل هذا تمثيلا لجبريل الحقيقي أي كان ظله وليس عينه لأن جبريل بعينه موجود في السماء بصفاته الخاصة، وحقيقته وشأنه مختلف.

ثم يقول الشيخ بعد هذا الكلام بأنه كما ظل جبريل ينزل تمثُّلا وليس حقيقة، كذلك هو مثال الأمور الروحانية التي تتمثل بصورة مادية، وهذا هو مثل تمثّل الله

تعالى أيضا حين يراه أصحاب الكشف بصورة البشر، وهذا هو مثل الأولياء الكاملين الذين يُشاهدون أحيانا بصور متعددة في مواضع مختلفة.

جزى الله الشيخ الصالح عبد الحق المحدث خيرا على أنه قبل بصدق القلب أن جبريل لا ينزل بنفسه بل يشاهد الأنبياء وجوده التمثلي ويبقى جبريل ثابتا ومستقرا في مقامه في السماء. وهذا هو الاعتقاد نفسه الذي أعتنقه أنا وبسببه يصدر العلماء المعاصرون العمهون والمزعومون فتاوى التكفير. ومن المؤسف أنهم لا يفكرون أن جميع المفسرين والصحابة أيضا متفقون على أن النبي ﷺ رأى وجود جبريل الحقيقي مرتين فقط. ويمكن لطفل صغير أيضا أن يفهم أن مجيئه إلى النبي ﷺ بوجوده الحقيقي والأصلي كان مستحيلا أصلا لأن وجوده الحقيقي يملأ الشرق والغرب، وأن أجنحته بالغة إلى أرجاء السماوات فأنت لها أن تنحصر في مكة أو المدينة؟

لو اعتقدتم بنزول جبريل في الحقيقة وبوجوده الحقيقي لواجهتم حتما اعتراضا أنه كيف انحصر ذلك الوجود الحقيقي في حجرة النبي ﷺ؟ وإذا قلتم بأن ذلك لم يكن وجوده الحقيقي فلم يبق بعد الأصل إلا التمثيل. ويمكن اعتبار نزوله نزولا حقيقيا إن لم يبق في السماء أي أثر للوجود الحقيقي قط. وإذا نزل من السماء بوجوده الحقيقي فعليكم أن تثبتوا أين مجال قيامه وبقائه؟

باختصار، إن فكرة أن جبريل كان ينزل إلى الأرض بوجوده الحقيقي بديهية البطلان، ولا سيما لو تأملنا في الشق الثاني ونظرنا إلى فساد يلزم الاعتقاد القائل بأن الأنبياء ظلوا في معظم الأوقات محرومين من بركة الوحي؛ فإنه من قلة الحياء أن يخطر هذا الاعتقاد بالبال.

يقول الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في الصفحة ٨٣ في كتابه "مدارج النبوة"، بأن جميع كلمات النبي ﷺ وأحاديثه إنما هي وحي خفي باستثناء بعض المواضع مثل قصة أسارى بدر، وقصة مارية، وقصة العسل وتأبير النخل التي هي نادرة وبسيطة. ثم يقول في الصفحة نفسها أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية

أن نزول جبريل ليس خاصا بالقرآن الكريم بل كل سنة أيضا نتيجة نزول جبريل، بل اجتهاد النبي ﷺ أيضا من الوحي. ثم يقول في الصفحة ٨٧ بأن الصحابة كانوا يعدّون كل قول النبي ﷺ وفعله - قليلا كان أم كثيرا، صغيرا كان أم كبيرا - وحيا وما كانوا يترددون أو يناقشون العمل به. بل كانوا يحرصون ليعلموا ما يفعله النبي ﷺ في السرّ والخلوة أيضا.

فلا شك أن الذي يتأمل في أحوال الصحابة وكيفية حسابهم كل أمر من أوامر النبي ﷺ وكل قوله وفعله حجة دينية، وعدّهم كل وقت وكل لحظة من أوقاته ﷺ مستغرقة في الوحي سوف يستحيي من اعتناق اعتقاد أن جبريل كان يهجره ﷺ ويصعد إلى السماء، وسوف يخشى أن تمر بقلبه شبهة مثلها. ولكن من المؤسف حقا أن العلماء المعاصرين الذين يدعون المحدثين أيضا لا يخافون الله شيئا. وإذا كان التخلي عن معتقداتهم كهذه كفرا، فأَيّ سعادة أكبر من كفرٍ مثله!

نحن براء كل البراءة من إيمانهم هذا، ونعوذ بالله من أقوالهم هذه التي تؤدي إلى إساءة شديدة بحق رسول الله ﷺ أمام أعدائه. ماذا أقول وماذا أكتب بحق الذين أعطوا الكفار فرصة السخرية والاستهزاء، وخطّوا مرتبة نبينا الأكرم ﷺ مقابل عيسى عليه السلام لدرجة تقشعر لهولها الأبدان. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١١٧-١٢٦)

إن الله تعالى قد جعل في الإنسان حكومةً من ثلاثة أجزاء: العقل والقلب، واللسان. والعقل يعمل بالحجج والبراهين، ومهمته أن لا يبرح كل حين في التفكير والبحث والتنقيب عن البراهين والحجج الجديدة، وتدوين مقدمات الأمور والاستنتاج منها.

أما القلب فهو مَلِكُ الجسد كله، ولا يعمل بالأدلة والبراهين. ولأنه على صلة بملك الملوك سبحانه وتعالى، فيطلع على الحقائق بواسطة إلهام صريح تارة وإلهام خفي تارة أخرى.

بتعبير آخر إن العقل بمنزلة الوزير، والوزير لا يبرح يحيل الفكر والنظر في شتى الأمور، فيبقى العقل مشغولاً بالمقترحات والأسباب والأدلة والنتائج. أما القلب فلا علاقة له بذلك، بل قد جعل الله تعالى فيه قوة الحسن. تصل النملة فوراً إلى المكان الذي يوجد فيه شيءٌ حلوا، مع أنها لا تملك دليلاً على وجود الحلوة هنالك، إنما أودعها الله تعالى قوة الحسن التي ترشدها. والقلب يماثل النملة في هذا الأمر، إذ يتمتع بقوة الحسن التي ترشده، فلا يحتاج إلى البحث عن الأدلة والبراهين وترتيب المقدمات واستخراج النتائج وما إلى ذلك، والعقل يمدّه بكل هذه الأمور والمعطيات أيضاً.

وللقلب معنيان: مادي وروحاني. أما معناه المادي فهو القلب، ولأنه سبب دوران الدم فيسمى قلباً. وأما معناه الروحاني فهو أن شتى أنواع التقدم والرقى التي يريد الإنسان إحرازها تتم بواسطة القلب. وكما أن الدورة الدموية الضرورية جداً لحياة الإنسان تتم بواسطة القلب، كذلك فإن كافة أنواع ترقيات الإنسان الروحانية منوطة بالقلب وحده.

وهذا الأمر يجمله بعض الفلاسفة الجاهلين المعاصرين، فينسبون كل مهمة جيدة إلى العقل. إنهم لا يعرفون أن العقل ليس إلا ملكة استخراج الأدلة والبراهين فقط. توجد في العقل القوة المتفكرة والذاكرة، أما القلب فيمتلك ما يجعله هو السيد. بمعنى أن في العقل نوعاً من التكلف الذي لا يوجد في القلب، إنما يعمل القلب من دون أي تكلف. لذا فإن للقلب انسجاماً مع رب العرش، وإنه يدرك الحقائق بقوة الحسن فقط من دون الحاجة إلى الأدلة والبراهين، ولذلك جاء في الحديث الشريف: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ"^١، ولم يرد: استفت عقلك.

إن خط الألوهية متصل بالقلب وحده. ولا يستبعدن أحدٌ هذا الأمر. لا شك أنه أمر دقيق وصعب الفهم جداً، ولكن الذين يتمكنون من تركية نفوسهم يعرفون

^١ مسند أحمد، مسند الشاميين. (المترجم)

أن القلب يتميز بهذه المكرمات. لولا هذه القدرات في القلب لعدَّ وجود الإنسان عديم الجدوى أصلاً. إن الصوفية وأصحاب المجاهدات الذين يعكفون على أعمال التصوف والمجاهدات يعرفون جيداً أن أعمدة الضوء والنور تخرج من القلب بصورة مشهودة مرئية وتصل إلى السماء في خط مستقيم. هذه المسألة بديهية ويقينية لا أستطيع بيانها بضرب مثال معين، ولكن الذين خاضوا المجاهدات أو أرادوا قطع منازل السلوك قد وجدوا هذه المسألة صحيحة تماماً عبر مشاهدتهم وتجاربهم. فكأن بين القلب والعرش خطأ دقيقاً. والقلب إنما يجد اللذة ممن يتلقى منه الأوامر. إنه لا يحتاج إلى الأدلة والبراهين الخارجية، بل يصبح مورد الإلهام والوحي، ويتلقى الإرشاد من الله تعالى في الباطن ثم يفتي.

غير أنه صحيح أيضاً أن القلب ما دام قلباً فهو مصداق لقوله تعالى ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ (الملك: ١١)، أعني أنه يأتي على الإنسان زمان يكون فيه غير حائز على قوى القلب والعقل، ثم تأتي مرحلة العقل أي تنمو في الإنسان القوى والقدرات العقلية، ثم تأتي مرحلة الثالثة يستنير فيها القلب ويشعل ويضيء. حينما تأتي مرحلة القلب يحرز الإنسان مرحلة البلوغ الروحاني ويصبح عقله تابِعاً للقلب. وقوى العقل لا تفوق خواص القلب ولا قدراته.

وليكن معلوماً أيضاً أن حالات العقل هذه لا تخص المؤمنين فقط، بل إن الهندوس وذوي الطبقات المنحطّة من كناسي المراهيض وغيرهم أيضاً يعملون بالعقل جميعاً. كل أولئك الذين يشتغلون بأمور الدنيا والتجارة يستخدمون قواهم العقلية المتنامية بصورة كاملة، ويخترعون كل يوم مخترعات جديدة في مجال أعمالهم وتجاراتهم. فمثلاً كم يُسجّر أهل أوروبا والعالم الحديث قواهم العقلية، وكم يخترعون من أشياء جديدة في كل يوم جديد.

أما القلب فيعمل عمله حين يصبح الإنسان لله تعالى، حيث تنعدم كافة القوى والحكومات في داخله، وينال ملكوت القلب القدرة والقوة، وعندها يسمّى الإنسان

إنسانا كاملا، وعندها يكون مصداقا لقول الله تعالى: ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (ص: ٧٣)، ويسجد له حتى الملائكة. عندئذ يكون إنسانا جديدا تماما، وتنشئ روحه باللذة والسعادة الكاملتين. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠١ م، ص ٣-٤)

الآية ٩٩: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾

إن الذي يعتقد بالتوحيد المحض ويكذب النبي ﷺ فإنه عدو له وعدو لله، وكافر عنده بحسب مضمون هذه الآية، فكيف تكون نجاته ممكنة إذن؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٨-١٢٩)

كل ذرة من ذرات العالم التي تحدث بسببها تغيرات متنوعة كلها ملائكة الله. والتوحيد لا يكتمل ما لم نحسب كل ذرة ملاك الله، لأنه لو لم نحسب كل المؤثرات الموجودة في الدنيا ملائكة الله لاضطررنا إلى الاعتراف بأن كافة التغيرات الحادثة في جسم الإنسان وفي العالم كله تحدث تلقائيا بدون علم الله ومشيئته ومرضاته. وفي هذه الحالة لا بد من اعتبار الله عاطلا وجاهلا محضا. فالسر في الإيمان بالملائكة هو أن التوحيد لا يستقيم دونهُ، ويضطر المرء إلى الإيمان بأن كل شيء وكل تأثير خارج عن إرادة الله تعالى، بينما مفهوم الملائكة هو أنهم كمثل أشياء تعمل بحسب أمر الله تعالى. فما دام هذا القانون ضروريا ومعترفا به فلماذا إنكار جبرائيل وميكائيل؟ (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٨١، الحاشية)

الآية ١٠٣: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾

كانت الأمم الجاهلة تتهم سليمان عليه السلام بعبادة الأوثان، ففند الله تعالى هنا هذه التهمة. الحق أن القرآن الكريم يناقش الأمور على ضوء الواقعات، وهو جامع لحقائق العالم كله وهو فخر كتب الأديان كلها، حيث وصفه الله تعالى فقال: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةً﴾ (البينة: ٤)، وقال أيضا: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (البينة: ٣). فلا تتوجهوا عند بيان معاني القرآن الكريم إلى القصص الخارجية بل ركزوا على الأحداث الواقعة... في هذه القصة أراد الله بها تبرئة ساحة سليمان عليه السلام من التهمة القدرة التي رُمي بها، حيث قال البعض إن سليمان كان يعبد الأوثان، فقال الله تعالى: "وما كَفَرَ سليمانُ". (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٠م)

... يقول الله تعالى: ﴿مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾. قد يقول قائل: هل يكفر أنبياء الله أيضا؟ كلا، ليس الأمر كذلك بل الناس اعترضوا عليه أنه عبد الأوثان من أجل امرأة، وقد رد الله تعالى على هذا الاعتراض. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ١٢)

الآية ١٠٧: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

لقد جاء القرآن قد جاء للتمييز بين الحق والباطل. وإذا لم يكن القرآن معيارا فما هو المعيار إذا؟ لا شك أن القرآن الكريم يحيط بجميع الحقائق وتوجد فيه كل العلوم الصحيحة. ولكن جميع أنواع العظمة والكمالات الموجودة في القرآن الكريم تنكشف على المطهرين الذين يُكرمون بالوحي الإلهي. ولا يؤمن المرء في الحقيقة إلا حين يقرّ بصدق القلب بأن القرآن هو المعيار الحقيقي لاختبار صحة الأحاديث

التي جمعها الرواة. مع أن عامة الناس لا يقدرّون على فهم كيفية استخدام هذا المعيار كاملاً بل يقدر على ذلك الخواص فقط. ولكن عدم القدرة أمرٌ وكون الشيء معياراً لشيء في الواقع أمرٌ آخر.

هنا أتساءل: هل الإيمان بصفات القرآن الكريم التي بيّنها الله جلّ شأنه بنفسه واجب أم لا؟ إذا كان واجباً فأسأل: ألم يسمّ الله ﷻ القرآن قولاً فصلاً، وفرقاً وميزاناً وإماماً وحكماً ونوراً بوجه عام؟ وهل جعله وسيلة لرفع جميع الاختلافات أم لا؟ ألم يقل إن فيه تفصيل كل شيء وبيان كل أمر؟ ألم يرد أن أيّ حديث يعارض حكمه ليس جديراً بالثقة؟ وإذا كان كل ذلك صحيحاً، أفليس من واجب المؤمن أن يؤمن به ويقرّ به باللسان ويصدّقه بالقلب، ويعتقد بأن القرآن الكريم هو المعيار والحكم والإمام في الحقيقة؟ ولكن المحجوبين لا يصلون كنه إشارات القرآن الكريم الدقيقة وأساره، ولا يقدرّون على أن يستخرجوا منه المسائل الشرعية ويستنبطوها فينظرون إلى الأحاديث النبوية الصحيحة كأنها تضيف إلى القرآن الكريم شيئاً أو تنسخ بعض أحكامه. ولكنها لا تضيف شيئاً بل تشرح بعض إشارات القرآن الكريم المجملة. يقول القرآن الكريم: ﴿مَا نُنْسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة: ١٠٧)، فقد قال القرآن في هذه الآية بوضوح تام بأن الآية لا تُنسخ إلا بآية فقط. لذا وعد أنه لا بد من نزول آية مكان آية منسوخة. صحيح أن العلماء زعموا على سبيل التسامح أن بعض الأحاديث نسخت بعض الآيات، حيث يقول الفقه الحنفي أنه يمكن نسخ آية بحديث مشهور، ولكن الإمام الشافعي لا يرى ذلك قط، بل يقول بعدم جواز نسخ القرآن حتى بحديث متواتر. وبعض المحدثين يقولون بنسخ الآية بخبر الواحد أيضاً، ولكن القائلين بالنسخ لا يقصدون مطلقاً أن الآية تُنسخ بحديث فعلاً وحقيقةً، بل يقولون بأن الحقيقة أنه لا يجوز الإضافة على القرآن ولا يجوز نسخه بالحديث. ولكن كل هذه الأمور تبدو حادثة بحسب نظرنا القاصر الذي يعجز عن استنباط المسائل من القرآن الكريم. والحق أنه لا يجوز النسخ

الحقيقي ولا الإضافة الحقيقية على القرآن الكريم لأن ذلك يستلزم تكذيبه. لقد ورد في الصفحة ٩١ من "نور الأنوار" وهو كتاب أصول الفقه للأحناف:

"روي عن النبي ﷺ أنه بعث معاذًا إلى اليمن قال له: بِمَ تقضي يا معاذ؟ قال بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله. قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد برأيي. فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله بما يرضى به رسوله. لا يقال إنه يناقض قول الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فكل شيء في القرآن، فكيف يقال فإن لم تجد في كتاب الله؟ لأننا نقول إن عدم الوجدان لا يقضي عدم كونه في القرآن. ولهذا قال ﷺ: فإن لم تجد، ولم يقل فإن لم يكن في الكتاب."

فهذه العبارة تتضمن إقراراً أن كل أمر ديني مذكور في القرآن ولم يبق شيء خارجه. ولو نقلنا من كتب التفسير ما يؤيد هذا الكلام لاحتجنا إلى مجلد منفصل. فحقيقة الأمر أن ما خرج عن القرآن أو خالفه فهو مردود. والأحاديث الصحيحة لا تخرج عن القرآن، لأن جميع المسائل قد استُخرجت واستنبطت من القرآن بواسطة الوحي غير المتلو. غير أنه صحيح تماماً أن هذا الاستخراج والاستنباط ليس بوسع كل شخص إلا رسول الله أو الذي بلغ تلك الكمالات بصورة ظلية. ولا شك في أن الذي وهبه الله تعالى - بصورة ظلية - العلم الذي وهبه لرسوله المتبوع فهو يُطَّلَع على حقائق القرآن ومعارفه الدقيقة. (مناظرة لدهيان، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٩٢-٩٣)

لقد جَرَّبْتُ مئات المرات أن الله تعالى كريم ورحيم، ولكنه حين لا يقبل دعاءً ما لحكمة عنده يقبل عوضاً عنه دعاء آخر مثله كما يقول: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٤٠)

صباح اليوم تلقيت إلهاماً وأردت أن أسجله، ثم تركته اعتماداً على الذاكرة، ونسيته نهائياً ولم أتذكره مطلقاً رغم محاولاتي الكثيرة، والحق أنه: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ

آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا». (بدر، مجلد ٢، رقم ٧، عدد ١٩٠٣/٣/٦ م، ص ٥٠)

إن إلهنا قادر ومقتدر ويملك خيارات كاملة، وإننا نؤمن بـ ﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، فهو ليس كالمشعوذ. إذا أصدر أمرا صباحا فيملك قدرة كاملة لنسخه مساء، وتشهد على ذلك آية ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ (البقرة: ١٠٧). فمن المؤكد أن الصدقة تفيد. فقد أجمع الأنبياء الكرام كلهم على أن الصدقة والاستغفار يدفعان البلاء. فما هو البلاء؟ إنما هو أمر مؤلم قد قُدر في مشيئة الله، فإذا أخبر نبي عن هذا البلاء يكون نبوءة، لكن الله ﷻ أرحم الراحمين، فهو يتوب على المتضرعين برحمة، لذا ليست من معتقداتنا أن نبوءة الوعيد لا تلغى، كلا بل نؤمن بأنها تلغى. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ١٩٠٨/٥/٢٤ م، ص ٤)

لقد جربنا دائما أن الله يفعل ما يشاء، وإن مشيئته تتحقق لا محالة. ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ١٩٠٤/٣/٨ م، ص ٤) ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعني أنه قادر على الانتحار أيضا، وإلا يمكن القول أيضا بأنه قادر على اتخاذ ولد أيضا. فلماذا التردد في الانضمام إلى المسيحية إذن؟ اعلّموا يقينا أن الله قادر حتما ولكنه لا يعمل ما ينافي قدوسيته وصفاته التي ظلت تُذكر منذ القدم في الكتب الموحى بها، أي أنه لا يتوجه إلى ما يخالفها. إنه قدوس لا يخالف وعوده ولا يتوجه إلى ذلك. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٩٠٧/٤/٢٥ م، ص ٩)

الآية ١١٢-١١٣: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

فليكن معلوما أن الله جلّ شأنه يقول عن النجاة في القرآن الكريم: "لن يدخل الجنة" أي لن ينال النجاة. "تلك أمانيتهم..." أي أرونا إذا كنتم قد حُزتم النجاة،

بل النجاة ينالها مَنْ يَكْرِس نفسه وحياته ويبدل نفسه كلها في سبيل الله، ويعكف على الأعمال الصالحة بعد نذر الحياة ويكسب الأعمال الحسنة من كل نوع... فأولئك الذين ينالون النجاة كاملة.

فهنا قال الله تعالى عن اليهود والنصارى الذين يدعون حيازتهم النجاة بأن هذه أمنياتهم فقط، ولا توجد فيهم حقيقة تلك الأمانى التي هي روح الحياة. بل النجاة الحقيقية هي تلك التي يشعر الناجي بحقيقتها في هذه الدنيا، وذلك بأن الله يوفق الناجي لنذر نفسه كلياً في سبيل الله تعالى بحيث تكون حياته ومماته وجميع أعماله لله رب العالمين، فيتخلى عن نفسه تماماً وتكون مرضاته تابعة لمرضاة الله تعالى. ثم يجب ألا يبقى الأمر مقتصرًا على عزيمة القلب فقط بل ينبغي أن تُستهلك جوارحه كلها وقواه كلها وعقله وفكره وكافة قدراته في هذا السبيل. ففي هذه الحالة يمكن القول بأنه محسنٌ، أي قد أدى حق الخدمة والطاعة بقدر ما كان ممكناً له كونه بشراً. فهذا هو الناجي، كما يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣-١٦٤).

ثم يذكر الله جلّ شأنه علامات تلك النجاة في كتابه الكريم. ومع أن ما سبق ذكره أيضاً يميّز الناجي عن غيره ولكن لما كانت أعين الدنيا لا ترى النجاة الباطنية والوصول إلى الله، ويختلط عليها أمر الواصل وغيره؛ لذا بيّن ﷻ علاماتها أيضاً، لأنه ما من فرقة في الدنيا تحسب نفسها غير ناجية أو جهنمية - فاسأل من شئت، بل لو سألت أيّ شخص من أيّ قوم أو فرقة، سيُعّدّ قومه وفرقته ناجين من الدرجة الأولى - فكيف يمكن البتّ في الموضوع والحالة هذه؟ إذًا، قد وضع الله تعالى للمؤمنين الحقيقيين والكاملين والناجين الحقيقيين والكاملين علامات لكيلا تتيه الدنيا في الشبهات. ففيما يلي أذكر بعضاً من تلك العلامات حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمُ الْبَشَرُ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿يونس: ٦٣-٦٥﴾. "الذين آمنوا.. أي اتبعوا الله والرسول.. سيبيشرهم الله بالرؤى والإلهامات والكشوف، وأن الله لا يخلف الميعاد.. فهذا هو الفوز العظيم الذي يفرق بينهم وبين غيرهم. والذين ليسوا ناجين صادقين لن تقوم لهم قائمة إزاءهم.

ثم يقول تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣١-٣٣).

لاحظوا الآن، لقد عُذَّتْ المكاملة الإلهية والقبول في حضرة الله وكونه تعالى ولياً وكفيلاً وتأسيس حياة الجنة في هذه الدنيا وكون الله حامياً ونصيراً لهم، آيةً.

كذلك الآية... ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ تشير إلى العلامة نفسها وهي أن الناجي الحقيقي يحمل الثمار الطيبة في كل حين، وينال ثمار البركات السماوية دائماً. ثم يقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي أن الذين آمنوا بالله والرسول إذا أرادوا أن يعرفوا ما هي الإنعامات التي يكرمهم الله بها وهي خاصة بهم دون غيرهم، فقل لهم بأني قريب، بمعنى أن الفرق بينكم وبين غيركم هو أنكم قريبون مني ومن خواصي أما الآخرون فبعيدون ومهجورون. وعندما يدعوني أحد منكم فأجيبه أي أكلّمه وأتحدث إليه، وأجيب دعاءه... وقد ذكر الله تعالى علامات الناجين في عدة آيات لو سجّلتها كلها لطلال المقال كثيراً. ومنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَفَقَّأُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: ٣٠). (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٤٣-١٤٦)

كما يقول عليه السلام: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي الحائزون على النجاة سيَلْمون أنفسهم لله تعالى،

وسيعبدونه واضعين النعم في الحسبان وكأنهم يرونه. فهؤلاء الناس ينالون أجورهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي إن هدفهم هو الله وحبه وَعَلَيْكُمْ، والنعم عند الله تكون أجورهم. (مكتوبات أحمد، المجلد ١، ص ٢٢١)

والحق أنه كما وضع الله تعالى في طبيعة الإنسان قدرة على ارتكاب الذنب منذ البداية كذلك أودع فطرته علاج الذنب أيضا على المنوال نفسه. كما يقول وَعَلَيْكُمْ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لاحظوا الآن، إن المبدأ هو أن الرجوع إلى الله بالتوبة ونذر الحياة في سبيله هو الصراط المستقيم لمغفرة الذنوب وهو لا يقتصر على زمن محدد بل قد وجد هذا القانون منذ أن جاء الإنسان إلى هذه الدار الفانية. كما توجد في طبيعته ظاهرة الرغبة في الذنب كذلك توجد ظاهرة أخرى أيضا أنه يندم على الذنب ويكون مستعدا لقبول الموت في سبيل ربه. ففي طبعه السم وفي طبعه الترياق أيضا، وليس أن يتدفق السم من داخله ثم يبحث عن الترياق في الفلوات. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٩٩-٢٠٠)

فليكن واضحا أن الإسلام في لغة العرب هو إعطاء ثمن الشيء مقدما، أو تسليم المرء عمله لأحد، أو طلب الصلح وترك أمر أو خصومة. أما معنى الإسلام اصطلاحا فهو ما أشير إليه في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أي أن المسلم هو الذي يسلم نفسه كلية في سبيل الله؛ أي يندّر نفسه لله لاتباع مشيئته وَعَلَيْكُمْ ونيل مرضاته، ثم تثبت على الأعمال الصالحة لوجه الله، ويسخر كل قواه العملية في هذا السبيل، أي يصبح لله تعالى وحده اعتقادا وعملا.

والمراد من "اعتقادا" هو أن يعدّ وجوده كله في الحقيقة شيئا قد خلق من أجل كسب معرفة الله وطاقته وعشقه ومحبته ومرضاته. وأما "عملا" فمعناه أن يكسب الحسنات الحقيقية -لوجه الله فقط- المرتبطة بكل قدرة وقوة

موهوبة من الله بذوق وشوق وتركيز وإخلاص، وكأنه يرى وجه معبوده الحقيقي في مرآة طاعته.

وبقية ترجمة معاني الآية هي أن الذي تكون نزاهته العملية والعقدية مبنية على محبة ذات الله وتصدر منه الأعمال الحسنة بحماس طبيعي، هو من يستحق الأجر عند الله، لذا فلا خوف على مثل هؤلاء الناس ولا هم يحزنون، بمعنى أن لهم نجاة حاضرة، لأن الإنسان عندما يؤمن بذات الله وصفاته تتحقق له موافقة تامة معه ﷻ، وتوافق إرادته بإرادة الله، وتكون متعته كلها في طاعة الله تعالى، ولا تصدر منه الأعمال الصالحة بمشقة بل بلذّة، فهذه هي الحالة التي يجب أن تُسمّى الفلاح والنجاة والخلاص. وما يُستشعر به ويُلمس في حالة النجاة في عالم الآخرة إنما هو في الحقيقة ظلالٌ وآثار لهذه الحالة الراسخة التي ستظهر في ذلك العالم بصورة مادية. والمراد من ذلك أن حياة الجنة تبدأ من هذا العالم، وكذلك يبدأ عذاب جهنم أيضا من رجس هذا العالم وحياة العمى.

فكل ذي عقل سليم يستطيع أن يفهم بعد التمعن في هذه الآية الكريمة بأن حقيقة الإسلام لا يمكن أن تتحقق وتتجسّد في أحد إلا إذا كان وجوده -مع كافة قواه الظاهرية والباطنية- خالصًا لله نذرًا في سبيله، معيدًا إلى الله تعالى كافة الأمانات التي نالها من ذلك المعطي الحقيقي، وأن يُري إسلامه وحقيقته الكاملة عملا لا اعتقادا به فحسب، بمعنى أن يُثبت مدّعي الإسلام أن يديه وقدميه وقلبه وذهنه وعقله وفهمه وغضبه ورحمته وحلمه وعلمه وكافة قواه الروحانية والمادية وشرفه وماله وراحته وسروره وكل ما له من قمة الرأس إلى أخمص القدمين في الظاهر والباطن حتى نّيّاته وهواجسه الداخلية وخواطر قلبه وعواطف نفسه؛ تابعة لله تعالى كما تتبّع الإنسان أوصاله.

وباختصار، أن تبلغ قدم صدقه درجة تجرّده الكامل عن كل ما يملكه، فلا يعود ملكا له بل يصير كله لله تعالى، وتُسخر كافة أعضائه وقواه في خدمة الله تعالى وكأنها جوارح الحق ﷻ.

ويتبين أيضا بصراحة وبداهة من التدبر في هذه الآية أن نذر الحياة في سبيل الله -الأمر الذي هو حقيقة الإسلام- على قسمين:

القسم الأول: أن يجعل الإنسان الله تعالى وحده معبودا ومقصودا ومحبوبا له، ولا يبقى له شريك في عبادته وحبه وخافته والرجاء منه ﷻ، وأن يقبل قلبا وروحا تقديسه ﷻ وتسبيحه وعبادته وكافة آداب عبوديته وأحكامه وأوامره وحدوده وأمور القضاء والقدر السماوية وأن يحمل المرء نير طاعة كافة أوامره ﷻ وحدوده وقوانينه وأقداره بكل تواضع وانقياد وبإخلاص تام وأن يعرف بكل دقة جميع الحقائق المقدسة والمعارف اللطيفة التي هي وسيلة لمعرفة قدراته ﷻ الواسعة، وواسطة لمعرفة ملكوته وعلو مرتبة سلطانه، وهادية قوية لمعرفة آلائه ونعمائه.

القسم الثاني لنذر الحياة في سبيل الله هو أن يكرّس المرء حياته لخدمة عبادته وصالحهم ومواساتهم وحسن معاملتهم ونصحهم الصادق، وأن يتحمل المرء المعاناة والآلام لإراحة الآخرين، ويرضى بالألم لتوفير الراحة للآخرين.

فاتضح من هذا البيان أن حقيقة الإسلام هي الأعلى والأكثر سموًا، وليس لأحد أن يُلقَّب باللقب الشريف: "المسلم" بمعناه الحقيقي ما لم يسلم لله تعالى وجوده كله مع كافة قواه وأمانيه وإراداته، وما لم يتخلَّ عن أنانيته وجميع رغباته ويسخّر نفسه كليًا في سبيله ﷻ. إذًا، سوف يُعدُّ الإنسان مسلمًا حقيقيًا عندما يُحدث في حياته الغافلة انقلابًا شديدًا تفنى به نفسه الأمانة مع جميع جذباتها دفعة واحدة، فينال بعد هذا الفناء حياة جديدة لكونه محسنًا لله، وتكون حياته طاهرة بحيث لا يبقى فيها إلا طاعة الخالق ومواساة المخلوق.

والمراد من طاعة الخالق أن يكون المرء جاهزا لقبول كل أنواع الهوان والذلة لإظهار عزة الله وجلاله ووحدانيته، ويكون مستعدا لقبول آلاف الميئات من أجل إحياء وحدانيته، وتقبل يده أن تقطع نظيرتها بكل سرور في سبيل طاعته ﷻ، وينقّره حبُّ عظمة أحكامه والعطش للبحث عن رضاه ﷻ من الذنوب وكأنها نار حارقة أو سم

فَتَاكْ أَوْ صَاعِقَةً قَاتِلَةً يُجِبُ الْفِرَارَ مِنْهَا بِجَمِيعِ مَا لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ. بِاخْتِصَارٍ، يُجِبُ أَنْ يَتْرَكَ الْمَرْءُ رَغْبَاتِهِ كُلَّهَا مِنْ أَجْلِ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَعَلَيْكَ وَأَنْ يَرْضَى تَحْمُلَ الْجِرَاحِ الْمَهْلِكَةِ مِنْ أَجْلِ الْإِزْطِاقِ بِهِ وَعَلَيْكَ، وَأَنْ يَتَخَلَّى عَنْ كَافَةِ النِّزَعَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ لِإِثْبَاتِ الصَّلَةِ بِهِ جَلِّ شَأْنِهِ. وَالْمُرَادُ مِنْ خِدْمَةِ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يَخْدُمَهُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ بِمَوَاسَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَالْعَفِيفَةِ قَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِمْ، وَفِي مُخْتَلَفِ الْأُمُورِ وَالْوَسَائِلِ الَّتِي جَعَلَ الْقِسْمَ الْأَرْضِيَّ النَّاسَ فِيهَا مُحْتَاجِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَنْ يَعِينُ بِقُوَّتِهِ الَّتِي وَهَبَهَا إِلَيْهَا كُلَّ مُحْتَاجٍ، وَيَسْعَى جَاهِدًا لِإِصْلَاحِ دُنْيَاهِ وَأُخْرَاهِ.

وَلَكِنْ هَذَا الْوَقْفُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَنْ يَكُونَ اسْمًا عَلَى مَسْمًى مَا لَمْ تَتَصَبَّغْ كَافَةً أَعْضَاءُ الْمَرْءِ بِصِبْغَةِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَأَنَّهَا أَدَاةٌ لِلَّهِ تَصْدُرُ بِوَاسِطَتِهَا الْأَفْعَالُ الْإِلَهِيَّةُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ، أَوْ كَأَنَّهَا مِرَاةٌ نَقِيَّةٌ تَعَكُّسُ فِيهَا مَرْضِيَّاتُ اللَّهِ كُلَّهَا بِصَفَاءٍ تَامٍ؛ فَحِينَمَا تَبْلُغُ طَاعَاتُهُ لِلَّهِ وَخِدْمَاتُهُ هَذَا الْمُبْلَغَ عِنْدَهَا يَصْحُحُ الْقَوْلُ مِثْلًا عَنْ قُوَى وَجَوَارِحِ شَخْصٍ امْتَلَأَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ بِبَرَكَةِ صِبْغَةِ اللَّهِ هَذِهِ - عَلَى سَبِيلِ الْوَحْدَةِ الْمَشْهُودَةِ - بِأَنْ عَيْنِيهِمَا عَيْنَا اللَّهِ، وَلِسَانُهُ لِسَانُ اللَّهِ، وَيَدَاهُ يَدَا اللَّهِ، وَأُذُنَاهُ أُذُنَا اللَّهِ، وَرِجْلَاهُ رِجْلَا اللَّهِ؛ لِأَنَّ كَافَةَ أَعْضَائِهِ وَقَوَاهُ عِنْدَمَا تَتَقَادُ لِإِرَادَاتِهِ وَعَلَيْكَ وَتَتَصَبَّغُ صُورَةً مُتَجَسِّدَةً لِمَشِئَتِهِ تَسْتَحِقُّ أَنْ تُسَمَّى صُورَتِهِ وَعَلَيْكَ. وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا تَكُونُ أَعْضَاءُ الْمَرْءِ تَابِعَةً تَمَامًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ وَرَغْبَتِهِ كَذَلِكَ يَحْظَى الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ بَعْدَ بُلُوغِهِ هَذِهِ الدَّرَجَةَ بِانْسِجَامٍ تَامٍ مَعَ مَرْضِيَّاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَاتِهِ، وَيَجِدُ عِظَمَةَ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتَهُ وَمَالِكِيَّتَهُ وَمَعْبُودِيَّتَهُ وَجُلَّ مَرْضَاتِهِ مَرْغُوبًا فِيهَا كَمَا يَرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى.

فَإِنْ هَذِهِ الطَّاعَةُ التَّامَةُ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْخِدْمَةُ الْمَمْزُوجَةُ بِالْحُبِّ وَالْمِلِيَّةُ بِالْإِخْلَاصِ وَالْحَنِيفِيَّةُ التَّامَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ وَحَقِيقَتُهُ وَلُبُّهُ الَّذِي يُنَالُ بَعْدَ إِيْرَادِ الْمَوْتِ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْإِرَادَةِ.

هَنَا نَكْتَةُ جَدِيدَةٍ بِالْإِنْتِبَاهِ وَهِيَ أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرَهَا: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تُشِيرُ إِلَى

الدرجات الثلاث الضرورية للسعادة، وهي "الفناء والبقاء واللقاء". لأنه كما ذكرنا من قبل أن قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يفيد أنه يجب على الإنسان أن يسلم لله تعالى وينذر له كافة قواه وأعضائه وكل ما كان له؛ وهذه الحالة تسمى "الفناء" بتعبير آخر وذلك لأن الإنسان حينما يسلم جميع قواه لله تعالى -بحسب منطق هذه الآية- وينذرها في سبيله ويتخلى عن ثوائرها ونفسه وسكناتها فلا شك أنه قد أصابه نوع من الموت، وهذا الموت يسميه "الصوفية" باسم الفناء.

أما ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فتشير إلى مرتبة "البقاء"، لأن الإنسان حين يعود إلى النشاط يجذب من الله وحيته بعد فناء تام كامل وسلب أهواء النفس، ويتحرك بقدرة الله من جديد بعد انقطاعه من دوافع النفس كلها، فهي الحياة الثانية التي يجب تسميتها بالبقاء. وأما قوله تعالى ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الدال على إثبات الأجر والثواب ووجوبهما، وعلى نفي الخوف والحزن وسلبهما، فهو إشارة إلى حالة اللقاء، لأن الإنسان حين يحظى بأعلى درجات العرفان واليقين والتوكل والحب بحيث لا يبقى الأجر على إخلاصه وإيمانه ووفائه أمرا وهميا أو خياليا وظنيا فقط بل يكون يقينيا وقطعيا ومشهودا ومرئيا ومحسوسا وكأنه قد ناله سلقا ويتأتى له اليقين بوجود الله تعالى وكأنه يراه ويزول عنه خوف المستقبل ولا يبقى للحزن على الماضي والحاضر أي أثر قط، ويرى كل نعمة روحانية كأنها حاضرة وموجودة في ذلك الوقت فإن هذه الحالة البريئة من كل انقباض وتكدر ومن كل شك وريب والبريئة من ألم الانتظار، أيًا كان نوعه، تسمى "اللقاء"، فكلمة "محسن" المذكورة في الآية تدل دلالة صريحة على مرتبة اللقاء هذه؛ لأن "الإحسان"، كما شرحه النبي ﷺ، هو حالة الكمال حين يُنشئ الإنسان مع الله تعالى، من خلال عبادته، علاقة وكأنه يراه.

ومرتبة اللقاء هذه تتحقق للسالك كاملة حين تغشّي الصبغة الإلهية صبغة البشرية وصفاتها، وتخفيها تحتها بالتمام والكمال كما تغطي النار لون الحديد لدرجة لا يرى

بالنظر الظاهر شيء سوى النار. ولقد تعثر بعض السالكين بعد بلوغهم هذا المقام إذ حسبوا علاقة الشهود كعلاقة الوجود. وأولياء الله الذين بلغوا هذه الدرجة أو الذين حظوا بجرعة من هذه الكأس سماهم بعض الصوفية "أطفال الله" لأن أولياء الله هؤلاء يجلسون في كنف صفات الله تعالى كليا. وكما أن ابن أحدكم يشبه أباه إلى حد ما في ملامحه، كذلك الأولياء أيضا يشبهون إلى حد ما صفات الله الحسنة ظليا بسبب تخلُّقهم بأخلاق الله. ومع أن الأسماء من هذا القبيل ليست مستخدمة في شريعة الإسلام بصورة واضحة، ولكن العارفين قد استنبطوها في الحقيقة من القرآن الكريم نفسه، لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠١). فمن الواضح أنه لو كان استخدام هذه الكلمات على سبيل المجاز من المنهيات الشرعية لنزّه الله تعالى كلامه من هذا الأسلوب الذي يُستنبط منه جواز إطلاقها.

وفي درجة اللقاء هذه تصدر عن الإنسان أحيانا أعمالا تبدو وكأنها تفوق قدرات البشر وتتسم بصبغة قدرة الله، كما أن سيدنا ومولانا سيد الرسل خاتم الأنبياء ﷺ حين رمى بحفنة من الحصى إلى الكفار في معركة بدر، فما رماها بواسطة دعاء بل رماها ﷺ بقوته الروحانية هو، ولكن تلك الحفنة أظهرت قدرة الله تعالى وتركت في صفوف جيش العدو تأثيرا خارقا للعادة بحيث لم يبق منهم أحد لم يصب تأثيرها عينه، فصاروا جميعا كالعميان وسادتهم الحيرة حتى بدأوا يهربون كالمذهولين. فإلى هذه المعجزة يشير الله جلّ شأنه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٨)؛ أي قد عملت قدرة الله تعالى في الخفاء، ولم يكن ذلك من صنع الإنسان.

كذلك إن معجزة أخرى للنبي ﷺ وهي شق القمر، قد ظهرت بقدرة الله نفسها إذ لم يرافقها دعاء، لأنها أيضا حدثت بإشارة إصبع كانت تتمتع بقدرة الله، وهناك معجزات أخرى كثيرة من هذا القبيل أظهرها النبي ﷺ كقدرة شخصية منه ولم يرافقها

دعاء. ففي كثير من الأحيان أدخل ﷺ إصبعه في ماء قليل في قدح فكثّره حتى شرب منه الجيش كله والخيّل والإبل، ومع ذلك بقي الماء بالقدر نفسه الذي كان عليه من قبل. وقد حدث مرات عديدة أن وضع النبي ﷺ يده المباركة على بضع أرغفة من الخبز وملاً بها بطون آلاف الجياع. وفي بعض الأحيان الأخرى بارك بشفتيه قدحا من الحليب وأشبع به جماعة من العطاش الجياع. وأحيانا أخرى مزج لعبه في بئر ماء مالح وحوّله إلى ماء عذب وزلال. وتارة شفى المصابين بجروح بالغة بوضع يده المباركة عليهم، وتارة أخرى شفى ببركة يده العيون التي خرجت مقلتها في الحروب. وكذلك أنجز أعمالا أخرى كثيرة من هذا القبيل بقدرته الشخصية التي رافقتها قدرة الله الخفية.

أما لو أنكر البراهمة والفلاسفة وأتباع مذهب الطبيعة المعاصرون هذه المعجزات فهم معذورون لأنهم غير قادرين على أن يدركوا تلك المرتبة التي ينال فيها الإنسان ظلّياً قدرةً إلهية، فلو سخروا من هذه الأمور لكانوا معذورين في ذلك أيضا لأنهم لم يجتازوا من درجات البلوغ الروحاني سوى درجة الطفولة وليسوا على حالة ناقصة فقط، بل هم مسرورون أن يموتوا على هذه الحالة الناقصة.

لكننا نتأسف أكثر على المسيحيين الذين سمعوا من هنا وهناك بعض الخوارق عن المسيح ﷺ المماثلة لهذه المذكورة - لكنها أدنى درجةً منها - واتخذوها دليلا على ألوهيته، ويقولون بأن إحياء المسيح الموتى وشفاءه المفلوجين والمجنومين كانا بقدرته هو وليس نتيجة الدعاء، وهذا دليل على أنه ﷺ كان ابن الله، بل كان إلها على وجه الحقيقة. ولكن الأسف كل الأسف أن هؤلاء المساكين لا يعرفون أنه لو صار أحد إلها نتيجة أمور كهذه لكان سيدنا ومولانا ﷺ أحق بالألوهية من غيره، لأن الخوارق الاقتدرانية التي أظهرها ﷺ لم يُرها المسيح ﷺ قط. أما هادينا ومقتدانا ﷺ فلم يُر هذه الخوارق الاقتدرانية بنفسه فقط بل ترك في أمته سلسلتها الطويلة التي تمتد إلى يوم القيامة كما ظلت تظهر في كل عصر وزمان بحسب مقتضاه وسوف تظل

تظهر على الدوام إلى آخر الدنيا. ويتعذر العثور على نظير لظل القدرة الإلهية الذي حظي به أولياء هذه الأمة. فأيّة غباوة أن يُعدّ أحد إلها أو ابنَ إله بناءً على هذه الخوارق. فإذا كان الإنسان يعدّ إلها نتيجة هذه الخوارق فيلّى أين تنتهي سلسلة الآلهة؟ ولكن الجدير بالذكر أن هذه الخوارق الاقتدارية - وإن كانت من عند الله - لا تساوي بحال من الأحوال أفعال الله الخاصة التي تظهر للعيان دون وساطة إرادة غيره، وليس مناسبا أن تتساوى معها أصلا. لذلك كلما أظهر نبي أو وليّ أمرا خارقا للعادة على سبيل الاقتدار - دون وساطة الدعاء - ولم يقدر إنسانٌ على إظهار مثله قط، كان فعله هذا أدنى درجة من أفعال الله التي يُظهرها ﷺ علنا وجهارا وبقدرته الكاملة، بمعنى أنه لا بد أن تضم المعجزة الاقتدارية في طياتها نقصا وضعفا حتماً مقابل أفعال الله التي تظهر من الله جلّ شأنه مباشرة لكيلا يحدث التشابه في الخلق في رأي السطحين. لذلك فإن عصا موسى بقيت عصا مع أنها تحوّلت إلى ثعبان مرارا. وإن طيور عيسى بقيت طينا على أية حال مع أن طيرانها على سبيل المعجزة ثابت من القرآن الكريم. ولم يقل الله تعالى مطلقا بأنها صارت حية أيضا.

ولكن لما كانت القدرة الإلهية في خوارق نبينا ﷺ الاقتدارية أكثر من غيرها - لأن شخصه ﷺ كان مثالا أتم وأعلى وأرفع وأكمل لظهور التجليات الإلهية - فنحن عاجزون عن تحديد خوارق النبي ﷺ الاقتدارية في درجة معينة من درجات البشرية. ولكننا نؤمن بأنه لا بد أن يكون هناك أيضا فرق خفي في فعل الله جلّ شأنه وفعل رسوله الأكرم ﷺ.

إنما غايتي من هذا التوضيح أن أبين أنه عندما يحوز الإنسان مرتبة "اللقاء" فإنّه تصدر منه حتما أفعال إلهية في أوقات تموّج هذه المرتبة. ولو قضى أحد جزءا من عمره في صحبة مثل هذا الشخص حقيقةً لشاهد شيئا من الخوارق الاقتدارية حتما؛ إذ يعلو الإنسان شيء من صبغة الصفات الإلهية في حالة هذا التموّج لدرجة تصبح رحمته رحمة الله، وغضبه غضب الله. وفي كثير من الأحيان يقول ذلك الإنسان بغير

الدعاء لشيء كُن فيكون. وينظر إلى أحد بنظر الغضب فينزل عليه الوباء، وينظر إلى غيره برحمة فيصير مورد الرحمة عند الله. وكما أن أمر الله "كن" يُحدث نتيجة حتمية دون تأخير، كذلك فإن أمره "كن" أيضا لا يخطئ في حالة التمشُّج والمدِّ. وقد بينتُ من قبل أنَّ السبب الحقيقي وراء الخوارق الاقتدارية هو أن هذا الشخص يتصبَّغ بصبغة الله وَعَلَى على وجه الظلية بسبب قوة الاتصال معه، وتستولي عليه التجليات الإلهية بصورة دائمة، ويزيل الله -الحبيب الحقيقي- الحُجُب الحائلة بينهما، ويأخذه في حضنه ويقربه بشدة. وكما أنه وَعَلَى مبارك بنفسه كذلك يضع البركة في أقوال ذلك الشخص وأفعاله وحركاته وسكناته وطعامه ولباسه ومكانه وزمانه وجميع لوازمه. فكل شيء يلمسه يتبارك منه دون دعائه. فتكون البركة في بيته، وتكون أبوابه وعتباته مترعة بالبركات، وتنزل البركة على أبوابه فيشهداها في كل حين وآن، ويشم رائحتها. وحين يسافر هذا الإنسان يكون الله تعالى معه بجميع بركاته. وعندما يعود إلى بيته يأتي معه بحر من النور. باختصار يكون هذا الإنسان غريبا حقا لا يدرك كنهه إلا الله تعالى.

هنا فليكن واضحا أيضا أنه بعد تحقق درجة الفناء في الله؛ أي بعد الدرجة التي يستلزمها ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ -التي يسميها الصوفية باسم "الفناء" ويسميها القرآن الكريم باسم "الاستقامة"- تليها درجة البقاء واللقاء دون تأخير؛ بمعنى أنه عندما ينقطع الإنسان عن الخلق والأهواء والإرادة تماما ويبلغ حالة الفناء تبدأ درجة البقاء فور رسوخ هذه الحالة. ولكن ما لم تترسخ هذه الحالة وما لم يصبح الخضوع التام أمام الله تعالى أمرا طبيعيا فلا تتحقق مرتبة البقاء، بل لا تتحقق هذه المرتبة إلا بعد زوال كل أنواع التصنع، وانبثاق أغصان الطاعة الخضرية من القلب مترنحة مثل النبات تماما، وأن يصبح لله في الحقيقة كل ما كان يعدّه الإنسان لنفسه، وأن تكون جميع لذاته الكاملة في عبادة الله وذكره تعالى كما يجد الآخرون ملذاتهم في إشباع الهوى، وأن تحل مرضيات الله تعالى محلّ نزعات الإنسان النفسانية.

ثم عندما تستحکم حالة البقاء هذه جيدا وترسخ في كل جزء من أجزاء جسد السالك وتصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه ويُرى نور ينزل من السماء، فبنزوله تنزل الحُجُب كلها وينشأ في القلب حبٌ لطيف وعذبٌ جدا ممزوج بالخلابة لم يكن موجودا من قبل ويشعر القلب بالارتياح والطمأنينة والسكينة والسرور مثلما يشعر به المرء عندما يلقي -صدفة وبعد فراقٍ طويل- صديقًا حميمًا ويعانقه. تبدأ كلمات الله تعالى المنيرة والعذبة والمباركة والمفرحة والفصيحة والمعطرة والمبشرة بالنزول عليه في قيامه وقعوده ونومه ويقظته كما يهبّ على بستانٍ صباحًا نسيمٌ عليل يحمل معه نوعًا من النشوة والسرور ويُجذب الإنسان إلى الله تعالى بحيث لا يمكنه أن يعيش دون حبه ﷻ وتصوّره كالعاشقين ولا يكون جاهزا للتضحية بماله وروحه وشرفه وأولاده وبكل ما له فحسب، بل يكون قد ضحّى بها حقيقةً من أعماق قلبه، ويكون قد جُذب بجذب قوي دون أن يدرك ما حدث له ويجد في نفسه انتشارا للنورانية بشدة كطلوع النهار، ويشاهد أنهار الإخلاص والحب والوفاء تجري بداخله بكل قوة وشدة، ويشعر في كل لحظة كأن الله قد نزل على قلبه. حين تشعرون بهذه الحالة وبكل علاماتها افرحوا واشكروا الحبيب الحقيقي، فهذه هي الدرجة الأخيرة التي سُمّيت بـ "اللقاء".

وفي هذا المقام الأخير يشعر الإنسان وكأنه غُسل بمياه طاهرة كثيرة وأُبعدت عنه الدوافع النفسانية كلياً وخلق من جديد وفُرش بداخله عرش رب العالمين، ومثل أمامه وجهُ الله القدوس إلى الأبد مع كل حُسنه وجماله الأخاذ. ولكن إلى جانب ذلك يجب التذكّر أيضا أن الدرجتين الأخيرتين "أيّ البقاء واللقاء" لا تُكتسبان بل توهبان، وأن دائرة الاكتساب والجهد تمتد إلى درجة الفناء فقط، وعندها ينتهي سَيْرُ السالكين الصادقين وسلوكهم. وتصل دائرة الكمالات البشرية إلى استدارتها التامة. وعندما يجتاز طيِّو الباطن درجة الفناء كما يجب، يهبّ نسيم رحمة الله دفعة واحدة بحسب سنة الله ويوصلهم إلى درجة البقاء واللقاء.

فالواضح من هذا البحث أن كافة صعوبات السلوك ومشقته تنتهي عند درجة الفناء، ولا دخل لسعي الإنسان ومجاهدته ومشقته وجهده بعدها، بل إن ذلك الحب الصافي الذي يتولد في قلب الإنسان تجاه الله تعالى في حالة الفناء تنزل عليه جذوة الحب الجليلة من الله، ويعبرون عن هذه الدرجة بدرجة البقاء واللقاء. وعندما ينزل حب الله على حب العبد ينشأ ظل منير وكامل لروح القدس في قلب الإنسان باللقاء الحبي، وفي درجة اللقاء هذه يكون نور روح القدس ساطعا جدا.

إن الخوارق الاقتدارية السابقة الذكر تصدر من هؤلاء لأن نور روح القدس يحالفهم دائما ويسكن فيهم فلا ينفصلون عنه ولا ينفصل النور عنهم أبداً في حين من الأحيان، ولا في حال من الأحوال. يخرج هذا النور مع أنفسهم دائما ويقع مع نظرهم على كل شيء، ويؤري الناس لمعانه من خلال كلامهم. وإن هذا النور يسمى روح القدس؛ ولكن هذا ليس روح القدس الحقيقي، بل إن روح القدس الحقيقي هو ذلك الذي في السماء وروح القدس هذا إنما هو ظله الذي يسكن في الصدور والقلوب والأذهان الطاهرة للأبد ولا ينفصل عنها طرفة عين، ومن رأى أن روح القدس هذا ينفصل عنه بكل تأثيراته فهو على الباطل تماما، ويسيء بأفكاره المظلمة إلى أصفياء الله المقدسين.

صحيح تماما أن روح القدس الحقيقي يبقى في مكانه، ولكن ظله -الذي يسمى مجازاً أيضاً روح القدس- يدخل تلك الصدور والقلوب والأذهان وكافة أعضاء الذين يستحقون نزول حب الله الكامل مع بركاته على حبهم الأسمى والأجلى بعد نواهم مرتبة البقاء واللقاء. وعندما ينزل روح القدس المذكور يتعلق بكيان ذلك الإنسان تعلّق الروح بالجدس، فينوب مناب قوة البصر ويعمل عمل العيون، ويصبح قوة الشم ويهب الأذان حساً روحانيا، ويمثّل كلام اللسان وتقوى القلب وذكاء الذهن ويسري في اليدين ويوصل تأثيره إلى القدمين أيضا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن

الناجي هو ذلك الإنسان الذي ضحى بنفسه في سبيل الله تعالى، وأثبت صدقه ليس بالنية فقط بل بالأعمال الصالحة. ومن فعل ذلك فقد وجب أجره عند الله، وكان من الذين لا يخافون شيئاً ولا يحزنون. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٢٥)

إن استقامتنا هي كما يقول سبحانه: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي ضعوا رقابكم بين يدي. وهكذا فسوف يمكن لنا الوصول إلى درجة الاستقامة إذا ظلت كل جارحة من أجسامنا، وكل قوة من نفوسنا تعمل في سبيله تعالى، وأضحت حياتنا وموتنا له وحده. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٨٣-٣٨٤)

إنَّ وقف الإنسان نفسه بكامل قواه في سبيل الله ﷻ ثم وصوله في معرفته إلى حد الإحسان، أي إزاحة حُجُب الغفلة، لدرجة كآنه يرى الله ﷻ؛ فهذا هو الإسلام حصراً. فلا نستطيع أن نصف أحداً بالمسلم إلا إذا نذر جميع قواه في سبيل الله ووظفها في محلها امتثالاً لأوامره ﷻ بحيث لا تعمل أي قوة بحسب هواها. فالواضح أن الحياة الجديدة تُنال بالتغيير الكامل فقط. ويستحيل تحقُّق التغيير الكامل إلا إذا خضعت جميع قوى الإنسان - التي تشكل لبَّ إنسانيته ومغزاها - للطاعة الإلهية. أما إذا صارت جميع القوى خاضعةً لطاعة الله وبدأت تسير في خط الاستقامة بخواصها الطبيعية، فهذا الرجل سيسمى مسلماً. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٧١-٢٧٢)

الوجه في اللغة العربية هو الثغر فلما كان الإنسان يُعرف ويتميز عن مئات الملايين من البشر بالوجه، لهذا فإن المراد من الوجه في هذه الآية مجازاً ذات الإنسان وقواه التي يتميز بها عن الحيوانات الأخرى، فكأن تلك القوى وجهٌ إنسانيته. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٧١، الحاشية)

الذي يرمي على عتبات الله ونذر حياته في سبيله ونشط في إحراز الحسنات فسوف ينال أجره من نبع القرب الإلهي، ولن يخاف أمثال هؤلاء ولن يحزنوا.. أي

إن الذي وظَّف جميع كفاءاته في سبيل الله فصار قوله وفعله وحركته وسكونه وحياته كلها خالصة لوجه الله، ونشَط في كسب البر الحقيقي، فسوف يهب الله له أجرا من عنده ويُنجيه من الخوف والحزن.

واعلموا أن كلمة الإسلام الواردة هنا قد سمّاها القرآن الكريم في موضع آخر الاستقامة، كما علّمنا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي ثبّتنا على طريق الاستقامة، طريق الذين نالوا منك النعم وفتحت عليهم أبواب السماء. فليتضح أن وضع استقامة كل شيء يتحدد نظرا للهدف المنشود منه، وإن الغاية المنشودة من خلق الإنسان أنه خُلِق من أجل الله. فوضع الاستقامة الإنسانية أن يكون الله ﷻ في الحقيقة كما خُلِق للطاعة الدائمة، وعندما يكون لله بجميع قواه وكفاءاته فمن المؤكد أنه ﷻ سيُنعم عليه، هذا بتعبير آخر هو الحياة الطاهرة. فكما تعرفون أنكم حين تفتحون النافذة تجاه الشمس فإن أشعة الشمس تدخل من خلالها، كذلك حين يستقيم الإنسان إلى الله ﷻ ولا يبقى بينهما أي حجاب فعندئذ تنزل عليه فجأة شعلة نورانية لتنوّره، وتغسل جميع أفذاره وأدرانته الداخلية، فينقلب إنسانا جديدا، ويظهر فيه تغيير عظيم، وعندئذ يقال إن هذا الرجل نال الحياة الطاهرة. (الرد على أسئلة أربعة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية المجلد ١٢ ص ٣٤٤-٣٤٥)

بين الله تعالى معناه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾. أي الإسلام جزءان. الأول: فناء المرء في رضا الله تعالى كليا والتخلي عن مشيئته ووضع رأسه على عتباته بحثا عن رضاه ﷻ. الثاني: الإحسان إلى البشر عامة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٩)

المسلم مَنْ ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١١٣). والوجه يُطلق على الذات والشخص، بالإضافة إلى معناه المعروف، فمَنْ سلّم جُلّ قواه لله تعالى فهو الذي

يستحق أن يُدعى مسلماً على وجه الحقيقة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٧٩-٨٠)

الإسلام الحقيقي أن ينذر المرء قواه وقدراته كلها في سبيل الله ما دام على قيد الحياة، ليرث حياة طيبة. وقد أشار الله تعالى إلى ضرورة وقف الحياة ابتغاء مرضاة الله فقال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣).

وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ هنا يعني أن يخرّ المرء على عتبة الله مرتدياً رداء الفناء والتذلل، وينذر حياته وماله وشرفه وكل ما في حوزته في سبيل الله تعالى، ويسخر كل ما في الدنيا من شيء ومتاع في خدمة الدين.

ولا يفهم أحد من ذلك أن على الإنسان أن ينقطع عن أشغال الدنيا كليةً. كلا، إني لا أقصد ذلك، كما أن الله تعالى لم يمنع من كسب الدنيا، بل قد نهي الإسلام عن الرهبانية، لأن هذا دأب الجبناء. كلما اتسع نطاق علاقات المؤمن الدنيوية كان سبباً في علو درجاته، لأن الدين يكون نصب عينه، وتكون دنياه ومالها وجاهاها خادمةً للدين. فالأمر الأساس هو ألا تكون الدنيا غايته المنشودة، بل يكون الدين هو هدفه المنشود من كسبه الدنيا أيضاً، وأن يكسب الدنيا بحيث تصير خادمةً للدين. إذا أراد المرء السفر استخدم المطية أو أخذ الزاد معه، ولكن لا تكون المطية ولا الزاد في حد ذاتهما هدفه الحقيقي، إنما يكون هدفه الأساس هو الوصول إلى غايته المنشودة، كذلك تماماً يجب على الإنسان أن يكسب الدنيا جاعلاً إياها خادمة للدين. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٩، عدد ١٦/٨/١٩٠٠م، ص ٣)

لا بد للإنسان من أن ينذر حياته في سبيل الله تعالى. لقد قرأت في بعض الجرائد أن فلانا من الآريين الهندوس نذر حياته لأرياسماج، وأن فلانا من القسيسين نذر حياته للكنيسة. وإني لأستغرب لماذا لا ينذر المسلمون حياتهم في سبيل الله لخدمة دينهم؟ لو أنهم نظروا إلى زمن النبي ﷺ الميمون لعلموا كيف

كان الصحابة يندرون حياتهم من أجل حياة الإسلام. ألا إنها ليست صفقة خاسرة، بل هي مربحة ربحاً بلا حدود. ليت المسلمين علموا ما في هذه التجارة من فوائد. هل يُهدر حياته مَنْ يندرها في سبيل الله لخدمة الدين؟ كلا، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣). سيعطيهم ربهم أجرهم على وقفهم هذا لله تعالى، وإن هذا الوقف سوف ينجيه من كل هم وغم... لقد جربت ذلك شخصياً، وقد نلت هذه السعادة واللذة بمحض فضل الله وفيضه، وليست أمنيته إلا أن أموت ثم أعود إلى الحياة لأنذرهم الله تعالى، ثم أموت ثم أحيأ، وفي كل مرة سيظل شوقي للوقف لله يزداد مع لذة ومتعة. وحيث إنني صاحب خبرة وتجربة في هذا المجال، فقد رزقني الله للوقف من الحماس بحيث لو قيل لي أن لا ثواب ولا فائدة فيه، وليس فيه إلا العناء والألم، لما توقفت عن خدمة الإسلام أبداً. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٠م، ص ٣-٤)

المراد من الإسلام هو الخضوع لإرادة الله، وملخصه هو طاعة الله الصادقة والكاملة. المسلم مَنْ سلّم نفسه لله تعالى تماماً دون أن يتوقع أي مقابل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠٥/٥/١٩٠٢م، ص ٦)

إن فتح الإسلام الحقيقي يكمن - كما يُفهم من كلمة "الإسلام" - في أن نسلّم أنفسنا لله تعالى كلياً ونتخلى عن نفوسنا وأهوائها تماماً، وألا يبقى في سبيلنا وثن الأهواء والإرادة وعبادة المخلوق، وأن نفنى في مرضاة الله كلياً. وأن ننال بعد هذا الفناء بقاء يصبغ بصيرتنا بصبغة مختلفة تماماً وأن ننال معرفتنا نوراً جديداً، وأن يُنشئ في حنا حماساً جديداً وأن نصبح إنساناً جديداً تماماً، وأن يصير إلھنا الأزلي إلهاً جديداً. هذا هو الفتح الحقيقي الذي من شُعبه الكثيرة شُعبة مكالمات الله. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ١٥٧، الطبعة الحديثة)

المسلم من أسلم نفسه كلياً في سبيل الله وداوم على الأعمال الحسنة لوجه الله، وكأن قواه تموت لله وكأنه قد ذُبح في سبيله. كما أظهر إبراهيم عليه السلام نموذج هذا الإسلام إذ لم يسمح لنفسه بالتدخل مثقال ذرة في الاستجابة لأوامر الله، واستعد لذبح ابنه إثر تلقي إشارة خفيفة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١١/١٦/١٩٠٣ م، ص ٣٣٤)

"لا إله إلا الله" قول، وإثباته العملي ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (البقرة: ١١٣) فعل. فمجرد القول (أي الادعاء بالإيمان) لا يجدي شيئاً، ولا يفيد. فمثل الإيمان العقيم كمثل دجاجة دون جناحين ولا ريش، فهي مضغة لحم لا تستطيع التحرك ولا الطيران. بل الإسلام أن يتقدم الإنسان في سبيل الله ولا يبالي بأي خسارة في سبيل الله رغم مشاهدته مشاهد خطيرة ورغم إيقانه بأن مجرد الوقوف في هذا المكان بمنزلة إلقاء النفس في خطر. ففي الحرب يعرف الجندي أنه يتقدم إلى الموت، ويرى الموت أقرب إليه من الحياة، لكنه مع ذلك استجابة لأوامر رئيسه يتقدم بالوفاء، ولا يبالي بأي خطر، فهذا هو الإسلام.

باختصار، قد علّم الله ﷻ في إحدى الجملتين (لا إله إلا الله) التوحيد، وعلم في الأخرى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أن أثبتوا إيمانكم الصادق والحي بهذا التوحيد بفعلكم هذا، وألقوا رقابكم في سبيل الله. (الحكم مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨ م، ص ٨)

الهدف من هاتين السلسلتين - أي استسلام الإنسان أحياناً لله بالخضوع للتكاليف الشرعية، وأحياناً استسلامه للقضاء والقدر - تحقيق كمال الإنسان، وإشارة إلى ذلك قال الله ﷻ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾. فما هو الإسلام؟ ألا إنما الإسلام أن يستسلم المرء في سبيل الله لنيل رضاه؛ فهو يشاهد الابتلاءات المخيفة، ويرى بأم عينه لمعان السيوف المسلولة وضرباتها في المعركة، حيث يترأى له الخطر على ضياع الحياة، لكنه لا يبالي بشيء، بل يعرض نفسه لكل هذه الأخطار ابتغاء

مرضاة الله. فهذا هو ملخص تعاليم الإسلام. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١٠)

الآية ١١٥: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

لقد ذكر الله تعالى هنا تصرفات النصارى الشنيعة وسلوكياتهم السيئة، إذ لم يكتروا بيت المقدس وهدموه مدفوعين بحماس الاستكبار. ثم قال بأن النصارى الذين قاموا بهذه الوقاحة، سيصيبهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخرائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦١)

الآية ١٢١: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

وهذا هو مآل المداينة، بحيث يكون الإنسان أخيراً من الذين يداينهم، ولذلك ورد في القرآن الكريم ﴿لَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢١)، فلنيل رضا الآخر يضطر الإنسان لمدح دينه أيضاً، ولذا يجب على المؤمن اجتناب المداينة. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ١٢٦: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

"وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى". المراد من "مقام إبراهيم" هنا هو ترك الهوى والمعاملة بالله، أي أن يحب الإنسان ربّه ويفوض إليه أمره ويؤثر رضاه ويكون وفيّاً

له ﷺ. هذا هو مقام إبراهيم الحقيقي الذي تُعطاه الأمة المحمدية على سبيل التبعية والوراثة. والإنسان الذي هو مخلوق بقلب إبراهيمي فاتّباعه أيضاً ضروري. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٨، الحاشية على الحاشية رقم ٣)

اتخذوا مقام أقدام إبراهيم مصلى، لكم أي أطيعوه طاعة كاملة لتنجوا.... لقد أرسل إبراهيم، لتجعلوا عباداتكم ومعتقداتكم على غرار أسلوبه وأطيعوه في كل أمر. (الأربعين، رقم ٣، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٢٠، ٤٢١)

تشير الآية: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ إلى أنه عندما تفترق الأمة المحمدية إلى فرق كثيرة ستنجو منها فرقة تتبع إبراهيم. (الأربعين، رقم ٣، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٢١)

الآية ١٣٢: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أرى من واجبي أن أوصي جماعتي وأبلغهم هذا الأمر، والجميع مخير في أن يستمع لي أو لا: ألا مَنْ كان منكم يريد النجاة ويودّ الحياة الطيبة والأبدية، فليُنذر حياته في سبيل الله تعالى، وليسع كل واحد منكم لذلك جاهدًا وقلقًا حتى يبلغ درجة يستطيع فيها القول: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ (الأنعام: ١٦٣)، وتحتف روحه مثل إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة ١٣٢). فما لم يَفَنَّ الإنسان في الله تعالى، وما لم يمت فيه، فنبيل حياة جديدة محال.

فيا مَنْ تنتمون إلي، إنكم ترون أن نذر الحياة في سبيل الله هو غايي التي أتوخاها في حياتي حقًا، فافحصوا أنفسكم لتروا كم منكم يحبون لأنفسهم ما أحببت لنفسي، ويودّون نذر حياتهم لله تعالى؟ (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٠م، ص ٤)

الآية ١٣٣: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

اعلموا أن الدنيا فانية، والجميع سيموتون عاجلا أو آجلا، والقبور تنادي فاعرة أفواهها، وكل شخص سيدخلها بدوره. لا ثقة بالعمر والحياة فانية، فلا يسع المرء أن يثق أو يتوقع بأنه سيحيا ليخطو خطوة أخرى أم لا، دعك أن يتوقع العيش إلى ثلاثة أشهر أو ستة. فما دام هذا هو الأمر الواقع، وما دامت ساعة الموت غير معلومة، والموت أمر مؤكد ويني لن يزول أبداً، فمن واجب العاقل الفطين أن يكون جاهزا له كل حين، ولذلك قيل في القرآن الكريم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. ما لم تكن معاملة المرء مع الله تعالى نزيهة، وما لم يؤدِّ كِلا الحَقَّين كما يجب، فلن تستوي الأمور. كما قلت إن الحقوق نوعان، حقوق الله وحقوق العباد. وحقوق العباد أيضا نوعان: أولا حقوق الإخوة في الدين؛ فبينهم أُخُوَّةٌ دينية، سواء أكان أحد أخا أو أبا أو ابنا لغيره، وثانيا المواساة الصادقة مع بني البشر عامة.

إن أعظم حق من حقوق الله تعالى أن نعبد وحده، وألا تكون العبادة مبنية على منفعة شخصية، بل يجب أن يعبد المرء ربّه وإن لم تكن هناك جنة ولا جهنم، وألا يفتر فيه الحب الذاتي الذي يجب أن يُكِنَّهُ المخلوق للخالق، ويجب أن يؤدي هذه الحقوق بغض النظر عن مسألة الجنة أو الجحيم.

إن مذهبي بشأن مواساة البشر أن الصدر لا يتطهر كما يجب ما لم يدعُ المرء للعدو أيضا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٢ م، ص ٥)

الآية ١٣٥: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

أي أن جميع الأنبياء الذين جاءوا قبل الآن كانوا أمة، وقد ماتوا جميعا. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، ج ٣ ص ٤٢٨)

الآية ١٣٦: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

الهبل يعني النباح، وقد أعطى الله تعالى شيئاً عليه السلام هذا البروز. ثم استمرت سلسلة البروزات هذه إلى أن كان الرسول ﷺ بروزاً لإبراهيم عليه السلام، ولذلك قال الله تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (البقرة: ١٣٦)، هذا هو السر وراء ذلك. لقد ظهر إبراهيم بعد حوالي ٢٥٠٠ سنة في بيت عبد الله مرة أخرى. باختصار، إن مذهب البروز والظهور هو من المسائل المتفق عليها. (الملفوظات المجلد ١، ص ٢٩٤-٢٩٥)

الآية ١٣٧-١٣٨: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

أي يا أيها المسلمون، آمنوا على هذا النحو وقولوا آمنا بالله الذي اسمه "الله"، الذي هو جامع الصفات الكاملة كلها وبريء من كل عيب كما ذكرت صفاته في القرآن الكريم. وآمنا بكلام الله الذي نزل علينا أي القرآن الكريم، وآمنا أيضاً بكلام الله الذي نزل على النبي إبراهيم وآمنا بكلام الله الذين نزل على إسماعيل والذي نزل على إسحاق وعلى يعقوب وعلى أولاد النبي يعقوب، وآمنا بكلام الله الذي أعطيه النبي موسى والكلام الذي أعطيه النبي عيسى، وآمنا بجميع الكتب التي أعطيتها النبيون من رحم في العالم كله. أي من الله الذي رباهم ربوبية تامة وأثبت للعالم أنه حافظهم وناصرهم ومربيهم في أي قوم أو بلد وُلدوا. ولا نفرّق بين الأنبياء بمعنى أن نؤمن ببعضهم وننكر بعضهم بل نؤمن بهم جميعاً الذين جاءوا إلى الدنيا من الله تعالى. ونحن ندخل الإسلام كما علّمنا الله تعالى ونسلم

ونُخضع أعناقنا أمام الله تعالى. فلو آمن كذلك بقية الناس أيضا الذين يعارضون الإسلام دون أن ينكروا نبيا جاء من الله تعالى لاهتدوا حتما. وإن أعرضوا وآمنوا ببعض الأنبياء وأنكروا بعضا آخرين، فقد عارضوا الحق وأرادوا أن يخلقوا الفرقة في سبيل الله. فاعلم أنهم لن يغلبوا على الإطلاق والله يكفي لمعاقبتهم. والله يسمع ما يقولون وكلامهم لا يخرج عن نطاق علمه. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية المجلد ٢٣، ص ٣٧٦-٣٧٧)

... إن لم يؤمنوا مثلكم فهم قوم لا يريدون أن يتوقفوا عن المعارضة ولا يرغبون في الصلح. (رسالة الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٧٥)

أي سيكون الله نصيرك لاحتواء الجميع الذين يعرفون هذا العمل. (مجموعة الإعلانات، المجلد الأول، ص ١٣٧)

الآية ١٣٩: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾

وقد علمكم الله تعالى هذا الطريق للاصطباغ وهذا تعمُّد من الله ومن أحسن من الله تعمُّدا. فعليكم أن تقرُّوا بأننا نعبد الله تعالى وحده. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٧٧)

وكذلك شهد النبي يوحنا لإظهار جلال النبي ﷺ وعظمته كنبوءة، وهي مسجلة في إنجيل متى: "أَنَا أَعْمِدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيَعْمِدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ" (متى ٣: ١١). يجادل النصارى حول هذه النبوءة بغباء محض أنها بحق المسيح ﷺ، لكن هذا الادعاء باطل لا أساس له من الصحة. فأولا كان المسيح ﷺ معاصرا ليوحنا ﷺ، لا مَنْ سيأتي بعده أو الذي سينال منصب النبوة بعده. وبالإضافة إلى ذلك كل إنسان يمكن أن يختبر أن الذي عمَّد الطلاب الصادقين بروح القدس ونار الحب على الدوام هو الوحيد تحت السماء، أي

سيدنا ومولانا حضرة محمد المصطفى عليه السلام، الذي أقرّ المسيح عليه السلام بجلاله التام في نبوءاته، وإلى تعميد الروح نفسه أشار الله تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٣) أي يؤيد الله تعالى المؤمنين بروح القدس. ثم يقول تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: ١٣٩) أي هذا تعميد إلهي. ومن أحسن من الله تعميدا. (الكحل لعيون الآرية، الخزانة الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٨٤-٢٨٥، الحاشية)

الآية ١٤٣-١٤٤: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

إن الله قد أمر هذه الأمة المباركة في القرآن المجيد بالوسطية. أما في التوراة فقد ركز الله على أحكام الانتقام، وفي الإنجيل ركز على تعليم العفو والسماح. وأما هذه الأمة فعلمها مراعاة الظروف والوسطية كما يقول الله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي جعلناكم من العالمين بأوسط الأمور وعلمناكم الوسط. فطوبى لمن يسلكون الوسط، فإن خير الأمور أوسطها. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٧)

افحصوا تعليم القرآن الكريم من أي باب أو منطلق تشاؤون تروا أنه يحمل في طياته الحكمة. لا إفراط فيه ولا تفريط بل هو قائم على نقطة وسطى لذلك سُميت هذه الأمة أيضا أمة وسطا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣ م، ص ١)

لقد اهتم القرآن الكريم بحفظ المراتب، وهو يهدي إلى العدل وهذا ملحوظ في جميع أوامره. انظروا إلى إنفاق المال مثلاً فلا يجعل المرء ممسكاً ولا مبدراً. لهذا السبب سمى هذه الأمة "أمة وسطاً". (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ١٩٠٢/٣/٣١، ص ٥)

لقد جعل الله تعالى الإسلام نموذجاً للآخرين. وقد اختير فيه طريق وسطٌ وبريء تماماً من الإفراط والتفريط. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ١٩٠٨/٥/٢٤، ص ٣)

الآية ١٤٥: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾

القاعدة عن نون التوكيد الثقيلة التي قدمتها^١ هي باطلة تماماً. يا صاحبي إن الفعل المضارع لا يتحول إلى المستقبل دائماً بإضافة نون التوكيد الثقيلة إليه. إن النظراء من القرآن الكريم تكفي للقرآن الكريم. صحيح أنه عندما أُضيفت نون التوكيد الثقيلة إلى أفعال المضارع في بعض الآيات في القرآن الكريم جاءت بمعنى الاستقبال، ومع ذلك هناك بعض الأماكن حيث بقي معنى زمن الحال على حاله، بل أريد منها معنى الحال أو المستقبل بل الماضي أيضاً على سبيل الاشتراك كسلسلة متصلة ممتدة. أي بمعنى سلسلة بدأت بالحال أو الماضي وظلت ممتدة دون انقطاع إلى منتهى المستقبل. إن مثال الآيات من الفئة الأولى هو قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. من الواضح أن المراد هنا هو الحال لأنه بمجرد نزول الآية أمر لاستقبال الكعبة دون التأخير أو التراخي لدرجة

^١ الخطاب موجه هنا إلى الشيخ محمد بشير البهوبالي الذي ناظره حضرته عليه السلام. (المترجم)

وُلِّيتَ الوجوه إلى الكعبة أثناء الصلاة. فإذا لم يكن هذا حالا فما معنى الحال إذًا؟ كان ممكنا أن يُعَدَّ ذلك استقبالا إذا كان هناك فاصل زمني بين الخبر وتحققه. فإن الآية تعني أننا نوليك إلى قبلة ترضاها، فولَّ وجهك إلى المسجد الحرام. (الحق، مناظرة دهلي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٢-١٦٣)

الآية ١٤٧: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

لو لم يكن النبي ﷺ أُمِّيًّا فكيف كان لمعارضى الإسلام أن يسكتوا على ذلك لو وجدوا الأمر خلافا للواقع، وخاصة اليهود والنصارى؛ الذين كانوا يكتنون للمسلمين البغض والحسد أيضا - إضافة إلى الخلاف في المعتقدات - لعدم مجيء الرسول من بني إسرائيل ومجيئه من إخوتهم بني إسماعيل؟ فمما لا شك فيه أنه كان ثابتا لهم وبكل جلاء؛ أن ما يقوله النبي ﷺ ليس بوسع أُمِّيٍّ وغير دارس، وكذلك ليس عمل عشرة أشخاص أو عشرين، لذلك قالوا لجهلهم: ﴿أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ (الفرقان: ٥). أما العاقلون منهم وأصحاب العلم في الحقيقة فقد علموا جيدا أن القرآن الكريم يفوق قوى البشر. وقد فُتِحَ عليهم باب اليقين لدرجة قال الله تعالى في حقهم: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾. أي يعرفون هذا النبي كما يعرفون أبناءهم. والحق أن باب اليقين والمعرفة هذا لم يُفْتَحَ عليهم وحدهم، بل هو مفتوح للجميع في هذا العصر أيضا، لأن معجزات القرآن ما زالت هي هي، وتأثيراته لا تزال هي هي، والتأييدات الغيبية هي هي، والآيات التي لا ريب فيها موجودة اليوم أيضا لمعرفة صدق القرآن الكريم كما كانت في ذلك العصر. ولما كان الله تعالى يريد إبقاء هذا الدين القويم، فقد أبقي كافة بركاته وآياته على حالها. كان استئصال أديان النصارى واليهود والهندوس المحرّفة والناقصة والباطلة مقدرا؛ فلذلك لم تبق في أيديهم إلا القصص وحدها، ولم يعد فيها لبركة الصدق والتأييدات السماوية أي

أثر. إن كتبهم تخبر بآيات ليس في أيديهم أدنى قدرة على إثباتها، بل يشيرون إلى قصص سابقة. أما القرآن الكريم فيقدم آيات يستطيع أن يشهد بها كل شخص. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٨٨-٥٩٢) يقول الله جلّ شأنه عن موسى ﷺ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ (النمل: ١٥)، أي أنهم أنكروا آياته، مع أن قلوبهم أيقنتها. ويقول عن نبينا الأكرم ﷺ: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٦)

كان أُلوف من الرهبان والملمهين وأصحاب الكشوف يبشرون بظهور نبي آخر الزمان قبل بعثة النبي ﷺ، ولكن أهلكتهم صاعقة غضب الله تعالى عندما لم يؤمنوا بإمام الزمان - خاتم الأنبياء - فانقطعت علاقتهم مع الله، ولا حاجة لنقل كل ما ورد عنهم في القرآن الكريم، فهم الذين قال عنهم القرآن الكريم: ﴿وَكَاُنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ (البقرة: ٩٠)، معنى الآية أن هؤلاء كانوا يدعون الله تعالى من أجل نصرة الدين، وكانوا من قبل أصحاب كشوف وإلهامات.

لا شك أن اليهود الذين عصوا عيسى ﷺ قد سقطوا من عين الله تعالى، ولكن عندما ماتت المسيحية بسبب ترويجها لعبادة المخلوق، ولم تعد فيها الحقيقة ولا النورانية؛ رُفِعَ عن اليهود إثمٌ إحجامهم عن الإيمان بها، فتولدت فيهم النورانية مرة ثانية، وأخذ الكثير منهم يرون الكشوف ويتلقون الإلهامات. وكان من رهبانهم مَنْ أحرزوا درجات عالية في هذا المجال حتى أنهم كانوا يتلقون إلهاماتٍ مدلولها أن ظهور إمام العصر ونبي آخر الزمان وشيك؛ مما حدا بهؤلاء العلماء الربانيين إلى التوجه إلى بلاد العرب، وكانوا يعرفون - حتى أطفالهم أيضا- أن سلسلة جديدة ستقام من السماء، وهذا هو معنى الآية: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي أنهم يعرفون هذا النبي بكل دقة كما يعرفون أبناءهم، ولكن لما ظهر ذلك النبي الموعود ﷺ؛ أهلك العجب

والتعصبُ كثيراً من الرهبان، واسودّت قلوبُهم، إلا أن بعض السعداء منهم قد أسلموا وحسُنَ إسلامُهم. (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧٥-٤٧٦)

معنى حديث النبي ﷺ: "يعرفهم غيري" الذي أُلقي في قلبي هو أنه ليس المراد من كلمة "غير" هو نفي ما سوى الله بل المراد هو نفي عديمي الكفاءة وعديمي المعرفة. ولكن المتقين الحقيقيين دون غيرهم في حضن الله بسبب كفاءتهم وفنائهم وزوال الحجب. لقد قال الله تعالى في كتابه المجيد عن بعض الصالحين من أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي أنهم يعرفون النبي آخر الزمان الذي هو إمام الأنبياء وسيد الأولياء كما يعرفون أبناءهم. وكذلك يعرف الأولياء أولياء بركة نورهم الروحاني. فقد عرف سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ أويسا في اليمن، وكان كثيرا ما يقول بأني أشم رائحة الرحمن من قبل اليمن. وكان النبي ﷺ يعرف مراتب صحابته، وكان مستوى النور الباطني لكل واحد منهم مكشوفاً على ذلك القلب المنير. أما الغافلون فلا يقدرّون على معرفة الله الواحد الأحد كما يقول الله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٩). أي ينظرون رافعين أنظارهم إليك يا أيها الرسول ﷺ ولكنك لا تتراءى لهم ولا يستطيعون أن ينظروا إلى صورتك. ويحدث أحيانا أن بريق الأنوار الروحانية القوي يقع على الآخرين أيضا. كما أن مسيحيا عندما رأى النبي ﷺ حين واجهه المسيحيين مع الحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم للمباهلة قال لإخوته ما معناه: لا تباهلوا فوالله إنني أرى وجوها لو قالوا لهذا الجبل أن يزول من مكانه لزال فورا. فالله تعالى وحده يعلم كم كان نور النبوة والولاية في جلال إذ رآه هذا الكافر أسود الباطن أيضا. (مكتوبات أحمد، المجلد الأول، ص ٥٦٢-٥٦٣، الطبعة الحديثة)

الآية ١٤٨: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

يبدو جليا من سياق الآية أنها لا تتناول ذكر النبوة ولا القرآن الكريم. بل ما تقوله الآية هو بأنه يجب أداء الصلاة من الآن مستقبلين بيت الله الكعبة لا

مستقبلين بيت المقدس. فيقول الله جلّ شأنه في هذه الآية بأن هذا هو الحق، أي أن أداء الصلاة إلى الكعبة هو الحق الذي تقرر منذ البداية، وقد ذكر ذلك نبوءة في الكتب السابقة أيضا، فلا تكن -يا قارئ هذا الكتاب- من الممترين في ذلك. وبعد الآية المذكورة آنفا هناك آيات أخرى تتحدث عن الموضوع نفسه فيقول تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (البقرة: ١٥٠).

إذن، من الواضح تماما أن هذه الآيات كلها تتحدث عن الكعبة وليس عن أي موضوع آخر. ولأن هذا الأمر الصادر عن استقبال الكعبة عند الصلاة أمر عام يشمل جميع المسلمين، فبناء على عموم الحكم قد طمأن الله بعض الطبائع التي تخالجهما الوسوس، وقيل لهم بالألا يترددوا في استقبال الكعبة بدلا من بيت المقدس الذي كانوا عليه سابقا؟ لقد بيّن الله تعالى بأن ذلك ليس بأمر جديد بل هو ما كان مقدرا من قبل وقد أخبر به الله ﷺ بواسطة أنبيائه السابقين فلا ترتابوا في ذلك.

والآية الثانية التي أوردتها المعترض تأييدا لادعائه هي من سورة الأنعام وأنقلها بكاملها وهي: ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الأنعام: ١١٥). يتبين جليا من الإمعان في هذه الآيات أن المخاطبين بـ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ في الآية هم أولئك الذين ليس لديهم إلى الآن إلا حظ قليل من اليقين والإيمان والعلم. بل يتبين من الآيات المذكورة في الأعلى أن الأمر: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الوارد في القرآن إنما هو قول رسول الله ﷺ لأن الجزء الأول من الآية أي: ﴿أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَغِي حَكَمًا﴾ أيضا قول رسول الله ﷺ. ومعنى هذه الآيات أنه لا يسعني أن أحتكم إلى غير الله ليحكم بيني وبينكم، والله الذي أنزل عليكم الكتاب مفصلا، والذين أعطوا علم هذا الكتاب يعلمون جيدا أنه من عند الله. فلا تكن -يا من ليس لديه علم- من الممترين.

يُبرهن هذا البحث كله على أن النبي ﷺ لم يكن مرتاباً بل كان يمنع الارتياب بتقديم الشواهد والأدلة. إذاً، فإن عزو الشك إلى النبي ﷺ فيما يتعلق برسالته مع كل هذا البيان الواضح الجلي ليس إلا جهل أو تعنت بحت.

وإذا انتابت أحداً فكرة أنه إذا مُنع من الارتياب بعض المسلمين الجدد أو المترددين الذين كانوا أضعف إيماناً فكان من المفروض أن يقال: لا "تكونوا" من المرتابين بدلاً من القول: لا "تكن" من المرتابين، لأن ضعف الإيمان ليس شخصاً واحداً بل كثيرون، فلماذا إذاً استُخدمت صيغة المفرد المخاطب بدلاً من الجمع؟ فجوابه أن المراد من الوحدة هنا هي وحدة الجنس وهي في حكم الجماعة. فلو قرأتم القرآن الكريم من البداية إلى النهاية لوجدتم فيه أسلوباً شائعاً أنه يخاطب الجماعة في معظم الأحيان بصيغة المفرد. فانظروا مثلاً الآيات: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَنْتَلِعَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣ - ٢٥).

انظروا الآن إلى محتوى هذه الآيات، إذ من الواضح أن الخطاب فيها في صيغة المفرد موجّه إلى جماعة الأمة الذين خوطبوا فيها أحياناً بصيغة المفرد أيضاً. ومعلوم أن النبي ﷺ لم يخاطب فيها أصلاً لأنها تشمل أحكام إكرام الوالدين وتعظيمهما والبر والإحسان إليهما، بينما توفّي أبواه ﷺ في الصغر بل في فترة رضاعته. فيتبين من هذه الآيات وآيات أخرى مثلها أيضاً أن مخاطبة الجماعة بصيغة المفرد أسلوب متداول وعام في القرآن الكريم وشائع فيه من البداية إلى النهاية. والأسلوب نفسه ملحوظ في أحكام التوراة أيضاً إذ يأتي الخطاب بصيغة المخاطب المفرد ويراد به جماعة بني إسرائيل، كما في سفر الخروج الإصحاح ٣٣: ١١، ١٢، ١٧، إذ خوطب فيه موسى في الظاهر فقد جاء فيه: "إِحْفَظْ مَا أَنَا مُوصِيكَ الْيَوْمَ". و"اخْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ آتٍ إِلَيْهَا"، و"لَا تَصْنَعْ لِنَفْسِكَ إِلَهَةً مَسْبُوكَةً".

فيتبين بكل جلاء من سياق هذه العبارات أن الخطاب فيها موجّه إلى موسى عليه السلام ولكن ليس هو المقصود به، إذ من المعلوم أن موسى لم يذهب إلى كنعان، ولا يمكن أن يعبد الأوثان إنسانٌ مكسّر الأوثان مثل موسى عليه السلام حتى يُمنع من ذلك لأنه عليه السلام عبدٌ مقربٌ عند الله تعالى بحيث قال وَعَجَلَ بِحَقِّهِ: "... وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي، وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ." (الخروج ٣٣ : ١٧)

فالجدير بالانتباه أن الأسلوب المتّبع في القرآن والتوراة هو أن المخاطب في معظم الأحكام الواردة فيهما هو موسى عليه السلام وسيدنا رسول الله ﷺ في الظاهر، ولكنه في الحقيقة موجّه إلى القوم وأفراد الأمة، ولكن الذي ليس لديه إلمام بأسلوب هذين الكتّابين يظن لجهله أن الخطاب أو العتاب موجّه إلى النبي الذي نزل عليه. ولكن التأمل والإمعان في القرائن يكشف على صاحبه أن هذا خطأ فادح.

ثم يُستأصل هذا الاعتراض كلياً بالتعمق في الآيات التي أشاد الله جلّ شأنه فيها باليقين الكامل الذي كان يحظى به النبي ﷺ، كما يقول: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ (الأنعام: ٥٨) ويقول في آية أخرى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: ١٠٩) ويقول أيضاً: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤) أي كشف عليك أدلة صدق الكتاب والرسالة. ثم يقول وَعَجَلَ بِحَقِّهِ في سورة النجم: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم: ١٢) ويقول أيضاً: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم: ١٨-١٩). أي ما كذب قلبُ النبي ﷺ ما رآه من الآيات السماوية على صدقه، أي ما ارتاب بصدها. وكذلك لم ينحرف البصر يمينا وشمالا ولم يتجاوز الحدود بل استقر على الحق والصواب، ولقد رأى آيات ربه العظيمة.

انظروا الآن أيها المستمعون الكرام بعدل، وتدبروا بإنصاف يا من تحبون العدل، وتأملوا كيف يبيّن الله تعالى بكل وضوح أن النبي ﷺ كان حائزا على يقين كامل وعلى بصيرة كاملة بنبوته، وأرى آيات عظيمة.

فملخص الجواب هو أنكم لن تجدوا في القرآن الكريم حرفا واحدا ولا نقطة واحدة تدل على أن النبي ﷺ كان مرتابا أدنى ارتياب في كونه أو كون القرآن الكريم من الله تعالى. بل الأمر القاطع واليقيني هو أن اليقين الكامل والبصيرة الكاملة والمعرفة التامة التي أعلن بها النبي ﷺ عن نفسه ثم أثبتها أيضا لا مثيل لها في أي كتاب موجود حاليا قط. فهل من يسمع فيؤمن بالله ورسوله محمد ﷺ ويكون من المسلمين المخلصين؟

وليكن واضحا أيضا أنه قد نُقل في الأناجيل بعض أقوال المسيح ﷺ، يتبين من التأمل فيها أنه قد انتابته بعض الشكوك والشبهات في نبوته وكونه مؤيدا من الله في أواخر أيام حياته، منها مقولته التي قالها في اللحظات الأخيرة من حياته: إيلي إيلي لم شُبقتني، أي يا إلهي، يا إلهي لماذا تركتني؟ فقال هذا الكلام في وقت رحيله من الدنيا تماما، أي في الوقت الذي هو ظهور أنوار لأهل اليقين والإيمان للعيان. وكان من عادته أيضا أنه كلما شعر بنية سيئة من أعدائه هرب من ذلك المكان مع أن الله تعالى كان قد وعده بحمايته. فإن ارتيابه وتحيُّره واضح من هذين الأمرين. ثم ما معنى دعائه باكيا بمرارة متناهية طول الليل عن أمر كان يعرف عاقبته السيئة سلفا إلا أنه كان يشك ويرتاب في كل أمر؟ لقد كتبت هذه الأمور لدرء هذا الاعتراض من المسيحيين وإلا يمكنني أن أرد على أسئلة من هذا القبيل على أحسن وجه، وأستطيع أن أنزه حبيبي المسيح ﷺ -الذي لم يكن استثناء من الضعف البشري- في طرفة عين من كل هذه التهم بنفي ألوهيته وبنوته فقط، ولكن ذلك سيُخرج إخواننا المسيحيين كثيرا. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٢١-٤٢٧)

لقد كشف الله تعالى عليّ قبل ثلاثة أعوام تقريبا... بناء على بعض الأمور نبوءة أن البنت الصغرى للميرزا أحمد بيك بن الميرزا غامان بيك سترتبط بي

بالزواج في نهاية المطاف... بعد ذلك أُصِبتُ بمرض شديد حتى أُشرفتُ على الموت، بل كتبتُ الوصية أيضا نظرا إلى الموت الوشيك، وكان يبدو لي أنه النَّفْسُ الأخير وأن جنازتي ستُشيع في اليوم التالي. عندها فكّرتُ في نفسي في تلك النبوءة أنه قد يكون لها معنى آخر لم أفهمه. ففي هذه الحالة الموشكة على الموت تلقيتُ إلهاما نصه: "الحق من ربك فلا تكونن من الممترين." عندها كُشف عليّ سرُّ قول الله تعالى في القرآن الكريم لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ففهمتُ أن هذه الآية تُعني بمواقف حرجة كهذا الذي أواجهه الآن من الضيق واليأس. وتيقّنتُ أنه كلما واجه نبي من الأنبياء موقفا كهذا الذي أواجهه حاليا، وهبهم الله ﷻ يقينا متجددا قائلا: لم ترتاب في الأمر، ولماذا جعلتك البليّة يائسا؟ فلا تيأس. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٠٥-٣٠٦)

الآية ١٤٩: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إن حماس المرء للاستباق فقط ليس سيئا في حد ذاته. يقول الله تعالى: "فاستبقوا الخيرات" أي استبقوا في كل عمل خير وابدلوا قصارى جهدكم لتتقدموا على غيركم. فالذي يريد أن يسبق في الخيرات بوسائل الخير يكتف في نفسه مفهوم الحسد بصورته الطيبة. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١ ص ٥٦٨)

الآية ١٥٢: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

أي إن الرسول ﷺ يعلمكم الكتاب والحكمة وسائر الحقائق والمعارف التي كان مستحيلا عليكم أن تعرفوها بأنفسكم. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٤٩-٥٠٠)

الآية ١٥٣: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

... أي اشكروا لي وادعوني. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٥)

أذكروني يا عبادي، وانشغلوا في ذكري دومًا، فسأذكركم أنا أيضًا أي سأعني بكم. واشكروا لي، أي اقدروا إنعاماتي ولا تكفروها. من هذه الآية يتبين جليًا أن ترك ذكر الله والغفلة عنه كفر. فالمثل القائل: لحظة الغفلة إنما هي لحظة الكفر

صحيح تمامًا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣ م، ص ٨)

... أي اذكروني في حالة الراحة والسعادة واسعوا لنيل قربي لكي أذكركم في وقت

المصيبة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٩، عدد ٧/٨/١٩٠٣ م، ص ٢٢٥)

الآية ١٥٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

اسعوا جاهدين لتطهروا، فإن الإنسان لا يحظى بوصول ذلك المقدس إلا إذا تطهر.

أما كيف تنالون هذه النعمة؟ فقد أجاب الله نفسه على ذلك السؤال إذ قال في

القرآن المجيد: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾؛ أي اطلبوا العون من الله بالصبر والصلاة.

ما هي الصلاة؟ إنها لدعاء يُدعى بالتضرع والتسبيح والتحميد والتقديس

والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ. فإذا صليتم فلا تتقيدوا كالغافلين في دعواتكم

بالكلمات العربية فقط، فإن صلاتهم واستغفارهم كله مجرد عادة وطقوس خالية من

لُبِّ الحقيقة. أما أنتم فحينما تقومون للصلاة، فإضافةً إلى أدعية القرآن الذي هو

كلام الله والأدعية الماثورة التي هي كلام الرسول ﷺ، عليكم أن تدعو دعواتكم

العامة الأخرى كلها بلسانكم الأم متضرعين، لكي يكون لهذا التضرع والخشوع وقع

في قلوبكم. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٦٨-٦٩)

الآيات ١٥٥ و ١٥٦ إلى ١٥٨: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ

بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١١﴾

الإنسان يواجه مواقف عظيمة لنيل الطمأنينة من الله تعالى، ففي بعض الأحيان يتورط في مصيبة كبيرة، ولولا كلام الله تعالى ويُشره القائلة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ لكان بالإمكان أن ينكر حتى وجود الله نتيجة فقدته العزيمة، أو أن يقطع علاقته مع الله تعالى يائسا، أو يهلك نتيجة صدمات الأحزان. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية المجلد ١، ص ٣٤١، الحاشية رقم ١١)

هناك طريقان بارزان يُنزل بهما الله تعالى رحمته ويهب بركته الروحانية.

(١) الأول أنه ينزل مصيبةً أو آلاماً ومصائب ثم يفتح أبواب المغفرة والرحمة على الصابرين عليها، كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٥٦-١٥٨) أي إنه من قانون قدرتنا أننا نعرض المؤمنين لمصائب شتى ثم تنزل الرحمة على الصابرين عليها وتفتح لهم سبل الفوز والفلاح.

(٢) والطريق الثاني لإنزال الرحمة هو إرسال الله المرسلين والنبیین، وإقامة الأئمة والأولياء والخلفاء، حتى يقتدي بهم الناس فيهتدوا إلى الصراط المستقيم، وينالوا النجاة من خلال التأسي بأسوتهم. فقد أراد الله تعالى أن يظهر الأمرين المذكورين من خلال أولاد هذا العبد المتواضع. فقد أرسل الله تعالى بشيراً وفق القسم الأول لإنزال الرحمة، وذلك ليعدّ للمؤمنين أسباباً لتحقيق قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ وبالتالي يحقق كونه بشيراً. فلقد كان فرطاً وشافعاً من الله تعالى لألوف من المؤمنين الذين شاطرونا

الحزن لوجه الله تعالى على وفاته، وأنالهم في الخفاء بركات كثيرة.... أما القسم الثاني لإنزال الرحمة الذي ذكرناه آنفا فهو أن الله تعالى سيرسل بشيراً آخر لإكماله. (الإعلان الأخضر، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٤٦١-٤٦٣، الحاشية)

لقد صُرفت الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ عن مفهومها الحقيقي لأن الذي يتبلي يكون غافلاً بوجه عام عن نتيجة الابتلاء. ولكن ليس هذا هو المراد هنا بل المراد من ابتلاء الله هو ليكشف على المبتلى عيوبه أو ميزاته الباطنية. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٥)

أي أيها المؤمنون، سنبتليكم من وقت لآخر، فتمرون أحيانا بحالات خوف شديد، وأحيانا يلازمكم فقر شديد وجوع، وأحيانا تصابون في أموالكم وفي أنفسكم، وحيناً تضيق جهودكم فلا تأتي بنتائج مرضية، وتارة تموت فلذات أكبادكم. فالذين إذا ألمت بهم مُلِمة قالوا نحن لله، ونحن أمانته وملكه، ويجب أن تُرجع الأمانة إلى صاحبها.. هؤلاء طوبى لهم، لأنهم هم الذين عليهم صلوات الله وبركاته، وهم الذين اهتموا إلى سبيل ربهم.

وخلاصة القول إن الخلق المذكور في الآيات السابقة هو الصبر والرضا بمرضاة الله، ويمكن أن يسمى العدل أيضاً، ذلك لأن الله تعالى ما دام يساير الإنسان طول حياته فيما يتبعه ويحقق له آلاف الأمور التي يريدتها، وينعم عليه بما لا يُعد ولا يحصى من النعم، فليس من الإنصاف - لو أراد الله تعالى أن ينفذ مشيئته هو في بعض الأمور - أن يُعرض عنه الإنسان ولا يرضى برضاه، بل يتذمر ويشتكى أو يكفر به ويضل عن سواء السبيل. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٢)

سنبتليكم حتماً بالخوف والفاقة والخسارة في الأموال والنفوس وضياح الجهود وموت الأولاد، أي أن هذه المصائب كلها ستصيبكم إما بيد القدر أو بيد الأعداء. فطوبى لمن لا يقولون عند حلول المصيبة إلا "إنا لله وإنا إليه راجعون"، لأن هؤلاء عليهم رحمة الله وصلاته منه، وهؤلاء هم الذين قد بلغوا ذروة الهدى. بمعنى أنه ليس

الفضل والشرف في مجرد اكتساب العلم الذي يكون حشواً في الدماغ والقلب، إنما العلم الحقيقي هو ذاك الذي يسري من الذهن إلى الأعضاء كلها، فتصبغ بصبغته وتتأدب بأدبه، ويتحول ما حوته الحافظة من معلومات إلى أعمال. ذلك لأن أعظم وسائل إتقان العلم وإنمائه أن تحفر نقوشه في الأعضاء بالممارسة العملية.. إذ لا يبلغ أي علم من العلوم - مهما كان بسيطاً - الكمال بدون تدريب وممارسة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٥)

لقد بين كتاب الله قاعدة بشأن الدعاء بأن الله، ببالغ رحمته، يعامل الإنسان الصالح معاملة الأصدقاء، أي أنه تعالى حيناً لا ينفذ مشيئته تعالى ويسمع دعاء عبده، كما قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وحيناً يأبى إلا أن ينفذ مشيئته كما قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، ذلك ليزيد العبد يقيناً ومعرفةً بمساييرته وفق دعائه حيناً، وحيناً آخر يمنحه خلعة رضاه بتنفيذ مشيئته هو سبحانه، ويرفعه مرتبة، ويحبّه حباً، ويقدمه في سبيل الرشاد. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢١، الحاشية)

ليكن معلوماً أن الله تعالى يعامل المؤمن معاملة الأصدقاء، ويريد تارة أن يحقق إرادة المؤمن وتارة أخرى يريد أن يرضى المؤمن بمشيئته وَعَجَلْ. فيقول مخاطباً المؤمنين: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) فهنا يريد أن يحقق منية المؤمن. وفي مقام آخر يريد من المؤمن أن ينصاع لمشيئته يَعِزُّهُ كما يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧). من المؤسف أن الجاهل ينظر إلى جانب واحد فقط، ولا ينتبه إلى كلا الجانبين. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٢٦ الحاشية)

يجب أن تتذكروا أيضاً أن الفكرة بأن كافة أدعية المقبولين مستجابة حتماً خاطئة تماماً. بل الحق أن علاقة الله مع المقبولين إنما هي علاقة صداقة، ففي بعض الأحيان

يستجيب أديعتهم وأحيانا أخرى يريد منهم أن يخضعوا لمشيئته. وهذا ما يحدث في الصداقة كما ترون، إذ يخضع الصديق مرة لإرادة صديقه ويعمل بحسب مشيئته، ثم يأتي وقت حين يريد من صديقه أن يخضع هو لإرادته. إلى ذلك يشير الله تعالى في القرآن الكريم في ذكر وعده للمؤمنين باستجابة دعائهم فيقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وفي موضع آخر يعلم الصبر والرضا بقضائه وقدره فيقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؛ فبقراءة هاتين الآيتين معا تتبين بجلاء سنة الله في الأدعية وطبيعة العلاقة بين الرب وعبده. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢١)

للقضاء والقدر علاقة متينة مع الدعاء. القدر المعلق يزول نتيجة الدعاء. عندما تُطلَّ المصائب برأسها يؤثر الدعاء حتما. إن الذين ينكرون الدعاء مخدوعون. لقد بين القرآن الكريم جانبين للدعاء؛ ففي أحد الجانبين يريد الله أن تُقبل مشيئته، وفي الجانب الثاني يستجيب لعبده. ففي: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ١٥٦) يُقيم ﷻ حقه ويريد أن تُقبل مشيئته. أما ما أكد الله عليه بإيراد النون الثقيلة فهو أنه يريد أن يبدي القدر المبرم، وعلاجه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧). الوقت الثاني هو لهياج أمواج فضل الله ﷻ ولطفه وقد ذكره في: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (المؤمن: ٦١) فعلى المؤمن أن يكون على علم تام بكلا الوقتين. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢٨٨/٢/١٩٠٢م، ص ٤)

يجب على المرء ألا يستاء من المصائب والذي يستاء منها ليس مؤمنا. يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وعندما تحل المعاناة نفسها بالرسل تبشرهم بالإنعامات وعندما تحل بغيرهم تدمرهم. فعلى المرء أن يقرأ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عند المصائب طالبا رضا الله تعالى.

جزءان حياة المؤمن: الحسنة التي يكسبها المؤمن يكون أجرها مقدراً له، ولكن الصبر شيء يترتب عليه الثواب والأجر بغير عدٍّ وحساب. يقول الله تعالى إنهم هم الصابرون وهم الذين عرفوا الله. الذين يدركون معنى الصبر يجعل الله تعالى حياتهم جزأين. أولاً: عندما يدعو الصابر يجب الله دعاءه كما يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (المؤمن: ٦١) ويقول أيضاً: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٧). ثانياً: في بعض الأحيان لا يستجيب الله دعاء المؤمن لحكمة ما فينقاد المؤمن لأمره. يقال على سبيل التنازل بأن الله تعالى يعامل المؤمن معاملة الصديق. فكما إذا كان هناك صديقان فيمتثل أحدهما للآخر أحياناً ويريد أحياناً أخرى أن يخضع له الآخر. هذا هو مثل علاقة الله تعالى مع المؤمن فيجيب دعاء المؤمن أحياناً وكما يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ويريد من المؤمن أن يخضع لأوامره أحياناً أخرى فيقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ...﴾. فمن الإيمان أن يدرك المرء هذا الأمر ولا يركّز على جانب واحد.

يجب على المؤمن ألا يحزن عند حلول المصائب لأنه ليس فوق الأنبياء. الحق أن ينبوع الحب يتفجر عند حلول المصيبة. ما من مصيبة تحل بالمرء إلا ويتذوق بها آلاف اللذات. بل لا يحظى المؤمن بلذة أثناء حياة الأمن بقدر ما يحظى به في زمن المصائب. إن أولياء الله يكونون مصابين بعلّة (إن صح التعبير) أنهم يودون أن يواجهوا المصائب في سبيل الله. لا تنزل المصائب على أحبباء الله بسبب الذنوب. انظروا مثلاً عندما تكون الفتاة في بيت والديها يحبونها كثيراً، ثم يتألمان كثيراً عند تزويجها لدرجة يبكي أبوها في جانب وتبكي أمها في جانب آخر ولكنهما يتحملان كل هذه المصائب ويؤوِّجونها ويفصلونها عنهما على الدوام. ما السبب في ذلك؟ السبب هو أنهما يعلمان أن في البنت ميزة تنكشف بعد ذهابها في بيت الأصهار. كذلك إن ميزات المؤمن أيضاً تنكشف عند المصائب. انظروا مثلاً كيف ظهرت أخلاق النبي ﷺ في زمن المعاناة والنصرة. لو لم يواجه النبي ﷺ المصائب ماذا كان

بإمكاننا أن نبين عن أخلاقه الآن؟ لا شك أن الآخرين يرون مصائب المؤمن كمعاناة ولكن المؤمن لا يراها كذلك.

باختصار، من الضروري أن ينزل الله تعالى على مقربه آلاماً أكثر من الآخرين. المؤمن يواجه الموت كل يوم. ومن الضروري أن يثبت المرء على توبته الصادقة ويفهم أنه ينال بسببها حياة جديدة. فإن كنتم تريدون أن تجنّبوا ثمار التوبة فأكملوها بالأعمال. عندما يغرس البستاني شجرة يسقيها ويعني بها. كذلك الحال فيما يتعلق بشجرة الإيمان فهي تُسقى بالأعمال. لذا هناك حاجة ماسة للأعمال لتكميل الإيمان. لو لم ترافق الأعمال الإيمان لكانت كأشجار يابسة دون شك وسيكون أصحابها خائبين خاسرين. (بدر، مجلد ٢، رقم ٩، عدد ٢٠٠٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٦٧) لا تستأثروا من حالة الابتلاء ولا تكرهوها في حالة الإيمان، إذ لا يكرهها إلا من ليس مؤمناً كاملاً. يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

أي سوف نبلوكم بالأشياء المذكورة لكن الذين يثابرون على الصبر في مثل هذه الأوضاع ويشكرون فبشرهم بأن أبواب رحمة الله تفتح لهم وستنزل عليهم بركات الله، الذين يقولون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي إننا وكل ما لنا أو يتعلق بنا راجعون إلى الله أخيراً. لا يأخذ قلوبهم أي حزن على نقص ويتبوؤن مقام الرضا بالصبر، وقد أعد الله للصّابرين أجراً بغير حساب. المهتدون هم أولئك الذين فازوا بمشيئة الله ورضاه وبدأوا يعملون بحسب ذلك، فهم الأولياء وهم الذين يسميهم الناس أقطاباً، وأغواثاً. فاسعوا جاهدين لتنالوا أنتم أيضاً هذه المداخل العالية.

لقد عامل الله ﷻ الإنسان بمنتهى التنازل كالأصدقاء. ما هي طبيعة العلاقة بين الأصدقاء يا ترى؟ يقبل الصديق أحياناً ما يقول له صديقه وأحياناً أخرى يريد أن يفرض رأيه على صديقه ويريد أن يقبل هو رأيه. هكذا يفعل الله ﷻ إذ يتبين من

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) و﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ (البقرة: ١٨٧) أنه يستجيب للإنسان، ويتقبل دعاءه. ومن ناحية أخرى يتبين من الآية ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي...﴾ (البقرة: ١٨٧) ومن ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٦) أنه ﷻ يريد أن يفرض أمره ويريد من الإنسان أن يقبل قراره.

بعض الناس يهتمون الله بأنه لا يجيب دعاءهم أو يعترضون على أولياء الله أن دعاءهم الفلاني لم يُتَقَبَّل. والحق أن أولئك السفهاء يجهلون سنة الله هذه تماما. فمن تلقى هذه المعاملة من الله يكون مطلعا جيدا على هذه القاعدة. فقد بين الله نموذجين للاستجابة وفرض الاستجابة على الآخرين. فالتسليم بهما هو الإيمان، فلا تكونوا من الذين يركزون على جانب واحد فقط، وحذار أن تكونوا بمعصيتكم إياه من الذين يسعون لنقض قانون وضعه الله.

المصائب التي تحل بالمؤمن لا تدوم ولا تطول، بل يُفَجَّر له ينبوع الرحمة والحب واللذة. العشاق عند غلبة العشق يتلذذون بالآلام فقط، ومن الصعب إفهام هذه الأمور من كان غريبا عنها تماما. أما الذين سلكوا هذا المسلك يدركون الحكمة وراءها جيدا، بل لا يجدون في أيام الراحة والرفاهية العادية لذة ومتعة يجودونها في أوقات الحزن.

ورد في المثنوي للرومي حكاية أن هناك مرضا يرتاح فيه المصاب حين يكزه أحد ويدوسه تحت الأقدام، وحين يتركه يتألم. هذا هو حال أهل الله أنهم يفرحون ما داموا يواجهون المصائب والشدائد والضرب ويتلذذون وإلا يفقدون هدوءهم ويضطربون.

إن الله ﷻ قادر على ألا يدع أي أذى يحل بعباده ويجعلهم يعيشون بمنتهى الراحة والرفاهية والسعادة والأفراح، لكنه لم يفعل ذلك، وفي ذلك تكمن أسرار كثيرة. انظروا مثلا مدى حب الوالدين لابنتهما، بل تكون أحب إليهما من الأولاد الذكور، ومع ذلك تأتي ساعة حين يفصلونها عنهما، وساعة الفراق تلك تكون صعبة جدا عليهما، تكون حالة الابنة والوالدين كليهما عندئذ مدعاة للحزن الشديد إذ يكونون

قد عاشوا معا في بيت واحد لمدة ١٥ عاما أو ١٦، لكن ساعة فراقهما تكون مثيرة للرفقة جداً. أما لو وُصف أحد هذا الفراق بعدم الرحم والجفاء، لكان كلامه في محله، لكن كل ذلك يحدث لأن الابنة تتحلى ببعض المزايا التي لا تظهر ولا تتحقق إلا بمعاشرة زوجها بعد الزواج فيكون هذا الفراق مباركا ورحمة للفريقين.

هذا هو حال أهل الله إذ تكمن فيهم بعض الأخلاق التي يستحيل ظهورها دون أن تحل بهم الشدائد والمحن.

انظروا كيف نبين أخلاق النبي ﷺ بمنتهى الفخر والشجاعة، وسبب ذلك أن النبي ﷺ شهد كلا الزمنين وإلا كيف كان يمكن لنا بيان فضائله ﷺ؟ فلا تنظروا إلى عصر الحزن بكراهية لأنه يجذب المتعة من الله وقربه. فلا بد للمرء لنيل هذه اللذة التي ينالها المقربون إلى الله من التخلي عن الملذات السفلية المادية. كذلك لا بد لنيل قرب الله ﷻ من أن يتحمل الإنسان الأحزان، ويشكره ﷻ، فهو يواجه كل يوم موتاً جديداً. فحين يتمكن الإنسان من إيراد الموت على أهوائه وأطماعه النفسانية ينال الحياة التي لا تفتى أبداً، ولا يموت بعدها.

لقد قال النبي ﷺ: إن القرآن الكريم نزل في حالة الغم، فاقرواوه أنتم أيضاً في حالة الغم. من هنا يتبين جليا أن جزءا كبيرا من حياة النبي ﷺ مضى في الحزن والألم. اغرسوا أشجار التوبة لتأكلوا ثمارها. شجرة التوبة أيضاً تشبه أشجار البستان. وإن الحماية والحيطه والخدمة المادية المطلوبة من الناحية المادية مطلوبة لشجرة التوبة من الناحية الروحانية أيضاً. وإذا أردتم أكل ثمار شجرة التوبة فلا بد من مراعاة القواعد والشروط، وإلا لن تستفيدوا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤٤/٣/١٩٠٣م، ص ١٢-١٣)

ليس للإنسان مفخرة أكبر من أن يكون لله، فالذين ينشئون العلاقات به ﷻ فهو يعاملهم بالمساواة؛ فيستجيب لهم حيناً ويفرض عليهم مشيئته أحيانا أخرى. فمن ناحية يقول ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١)، ومن ناحية يقول ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

بَشِيٍّ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ (البقرة: ١٥٦). ومن هنا يتبين أنه لا يصح الدعاء في كل مكان، إذ يضطر المرء عند "تبلونكم" للقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فهذه مواضع الصبر والرضا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤١-٤٢، عدد ٢٩/١٠/١٩٠٣م، ص ٣٢١-٣٢٢)

من دأب الناس أنهم يُعرضون عن الله في الرخاء وحالة التمتع، وحين تحل بهم مصيبة يدعون كثيرا ولكنهم يقطعون العلاقة بالله لأبسط ابتلاء، فهم يستعدون للإيمان بالله بشرط ألا يفعل شيئا ضد مشيئتهم، مع أن مبدأ الصداقة يفرض أن يقبل الصديق رأي صديقه طورا ويجعله يقبل رأيه طورا آخر، وهذا ما ذكره الله أيضا حيث قال ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) أي اسألوني أرزقكم أي أقبل رأيكم، وفي الآية الأخرى يفرض مشيئته ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشْيٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ (البقرة: ١٥٦)، لكن الناس في العصر الراهن يريدون أن يجعلوا الله تابعا لمرضاهم مثل العبد. مع أن جميع الأغواث والأقطاب والأبدال الذين خلوا إنما نالوا هذه الدرجات والمرتبات لجعلهم مشيئتهم تابعة لمشيئة الله. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢، عدد ١٩٠٤/١/٨ ص ١٥)

مما لا شك فيه أن الإنسان عندما يدعو الله تعالى يجب الله دعاء عبده في معظم الأحيان. ولكن في بعض الأحيان يريد الله أن يفرض مشيئته. إن علامة الصداقة بين الصديقين هي أن أحدهما يقبل مرة ما يقول الآخر والعكس صحيح. ولا يمكن أن يقبل أحدهما ما يقوله الآخر دائما دون أن يطلب من الآخر أن يقبل ما يقوله هو. والذي يفكر أن دعاءه يجب أن يجاب دائما وتتحقق بُغيته في كل الأحوال هو مخطئ جدا. لقد أنزل الله تعالى بحكمته الكاملة آيتين في القرآن الكريم قال في إحداهما: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال في الأخرى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشْيٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، أي لا بد أن تحل بكم أنواع الابتلاءات والامتحانات لتستحقوا الإنعامات. إن الله تعالى يتلي عبادته، والذين يصمدون منهم لا يرضى الله بأن يضيعوا. إن الله تعالى يجب دعاء المرء على أي حال سواء أكان بصورة النجاح

بحسب مبتغاه أو تقدّر حكمة الله أمرا آخر. لم أر قط من تضرع في الدعاء بقدر الضرورة ولم يجد جوابا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٢، عدد ١٩٠٦/٨/٠٩، ص ٣، والحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٨، عدد ١٩٠٦/٨/١٠، ص ٩)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقال في مكان آخر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ... وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٨) يتبين من هنا بوضوح أن الامتحانات أيضا تأتي من الله تعالى... الحق أن الإنسان يأتي إلى الدنيا ليُمتحن أما إذا ظل يحتفل بالأفراح بحسب رغبته وحدث دائما ما تمنى فقط، فلا يمكن أن ندعوه عبدا لله. لذا يجب على أفراد جماعتنا أن يتذكروا جيدا أن الله تعالى قسم الأمور بطريقتين؛ فيجب أن يسعى المرء أن يعمل بحسب تقسيمه. قسم منه أنه يقبل أدعيتكم، والقسم الثاني هو أنه يريدكم أن تقبلوا مشيئته. الذي يريد دائما أن يعمل الله بحسب رغبته يُخشى أن يرتد في وقت من الأوقات.

لا يقول أحد أن وقت المعاناة والابتلاء قد أتى عليه وحده، بل ظل يحلّ بالأنبياء جميعا منذ البداية. ألم يحزن آدم عليه السلام عندما مات ابنه؟ لقد ورد في رواية أنه قد مات أحد عشر ابنا للنبي ﷺ، ولا بد أن يشعر المرء بالحزن بمقتضى البشرية ولكن الصابرين ينالون أجورا عظيمة. إن كتب الله كلها تقتضي أن يتعلم الإنسان الرضا بالقضاء. البعض يلقي بنفسه في المعاناة بيده ويقوم بالمجاهدات لوجه الله ويحافظ على صحته الجسدية أيضا ويعمل في معظم الأحيان بحسب رغبته ويهتم براحته قدر الإمكان، ولكن عندما يحل به امتحان أو ابتلاء من الله فلا يراعي الصحة الجسدية أي لا يهتم الله تعالى براحته ولا بصحته الجسدية. عندما يقوم الإنسان بمجاهدة يتصرف كما يشاء ولكن عندما يأتيه امتحان من الله فلا دخل لتصرف الإنسان فيه. الإنسان يتقدم سريعا نتيجة امتحان من الله وينال مدارج لا ينالها بجهد ومشتقته مطلقا، لذلك لم يبشّر الله بشيء حين قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ

لَكُمْ، ولكن حين قال: ﴿وَلَنْبَلُوتَكُمْ بِشْيءٍ﴾ (البقرة: ١٩٦)، أعطى فيه بشارات عظيمة وقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

باختصار، هذا هو الطريق الذي به يستطيع الإنسان أن يُرضي الله، وإلا إذا صار شريكا لله وأراد أن يعمل الله بحسب رغبته فهذا سبيل خطير وعاقبته الهلاك. فليستظر أفراد جماعتنا أنه إذا سنحت لهم فرصة التقدم من هذا القبيل فليقبلوها بكل سرور. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٧/٩/٢٤، ص ٥)

إنها لِمِنَّةُ الله ولطفه أنه يقبل ما يريد العبد أيضا، إلا ما يتنافى مع عظمة الإله والرب أن يُكره العبد على الانقياد لأمره دائما. فحين قال الله تعالى: ﴿وَلَنْبَلُوتَكُمْ بِشْيءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ فهذا يعني أنه يريد في هذا المقام أن ينقاد الناس لأمره. يواجه الإنسان خوفا تارة ويتعرض للجوع تارة أخرى، وفي بعض الأحيان تنقص الأموال، أو يواجه الخسارة في التجارة، أو تنقص الثمرات أحيانا أخرى، أو يضع الأهل والأولاد وتدمر الثمار وتظهر نتائج ضارة. فهذه الحالات كلها ابتلاء من الله إذ يريد الله أن يُري عظمة سلطته، ويريد الانقياد لأمره. فمن واجب الصادق والمؤمن في مثل هذه المواقف أن يؤثر رضا الله تعالى بكل إخلاص وانسراح صدر، ويرضى به ولا يشكو ولا يسيء الظن. يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ولم يقل: وبشر الداعين. لذا من الضروري جدا ألا يقلق الإنسان إن رأى نفسه فاشلا ظاهريا في أدعيته، بل يجب أن يؤثر رضا الله تعالى بالصبر والمثابرة. إن أهل الله يرون أن أمرا كهذا ممكن، وعندما يرون ذلك يدعون الله تعالى أو يرضون بقضاء الله وقدره. إن عادة أهل الله تقتصر على أمرين اثنين، عندما يرون علامات البلاء يدعون الله، ولكن عندما يرون أن هذا هو قضاء الله وقدره يصبرون كما صبر النبي عند وفاة أولاده بمن فيهم ابنه إبراهيم أيضا.

ما دام الله قسم هذا الموضوع على قسمين وهكذا جرت سنته وقال أيضا: ﴿لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: ٢٤) فكم هو خطأ كبير أن يريد الإنسان

خلاف ذلك. لقد قلت مرارا وتكرارا أن الله تعالى يعامل الإنسان معاملة الصديق؛ أي ينقاد الصديق لصديقه تارة ثم يريد أن ينقاد له صديقه تارة أخرى. الدعاء أخذ وردّ بين الله وعبده. فعلى الإنسان أن يُدرك أنه لو قبل الله كل شيء كتابع ضعيف فهذا يدل على نقیصة. الأم أيضا لا تخضع لكل ما يطلبه ولدها. في بعض الأحيان يطلب الولد جذوة من نار فلا تعطيه الأم إياها. فمثلا إذا كان الإنسان مصابا بمرض في عينه فلا بد له أن يُداويها بالزئبق أو بأدوية مختلفة. فعلى غرار ذلك لما كان العبد محتاجا للتكميل فهو بحاجة إلى الابتلاءات ليثبت كماله في الصدق والإخلاص والثبات. ثم من الضروري لمن يطلب الدعاء من أحد أن يكون صبورا ولا يستعجل. والذي يكون مستعدّا لتسمية الآخرين دجالا على أتفه الأمور فماذا يمكن أن يستفيد؟ بل عليه أن ينتظر صابرا ويحسن الظن.

فلما قال الله تعالى: ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ فقد بشر الصابرين وقال أيضا: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾. أرى أن المراد من ذلك أنه يُخرج لاستجابة الدعاء سبيلا. والحال نفسه ينطبق على الحكام الدينيين أنهم إذا غضبوا على أحد وصبر هذا الشخص ولم يشتك ولم يُسئ الظن يرفعون منصبه. يتبين من القرآن الكريم بكل وضوح أنه لا بد لتكميل الإيمان من الابتلاءات كما يقول الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٣)... لو صبر الإنسان على المصائب والشدائد ورضي برضا الله تعالى لكان ذلك بادرة حل المشاكل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٣-١٤)

... سوف نظل نبليكم ونختبركم؛ تارة بالخوف وتارة أخرى بالجوع، وتارة ثالثة بنقص من الأموال والثمرات. علما أن الأولاد أيضا يدخلون في الثمرات. ومن نقصان الثمار أن يظل المرء يعتني بزعره بجهد جهيد ومشقة بالغة لكي يستوي وينضج، ولكنه يحترق فجأة ويدمر، أو يبذل المرء جهدا وعناء في أمور أخرى،

ولكنه يبوء بالفشل في نهاية المطاف. باختصار، يتعرض الإنسان لأنواع الابتلاء والامتحان اختباراً من الله تعالى. والذين يرضون برضا الله تعالى وينقادون لقدره ويقولون بانسراح صدر كامل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ولا يقومون بأي شكوى، فيقول الله تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾، أي أنهم هم الذين يرحمهم الله برحمته الخاصة ويُرِيهم طريق النجاح عند المحن. اعلموا أن الله تعالى كريم ورحيم ووفي جداً، إذا أثر المرء رضاه ورضي بمشيئته فلا يتركه بدون الجزاء. باختصار، في هذا المقام يريد الله تعالى فرضَ رأيه.

أما المقام الآخر فهو ذلك الذي يقول الله فيه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١)، أي أنه تعالى يَعِدُ بإجابة دعاء العبد. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٨، عدد ٢٤/٥/١٩٠٥ م، ص ٨)

الإنسان عرضة لابتلاءات كبيرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: ١٥٦).

وورد في التفسير أن من معاني نقص الثمرات ضياع الأولاد. كما أنه يعني ضياع الجهود أيضاً. فمثلاً تضيع جهود المرء التي يبذلها في العلم أو التجارة أو الزراعة، وضياعها مصيبة كبيرة. يظن الإنسان دائماً أنه سيكون من الناجحين، ولكن علم الله ومصلحته تقتضي أن يفشل الإنسان، أو أن لا ينبت زرعه، أو تبور تجارته.

يتضح من هذه الآية أن الله تعالى قد جعل أربعة أنواع من الابتلاء: ١: الخوف، ٢: نقصان الأموال، ٣: نقصان الأنفس، ٤: نقصان الثمرات. (كتيب "الإنذار"، ص ٣، عام ١٩٣٦)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ...﴾ (البقرة: ١٥٦).

وكلمة "الخوف" هنا تؤمى إلى أنه الخوف ليس إلا، وأن العاقبة محمودة، وأن هذا الخوف يكون كفارة للذنوب.

ثم ورد هنا: "الجوع"، والفقر يسبب الحرج للإنسان، فمثلا يصير قميصه باليا ويتمزق أحيانا، ولا يقدر على شراء قميص جديد لضيق ذات اليد. وقد ذكر الله هنا ﴿الْجُوع﴾ ولم يذكر "العطش"، ذلك لأن العطش يدخل في الجوع تلقائيا.

ثم قال الله تعالى ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ (البقرة: ١٥٦). فأحيانا يسرق اللصوص الأموال ولا يتركون في البيت شيئا يأكله أهله في الصباح. فكم يواجهون عندها من المصيبة والآفة. ثم قال الله تعالى "ونقص في الأنفس". فأحيانا يموت الأولاد حتى لا يبقى منهم واحد حيًّا.

والمراد من النقص في الأنفس أن يعيش المرء ويموت أقاربه واحدا بعد الآخر. فما أشدها من صدمة. ...

معاني الثمرات الأولاد وكذلك النجاحات بعد بذل الجهود. يصاب المرء بصدمة شديدة عند ضياع جهوده. فمن الملاحظ مرارا أن بعض الطلاب الفاشلين في الامتحانات ينتحرون.... فيبشر الله هنا الذين تصيبهم مثل هذه الابتلاءات ويقول: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، أي بشرى للذين يصبرون في مثل هذه المواقف صبرا جميلا ويقولون عند حلول المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. واعلموا أن الإنسان لا يدخل في عباده الخواص والمقربين ما لم يؤثر الله على كل مصيبة.

باختصار، في بعض المواقف يريد الله تعالى تنفيذ مشيئته. وليس الدعاء إلا تمنى العبد تحقق بعض الأمور. فعلى المرء أن يؤثر مشيئة الله على مشيئته حيناً، وفي حين آخر يحقق الله الكريم أمنية عبده. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٠م، ص ٢-٣)

قد وضع الملوك والحكام نظام الامتحانات ليجتازها الناس للفوز بالمراتب العالية. وهكذا جرت سنة الله أيضا، فإنه بعد الامتحان والاختبار يعطي الدرجات. وليس

بوسع أحد أن يجتاز اختبار المصائب والآلام الذي اجتازه النبي ﷺ بنجاح. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٨، عدد ٣١٨/٧/١٩٠١م، ص ٤)

والذين يريد الله تعالى أن يحدث فيهم تغييرٌ حسن بواسطة الأدعية يحدث فيهم التغيير بحيث تنزل عليهم أنواع البلايا والخوف كما يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ إذا زالت الذنوب من أفعال الإنسان أراد الشيطان أن يبقى الذنب في العين والأذن والأنف، وحين لا ينجح في ذلك أيضا يحاول أن يبقى الذنب خافيا في القلب على الأقل. وكأنه يوصل حربه إلى منتهاها. أما القلب الذي فيه خشية الله فلا يقدر الشيطان أن يسيطر عليه، فيأس منه في نهاية المطاف ويتنحى عنه ويضطر إلى الاختفاء خائبا خاسرا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧٨/١٠/١٩٠٢م، ص ٧)

إن فطرتنا أيضا تقتضي شيئا من التكليف بغية اكتمالها. لذا إنه لمن فضل الله ومنته أنه يُلقي الإنسان في الابتلاءات في بعض الأحيان وبذلك تزداد قواه المتعلقة بالصبر والرضا بالقضاء. والذين لا يؤمنون بالله يقلقون على ألم بسيط ويرون راحتهم في الانتحار. ولكن تربية الإنسان وكماله يقتضي أن تحل به ابتلاءات من هذا القبيل ليزداد يقينا بالله تعالى.

إن الله قادر على كل شيء، ولكن الذين لا يواجهون فُرقة وابتلاء كيف تكون حالتهم؟ فقد انهمكوا في الدنيا وأهوائها ولا يكادون يرفعون عنها نظرهم ولا يفكرون في الله قط. هؤلاء هم الذين أضاعوا الميزات السامية، وبدلا منها تمسكوا بالأمر الدنيوية. كان من شأن الإيمان والعرفان أن يهيئ لهم سعادة وطمأنينة لا توجد في المال والثروة، ولا في أي متعة دنيوية. ولكنهم للأسف يرضون بمجدوة من النار كطفل صغير جاهل حرقها وإيذاءها. ولكن الذين ينزل عليهم فضل الله ويُعَدِّق عليهم ثروة الإيمان يواجهون الابتلاء.

والذين يقولون بأنهم لم يواجهوا أي ابتلاء هم أشقياء ويعيشون عيش البهائم. إنهم يملكون لسانا ولكنه لا ينطق بالحق، ولا يجري عليه حمد الله وثناؤه، بل

مهمته تذوق الكلام المبني على الفسق والفجور فقط. لهم عيون ولكنها لا ترى مشاهد قدرة الله بل هي لنظر السوء، فأنتى يمكن لهؤلاء أن ينالوا المسرة والسعادة. لا تظنوا أن الذي يواجههم وهم الغم هو شقي، كلا. بل الله يحبه، ذلك كدهن المرهم قبل العملية الجراحية. باختصار، إنه لأمر ثابت في فطرة الإنسان ويريد الله أن يثبت بواسطته حقيقة الدنيا وما هي البلايا والحوادث التي يمكن أن تحدث فيها. ففي الابتلاءات تظهر خواص الأدعية العجيبة وتأثيراتها. والحق أن إلهنا يُعرف بواسطة الأدعية فقط.

لا تؤمن أمة من الأمم الموجودة في العالم - إلا الأمة الإسلامية - بإله يحيب ويسمع الأدعية؛ هل لهندوسي أن يقول جالسا أمام حجر أو واقفا أمام شجرة أو رابطا يديه أمام ثور بأن إلهه يجيبه حين يدعو؟ كلا. هل لمسيحي أن يقول بأنه آمن بيسوع إلهها وهو يسمع دعاءه ويجيبه؟ كلا. الإله الذي يكلم هو ذلك الإله الوحيد الذي قدمه القرآن الكريم والذي قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ١٧/١٢/١٩٠٢م، ص ١-٢)

يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ...﴾ أي سنبتليكم أحيانا بالفقر والجوع، وأحيانا أخرى بموت أولادكم. عندها يقول المؤمنون بأنهم كانوا ملوكا لله تعالى ونحن أيضا ملك له. فيقول تعالى: إن الذين يصبرون قد أدركوا مقصدي جيدا وعليهم رحمتي الواسعة دون عدّ وحساب. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٧، عدد ٢٤/٧/١٩٠٣م، ص ٢١١)

ولم يأت أي نبي لم يتعرض لابتلاءات، فقد اعتقل المسيح ﷺ وسجن وأصيب بأنواع الأذى، وأي معاملة تلقاها موسى ﷺ، وحوصر النبي ﷺ، لكن العاقبة تكون محمودة. فلو كان من سنة الله أن يعيش المبعوثون منه رغدا وتنعموا، وأن تظل جماعاتهم تتناول أطعمة شهية فاخرة، لما بقي أي فرق بينهم وبين غيرهم من أهل الدنيا. فبعد تناول الأطعمة اللذيذة يسهل على المرء أن يقول "حمدا لله وشكرا لله"

ويستطيع أن يقول ذلك كل إنسان دون تكلف، لكن الحق أن يقال ذلك بصدق القلب في المصيبة أيضا.

إن الزلازل تهز الأنبياء وجماعتهم ويخافون الهلاك أيضا، وتعرضهم شتى الأخطار، وهذا ما يعنيه حصرا قوله ﴿كُذِّبُوا﴾ الفائدة الثانية التي تترتب على هذه الأحداث أن يتميز ضعاف الإيمان من الأقوياء، فالضعفاء يبدون الإخلاص في السراء وينشقون في الضراء. هذه السنة جارية معي، أي لا تظهر أي آية ما لم يكن ابتلاء، وإن أعظم حب لعباده يكمن في ابتلائه إياهم، كما قال هو نفسه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي يكون رجوعهم في كل مصيبة وأذى إلى الله حصرا، ولا يفوز بإنعامات الله إلا الذين يتحلون بالاستقامة. أيام السعادة والأفراح تكون في الظاهر لذيدة، لكن ليس لها عاقبة. فبالعيش في ملذات الدنيا والملاهي تنقطع العلاقة عن الله أخيرا. فمن حب الله لعبده أنه يبتليه، وبذلك يُظهر عظمة عبده. فلو لم يأمر كسرى باعتقال النبي ﷺ لما ظهرت معجزة قتله في الليلة نفسها، وكذلك لو لم يُخرجه ﷺ أهل مكة لما سمع نداء ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ٢). كل معجزة تقترن بالابتلاء، فليست حياة الغفلة والترف أي علاقة بالله، فلو أحرز المرء فتحا تلو فتح لانقطعت علاقة التضرع والابتهاال نهائيا، والله ﷻ يحب ذلك حصرا، لذا من الضروري أن تظهر الأوضاع المؤلمة. (بدر، المجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨٥٤/٣/١٩٠٤م، ص ٥)

في الدنيا نوعان من الأحزان، في بعض الأحيان يُطمأن المرء ويوفق للصبر، وتنزل الملائكة مع السكينة، ومثل هذه الأحيان يواجهها الأنبياء والصلحاء أيضا، وهي تأتي ابتلاءً من الله، كما قال ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ (البقرة: ١٥٦)، ونتيجة هذه الأحزان تكون راحة، ولا يشعرون بالآلام حتى خلاها لأنهم يعطون من الله صبرا وسكينة. أما النوع الثاني من الأحزان فلا يكون فيها حزن وألم فقط بل يفقد الصبر والسكينة أيضا، حيث لا يموت الإنسان ولا يحيا، ويعيش في مصيبة

شديدة وكارثة، وهي تكون نتيجة عقوبة على الأعمال، وإلى ذلك أشير في الآية: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣١). وإن الطريق الوحيد لتفادي الأحزان من هذا النوع والعلاج أن يخاف الإنسان الله تعالى. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٤م، ص ٣)

اعلموا أن الابتلاء نوعان؛ فهناك ابتلاء لأوامر الشريعة ونواهيها، والابتلاء الثاني لقضاء الله وقدره، كما قال ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ...﴾ (البقرة: ١٥٦). فالكامل ورجل الميدان من يثبت في كلا هذين النوعين من الابتلاء، ومن الناس من يراعي الأوامر والنواهي، لكن حين يصيبهم ابتلاء القضاء والقدر يشكون الله، كما شوهده بعض النساك الذين ادَّعوا أنهم تَمَرَّنوا على تحمل المشقة على النفس لدرجة أنهم يتنفسون مرة واحدة في يوم كامل، لكنهم في الابتلاء يبدون الضعف والهوان. إنما القوي من صحح اعتقاده وعمل صالحا، وثبت في المصائب والشدائد، وهذه هي البطولة. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ١٠)

اعلموا أن هناك سبيلين لنيل فضل الله. الأول هو طريق الزهد وقتل النفس والمجاهدات. والثاني هو طريق القضاء والقدر. ولكن عبور هذا الطريق بالمجاهدات صعب جدا لأن ذلك يقتضي أن يجرح الإنسان بدنه ويسحقه بيده، بينما قلما تقدر معظم الطبائع على تحمل المعاناة قصدا. ولكن الحوادث التي تقع على الإنسان نتيجة القدر والقضاء تكون مفاجئة، فلا بد من احتمالها طوعا أو كرها، فتكون سببا لتزكية النفس. انظروا إلى الشهداء مثلا أنهم عندما يقتلون في الحروب فكم من أجرٍ يستحقونه عند الله. فهذه الدرجات من القرب أيضا يُعْطَوْنَهَا نتيجة القضاء والقدر، وإلا إذا اضطر الناس لقطع أعناقهم في العزلة فلعل قلة قليلة منهم سينالون مرتبة الشهادة. لذلك يبشر الله تعالى الفقراء فيقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧)، المراد من ذلك أنه تصيبهم أصناف الخسائر بيد القضاء والقدر، والذين يصبرون عليها تحالفهم أَلطاف الله ورحمته لأنهم قد نالوا جزءا كبيرا من مرارة الحياة، ولكنها لا تكون في نصيب الأغنياء. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣١، عدد ١٦/٨/١٩٠٤م، ص ٣-٤)

كثير من الناس يظنون غافلين أنه لا سبب وراء البلايا التي تحل بالإنسان، أو لا علاقة لنزولها بأعمال الإنسان. هذا ظن خاطئ تماما. تذكروا جيدا أن كل بلاء يحل في حياة الإنسان أو سيحل به بعد الممات الذي نوقن به، أصله هو الذنب وحده، لأن الإنسان في حالة الذنب يُبعد نفسه عن الأنوار والبركات التي تأتي من الله تعالى، ويتنحى عن المركز الحقيقي الذي هو مركز السعادة الحقيقية. لذا إن حلول المصيبة عليه في هذه الحالة ضروري.

نعترف أن البلايا تحل أحيانا بالأنبياء والأتقياء أيضا ويُلقون هم الآخرون في المصائب والشدائد، ولكن الظن أن تلك المصائب والبلايا تأتي نتيجة ذنوبهم لخطأ وإثم. هناك بُعد المشرقين بين البلايا التي تنزل على الصالحين وعباد الله الأحباء والتي تنزل على عصاة الله والمذنبين، لأن أسبابها أيضا تختلف. البلايا التي تنزل على الأنبياء والصالحين يُوهبون فيها صبرا جميلا فتصبح تلك البلايا والمصائب مدعاة للحلاوة لهم ويستمتعون بها وتكون وسيلة لتقدمهم الروحاني، لأن نزول هذه البلايا والتي تعمل عمل المرقاة للارتقاء ضروري لرفع درجاتهم. والذي لا يواجه هذه البلايا ولا يتحمل هذه المصائب لا ينال أيّ تقدّم.

إن سلسلة المصائب والمشقات جارية في نظام العالم المادي أيضا ويضطر للمرور بها كل من يبتغي التقدم، ولكن في المصائب والمجاهدات الشاقة التي يواجهها الصالحون تكمن المتعة على الرغم من الألم وهي تدفعه إلى الأمام على جناح الشوق. أما المصائب التي تحل بالإنسان جراء سوء أعماله فتضم في طياتها ألما وحرقة تجعل حياته وبالا عليه فيفضّل عليها الموت، ولكنه لا يدري أن هذه السلسلة لن تنتهي حتى بعد مماته.

باختصار، إن سنة الله الجارية في نزول البلايا منذ الأزل هي أن البلايا التي تحل وبالا على سوء الأعمال مختلفة تماما عن التي تنزل على عباد الله الصالحين وأنبيائه لرفع درجاتهم، ولكن بعض الجهال الذين لا يفقهون هذا السر حين يواجهون البلايا يقولون -بدلاً من أن يستفيدوا منها ويتعلموا درساً مفيداً منها على الأقل للمستقبل ويغيروا سلوكهم- ما المشكلة لو حلت المصيبة بنا فإنها تأتي على الأنبياء والرسل أيضاً؟ مع أنه لا مجال للمقارنة بين هذه المصائب والتي تنزل على الأنبياء. الجهل مصيبة كبرى والمصاب به يقوم بالقياس مع الفارق. إنه لمن الخطأ الكبير أن يحمل المرء مشاكل الأنبياء كلهم محمل بلايا عامة الناس.

تذكروا جيداً، كما قلْتُ قبل قليل، أن البلايا التي تنزل على الأنبياء وغيرهم من الأخيار والأبرار تكون من باب الحب إذ يريد الله أن يرزقهم بها تقدماً تلو تقدم؛ فهي من وسائل تقدمهم، ولكنها عندما تنزل على المفسدين فإنما يهدف الله بها أن يهلكهم بهذا العذاب، فتكون وسيلة لقطع شأفتهم والقضاء عليهم نهائياً. هذا فرق لا يحتاج إلى أية أدلة، لأن الأبرار الذين يؤثرون الله تعالى ولا يدرون لماذا يحبونه وَيُحِبُّهُمُ اللَّهُ ولا تكون الجنة أو الجحيم في باهم، أي لا يطمعون في الجنة ولا يكون الخوف من الجحيم دافعاً وراء طاعتهم وَيُحِبُّهُمُ اللَّهُ بل يحبونه بحماس طبيعي ويفنون في طاعته، عندما تنزل عليهم البلايا يشعرون بأنفسهم بأنها من باب الحب. ويرون أن ينبوعاً يُفَجِّرُ لهم بواسطة هذه البلايا وبه يرتوون، وتمتلئ قلوبهم لذة وسروراً، ويفور لهم حب الله كما يفور الماء من الصهريج، فيريدون أن يتفاقم هذا البلاء ليزدادوا قرباً لله ويجتازوا مدارج قربه سريعاً. باختصار، تعجز الكلمات عن بيان تلك اللذة التي ينالها الأبرار والأخيار بتلك البلايا. تلك اللذة تكون أكبر وأعلى من اللذات المادية كلها وتفوقها جميعاً. وما أدراك ما هذه المصيبة؟ إنها ضيافة عظيمة تقدّم فيها أصناف الإنعام والإكرام والثمار، يكون الله قريباً منهم حينذاك ويصافحهم الملائكة ويُسَرِّفُونَ بمكاملة الله، ويمنحون الطمأنينة والسكينة بالوحي والإلهام. هذا الوقت يكون وقت البلايا

والمصائب في نظر الناس ولكنه يكون وقت نزول بركات الله وفيوضه كالمطر الغزير في الحقيقة، ولكن ذوي الأفكار السطحية والسفلية لا يدركون ذلك. أقول صدقا وحقا إنه لَوْ قُتَّ البَلايا والهموم الذي يتمتع فيه المرء ويرتاح، لأن الله تعالى الذي هو المقصود الحقيقي للإنسان يكون أقرب إليه. لقد جاء في أحد الأحاديث ما معناه أن القرآن نزل في حالة الغم فاقراؤه في حالة الغم.

باختصار، إلامَ أذكر المتعة واللذة في هذه البلايا، وأنه إلى أيِّ مدى يستمتع بها المحب الصادق؟ اعلّموا بإيجاز أن ثمرة البلايا التي تحل بالأبرار والأخيار نتيجتها الجنة وارتقاء الدرجات، أما البلايا والأحزان التي تحل بالمفسدين والأشرار فتكون مغبة سوء الأعمال والحياة المظلمة، ونتيجتها جهنم وعذاب الله. فالذي يقترب من النار فلا بد أن ينال نصيبا من حرارتها ويشعر بها ويتأذى منها، أما مَنْ يذهب إلى البستان فمن المؤكد أنه يستمتع بشذى الثمار والأزهار ورؤية المشاهد الخلابة.

فليتضح أن البلايا التي تنزل مغبة سوء الأعمال والتي تؤدي إلى حياة جهنمية وعذاب الله تختلف عن البلايا التي تنزل على الأخيار والأبرار لرفع درجاتهم. فهل من سبيل لينجو الإنسان من هذا العذاب؟ أجل، لا سبيل للخلاص من هذا العذاب والألم إلا أن يتوب الإنسان بصدق القلب. فما لم يتب المرء توبة نصوحا لن يتركه هذا البلاء الذي يأتي بصورة عذاب الله، لأن الله لا يغير قانونه الذي سنّه بهذا الشأن. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١٢).

إن الله تعالى يريد تغييرا طاهرا، وما لم يحدث ذلك التغير لا منجى ولا خلاص من عذاب الله، هذا قانون الله تعالى وسنّته التي لا تتبدل، لأنه قرّر بنفسه: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٣). فالذي يريد أن يحدث له تغيير في السماء، أي ينجو من العذابات والآلام التي أعدّها له مغبة أعماله، فإن واجبه الأول أن يُحدث تغييرا في نفسه. فحين يُحدث تغييرا في نفسه، فإن الله يرفع عنه العذاب والألم بحسب وعده الذي قطعه في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا

بِقَوْمٍ حَتَّى يُعْزِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ﴾ لا أرى حاجة إلى بيان الأدلة على مدى احتياج الإنسان للخلاص من البلايا في حياته الوجيزة هذه، وكم يودّ أن يجتنب البلايا والأوبئة التي تنزل عليه وبالا على أعماله. وكل هذه الأمور تُنال نتيجة التوبة الصادقة؛ فمن فوائد التوبة الصادقة أن الله تعالى يصبح حفيظا ومراقبا على التائب ويزيل عنه البلايا كلها ويحميه من كل المكاييد التي يكيدها له الأعداء. إن فضل الله وبركته هذه ليست خاصة بأحد بل الناس كلُّهم عباد الله. لذا كل من يأتي إلى الله ويتبع أحكامه وأوامره يكون كالذي تاب سلفا. فكل من يتوب توبة صادقة يحميه الله من البلايا كلها ويحبه. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤م، ص ٢-٣)

المراد من الثمرات هم الأولاد وهم ابتلاء من الله، وهذا هو امتحان للإنسان. ولكن هذه الأشياء والإيمان الكامل يحصل نتيجة التوبة والاستغفار فأكثرُوا منهما، وأكثرُوا من قراءة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٤). عَوَّضَهُ الله ببديل حسن. الذي لا يترك الله تعالى يُغفر له وإن كان مذنباً، غير أن قطع العلاقة به أمر سيئ بل هو سم فتاك. فتوبوا واستغفروا واستمروا في الدعاء في الصلوات، كان الله كفيلكم. (بدر، مجلد ٣، رقم ٤٤-٤٥، عدد ٢٤/١١/١٩٠٤م و ١٢/١/١٩٠٤م، ص ٣)

الصراخ والعويل في حالة المأتم والنياح والبكاء بالصراخ والتفوه بكلمات تنم عن عدم الصبر كلها أمور يُخشى بسببها ضياع الإيمان، وكلها تقاليد مأخوذة من الهندوس. لقد نسي المسلمون الجاهل دينهم وتبنوا تقاليد الهندوس. يأمر القرآن المسلمين بأن يكتفوا في حال وفاة قريب لهم بقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي إننا مال الله وملكه وله الخيار أن يستعيد ماله متى يشاء. وإذا اضطر الإنسان إلى البكاء فيجوز أن تذرف العينان الدموع فقط، ومن زاد على ذلك فهو من الشيطان. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٠، عدد ٢٦/٧/١٩٠٦م، ص ١٢)

للإنسان أسلوبان فقط لإحراز التقدم والرقى

الأول: أن ينجز الإنسان الأحكام الشرعية - أي الصلاة والصيام والزكاة والحج - باتباع التكاليف الشرعية بموجب الحكم الإلهي، لكن لما كانت هذه الأمور بيد الإنسان نفسه، لذا يتهاون في أدائها ويتكاسل أحيانا، وأحيانا يخلق طريقا للراحة والسهولة. والطريق الثاني، هو ما يرد على الإنسان من الله مباشرة، وهو الذي يتسبب في تقدم الإنسان في الحقيقة، لأن الإنسان في التكاليف الشرعية يتخذ طريقا للحماية والراحة والسهولة. فانظروا مثلا إذا سلّمنا لأحد سوطاً وقلنا له أن يضرب به جسده، فالأساس أن حب الذات سيحول دون ذلك، فمن ذا الذي يريد إلقاء نفسه في الألم. ولذلك قد حدد الله طريقا آخر لتكميل الإنسان، وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦ - ١٥٧)، أي بشر الصابرين بأن الله تعالى قدر لهم أجرا كبيرا، ورحمة منه وإنعاما.

فانظروا بأي مشقة يحرق الإنسان أرضه ويسويها ثم يبذر ويتحمل صعوبات الري والسقي، وأخيرا حين يكتمل نمو الزرع بعد تحمل أنواع المشاكل والجهود والحماية، قد يصيبه البرد أحيانا لحكمة إلهية دقيقة ولطيفة، أو يباد الزرع بسبب شح الأمطار أحيانا. باختصار، هذا مثال للصعوبات التي تسمى تكاليف القضاء والقدر. وكم هذا التعليم الطيب الذي أعطيه المسلمون في هذه الحالة يقدم نموذجا للرضا بالقضاء ويتضمن درسا، وهذا من نصيب المسلمين فقط. أما الآريون الذين يؤمنون بأن الأرواح والذرات مع خواصها هي من تلقاء نفسها وأزلية وأبدية مثل الله، أنى لهم أن يقولوا إنا لله.. وكيف يوفقون لهذا القول.

باختصار، إن التكاليف على نوعين؛ أحدهما يحتوي على الأحكام، ومنها الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من الأعمال، ففيها فسحة للعذر والحيلة لحد ما، وما لم يكن هناك إخلاص تام ويقين كامل، يسعى الإنسان للتخلص منها

بطريقة أو أخرى، ويعثر على الطريق للتخلص منها، فيبقى النقص من هذا القبيل نتيجة الضعف البشري، فلعل هذا الفراغ وسدّ هذا النقص قد قدر الله النوع الآخر من التكاليف، وهو القضاء والقدر، لكي يتم بفضل الله تدارك النقص الذي حصل بسبب الضعف البشري. فالآريون يسمّون تكاليف القضاء والقدر ثمرة الولادة السابقة، لكننا نسألهم أنه إذا كان ما يقولونه حقاً، فلماذا يتعرضون للأمراض مثل الحمى وغيرها؟ إذا كانت التكاليف السماوية هي ثمرة أعمالكم السابقة، فلماذا تتعرض أنفسكم لمصيبة أخرى؟

باختصار، إن الهدف من هاتين السلسلتين - أي استسلام الإنسان أحياناً لله بالخضوع للتكاليف الشرعية، وأحياناً استسلامه للقضاء والقدر - تحقيق كمال الإنسان، وإشارة إلى ذلك قال الله ﷻ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ. فَمَا هُوَ إِلَّا إِنْما الْإِسْلَامُ أَنْ يَسْتَسْلِمَ الْمَرْءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِنَيْلِ رِضَاةٍ؛ فَهُوَ يَشْهَدُ الْإِبْتِلَاءَاتِ الْمَخِيفَةِ، وَيَرَى بِأَمْعَيْنِهِ لِمَعَانَ السِّيفِ الْمَسْلُوكَةِ وَضَرْبَاتِهَا فِي الْمَعْرَكَةِ، حَيْثُ يَتَرَاءَى لَهُ الْخَطَرُ عَلَى ضِيَاعِ الْحَيَاةِ، لَكِنَّهُ لَا يَبَالِي بِشَيْءٍ، بَلْ يَعْضُذُ نَفْسَهُ لِكُلِّ هَذِهِ الْأَخْطَارِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ. فَهَذَا هُوَ مَلْخَصُ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١٠)

لقد قُدرت لارتفاع المدايح الإنسانية تكاليف سماوية أيضاً؛ فهي الأخرى قد ذكرها الله ﷻ في القرآن الكريم حيث قال ﷻ ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٨) فهذه المصائب يوردها الله بيده، فهذا بلاء يتعرض فيه الإنسان أحياناً لخوف شديد، فهو يخاف كل حين وأن من أن يفسد الأمر نهائياً. وأحياناً يصيبه الفقر والجوع حيث يعيش بصعوبة في كل أمر، وأحياناً تحدث خسارة في المال، حيث تكسد التجارة أو تحدث السرقة، وأحياناً يواجه

النقص في الثمرات أي تفسد وتبور المزروعات أو يموت الأولاد الأعزة. فالذرية أيضاً في التعبير العربي ثمرة، فالفتنة التي يواجهها الإنسان بسبب الذرية أيضاً خطيرة، كثيرون يكتبون إلى رسالة بقلق أن يُرزقوا أولاداً، ففتنة الأولاد شديدة لدرجة أن يلحد بعض السفهاء إثر وفاة ذريتهم، كما أن الذرية تكون الأحب إلى بعض الناس فتصبح وكأنها شريكة الله، بعض الناس يكونون ملحدين ولا دينيين بسبب الذرية، حين يتنصر أبناء البعض يتنصرون هم أيضاً من أجل الذرية، بعض الأولاد يموتون في الصغر، فيتسببون في فقدان إيمان آبائهم.

لكن الله ﷻ ليس ظالماً، فعندما يواجه أحد صدمة شديدة ويصبر عليها يكون له الكثير من الأجر بحجم الصدمة، إن الله ﷻ رحيم وغفور وسّار، فلا يورد على الإنسان صعوبة لكي يرتدّ عن الدين إثر مواجهته. كلا بل التكاليف تأتي ليتقدم الإنسان إلى الأمام. فالصوفية يقولون: إن الفاسق يتخلف في الابتلاء، لكن الصالح يتقدم إلى الأمام بنشاط أكبر. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨م، ص ٤-٥، والحكم، مجلد ١٢، رقم ٥، عدد ١٨/١/١٩٠٨م، ص ٣)

حين قبل الإنسان أن يسمّى عبداً بإزاء المالك الحقيقي وأقر ب: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، أي أن مالنا وحياتنا وجسدنا وأولادنا كله ملك لله تعالى، فلم يعد لديه بعد ذلك أي حقّ يطالب به الله تعالى. لذلك فإن كثيراً من العارفين الحقيقيين يفوضون أنفسهم إلى رحمة الله تعالى مع قيامهم بمئات المجاهدات والعبادات والصدقات، ولا يعدّون أعمالهم شيئاً ولا يدّعون بأن لهم حقاً أو أنهم أدّوا حقاً ما. لأن البرّ الحقيقي هو الذي بتوفيقه يكسب المرء البرّ والحسنة، وهو الله تعالى وحده. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣)

وإنها لسنّته ﷺ الجارية في المسلمين إلى يومنا هذا إذ يقولون عند وفاة قريب لهم وعزيز عليهم: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. لقد تفوّه النبي ﷺ بكلمات الصدق والوفاء هذه قبل غيره ثم أمر الآخرون بالتأسي بهذه الأسوة. لو لم يتزوج النبي ﷺ من أكثر

من زوجة ولم يولد له أولاد فأنتى لنا أن نعلم أنه فداء في سبيل الله تعالى إلى درجة لا يُعَدُّ الأولاد شيئاً مقابل الله؟ (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٠٠)

كلما أرى مصائبكم وأرى من ناحية أخرى قدرات الله الكريم التي جربتها بنفسى ونزلت علي لا يصيبني الاضطراب قط لأني أعلم أن الله كريم وقادر على كل شيء ويخلص الإنسان من المصائب والشدائد مهما كانت كبيرة. والذي يريد الله أن يزيده معرفة ينزل عليه المصائب حتماً ليعلم حقيقة الأمر لأنه وَعَلَى قادر على أن يخلق الأمل من اليأس. باختصار، إنه تعالى قادر وكريم ورحيم في الحقيق. (مكتوبات أحمد، ج ٢، ص ٢٧، الطبعة الحديثة، مكتوب رقم ١٥ إلى الخليفة الأول عليه السلام)

مهما كانت المصائب شديدة فإن سبل أفضال الله تعالى تبقى مفتوحة دائماً؛ فيجب على المرء أن يرجو رحمته دائماً، غير أن هناك حاجة ماسة للتوبة والاستغفار في حالة الاضطراب. هذه النقطة جديرة بالتذكر أن الذي يترك عيباً أو ذنباً مكتوبة النصوص عند حلول البلاء ولم يكن في باله أن يتركه بهذه السرعة يصبح عمله هذا كفارة عظيمة له. وتنقش ظلمة البلاء مع شرح صدره وينبلج أمل النور. (مكتوبات أحمد، ج ٢، ص ٩٨، الطبعة الحديثة، مكتوب رقم ٦٣، إلى الخليفة الأول عليه السلام)

الآية ١٥٩: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾

فمن الواضح الجلي أنه لما كان الإنسان قد خلُق من أجل الله لذا فإن كل راحة وسرور له يكمن حصراً في أن يكون كله لله، ولا تتحقق الراحة الحقيقية ما لم يُخرج الإنسان علاقته الحقيقية بالله من مكمن القوة إلى حيز الفعل. أما إذا أعرض الإنسان عن الله فينطبق عليه مثال من يغلق النوافذ أمام الشمس، فلا شك أن بإغلاقه لها سينتشر الظلام في الحجرة كلها، وباختفاء النور الذي يأتي من الشمس فقط سيحدث

الظلام، وذلك الظلام نفسه يُعبّر عنه بالضلال وجهنّم، لأنه هو أصل الآلام. وإن زوال ذلك الظلام والتخلّص من ذلك الجحيم إذا تم البحث عنه في قانون الطبيعة فلا تبقى حاجة لصَلْب أحد، بل يجب فتح تلك النوافذ التي تسببت في حدوث الظلام. فهل يمكن أن يقبل أحد أنّا يمكن أن نفوز بأي نور رغم إصرارنا على بقاء تلك النوافذ مغلقة؟ كلا لا يمكن، فالعفو عن الخطايا ليس قصة يتوقّف ظهورها على الحياة المستقبلية، كما لا يمكن القول بأن كل هذه الأمور باطلة وهي تُشبه معصية الحكومات الدنيوية وعفوها. كلا بل الإنسان لا يُعدّ مجرمًا أو مذنبًا إلا إذا ابتعد عن مقابلة ذلك النور إعراضًا عن الله وانحرافًا عن البريق الذي ينزل من الله على القلوب، وهذه الحالة تُسمّى في كلام الله بالجُناح، وقد بدّله الفُرس بـ "كناه" وإن أصله جنح، ويعني الميل والانحراف عن المركز، فقد سُمّي جُنَاحًا أي "كناه" لأن الإنسان يبتعد - بإعراضه عن الله - عن المكان الذي هو محط النور الإلهي، وبابتعاده عن ذلك المكان الخاص يميل إلى مكان آخر ويُبعد نفسه عن الأنوار التي تُنال بمواجهة ذلك المكان. وكذلك كلمة الجريمة بمعنى الذنب، مشتقة من جَرَمَ التي تعني قَطَعَ، فسُمّي الجُرم جرمًا لأن مرتكبه يقطع جميع علاقاته مع الله، وإن كلمة جُرم بمدلولها أشدّ من كلمة جُناح؛ لأن الجُناح يعني الميل فقط الذي فيه شيء من الظلم، أما الجُرم فيُطلق على الجُناح عندما يخالف المرء قانون الله عن عمد ويرتكب أمرًا ممنوعًا متعمّدًا وغير مبال بعلاقاته. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٧٨-٧٩)

الآية: ١٦٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾
أي الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ تَعَالِيمِ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ وَالْهُدَى الَّذِي بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ عِبَادِهِ. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٢٣٤)

الأسلوب الذي تبناه القرآن الكريم في استخدام الكلمات القاسية لا يمكن أن يجهره أي إنسان مهما بلغت درجة غبائه وجهله. فمثلا إن اللعن على أحد يُعدُّ شتيمة شنيعة عند المتحضرين في العصر الحاضر. ولكن القرآن الكريم يلعن الكفار مخاطبًا إياهم فيقول: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (البقرة: ١٦٢) ويقول أيضا: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١١٥، الحاشية)

أقول صدقا وحقا إنني لم أستخدم أية كلمة، بحسب علمي، تُعدُّ شتيمةً. ومن الخديعة الكبيرة أن كثيرا من الناس يعتبرون السب وبيان الواقع شيئا واحدا، ولا يفرّقون بين الأمرين. بل يعتبرون كل كلام يحتوي على بيان الأمر الواقع ويكون في محله تماما؛ شتائم، لكونه محتويا على شيء من المرارة التي تستلزم قول الحق. بينما مفهوم السباب والشتائم هو ما كان خلاف الواقع، وقد قيل كذبا وللايذاء المحض. وإن جاز حمل كل كلام قاسٍ وجارحٍ محمل الشتيمة بناء على مرارته وقسوته وإيذائه، فلا بد من الاعتراف أن القرآن كله مليء بالشتائم، لأن كلمات الاستنكار والاحتقار واللعن والطعن التي استخدمت في القرآن الكريم في حق الأوثان ليست مما تفرح لسماعه قلوب عبدة الأوثان على الإطلاق. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٠٩)

الآية ١٦٥: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

... أي إن جميع الأشياء المذكورة هنا هي آيات على وجود الله وتوحيده وإلهامه

وكونه قادرا على كل شيء.

لاحظوا الآن كيف استدل الله جلّ شأنه على المبدأ الإيماني هذا بواسطة قانونه في الطبيعة أي بواسطة خلقه الذي يوجد في الأرض والسماء والذي بالتدبر فيها يتبين بجلاء بحسب منطوق هذه الآية أن لهذا العالم خالقا أزليا وكاملا وواحدا لا شريك له وقادرا على كل شيء ومرسل رسله إلى الدنيا. والسبب في ذلك أن جميع أنواع خلق الله وسلسلة نظام العالم الذي نراه بأمر أعيننا يوحي بجلاء أن هذا العالم لم يأت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسه بل له موجد وخالق، ومن صفاته الضرورية أن يكون رحمانا ورحيما وقادرا على كل شيء وواحدا لا شريك له، أزليا وأبديا وجامعا لجميع الصفات الكاملة ومنزّل الوحي أيضا. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢٥) من هنا يدرك العاقلون وجود الله وقدراته الكاملة، وهذا التصريف على نوعين؛ أحدهما الظاهري، حيث يصرف الرياح والسحاب من جهة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر. والثاني هو الباطني، وهو أن يخلق في الرياح والسحاب صفة الترياق أو السم لكي تهيم للخلق الأمن والرفاهية أو تتسبب في ظهور الأوبئة، فلا خيار للإنسان في كلا هذين النوعين من التصريف، وهما خارج نطاق قدرة البشر نهائيا، ومع ذلك هناك مشكلة أخرى وهي أن صحتنا أو مرضنا لا يتوقفان على هذين الأمرين فقط، بل هناك ألوف مؤلفة من أسباب أرضية ومماوية أخرى أيضا وهي دقيقة ولطيفة جدا وخفية على فكر الإنسان ونظره، ولا أحد يستطيع أن يدّعي أنه يقدر على خلق هذه الأسباب كلها بجهده وسعيه. فأني شك في أن الإنسان بحاجة إلى الرجوع إلى الله الذي بيده كل هذه الأسباب الخفية واللطيفة. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٣٦)

لقد أنزل الله تعالى من السماء ماء ثمّيا به الأرض الميتة. (أسئلة ثلاثة لمسيحي الرد عليها، الخزائن الروحانية المجلد ٤، ص ٤٣٠، الحاشية)

كلما تقدمت البحوث العلمية الطبيعية فلسوف تؤكد التوحيد وحده. لقد أخبر الله تعالى في قوله ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...الآية﴾ أن السماوات والأرض زاخرة بالبراهين الدالة على وجود الإله الذي يقدمه القرآن الكريم.

أحبُّ مقولة أحد الحكماء جدا وهي: لو أُتلفت كل الكتب في النهر لظل إله الإسلام باقيا، إذ ليس مثلثًا ولا أسطورةً. إنما الحق اليقين المتين ما لا يكون صدقه متوقفاً على شيء معين، بحيث لو انعدم ذلك الشيء لم يبق لذلك الأمر أثر. الأساطير الفارغة ليس لها نقش لا في القلب ولا في صحيفة الطبيعة، إنما يسلمون بوجودها ما دامت محفوظة في ذاكرة باندیت أو قسيس وغيره من رجال الدين، وبعدها تُمحي تلك الأساطير كما تمحي الأباطيل. (تقرير الجلسة السنوية عام ۱۸۹۷م، ص ۷۱-۷۲)

الآية ۱۶۶: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾

اعلموا أن ثلاثة أنواع القرب الإلهي تتوقف على ثلاثة أنواع التمثيل، التي بتفصيلها تبين حقيقة المراتب الثلاث للقرب. أول نوع للقرب يناسب تشابهُ الخادم بالمخدوم كما يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، أي أن المؤمن الذي يمكن أن يسمى العبد المطيع، يحب مولاه أكثر من كل شيء. وتفصيل ذلك أنه كما يتقدم الخادم المخلص والصادق الوفي في حب سيده - بسبب مشاهدته منته المتواترة وإنعاماته المتكاثرة وكمالاته الذاتية - وفي الإخلاص له والاتحاد معه لدرجة أن يصبح متحد الطبع والطريق مع سيده بسبب الحب الذاتي الكامن في قلبه، ويتمنى تحقيق مراداته ويتوخاها مثلما يتمنى السيد نفسه تحقيق مراداته الشخصية، كذلك تكون حالة العبد الوفي مع ربه الكريم.. أي هو أيضاً يتقدم في إخلاصه وصدقه ووفائه حتى يبلغ درجة أن يمحو ويفني وجوده كلياً ويتصبغ بصبغة مولاه الكريم.

آنجا کہ محبتے نمک میریزد
ایں نفس دنی کہ صدر ہزارش دہن است

ہر پردہ کہ بود از میان برنیزد
خاموس شود چو عشق شورا انگیزد

چون رنگ خودی رود کسی را از عشق

یارش ز کرم برنگ خویش آمیزد

أي: حين يفور الحب يرتفع كل نوع من الحجاب من الوسط.

إن هذه النفس الدنيئة التي لها مئات الألوف من الأفواه، تخرس حين يفور العشق. حين يزول لون أنانية أحد بسبب العشق، فإن حبيبه يصبغه بصبغته لطفًا منه. فالخادم الذي يتّحد مع سيده في الطبع والمزاج ينفر بالطبع من كل ما يستاء منه سيده؛ فلا يترك المعصية خوفًا من العقاب المترتب عليها، كما لا يمتثل للأوامر طمعًا في الجائزة. ولا يصدر منه أي قول أو فعل بمقتضى أخلاقه الكاملة، وإنما يقوم بذلك بدافع طاعة سيده الحقيقي التي أُشربها. فهو ينجذب من تلقاء نفسه إليه وإلى مرضياته، فلا يرى إدارة خدٍّ آخر بعد تلقي لطفة على خد واجبةً عليه عبثًا، ولا يرى ردّ اللطفة بمثلها واجبا لا بد منه، بل هو يستفتي قلبه المخلص، في أي تصرف يكمن رضوان محبوبه الحقيقي في كل وضع، ويبحث عن تبرير معقول لاتخاذ طريق فيه الخير أكثر والذي يُكسبه مرضاة حضرة البارئ جل شأنه: أفي العفو أو الانتقام؟ ثم ينجز العمل الذي يراه مناسبًا للوضع الراهن. وكذلك لا يكون كرمه وعطاؤه بمقتضى السخاء الجميل بل يكون بدافع الطاعة الكاملة. ويفكر جيدًا بحماس الطاعة نفسها في الوضع الراهن ليتأكد هل سينال رضوان مولاه الكريم بالسخاء في هذا الوضع، أو الإحسان إلى شخص معين أم لا؟ وعندما يرى السخاء غير ملائم فلا ينفق ولا حبة واحدة ولا يخاف لومة لائم أبدا. باختصار؛ لا يقوم بأي تصرف بتقليدٍ ناتج عن الحمق، بل يصبح بحبه الكامل والصادق عارفَ مزاج سيده. ونور الاتحاد والإخلاص الموجود في قلبه يُفهمه مجدداً في كل وضع طارئ كيف وبأي طريقة يجب أن يتصرف في هذا الوضع الراهن، حتى يكسب رضا المخدم الحقيقي. ولما كانت علاقة شخصية له قد نشأت بربه المنعم الحقيقي، فلا يجد الطاعة والانقياد ثقلاً مؤذياً، بل يصير الانقياد بمنزلة الأمر الطبيعي له، حيث يحبه بالطبع ويصدر منه باستمرار دون أي تصنع وتكلف. وكما

أن الله ﷻ يحب صفاته وعظمته بالطبع، كذلك يحب بالطبع إظهار الجلال الإلهي. وتصبح كل عادة وسيرة لمخدومه الحقيقي في نظره محبةً كما يحبها هو نفسه. فهذا المقام يناله أولئك الذين تخلو صدورهم من حب الغير نهائياً وتصفو، ويستعدون للتضحية بأرواحهم كل حين وأن للفوز برضوان الله ﷻ.

دل ہمی باید پُر ازیاد نگار	سینہ می باید تہی از غیر یار
سر ہمی باید بہ پائے او نثار	جاں ہمی باید براہ او فدا
گو نمت گر بشنوی عشاق دار	بیچ دانی چیست دین عاشقان
لوح دل شستن ز غیر دوستدار	از ہمہ عالم فرو کشتن نظر

أي: يجب أن يخلو الصدر من كل شيء سوى الحبيب، وينبغي أن يظل القلب عامراً بذكر الحبيب.

يجب أن تكون الحياة فداء في سبيله، كما يجب أن يضحي بالرأس عند قدميه. هل تعرف ما هو دين العشاق؟ فاسمع مني إذا كنت جاهزاً للاستماع كالعشاق. هو أن يُغمض المرء عينه عن العالم كله وأن يغسل لوح قلبه من كل شيء سوى الحبيب.

أما النوع الثاني للقرب فيتعلق بتشابه الولد بالوالد، كما قال الله ﷻ: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (التوبة: ٢٠١)، أي اذكروا ربكم جل شأنه بحماس قلبي كما يُذكر الآباء. وليكن واضحاً أن الحب حين يشتد كثيراً يشبه المخدم الوالد. والحب المنزه عن كل كُدورة وغرض يترسخ في صميم القلب بشقٍّ جميع حُجبه كأنه جزء منه، عندها تبدو علاقة حب المحب بالمحبوب وارتباطه الوثيق به كأنها في الحقيقة من الولادة، ويتحد مع طبعه وكأنه جزء منه لا يتجزأ، بحيث لا يتذكر وسيلة السعي والجهد أبداً. وكما أن الابن يشعر بعلاقة روحانية بأبيه عند تصور وجوده، كذلك يشعر هو الآخر كل حين وأن بهذه العلاقة باطنياً. وكما أن ملامح الأب وحليته تظهر بجلاء على وجه الابن ويجوز الابن سلوك الأب وعمله وخصاله وشمائله

بنقاء تام، فقياساً على ذلك يكون الحال نفسه له أيضاً. والفرق بين هذه الدرجة ودرجة القرب الأول أن درجة القرب الأول المشابهة بالعلاقة بين الخادم والمخدوم هي أيضاً وإن كانت تشبه جداً هذه الدرجة الثانية من حيث الكمال، إلا أن هذه الدرجة بسبب نقائها المتناهي تنوب مناب العلاقة بين الشقيقتين. وكما يتساوى إنسانان من حيث كونهما بشرا ومع ذلك تظهر آثار الإنسانية متفاوتة من منطلق الشدة والضعف في الخواص الإنسانية، كذلك تتفاوت هاتان الدرجتان. باختصار؛ يبلغ الحب في هذه الدرجة كمال اللطف، وتبين المناسبة والمشابهة في كل شعرة. فليكن معلوماً أنه صحيح أن العاشق يتحد مع المعشوق عند بلوغ عشقه الكمال. ويتصبغ بصبغته، إلا أن الذي يشابه أباه الذي خرج منه، فليتشابهه تألقاً ولمعانا من نوع آخر تماماً. أما النوع الثالث من القرب فمثله كمثل تماثل عكس المرء لوجوده؛ أي كما ينظر المرء صورته في مرآة نظيفة وكبيرة فيرى صورته الكاملة منعكسة فيها بجميع ملامحه، وكذلك تنعكس جميع الصفات الإلهية بجلاء تام في وجود صاحب القرب في هذا النوع الثالث للقرب. وهذا الانعكاس أتم وأكمل من أنواع الشبه الذي سبق ذكره. لأن من البديهي أنه كما يرى المرء صورته في مرآة نظيفة ويجدها مطابقة له، يستحيل أن يتحقق لغيره ذلك التطابق والتشابه بأي حيلة أو تكلف، حتى لا يوجد هذا التطابق التام في أحد أبنائه. هنا ينشأ التساؤل من الذي تيسرت له هذه المرتبة ومن الذي حاز على الدرجة الكاملة من القرب؟ وجوابه إنما يتهياً فقط للذي يكون في وسط قوسَي الألوهية والعبودية وينشئ العلاقة القوية بكلا القوسين وكأنه عينهما، ويرفع نفسه من الوسط نهائياً ويمثل المرأة النظيفة. وتلك المرأة - لكونها ذات جهتين - تتلقى الصورة الإلهية ظلياً من جهة ومن جهة أخرى توصل ذلك الفيض كله إلى من يقابلونها بحسب كفاءة طباعهم المختلفة. وإلى ذلك أشير في قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩-١٠). (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٥٢-٢٦٤، الحاشية)

فاعلموا أن الحب لا ينشأ بالتصنع والتكلف بل هو قوة من القوى الإنسانية، وحقيقته أن يجذب القلب إلى شيء يُعجبه، وكما أن خواص كل شيء تظهر ببداية عند بلوغه الكمال، فالحال نفسه للحب أيضا، إذ تتبدى جواهره بجلاء عند بلوغه أتم الدرجات وأكملها، فالله تعالى يقول: ﴿أَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ (البقرة: ٩٤) أي أنهم أحبوا العجل لدرجة كأنهم أشربوه كالشراب. والحقيقة أن الإنسان حين يحب أحدا حبا كاملا فكأنه يشربه أو يأكله، ويتصنع بأخلاقه وسلوكه، وينجذب إلى التصنع بصبغة حبيبه بقدر ما يحبه، حتى يصبح مظهرًا لحبيبه. وهذا هو السر في اكتساب محب الله النور الإلهي ظليا بحسب سعته. أما الذين يحبون الشيطان فيكسبون الظلام الذي في الشيطان. فإذا كانت هذه هي حقيقة الحب فمتى كان ممكنا للكتاب الصادق المنزل من الله أن يسمح لنا أن نحب الشيطان كما ينبغي أن نحب الله، وأن نخص أولياء الشيطان بحب يجدر به أولياء الرحمن؟ من المؤسف أننا كنا نملك قبل هذا دليلا واحدا على بطلان الإنجيل وهو اتخاذه الإنسان الضعيف الذي هو حفنة من التراب إلهًا، والآن توفرت لنا دلائل أخرى أيضا وهي أن تعاليمه الأخرى أيضا سيئة، فهل يمكن أن يعدّ من التعليم المقدس أن أحبوا الشيطان كما تحبون الله ﷻ؟ وإن قيل بأن هذه الأمور خرجت من فم يسوع سهوا لأنه كان لا يعرف فلسفة الإلهيات، فهذا العذر سخيف وباطل، لأنه إذا كان عديم المعرفة لهذا الحد فلماذا ادّعى إصلاح القوم؟ فهل كان طفلا يجهل أن حقيقة الحب تقتضي بالضرورة أن يُعجب الإنسان بشمائل حبيبه وأخلاقه وعباداته بصدق القلب، وأن يسعى بالروح والقلب للتفاني فيها، لينال بالتفاني في حبيبه الحياة التي يتمتع بها حبيبه، فالحب الصادق يتفانى في حبيبه، ويتجلى من خلال حبيبه، ويعكس صورته في نفسه وكأنه يشربه، ويقال إنه بالتفاني فيه والاتصاف بصفاته وبالتمسك به يبرهن للناس على أنه في الحقيقة قد ضاع في حبه. الحب كلمة عربية وتعني في الحقيقة الامتلاء، فحين يريد العرب أن يعبروا عن امتلاء بطن الحمار ماءً يقولون: "تجَبَّبَ الحمارُ"، وحين يريدون أن يقولوا إن الجمل شرب

ماء كثيرا حتى امتلأ بطنه وارتوى يقولون شربت الإبل حتى تحببت. أما الحب فهي أيضا مشتقة من هذا، ويعني أنه امتلأ بصفات الحبة السابقة. وكذلك يقال للنوم الإحباب، لأن الذي سيمتلئ بغيره فسوف يُفني نفسه، وكأنه سينام ولن يبقى لديه الشعور بنفسه، فإذا كانت هذه حقيقة الحب فالإنجيل الذي يعلم حب الشيطان أيضا وحزب الشيطان يعلم أتباعه بتعبير آخر المشاركة في أعمالهم السيئة، فواها لهذا التعليم، أنى يكون من الله هذا التعليم الذي يريد أن يجعل الإنسان شيطانا، وقى الله الجميع من تعليم الإنجيل هذا.

وإن سأل أحد إذا كان حب الشيطان ومظاهره والمتصفين بصفاته حراما، فبأي خلق ينبغي أن نتعامل معهم؟ فجواب ذلك أن كلام الله ﷻ المقدس القرآن الكريم يعلمنا أن نواسيهم مواساة تامة، مثلما يُشفق الإنسان رحيم القلب على المجذومين والعميان والمعاقين والعرج وغيرهم من المتألمين، والفرق بين الشفقة والحب أن الحب ينظر إلى أقوال حبيبه وأفعاله بنظرة الإعجاب، ويجب أن يتصف هو أيضا بصفاته، بينما ينظر المشفق إلى المشفق عليه بنظرة العبرة والخوف، ويخشى أن يقضي على ذلك المصاب وضعه التعيس. ومن علامات المشفق الحقيقي أنه لا يتعاطف مع المشفق عليه دوما، بل يتعامل معه بحسب مقتضى الحال والمناسبة، فأحيانا يتعامل معه برفق وأحيانا أخرى بقسوة، أحيانا يقدم له العصير وأحيانا يرى حياته في قطع اليد أو الرجل كطبيب حاذق، وأحيانا يجرح أي عضو آخر له وأحيانا يضع على جروحه مرهما، فإذا شاهدت أعمال الطبيب المختص في مستشفى كبير حيث يأتي مئات المرضى فمن المأمول أن تفهم معنى المشفق، فإنما القرآن الكريم يعلمنا أن نحب الأبرار والأخيار ونشفق على الفساق والكفار، ويقول الله ﷻ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ (التوبة: ١٢٨) أي يا أيها الكفار إن هذا النبي يشفق عليكم لدرجة أنه لا يتحمل أن تحزنوا وهو يطمع في أن تتخلصوا من البلايا. ثم يقول ﷻ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤) أي هل ستهلك

نفسك حزنا على عدم إيمانهم؟ فالمراد: إن شفتك قد بلغت درجةً أشرفت بها على الهلاك خوفاً عليهم. ثم يقول في آية أخرى ﴿تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٨) أي إنما المؤمنون الذين ينصح بعضهم بعضاً بالصبر والمرحمة، أي يقولون: اصبروا على الشدائد، وأشفقوا على عباد الله، فالمراد من "المرحمة" هنا أيضاً الشفقة، لأن الرحمة في اللغة العربية واردةٌ بمعنى الشفقة، فالمعنى الأصلي للتعليم القرآني، أن الحب الذي حقيقته التصبُّع بصبغة الحبيب لا يجوز بحق أحدٍ غير الله والصالحين، بل هو حرام قطعاً لغيرهما، كما قال ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٦) ويقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة: ٥٢) كما يقول في آية أخرى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مِنْ دُونِكُمْ﴾ (آل عمران: ١١٩) أي لا تحبوا اليهود والنصارى ولا تحبوا كل من هو ليس صالحاً، فحين يقرأ النصارى الأغبياء هذه الآيات ينخدعون ويزعمون أن المسلمين أمروا ألا يحبوا النصارى وغيرهم من الذين لم يؤمنوا، لكنهم لا يعرفون أن كل كلمة تُستخدم في محلها، فلا يصح حبُّ المرء للفَسَاق والكُفَّار إلا إذا نال نصيباً من كفرهم وفسقهم. فالذي علَّم أتباعه أن يحبوا أعداء دينه هو جاهل غبي. ولقد كتبنا مراراً وتكراراً أن من الحب والمودة أن ينظر المرء إلى قول مَنْ يحبه وفعله وعادته وحُلُقُه ودينه بنظرة الإعجاب، وأن يفرح به وأن يتأثر به، ومن المستحيل أن يصدر ذلك من المؤمن بحق الكافر أبداً، إلا أن المؤمن يشفق على الكافر ويخصه بجميع مظاهر المواساة، ويواسيه على جميع أمراضه المادية والروحانية، كما يقول الله ﷻ مراراً ما معناه: واسُوا الجميع دون تمييز بسبب الدين أو العرق وأطعموا الجائعين وفكّوا رقاب العبيد، وسدّدوا ديون المقترضين وتحملوا أوزار المثقلين، وأدّوا حق المواساة الصادقة تجاه بني البشر. ويقول ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل: ٩١) .. كما تحسن الأم الرؤوم إلى ولدها أو يواسي القريبُ قريبه لمجرد عاطفة القرابة. ويقول ﷻ ﴿لَا

يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ (المتحنة: ٩) أي حين نهاكم الله ﷻ عن حبِّ النصارى وغيرهم فلا تظنوا أنه قد نهاكم عن برِّهم والإحسان إليهم ومواساتهم، كلا بل إنّ الذين لم يحاربوكم لقتلكم، ولم يخرجوكم من أوطانكم فأحسنوا إليهم سواء كانوا من النصارى أو اليهود وواسوهم واعدلوا معهم لأن الله يحب من يقوم بذلك. ثم يقول ﷻ ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المتحنة: ١٠)... فإنّ مصادقة هؤلاء حرام لأنهم يتمنون القضاء على الدين.

ثمة نقطة تجدر بالذكر هنا وهي أن التوليّ هي الصداقة في اللغة العربية، والتعبير الآخر لها المودة، ومن مظاهر الصداقة الحقيقية والمودة النصح والمواساة. فيجوز للمؤمنين أن يصادقوا النصارى واليهود والهندوس ويواسوهم وينصحوا لهم ويحسنوا إليهم، غير أنه لا يمكن أن يحبّوهم، فتذكرو هذا الفرق الدقيق جيدا.

ثم اعترضت أن المسلمين لا يحبون الله أيضا حبا خاليا من المصالح، ولم يعلموا أن الله جديرٌ بالحبِّ لمحاسنه الذاتية.

أما الجواب: فليتضح أن هذا الاعتراض يرد في الحقيقة على الإنجيل، لا على القرآن الكريم، لأن الإنجيل لم يعلم أتباعه قط أن يحبّوا الله حبا ذاتيا، ويعبدوه بدافع الحب الذاتي، أما القرآن الكريم فزاخر بهذا التعليم؛ فقد قال بصراحة ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠١)، وقال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٦) أي من مزايا المؤمنين أنهم لا يحبون آباءهم ولا أمهاتهم ولا أحبائهم الآخرين ولا أنفسهم حبّهم لله ﷻ. وقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ٨)....

الجدير بالتأمل هناكم يتبين جليا من هذه الآيات أن القرآن الكريم وصف أسمى درجة لعبادة الله والأعمال الصالحة بأن يبتغي المرء حبَّ الله ورضوانه بصدق القلب،

غير أنه ينشأ السؤال هنا: هل يوجد في الإنجيل هذا التعليم الرائع السامي المفصل بمنتهى الجلاء؟ ونؤكد لكل واحد أن الإنجيل لم يبينه بهذا التفصيل والوضوح قط، وإنما سَمَّى الله ﷻ هذا الدين إسلامًا لأنه يعلم الإنسان أن لا يعبد الله لأغراض نفسانية بل ينبغي أن يعبد بحماس فطري، لأن الإسلام يعني الرضا بالقضاء والتخلي عن جميع الأغراض. ليس في العالم دينٌ غير الإسلام أفصح بهذه الأهداف، صحيح أن الله قد وعد المؤمنين بأنواع النعم المختلفة تأكيداً على رحمته لهم، غير أن المؤمنين الذين يريدون أسمى الدرجات علّمهم أن يعبدوا الله بحب ذاتي، بينما الإنجيل يضم شهاداتٍ صريحةً على أن حواربي يسوعكم كانوا طماعين وذوي عقول سطحية، فأوتوا الهداية بحسب عقولهم وهممهم، وكذلك وجدوا يسوع أيضاً مثلهم، الذي نهي البسطاء عن العبادة خادعا إياهم بانتحاره!

إن قلت إنَّ الإنجيل حين علّم أن يقولوا لله أبًا فقد أشار إلى الحب الذاتي! فهذه الفكرة باطلةٌ تماماً؛ لأننا نعرف بتدبر الأناجيل أن المسيح استخدم كلمة "ابن الله" على وجهين: (١) أولاً كانت في زمن يسوع عادةً قديمة أن الإنسان الذي ينجز أعمال الرحمة والبر ويتعامل مع الناس برفق ويحسن إليهم فهو يقول صراحة "إني ابنُ الله"، ويقصد بهذه الكلمة أنه كما يرحم الله ﷻ الصالحين والسيئين ويستفيد بشمسه وقمره وغيثه جميع الطيبين والخبيثين على سواء، فمثل ذلك من عاداتي أن أبرّ الجميع، وإنما الفرق أن الله كبيرٌ في هذه الأعمال وأنا صغير. كما أن الإنجيل هو الآخر وصف الله أبًا من منطلق كونه كبيراً ووصف الآخرين أبناءً لكونهم صغاراً، لكنهم يستوون مع الله في أصل الأمر؛ أي قد قبل التفاوت في الكمية، أما في الكيفية فقد ظلَّ الابن والأب سيئين، وهو شرك خفي، فلذلك لم يسمح الكتابُ الكامل القرآن الكريم بمثل هذا الكلام، فكان جائزاً عند اليهود لكونهم في الحالة الناقصة، واستخدمه يسوع أيضاً في كلامه تقليداً لهم. فكثير من مواضع الإنجيل تتضمن مثل هذه الإشارات أن "ارحموا مثل الله"، و"كونوا مصلحين مثل الله"، و"تعاملوا كالله

ﷻ مع الأعداء أيضا كما تتعاملون مع أصدفائكم، فسوف تُدعون أبناء الله، لأن عملكم سيُشبه عمله ﷻ"، وإنما الفرق بينكم وبينه أنه لكونه كبيرا عُذَّ بمنزلة الإله الأب، وأنتم لكونكم صغارا عُددتم بمنزلة الأبناء، فهذا التعليم اقتبس في الحقيقة من كتب اليهود، ولهذا يعترض اليهود حتى الآن أن ذلك سُرق من الكتاب المقدس وسُجِّل في الإنجيل. على كل حال فهذا التعليم ناقص من ناحية، ومن ناحية أخرى لا علاقة للابن من هذا النوع بالحب الذاتي.

(٢) هناك بيان سخي في الإنجيل للنوع الثاني من الأبناء، كما ورد في يوحنا إصحاح ١٠ العدد ٣٤؛ ففي هذا العدد قد جعل كل واحد - مهما كان ندلا - لها دُع عنك الابن، وقُدِّم الدليل أن باختصار، قد تناول الإنجيل بدافع تقليد شخص واحد تعبيرا مشهورا في قومه. بالإضافة إلى ذلك، من الخطأ تماما أن يوصف الله أبًا، ومن سيكون أكثر غباء وإساءة من الذي استخدم كلمة الأب بحق الله! (نور القرآن، رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٠-٤٤٣)

إن منتهى الحب عبادة، ولهذا فإن كلمة الحب تخص بمعناها الحقيقي الله ﷻ وحده، أما الإنسان فقد ورد بحقه كلمة الرحمة والإحسان في كلام الله، لأن كمال الحب يتطلب العبادة، كما أن كمال الرحمة يقتضي المواساة، فهذا الفرق لم تدركه الملل الأخرى فأعطت حق الله لغيره. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٩)

إن حب الله ليس كمثل الحب الإنساني، ففي الحب الإنساني يتألم المحب بفراق الحبيب، بل إن المراد من الحب الإلهي أنه يعامل الذين يعملون الحسنات معاملة المحب للحبيب. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٨، الحاشية)

فكلمة الحب حيثما وردت بحق الناس فليس المراد منها الحب الحقيقي، بل إن الحب الحقيقي بحسب التعليم الإسلامي يخص الله وحده، والأنواع الأخرى للحب

غير حقيقية ومن باب المجاز. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٩، الحاشية)

إلى السماء مُدوياً، فهل في أي دين آخر يشاهد هذا المشهد الخلاب؟
ثم إن مدلول كلمة "الإسلام" هو الآخر يدل على الحب نفسه، لأن الخور على عتبات الله، والاستعداد للتضحية بصدق القلب - الذي هو من معاني الإسلام - ذلك هو الحالة العملية التي تصدر من نبع الحب. ومن كلمة "الإسلام" يتبين أيضاً أن القرآن الكريم لم يحصر الحب في القول فقط بل قد علّم أسلوب الحب والتضحية على الصعيد العملي أيضاً. فأيّ من مؤسسي الأديان في العالم سمّى دينه "الإسلام"؟
فما أروع كلمة الإسلام التي تتحقق فيها معاني الصدق والإخلاص والحب، فمبارك دين اسمه الإسلام. كذلك يقول الله ﷻ في حب الإنسان لله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٧)

إن الله يهدي إلى طريق المحبة والطاعة لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٠١) فهل حدث في الدنيا قط أن يفنى الابن في محبة الأب، ويصير هو الأب؟ لا شك أنه يمكن أن يفنى في محبة الأب، ولكن يستحيل أن يصير الأب. إن الفناء النظري شيء ينتج من المحبة حتماً، ولكن الفناء الذي يُتخذ مبرراً لخلق وجود جديد يزعم أنه هو الله، فهو فناء باطل. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٥، عدد: ٢٤/٩/١٩٠١م، ص ٣)

العبادة جزءان: أولاً أن يخشى الإنسان الله تعالى كما هو حقه. إن خشية الله تجذب الإنسان إلى ينبوع الطهارة فتذوب روحه وتسيل إلى الله تعالى وتتصبغ بصبغة العبودية الحقيقية.

والجزء الثاني للعبادة هو أن يحب الإنسان الله تعالى كما هو حقه، لذلك قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ وأن يعدّ الإنسان سائر أنواع الحب الدنيوية فانية

ومؤقته، ويحسب الله وحده هو المحبوب الحقيقي. فهما الحقان اللذان يقتضيهما الله تعالى لنفسه من الإنسان. لا شك أن كل عبادة تحمل في طياتها أسلوباً لأداء هذين الحقين، ولكن الإسلام قد حدّد لهذا الغرض أسلوبين خاصين للعبادة.

الخوف والحب شيئان يبدو اجتماعهما مستحيلاً في الظاهر، بمعنى أنه أتى للمرء أن يحب شخصاً يخافه؟ ولكن خشية الله وحبّه طابع مختلف تماماً؛ فبقدر ما يتقدم في خشية الله يزداد حباً له وَعَبَّادٌ. وكلما يتقدّم في الحب تغلبه خشية الله وتنقّره من السيئات والمنكرات وتجذبه إلى الطهارة.

لقد فرض الإسلام لأداء كلا الحقين الصلاة التي أودعها خشية الله، ولإظهار الحب سنّ الحج. إن جوانب الخشية كلها واضحة جيداً من أركان الصلاة، كم فيها من التذلل والإقرار بالعبودية. أما الحج ففيه أركان الحب كلها. في بعض حالات الحب الشديد لا يرى الإنسان حاجة إلى الثياب أيضاً. العشق ضرب من الجنون، وإن تسوية اللباس دائماً ليس من العشق في شيء. كانت في مدينة سيالكوت سيدهً عشقت خياطاً، وكان الناس يمنعونها عنه بكل طريقة ممكنة، ولكنها مع ذلك كانت تذهب إليه ممزقة لباسها. فخلاصة الكلام أن هذا النموذج للحب البالغ منتهاه يوجد في الحج. يخلق الناس رؤوسهم، ويقومون بالسعي. ومن علامات الحب القبلية أيضاً، فهي أيضاً موجودة في الحج كوجودها شكلياً في شرائع الله كلها. التضحية أيضاً تمثّل قمة العشق. فقد أكمل الإسلام كل هذه الحقوق كاملة. والمجنون من يعترض بسبب عماه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢ م، ص ٣)

إن مراتب القرب والحب منقسمة إلى ثلاثة مراتب من حيث درجاتها الروحانية: **المرتبة الأولى والأدنى** - وهي أيضاً كبيرة في الحقيقة - هي أن تُسجّن نأراً حب الله لوح قلب الإنسان، وقد تسجّنه لدرجة أنه يمكن أن تصدر من المتأثر بعض الأعمال الخاصة بالنار، ومع ذلك يمكن أن تبقى فيه نقطة الضعف فلا ينشأ فيه بريق النار. فالحرارة التي تتولد في الروح بعد نزول جذوة حب الله

على الحب البالغ هذا المبلغ؛ تسمّى السكينة والاطمئنان أحيانا، أو الملاك أحيانا أخرى.

المرتبة الثانية للحب هي... حين يجتمع كلا النوعين من الحب، وتُسجّن نارُ حبِّ الله لوحَ قلب الإنسان بحيث يتولد فيه نوع من البريق على غرار النار. ولكن لا ترافق هذا البريق قوّة على الاشتعال أو الالتهاب، وإنما هو بريق محض؛ ويسمى روح القدس.

المرتبة الثالثة للحب أن تقع الجذوة المشتعلة لحب الله على فتيل حب الإنسان القابل للاشتعال وتُشعله، فيستولي حبُّ الله على كيان الإنسان وكلّ ذرة من ذراته، ويجعله مظهرا أتم وأكمل له ﷺ. وفي هذه الحالة لا تهبُ نارُ حب الله لوحَ قلب الإنسان بريقا فحسب، بل يشتعل وجوده كله على إثر هذا البريق، وتثورُ ألسنة النار ولهيبها الجوّ المحيط بها كوضح النهار دون أن يبقى للظلام أي أثر، بل ويصبح الوجود كله نارا تماما مع جميع صفاتها الكاملة. وهذه الحالة التي تتولد بصورة النار المشتعلة نتيجة وصال النوعين من الحب تسمى "الروح الأمين"، لأنها توفر الأمن من كل ظلمة، وهي بريئة من كل شائبة، وتسمى "شديد القوى" أيضا، لأن تلك القوة العظيمة هي الوحي الذي لا يُتصور وحيّ أقوى منه، وتسمّى "ذا الأفق الأعلى" أيضا. ذلك لأنه التجلي الأعظم لوحي الله تعالى الذي يسمى باسم: "رأى ما رأى" أيضا، لأن تقدير هذه الحالة يفوق تصور المخلوقات وأفكارهم جميعا. وهذه المرتبة قد حظي بها شخص واحد في الدنيا، أي الإنسان الكامل ﷺ الذي اكتملت عليه سلسلة البشرية كلها، وبلغت حلقة القدرات البشرية فيه أوج كمالها. والحق أنه ﷺ هو النقطة الأخيرة في الجانب الأعلى لسلسلة خلق الله، والمنتهى لكافة مراتب الارتقاء. إن حكمة الله تعالى بدأت سلسلة الخلق من الأدنى والأسفل على الإطلاق، وأوصلتها إلى النقطة الأعلى على الإطلاق، والتي تسمّى بتعبير آخر "محمداً ﷺ"، أي الذي حمّد كثيرا؛ أي هو مظهر الكمالات التامة. فكما حظي ذلك النبي ﷺ بالمكانة الأعلى والأرفع فطرةً،

كذلك وُهبَت له المرتبة الأعلى والأرفع خارجياً من الوحي أيضاً، وحظي بالمرتبة الأعلى والأرفع من الحب أيضاً. (توضيح المرام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٦٣ - ٦٤)

فليكن معلوماً أن غيرة الله تعالى لا تتحمل أن يشاركه المؤمن غيره في الحب الذاتي. لا يمكن المحافظة على الإيمان الذي هو أحب إلينا من أي شيء آخر إلا أن لا نشرك أحداً في الحب. لقد بين الله جلّ شأنه علامة المؤمنين أنهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أي المؤمنون لا يعلّقون قلبهم بأحد أكثر من الله تعالى. الحب حق خاص بالله جلّ شأنه، والذي يعطي حقه لغيره يُباد. كل البركات التي ينالها عباد الله وجميع أنواع القبول التي يحظون بها هل ينالونها نتيجة مجاهدات بسيطة أو بالصلاة والصوم العادي؟ كلا، بل ينالها نتيجة التوحيد في الحب أولئك الذين يصبحون له وَجْهًا وحده، ويضحون الآخريين بأيديهم في سبيله. إنني أعرف جيداً حقيقة ألم يصاب به شخص يُفصل دفعة واحدة عمن يعدّه بمنزلة الحياة لقلبه. ولكن ما أغار له هو أنه يجب ألا يكون أحد مقابل حبيبنا الحقيقي. إن قلبي يفتي دائماً أن الحب الدائم للغير - دون حب الله - سواء أكان ابناً أو صديقاً فهو ضربٌ من الكفر وإثم كبير، ولو لم تتداركه نعمة الله ورحمته يُخشى عليه سلب الإيمان. (الحكم، مجلده ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١ م، ص ٩)

فهو الذي يملك القوة والقدرة كلها كما قال: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ١٦٦). إن القدرة كلها لله تعالى، أما الإنسان الضعيف البنية فما هو إلا كائن ضعيف، وليست حقيقته إلا كما قيل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٩). (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧، ص ١٥٨)

الآية ١٦٨: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أي سيلتمس أهل النار أن يرسلوا إلى الدنيا مرة أخرى ولو لمدة وجيزة ليتسنى لهم أن يتبرأوا من آلهتهم الباطلة كما تبرأوا منهم، ولكنهم لن يخرجوا من الجحيم. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣ ص ٦٢٠، الحاشية في الحاشية)

الآية ١٦٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

لكل إنسان جاذبان، الأول جاذب الخير الذي يجذب إلى الحسنة، والثاني جاذب الشر الذي يجذب إلى السيئة. ومن المشهود والمحسوس أنه كثيرا ما تنطرق إلى قلب الإنسان أفكار سيئة فيميل إليها وكأن أحدا يجذبه إليها، وتارة تنطرق إلى قلبه أفكار حسنة فيميل إلى الحسنة وكأن أحدا يجذبه إليها. وفي كثير من الأحيان يقترف الإنسان سيئة ثم يميل إلى الحسنة ويندم كثيرا على ما صدر منه من سيئة. وكذلك يحدث أحيانا أن المرء يشتم أحدا ويضربه ثم يندم ويقول في قلبه بأن فعله ذلك كان في غير محله تماما فيحسن إليه نوعا ما أو يعتذر منه. فكلتا هاتين القوتين موجودتان في الإنسان. وسمت الشريعة الإسلامية قوة الحسنة "لَمَّة المَلَك" وسمت قوة الشر "لَمَّة الشيطان". الفلاسفة يعتقدون فقط بأن هاتين القوتين موجودتان في الإنسان حتما ولكن الله الذي يُظهر الأسرار الخافية ويُبَيِّنُ بالأمور العميقة والخافية قد عدّ كلتا القوتين مخلوقا. الذي يلقي الحسنة في القلب سماه ملاكا وروح القدس، والذي يلقي السيئة سماه الشيطان وإبليس. ولقد أقرّ العقلاء القدامى والفلاسفة أن مسألة الإلقاء ليست واهية أو لاغية. لا شك أن الإلقاء في قلب الإنسان نوعان: إلقاء السيئة وإلقاء الحسنة. والمعلوم أنه لا يمكن أن يكون كلا الإلقاءين جزءا من خلق الإنسان لأنهما متعارضان ولا خيار للإنسان فيهما فثبت أن كلا هذين الإلقاءين يأتي من الخارج وعليهما يتوقف اكتمال الإنسان. والغريب في الأمر أن كتب الهندوس أيضا تعترف بكلا الوجودين أي الملاك والشيطان كما يعترف بهما علماء الزرادشتية أيضا. بل كل الكتب التي جاءت في الدنيا من الله تعالى تقرّ بكلا هذين الوجودين. والاعتراض في هذه الحالة ليس إلا عنادا محضاً وجهلاً وغباوة. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية،

الآية ١٧٤: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعِيرٍ اللَّهُ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

إن أساس الشريعة هو على اللين واليسر، لا على العسر والشدة، الحقيقة أن المراد من ﴿أَهْلَ بِهِ لَعِيرٍ اللَّهُ﴾، تلك الحيوانات التي تذبح في المعابد الهندوسية والأنصاب، أو التي تذبح باسم غير الله؛ فأكلها لا يجوز. أما الحيوانات التي تباع وتشتري فهي تعد حلالا، ولا داعي للتحري والبحث كثيرا.

فانظروا إلى صانعي الحلويات فهم يقومون أحيانا بتصرفات يبعث حتى مجرد ذكرها على الاشتزاز والقرف، لكننا مع ذلك نأكل منتوجاتهم دون أي تردد، ولعلكم لاحظتم أن الحلوانيين أثناء إعدادهم الحلويات يمررون أيديهم في إزارهم الوسخ جدا، كما أن العمال حين يُعدون السكر يدوسونه بأقدامهم. ومثل ذلك يصنع أفراد الطبقات الوضيعة سكرا وأحيانا أثناء ذلك يخلطون فيه العصير الذي يشربون منه. والله أعلم كم من التصرفات المقززة يقومون بها، لكن كل هذه المنتجات تُستخدم. فلو تشددنا لصار كل شيء حراما، فالإسلام لم يفرض ما لا يطاق، بل إن الرفق هو أساس الشريعة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠٣ م، ص ٢٠)

الآية ١٧٨: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

من عادة الأبرار الحقيقيين أنهم يساعدون أولي الأرحام بالمال ابتغاء مرضاة الله، كما ينفقونه لرعاية اليتامى وتربيتهم وتعليمهم وما شابه ذلك، وينقدون به المساكين من الجوع والفقر، ويخدمون به المسافرين والسائلين، وكذلك يبذلون منه

في تحرير الرقيق وتخليص الغارمين. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ٣٥٧)

"والله أدخل وجود الملائكة في الإيمانيات كما أدخل فيها نفسه وقال: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ الْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدر: ٣٢). فبين للناس أن حقيقة الملائكة وحقيقة صفاتهم متعالية عن طور العقل، ولا يعلمها أحد إلا الله، فلا تضربوا لله ولا لملائكته الأمثال وأتوه مسلمين." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٧٢)

﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي أن الشجعان حقاً هم أولئك الذين إذا فاجأهم حرب أو حلت بهم مصيبة صبروا ولم يتهربوا من مواجهتها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٩)

ومن الحالات الطَّبِيعِيَّة في الإنسان الصبر الذي يلجأ إليه عند المصائب والأسقام والآلام التي تفاجئه دوماً، بعد كثير من النوح والجزع والفرح. ولكن اعلّموا أن الصبر على هذه الشاكلة لا يعدّه كتاب الله الكريم من الأخلاق في شيء، وإنما هو حالة تظهر تلقائياً بعد التعب والإعياء.. أعني أنه عند حلول مصيبة فإن من طبيعة الإنسان البكاء والعويل وضرب الرأس، ثم بعد أن يستنفد الكثير من همهم وغمه يبدأ في الهدوء، وفي آخر المطاف لا يسعه إلا أن يرجع القهقري. فهاتان الحالتان طبعيتان ولا تمتّان للأخلاق بشيء. وإنما الخلق أنه إذا فقد شيئاً فلا يتفوه بكلمة شكوى.. إيماناً منه أن ما فقدّه كان أمانةً عنده من الله تعالى، ويقول: كان أمانةً لله فاستردها مني وإني راضٍ برضاها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦١-٣٦٢)

الآية ١٨٠: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

من المعلوم أن المعاقبة والانتقام على كل صغيرة وكبيرة مذموم ويناغي مقتضى الأخلاق، كذلك إنه مما يخالف المواساة الحقيقية أن يتبنّى المرء دائماً مبدأ أن يعفو

عن المخطئ فوراً كلما صدر منه خطأ. إن الذي يترك المجرم دون عقاب دائماً فإنه عدوٌ لنظام العالم، وهو كمن كان مستعداً للانتقام والبُغض دائماً وفي كل الأحوال. إن قليلي الفهم يحبون العفو دائماً ولا يفكرون أن الصفح باستمرار يؤدي إلى الفساد في نظام العالم. والحق أن ذلك يضر المجرم نفسه؛ لأنه يؤدي إلى ترسيخ عادة سيئة وتقوية عاطفة الشر لديه. فتركوا على سبيل المثال سارقاً دون عقاب ثم انظروا ما الذي سيأتي به في المرة القادمة. فمن هذا المنطلق قال الله تعالى في كتابه المليء حكمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٨٠) أي إن حياتكم في قتل القاتل وإيذاء المؤذي بقدر ما آذاكم، وقال أيضاً: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٣) ومن قتل شخصاً بغير حق ودون مبرر فكأنه قتل الناس جميعاً. (المائدة: ٣٣) (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٢١-٤٢٦، حاشية على الحاشية رقم ٣)

قد سنّ الله تعالى قانوناً يعاقب بموجبه الأشرار والمتمردين الذين لا يبالون بحدوده وأوامره كي لا يتعدّوا الحدود مرة أخرى. والذين حاولوا أن يتجاوزوا الحدود حذّرهم الله فوراً.

وليكن معلوماً أيضاً أن هذه العقوبة وذلك التنبيه يكون رحمةً للذي يعاقب ولغيره أيضاً ممن يأخذون العبرة منه، لأنه لو لم يعاقب لتلاشى الأمن ولكانت العاقبة سيئة جداً.

انظروا إلى قانون الطبيعة الذي يتضح منه جلياً أن هذا الأصل مودّع في فطرة الإنسان. وبسبب هذا الأمر المحفور في الفطرة قال القرآن الكريم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٨٠). أي أن القصاص ضروري لإقامة حضارتكم. لو لم تترتب النتائج على الأعمال فما معنى الأعمال أصلاً؟ وما الهدف

منها؟ إذن، إن العقوبات التي يعاقب بها الناس في هذا العالم ليست ضرورية ولا حقيقية، بل هي ظل للعقوبات الحقيقية التي هدفها هو العبرة.

إن أهداف العالم الآخر مختلفة، وهي أعلى وأسمى، وسيرى الناس هناك نموذجاً انعكاسياً لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٩)، وسيتحمل الإنسان حتماً عقوبة عزائمه وذنوبه مهما كانت خافية. والفرق الكبير الآخر بين العقوبات في الدنيا والآخرة هو أن العقوبات الدنيوية تهدف إلى العبرة وتوطيد الأمن، أما العقوبات الأخروية فهي نتائج نهائية لأعمال الإنسان، فيعاقب هنالك حتماً لأنه يكون قد تناول سماً فلا يمكن أن ينجو من تأثيره من دون ترياق. إن في عقوبة الآخرة حقيقة فلسفية لم يبيّنها كاملة دينٌ آخر سوى الإسلام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١، عدد ١٠٥٠/١/١٩٠٢م، ص ٤)

الآية ١٨١-١٨٣: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

... قدّم الله تعالى الوصية على جميع الحقوق، وأمر الموشك على الموت أن يكتب الوصية قبل كل شيء. ثم قال: حول نقض الوصية بعد سماعها فذنبه على الذين يرتكبون جريمة تبديلها عمداً بعد سماعها. ثم قال: إن الله سميع عليم: أي أن المشاورات من هذا القبيل لا تخفى على الله، وأن الله ليس عاجزاً عن الإحاطة بهذه الأمور علماً. ثم قال بأنه إذا ارتكب أحد الخطأ دون قصد منه أو ارتكب ذنباً، أي ظلم عمداً ثم تنبه إلى ذلك وأصلح في الوصية التي كتبت في حق الموصين بهم فلا ذنب عليه. (بينوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢١٠-٢١١)

الآية ١٨٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

إن من عادتي أنني لا أترك الصوم إلا إذا كانت حالتي الصحية سيئة لدرجة لا تطاق، وإن طبعي لا يقبل ترك الصوم إطلاقاً. إنها لأيام مباركة، وهي أيام نزول أفضل الله ورحمته. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤٤/١/١٩٠١م، ص ٥)
المراد من "كُتب..." هو الصوم الفرض. (الحكم المجلد ١١، رقم ٧، عدد: ٢٤/٢/١٩٠٧م، ص ١٤)

قال عليه السلام في الرد على سؤال: كيف نصوم في مناطق لا تغرب فيها الشمس إلى ستة أشهر؟

الجواب: إذا قسنا قدراتهم على قدرات عامة الناس فلا بد من التطابق بينهم وبين عامة الناس من حيث مدة تتأصل فيها قوى البشر أي مدة الحمل أيضاً. فإذا كان التقيد بحسابنا المعروف واجبا في تلك المناطق فيجب أن يكتمل الحمل عندهم في يوم ونصف فقط. أما إذا قسنا مدة الحمل على أيام تلك المناطق فيجب أن يبقى الجنين في البطن إلى ٢٦٦ عاما بحساب أيامنا المعروفة، وإن المسؤولية تقع عليك أن تثبت أن الحمل يمتد إلى يوم ونصف يوم فقط. أما إذا قدرنا مدة الحمل عندهم ٢٦٦ عاما فلا يُستبعد أن يقدرُوا على الصوم أيضاً إلى ستة أشهر بحسب أيامنا لأن هذا هو مقدار يومهم ولا بد أن يملكوا القوى أيضاً بحسبها. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٧)

الركن الثالث من أركان الإسلام هو الصوم ولكن الناس يجهلون حقيقته أيضاً. أتى للإنسان أن يبين أحوال بلد لم يزره أو ظروف عالم لا يعرفه. ليس المراد من الصيام أن يبقى الإنسان جائعا وعطشان بل له حقيقة وتأثير يتبين بالتجربة. من فطرة الإنسان أنه كلما كان قليل الأكل كان أكثر حظاً في تركية النفس وترداد فيه

قوى الكشف. فالله تعالى يريد بالصيام أن نقلل من غذاء ونكثّر من غذاء آخر. يجب على الصائم أن يتذكر دائما أن الصوم لا يعني الجوع فقط، بل عليه أن يشتغل في ذكر الله تعالى حتى يتيسر له التبتل والانقطاع إليه - عز وجل - . فليس الصوم إلا أن يستبدل الإنسان بالغذاء الذي يساعد على نمو الجسم فقط غذاء آخر تشبع به الروح وتطمئن. والذين يصومون لله تعالى فقط ولا يصومون على سبيل التقليد فقط عليهم أن يشتغلوا في حمد الله وتسبيحه والتهليل لينالوا به غذاء آخر. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧، ص ٩)

الصوم والصلاة عبادتان، الصوم يؤثر في الجسم والصلاة تؤثر في الروح. إن الصلاة تؤدي إلى نشوء الحرقه والذوبان لذلك هي أفضل. الصيام يتسبب في الكشف، ولكن هذه الكيفية يمكن أن تنشأ أحيانا في المتنسكين أيضا ولكن الذوبان الروحاني الذي ينشأ بالدعاء لا يشاركه شيء. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٨/٦/١٩٠٥ م، ص ٢)

قدّم إليه عليه السلام سؤال من شخص: هل يجوز للصائم أن ينظر في المرأة أم لا؟ قال عليه السلام: يجوز.

كذلك عُرض عليه عليه السلام سؤال آخر: هل يجوز دهن الرأس أو اللحية بالزيت أثناء الصوم أم لا؟ قال عليه السلام: يجوز.

طُرح سؤال آخر: هل يجوز للصائم أن يكحل عينيه أم لا؟ قال: ذلك مكروه، ثم ما الحاجة ليكتحل في النهار؟ يمكنه أن يفعل ذلك ليلا. (بدر، مجلد ٦، رقم ٦، عدد ٧/٢/١٩٠٧، ص ٤)

قال عليه السلام: إذا أكل الصائم شيئا أو شرب ناسيا لا يلزمه أن يكفره بصوم آخر. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٧، عدد ٢٤/٢/١٩٠٧، ص ١٤)

قدّم إليه عليه السلام سؤال شخص: هل صيام يوم وفاة النبي ﷺ واجب أم لا؟ قال: ليس واجبا.

كذلك عُرض سؤال آخر: هل صيام العشر الأوائل من المحرم واجب؟ قال عليه السلام: ليس واجبا. (بدر، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ١٤/٣/١٩٠٧م، ص ٥)

عُرض سؤال شخص: كنت جالسا في الغرفة وكنت موقنا أن وقت السحور لم ينته بعد، فأكلت قليلا ونويت الصوم ثم علمت من شخص آخر أن الخيط الأبيض كان قد ظهر، فماذا أفعل الآن؟

قال عليه السلام: لقد صحّ صومه في هذه الحالة، ولا حاجة إلى إعادته لأنه أخذ الحذر بعين الاعتبار من جانبه، وليس هناك خلل في النية، ولكن حدث الخطأ وتأخر لبضع دقائق فقط. (بدر، مجلد ٦، رقم ٧، عدد ١٤/٢/١٩٠٧م، ص ٨)

الآية ١٨٥: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

إن كلمة "منكم" وردت في القرآن الكريم نحو ٨٢ مرة، وفي كل مرة - ما عدا مرة أو مرتين حيث أُقيمت قرينة بوجه خاص - خوطب بها جميع المسلمين الذين سيأتون حتى يوم القيامة... ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فكروا في هذا المقام هل هذا الحكم كان خاصا بالصحابة فقط، أو يشمل المسلمين الآخرين أيضا الذين سيأتون حتى يوم القيامة؟ (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣١)

يجب ألا يصوم المريض ولا المسافر، وهذا حُكم، إذ لم يقل الله تعالى أن من أراد فليصم ومن أراد فلا يصم. أرى أن على المسافر ألا يصوم. فلأن أكثر الناس يصومون عموماً، فلو صام أحدٌ اعتباراً بما يفعله الناس فلا حرج

في ذلك، ولكن عليه أن يعمل أيضا بعد ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾...

إن الذي يصوم في السفر شاقاً على نفسه فكأنه يريد أن يرضي الله تعالى بقوته لا بطاعته لأمره تعالى، وهذا خطأ. إن طاعة الله في أمره ونهيهِ هو الإيمان الحق. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٤، عدد ١/٣١/١٨٩٩م، ص ٧)

إن مذهبي هو أن على المرء ألا يوقع نفسه في المشاق كثيرا، وليعمل بمسائل السفر فيما يُعَدَّ سفراً في العُرف، وإن كان فرسخين أو ثلاثة، وإنما الأعمال بالنيات. أحياناً نتمشى مع الإخوة إلى ميلين أو ثلاثة، ولا يخطر ببال أحد بأننا مسافرون. ولكن عندما ينطلق الإنسان بنية السفر حاملاً حقيقته فهو مسافر. الشريعة ليست مبنية على العسر. فالذي ترونه سفرا بحسب الأعراف عُدّوه سفرا. وكما يؤدي المرء فرائض الله تعالى، كذلك يجب عليه العمل برخصه، لأن الفرائض والرخص كلاهما من الله ﷻ. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠١م، ص ١٣)

الأصل هو أن العمل برخص القرآن الكريم أيضا من التقوى. لقد استثنى الله تعالى المسافر والمريض من الصوم فيجب العمل بهذا الأمر أيضا. لقد قرأت أن معظم الأكابر ذهبوا إلى أنه إذا صام أحد في السفر والمرض فقد ارتكب معصية، لأن الهدف هو نيل رضا الله، ورضا الله يكمن في الطاعة. أي يجب أن يطيع المرء ما يأمر به الله ولا يضيف إليه شيئا من عنده. لقد أمر الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ولم يضع هنا أي شرط عن كيفية السفر أو المرض. أنا لا أصوم في السفر، ولا في المرض. ولم أصم اليوم أيضا لأن صحتي ليست على ما يرام. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤، عدد ١/٣١/١٩٠٧م، ص ١٤)

﴿مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي إذا كنتم مرضى أو على سفر قصير أو طويل فصوموا بالقدر نفسه في أيام أخر. لم يحدد الله السفر ولا يوجد أي تحديد في الأحاديث النبوية بل المراد منه هو المسافة التي تُعَدَّ سفرا في

العُرف. إذا كان السير إلى مسافة أقل من منزل واحد فلا يُعدّ سفراً. (مكتوبات أحمد، مجلد ٥، رقم ٥، ص ٨١، مكتوب رقم ٣٠ إلى صاحبزاده بير سراج الحق عليه السلام) والذي يصوم رمضان في حالة السفر والمريض يعصي صريح أمر الله تعالى. لقد قال الله تعالى صراحة بأن لا يصوم المسافر والمريض، بل يصومان بعد الصحة ونهاية السفر. فيجب العمل بحسب أمر الله، لأن النجاة تتوقف على فضل الله تعالى، ولا يمكن لأحد أن ينال النجاة بفضل أعماله. ولم يحدد الله السفر قصيراً كان أم طويلاً، ولم يحدد المرض أيضاً قليلاً كان أم كثيراً، بل الأمر عام ويجب العمل به. فلو صام المسافرون والمريض لعُدّوا عصاة. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٢، عدد ١٧/١٠/١٩٠٧م، ص ٧)

عُرض سؤال: في بعض الأحيان يأتي شهر رمضان في موسم تكثر فيه أعمال الفلاحين مثل بذر البذور وما شابهها، كذلك هناك الأجراء الذين معاشهم يعتمد على الأجرة اليومية، فلا يقدرّون على الصوم، فما حكمهم؟

قال المسيح الموعود عليه السلام: الأعمال بالنيات. إنهم يخفون نياتهم. على كل واحد أن يفحص حالته بالتقوى والنزاهة، فإذا كان أحد يستطيع أن يستأجر شخصاً مكانه فليفعل وإلا فهو في حكم المريض. فليصم حين تيسر له الظروف. (بدر، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٢٦/٩/١٩٠٧م، ص ٧)

عُرض سؤال: أحياناً يحل شهر رمضان في أيام يكون فيها المزارعون بحاجة إلى كثرة العمل مثل الحرث والزراعة، وكذلك الأجراء الذين يكسبون لقمة العيش بالأجرة لا يستطيعون الصوم، فما حكمهم؟

فقال عليه السلام: الأعمال بالنيات، الناس يخفون ظروفهم. كل واحد يستطيع أن يقدّر ظروفه بالتقوى والنزاهة. فإذا كان يستطيع أن يستأجر شخصاً مكانه فليفعل وإلا فهو في حكم المريض، وليصم حين ييسر له. (بدر، المجلد ٦، رقم ٣٩، عدد: ٢٦/٩/١٩٠٧م، ص ٧)

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ﴾. مرة خطر ببالي سؤال: لماذا أمر بأداء الفدية، فعلمت أنها من أجل التوفيق للصيام. إن الله تعالى هو الموفق لكل شيء، فيجب أن نطلب كل شيء منه وحده. إنه هو القادر القدير على أن يهب للمسلول أيضا قوة على الصيام إذا أراد ذلك. فالمقصود من الفدية أن ينال المرء هذه القوة، وهذا لا يحدث إلا بفضل الله... لذا فالأنسب عندي أن يدعو المرء الله تعالى أن يا إلهي إن شهرك هذا شهر مبارك وأنا لا أزال محروما من بركاته، ولا أدري هل أكون على قيد الحياة في العام القادم أم لا، أو هل أقدر على صيام الأيام الفائتة أم لا. لذا يجب أن يسأل الله تعالى التوفيق. وإنني واثق من أن الله تعالى سوف يوفق شخصا كهذا.

لو شاء الله تعالى لما فرض قيда على هذه الأمة أيضا كما لم يفرضها على الأمم الأخرى، ولكنه فرض بعض القيود لصالحها. الأصل في رأيي هو أنه عندما يتضرع الإنسان في حضرة الله تعالى بالصدق وكمال الإخلاص أن لا يحرمه في هذا الشهر، فالله لا يحرمه. ولو مرض الإنسان في شهر رمضان لكان المرض رحمة له لأن الأعمال كلها بالنيات. يجب على المؤمن أن يثبت نفسه بطلا في سبيل الله بعمله. والذي يُحرم من الصوم ولكنه كان ناويا في قلبه بألم وحرقة أنه لو كان سليما لصام حتما وكان قلبه باكيا لهذا الأمر، سيصوم له الملائكة بشرط ألا يكون باحثا عن الأعذار، فلن يحرمه الله تعالى من الثواب. إنه لأمرٌ دقيق أنه إذا كان الصوم شاقا على أحد (بسبب كسله) ويظن في نفسه أنه مريض وصحته توحى بأنه إن لم يأكل وجبة واحدة سيصاب بأعراض كذا وكذا وسيحدث كذا وكذا، فأنتي لشخص مثله يزعم بأن نعمة الله شاقا عليه أن يستحق هذا الثواب؟ أما الذي يسعد قلبه بحلول رمضان وكان ينتظر ليحل رمضان فيصومه ولكنه لم يقدر على ذلك بسبب مرض فلن يُعَدَّ محروما منه في السماء. هناك كثير من الناس في الدنيا الذين يلجؤون إلى الأعذار ويزعمون أنهم يخدعون الله أيضا كما يخدعون الناس. الباحثون عن الأعذار ينحتون المسائل من

عند أنفسهم ويضيفون إليها التكاليف ويعدّون تلك الوسائل صحيحة ولكنها ليست صحيحة عند الله. إن باب التكاليف واسع جدا. لو أراد الإنسان لصلى جالسا مدى حياته ولم يصم قط نتيجة التكلف، ولكن الله تعالى يعلم النية والإرادة التي يكنّها المرء بصدق وإخلاص، ولو علم الله أن في قلبه ألما لزاده ثوابا، لأن ألم القلب شيء جدير بالتقدير. إن الباحثين عن الأعذار يعتمدون على التأويلات ولكن هذا الاعتماد لا يعني عند الله شيئا. عندما صمت لسته أشهر متتالية لقيني - في الكشف - جماعة من الأنبياء وقالوا: لماذا تشق على نفسك إلى هذا الحد؟ أترك هذه المشقة. عندما يتحمل الإنسان المشقة في سبيل الله يرحمه الله ﷺ كالأولدين ويقول له بنفسه: لِمَ تشقّ على نفسك؟ (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٢-٥٣)

طرح أحد الإخوة سؤالا: لم أضُم إلى يومنا هذا، فماذا يمكن أن أدفع فدية على ذلك؟ فقال عليه السلام: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فادفع فدية ما فات من الصيام بقدر استطاعتك، وتعهّد أن تصوم في المستقبل بالتزام حتما. (بدر، مجلد ١، رقم ١٢، عدد ١٦/١/١٩٠٣م، ص ٩١)

قال عليه السلام في: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: معناه أن الذين لا يقدرّون. (بدر، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٢٦/٩/١٩٠٧م، ص ٧)

لقد أسس الله الشريعة على اليسر، فعلى ذي السعة من المسافرين والمرضى أن يدفع الفدية بدلا من الصوم. والفدية هي طعام مسكين. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٢، عدد ١٧/١٠/١٩٠٧م، ص ٧)

لقد ورد في عدد سابق من الجريدة رقم ٤٢، عدد: ١٧/١٠/١٩٠٧م، ص ٧، عمود ١ ما مفاده: يجب ألا يصوم المريض والمسافر في أيام المرض والسفر بل يجب أن يصوما بدلا منها في أيام آخر بعد رمضان في حال استعادة الصحة والإقامة. ثم ورد بعد هذه العبارة: "المرضى والمسافرون الذين لديهم سعة مالية يجب أن يدفعوا الفدية بدلا من الصوم". المراد من المرضى والمسافرين هنا هم الذين لا

يتوقعون أنهم سيقدرّون على الصيام بعد ذلك أبداً. فمثلاً إذا رأى ذلك شيخٌ هرم، أو رأت حامل ضعيفة أنها لن تقدر على الصوم بعد الإنجاب بسبب الإرضاع، وهكذا ستمضي السنة كلها فيجوز لأناس مثلهما ألا يصوموا بل يدفعوا الفدية لأنهم لا يستطيعون الصوم أصلاً. ولا يجوز لغيرهم أن يُعدّوا من المعذورين من الصوم بأداء الفدية فقط. لأن العبارة في الجريدة المذكورة لم تكن واضحة فعُرضت هذه المسألة على المسيح الموعود عليه السلام مرة أخرى فقال:

الفدية تجوز لشيخ هرم لن يقدر على الصوم أبداً. أما أداء الفدية من قبل عامة الناس -الذين يستطيعون الصوم بعد استعادة الصحة- فهو بمنزلة فتح باب الإباحة. الدين الذي ليست فيه مجاهدات ليس بشيء بحسب رأبي. التهرب من أعباء الله بهذه الطريقة إثم كبير. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لقد سنّ الله تعالى خمس مجاهدات في الإسلام أي الصلاة والصوم والزكاة (الصدقات) والحج، وذب عدو الإسلام ودفعه سواء بالسيف أو بالقلم. هذه المجاهدات الخمس ثابتة من القرآن الكريم. فعلى المسلمين أن يسعوا جاهدين للعمل بها. الصوم هو شهر واحد في العام كله بينما يصوم بعض من أهل الله نفلاً بكثرة ويجاهدون فيه. غير أن الصوم المستمر ممنوع أي لا يجوز أن يصوم المرء دائماً بل عليه أن يصوم نافلة ويفطر أيضاً. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٣، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٧م، ص ٣)

قال عليه السلام عن فدية رمضان: يمكن أن يُطعم مسكيناً في مدينته أو يتبرع في صندوق الأيتام والمساكين. (بدر، مجلد ٦، رقم ٦، عدد ٧/٢/١٩٠٧م، ص ٤)

يجب على الإنسان أن يؤدي فرائض الله قدر استطاعته. يقول الله تعالى عن الصوم: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٢)

الآية ١٨٦: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى

سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾

الرَّمَضُ يعني حرّ الشمس. وبما أن المرء يكفّ عن الأكل والشرب وغيرها من الملذات البدنية من جهة، ومن جهة أخرى يخلق في نفسه حرارةً وحماسًا للعمل بأحكام الله تعالى، فباجتماع الحاريتين الروحانية والجسمانية كان "رَمَضَان". أما قول علماء اللغة أن الصيام فرض في شهر الحر ولذلك سمي رمضان، فلا أراه قولاً سليماً، إذ ليس في هذا خصوصيةً لبلاد العرب. والرَّمَضُ الروحاني يعني اللوعة الروحانية والحرارة الدينية. ويُطلق الرَّمَضُ أيضًا على الحر الذي تسخن به الحجارة وما شابهها. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٧، عدد ٢٤/٧/١٩٠١م، ص ٢)

تبين عظمة رمضان من آية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾. لقد كتبت الصوفية أن هذا الشهر مفيد جدا لتنوير القلب، ويحظى فيه الإنسان بالكشف بكثرته. إن الصلاة تزكي النفس، أما الصوم فيجلبو القلب. والمراد من تركية النفس هو أن يصير العبد في معزل عن شهوات النفس الأمارة، وأما جلاء القلب فيعني أن يُفتح عليه باب الكشف فيرى الله تعالى. ففي الجملة: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ إشارة إلى أنه لا شك أن أجر الصوم عظيم، ولكن الأمراض والأهواء تحرم الإنسان من هذه النعمة. أذكر أنني رأيت في الرؤيا ذات مرة في أيام شبابي أن الصوم من سنة أهل البيت. لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله بحقي: "سلمان منا أهل البيت". "سلمان" يعني الصلح، بمعنى أنه سيتم على يده صلحان، أحدهما داخلي والآخر خارجي ويحقق أهدافه بالرفق لا بالسيف. لست متصبغاً بصبغة الحسين الذي حارب بل بصبغة الحسن الذي لم يحارب. فهمت من ذلك أنه إشارة إلى الصوم فصمت إلى ستة أشهر. فرأيت في تلك الأثناء أعمدة أنوار كثيرة صاعدة إلى السماء. ولكن ما زال الأمر مشتبها فيه هل كانت الأعمدة تصعد إلى السماء من الأرض أو من قلبي. وكل ذلك كان يمكن حدوثه في سن الشباب،

حين كنت قادرا على أن أصوم إلى أربع سنوات إن أردت.... إن أوامر الله منقسمة على قسمين. الأول: العبادات المالية، والثاني: العبادات الجسدية. العبادات المالية مقتصرة على الذين يملكون مالا، ومن لم يملكه فهو معذور. والعبادات الجسدية أيضا يمكن للإنسان أن يؤديها في سن الشباب. وإذا مضى من عمر المرء ٦٠ عاما يصاب بأعراض مختلفة، يضعف البصر نتيجة إصابته نتيجة الأمراض. لقد صدق من قال:

ما يكسبه الإنسان في الشباب تمتد بركته إلى الهرم. والذي لم يكتسب شيئا في الشباب يضطر لتحمل مئات الآلام في الشيخوخة. مَوَيْ سَفِيدًا زَجَلَّ آرْ دِيَام "الشعر الأبيض يوحي بقرب الموت. يجب على الإنسان أن يعمل بفرائض الله قدر استطاعته. يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي لو صمتم لكان فيه خير كثير لكم. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٢)

لقد تدبرت في لفظ "القرآن"، فأنكشف عليّ أن في هذا اللفظ المبارك نبأ عظيمًا بأن القرآن هو الكتاب الجدير بالقراءة. فالآن سيكون هذا الكتاب وحده حريًا بالقراءة من أجل الذود عن شرف الإسلام وقطع دابر الباطل، أما الكتب الأخرى فتكون كلها أولى بالترك نهائيا. وهذا هو معنى الفرقان أيضا، أي أن هذا الكتاب وحده سيكون الفاصل بين الحق والباطل، ولن يرقى إلى درجته ومستواه أي كتاب من كتب الحديث أو غيرها.... فاتركوا سائر الكتب الآن، واقروا كتاب الله ليل نهار.... ما أكفره من شخص يعكف على قراءة الكتب الأخرى ليل نهار، ولا يلتفت إلى القرآن الكريم.... فمن واجب أفراد جماعتي أن ينشغلوا بالتدبر في القرآن الكريم من كل القلب وكل الروح، ويتركوا الانشغال بالأحاديث. من المؤسف جدا أنه لا يؤبه بالقرآن الكريم ولا يُتدارس كمثال الأحاديث. إن أخذتم سلاح القرآن في أيديكم في هذا الوقت فالفتح لكم، ولن يصمد أي ظلام أمام هذا النور أقول: هذا هو السلاح المفيد الآن

وسيبقى مفيدا إلى الأبد. كان في القرن الأول أيضا السلاح نفسه في يدي سيدنا وسيد الكونين ﷺ والصحابة. طوبى مئة ألف مرة لقوم لم يترددوا ولم يتذبذبوا أدنى تذبذب في اختيار هذا الكتاب الفريد والإيمان به بل تقدموا إلى الأمام بكل سرور ولَبَّوْا دعوة هذا الفرقان والنور. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٧ عدد ١٧/١٠/١٩٠٠، ص ٥)

﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ أي أن القرآن يتحلى بثلاث صفات: أولا: إنه يهدي الناس إلى علوم الدين التي جهلوها. ثانيا: يفصل العلوم التي كانت مجملة من قبل. ثالثا: يميز بين الحق والباطل ببيان قول الفصل في الأمور التي حدث فيها الاختلاف والنزاع. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٥)

الآية ١٨٧: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

أي أن الذين آمنوا بالله والرسول إذا أرادوا أن يعرفوا ما هي الإنعامات التي يكرمهم الله بها وهي خاصة بهم دون غيرهم، فقل لهم بأني قريب. بمعنى أن الفرق بينكم وبين غيركم هو أنكم قريبون مني ومن خواصي أما الآخرون فبعيدون ومهجورون. وعندما يدعوني أحد منكم فأجيبه أي أكلّمه وأتحدث إليه، وأجيب دعاءه. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٤٦)

ثم قال تعالى: وإذا سألك عني عبادي الخواص المخلصون واستفسروك أين أنا، فليعلموا أنني قريب جدا وأسمع دعاء عبادي المخلصين سواء أَدْعَانِي عَبْدِي بِلِسَانِهِ أَمْ بِقَلْبِهِ. فقربي ظاهر من ذلك. ولكن عليهم أن يكونوا دائما على حالة تَوَهَّلِهِمْ أَنْ أَسْمَعَ دَعَاءَهُمْ. أي أن الإنسان يصبح أحيانا حجابا لنفسه بنفسه حين يترك الحالة الطيبة ويتعد عنها، فيبتعد الله أيضا عنه. فعليهم أن يثبتوا لي إيمانهم بي

باستمرار لأن ببركة قوة الإيمان يجاب الدعاء سريعا. ولو فعلوا ذلك لنالوا الرشد أي سيكون الله عَبَّكَ معهم دائما، ولن تخذلهم ألطاف الله وهدايته. باختصار، إن استجابة الدعاء أيضا آية عظيمة لأولياء الله، فتدبر. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها، الخزانة الروحانية المجلد ٤، ص ٤٨١، الحاشية)

سميع دَعْوَةَ كل الدَّاعِ ومُجِيبُهُ أي متقبل الدعوات. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٦)

لو سألك عبادي أين أنا؟ فقل لهم: إنني قريب جدًا منهم. إنني أستجيب دعاء من يدعوني. فعليهم أن يبتغوا وصالي بالدعاء، وليؤمنوا بي كي يفلحوا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٦)

أي إذا سألك عبادي عني فأني قريب من الأصدقاء وبعيد من الأعداء. (القول الحق، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣٢)

عندما يسأل الناس عن الدليل على وجود الله فجواب ذلك أني قريب جدا، أي ليس هناك حاجة للدلائل العظيمة، إذ يُدرك وجودي بسهولة متناهية وقرينة، ويقوم الدليل على وجودي بمنتهى السهولة؛ وذلك الدليل أن الداعي حين يناديني أستجيب له، وأبشره بالنجاح بواسطة الإلهام، وبذلك لا يحصل اليقين بوجودي فحسب بل تتحقق قدرتي حق اليقين أيضا. لكن يجب أن يتحلّى الناس بالقوى والورع في نفوسهم حتى أسمع دعاءهم، كما يجب أن يؤمنوا بي ويُقرّوا بأن الله موجود قبل أن يتمكنوا من المعرفة التامة، وأنه حائز على جميع القدرات والقوى، لأن الذي يؤمن يوهب له العرفانُ حصرا. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٦٠-٢٦١)

إذا سألك عبادي عن مكان وجودي فالجواب هو أني قريب وما من أحد أكثر مني قربا لأحد، فالذي يدعوني مؤمنا بي أجيب دعوته. مفتاح كل شيء بيدي، وعلمي محيط بالجميع. أنا الذي أحمل الأرض والسموات، وأنا الذي أحملكم في البر والبحر. (نسيم الدعوة، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٥٤)

أي إذا سأل عبادي عني ليتأكدوا كيف يثبت وجودي، وكيف نتأكد أن الله موجود. فالجواب على ذلك أنني جد قريب وأجيب مَنْ يدعوني. وحين يدعوني أسمع له وأكلمه، لذا عليهم أن يجعلوا أنفسهم جديرين بمكالمتي، وأن يؤمنوا بي إيماناً كاملاً، لكي يهتدوا إلى سبيلي. (محاضرة لاهور، الخزانة الروحانية المجلد ٢٠، ص ١٥٩)

فليقبلوا أوامري ويؤمنوا بي لينالوا خيراً. (البراهين الأحمدية الجزء ٥، الخزانة الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤١٥)

لقد قال القرآن الكريم: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾؛ يتبين من ذلك بصراحة أن الدعاء يُجاب. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠٠٠/١٠/١٩٠٢ م، ص ١٢)

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ (البقرة: ١٨٧)، أي أقبَلْ توبة التائب. فوعد الله هذا يميز ذلك الإقرار الذي يقوم به التائب بصدق القلب. فلو لم يكن هذا النوع من الوعد من الله، لكان قبول التوبة أمراً صعباً. فالإقرار الذي يصدر بصدق القلب يؤدي إلى أن ينجز الله ﷻ أيضاً الوعود التي قطعها مع التائبين بصدق القلب. ومنذ تلك اللحظة يحدث تحليّ النور في قلب التائب. فحين يقر الإنسان بأنه سيجتنب الذنوب كلها وأنه سيؤثر الدين على الدنيا. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣ م، ص ١٠٧)

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٧) إذا طُرح سؤال: كيف يمكن الاطلاع على وجود الله؟ فجوابه أن إله الإسلام قريب جداً. وإذا دعاه أحد بصدق القلب أجابه. أما آلهة الملل الأخرى فليست قريبة بل هي بعيدة لدرجة لا يُعلم عنها شيء. إن أعلى هدف وأسمى غرض للعباد هو أن ينال قربه ﷻ. وهذه هي الوسيلة التي يتسنى بها اليقين بوجوده. إن معنى قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ أنه تعالى يجيب وليس بأصم، ولا أهمية للأدلة الأخرى كلها أمام هذا الدليل. الكلام يقوم مقام الرؤية. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٩، عدد ١٤٠٤/٨/١٩٠٤ م، ص ٣)

.... بعض الناس يشكّون في وجوده وَعَجَّلَ، بينما يقول الله تعالى بأن الدليل على وجودي هو أن ادعوني واسألوني فأجيبكم وأذكركم. وإن قلتم بأننا ندعوه ولكنه لا يجيب؛ فمثله كأنكم تدعون واقفين في مكان شخصاً بعيداً جداً عنكم وفي أذنيكم ثقل، فهو سيحجبكم من بعيد بسماع صوتكم ولكنكم لن تقدروا على سماعه لكونكم صُمًا. كلما تزول الحُجُب والبُعد بينكم ستسمعون الصوت حتماً. لقد ظل ثابتاً منذ أن خلقت الدنيا أنه وَعَجَّلَ يكلم عباده الخواص. ولولا ذلك لثبت رويدا رويدا أنه لا وجود له. إذن، إن أمثل وسيلة لإثبات وجود الله أن نسمع صوته أو نراه أو نسمع كلامه. فإن الكلام في الأيام الحالية ينوب مناب الرؤية. غير أنه ما دام هناك حجاب بين الله والسائل فلا نستطيع أن نسمع كلامه. ولكن عندما يزول الحجاب الحائل سيُسمع صوته. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٦-٧)

الدعاء برهان قوي على وجود الله تعالى، يقول وَعَجَّلَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أي إذا سألك عبادي: أين إلهنا، وما البرهان على وجوده؟ قل لهم: هو قريب جداً؛ والدليل على ذلك أنه عندما يناديني الداعي أردّ على دعائه. ويأتي هذا الرد طورا بصورة رؤيا صالحة وتارة بصورة كشف، وتارة أخرى عن طريق الإلهام. إضافة إلى ذلك إن قدرات الله وَعَجَّلَ وقواه تظهر للعيان بواسطة الأدعية، ويتبين أنه قادر ويحلّ المشاكل كلها.

باختصار، الدعاء ثروة وقوة عظيمة، وقد رغب القرآن الكريم فيه مرارا وتكرارا وسرد سوانح الذين نجوا من مصائبهم بواسطة الدعاء. إن أساس حياة الأنبياء عليهم السلام والوسيلة الحقيقية والصادقة لنجاحاتهم هي الدعاء، فأنصحكم أن تستمروا في الأدعية بُغية زيادة قوتكم الإيمانية والعملية، فبالأدعية يحدث تغير فتكون العاقبة حسنة بفضل الله تعالى. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٣)

إن المعرفة تأتي بالفضل وتدوم بالفضل وحده. الفضل يجعل المعرفة نزيهة ووضاءة للغاية ويرفع الحجب كلها، ويزيل غبار النفس الأمارة، ويهب الروح قوةً وحياة، ويُخرج النفس الأمارة من قوقعتها، ويطهرها من قذارة الأهواء السيئة، ويُخرجها من سيل أهوائها العارم. عندها يحدث في الإنسان تغيير؛ فيتبرأ بطبيعته من الحياة القذرة. النشاط الأول الذي يحدث في الروح بعد ذلك نتيجة الفضل هو الدعاء.

لا تظنوا بأنكم تدعون كل يوم، وإن الصلاة التي تصلونها هي الدعاء كلها لأن الدعاء الذي ينبع عن المعرفة الحقيقية ونتيجة فضل الله تعالى يتميز بصبغة خاصة وكيفية مختلفة تمامًا. إن ذلك الدعاء قادر على الإفناء، إنه نار تذيب القلب. إنه قوة مغناطيسية تجذب رحمة الله. إنه موتٌ يهب الحياة في نهاية المطاف. إنه لسيل عارم، إلا أنه يتحول إلى سفينة في النهاية، وبه يستقيم كل أمر قد فسد، وبفضله يتحول كل سُمٍّ إلى ترياقٍ في آخر الأمر. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٢)

الدعاء يأتي من الله ويرجع إليه. وبسبب الدعاء يتقرب الله تعالى منكم كقرب أنفسكم منكم. إن النعمة الأولى للدعاء هي أن تغيرًا طاهرًا يحدث في الإنسان، فيُحدث الله تغييرًا في صفاته أيضًا نتيجة التغير المذكور. مع أنه لا تبديل لصفات الله في الواقع، ولكن الذي يُحدث في نفسه تغييرًا؛ يلاحظ تجليًا إلهيًا مختلفًا لا تعرفه الدنيا، وكأنه إله آخر مع أنه ليس إلهًا آخر بل تجليه الجديد يُظهره بصورة جديدة. عندئذ ينجز للشخص الحائز على تغيير بسبب تجليه الخاص أعمالًا لا يُنجزها لغيره، وهذه هي الخوارق. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٣)

الدعاء بمنزلة الموت. المثل البنجابي المذكور آنفا يعني أن الداعي الحقيقي هو الذي يحل به اضطراب شديد. إن في الدعاء موتًا، وإن أكبر تأثير للدعاء هو أن الداعي يموت نوعًا ما. فلو ادّعى الإنسان مثلاً أن عطشه الشديد قد زال بشرب قطرة من الماء لكان كاذبًا، ولكنه لو شرب كوبًا مملوءًا يصدّق كلامه. فالإنسان

حينما يدعو بكل لوعة وحرقة حتى تذوب روحه وتسيل على عتبة الله، فهذا ما يسمى الدعاء. ومن سنة الله تعالى أنه إذا تم الدعاء بهذا الأسلوب، فإما أن يقبله الله أو يخبر السائل.... ويخبر بالكلام... يشعر الإنسان عند المكالمات الإلهية أنه **رَبِّكَ يُجْرِي** الكلام على لسان عبده. ويكون الكلام شديدا وقويا كما يُغرز المسمار الحديدي، ويعلوه اللطف وكأنه كلام الله. (بدر، مجلد ١، رقم ١١، عدد ١٩٠٣/١/٩م، ص ٨٦)

ترون أن الرضيع عندما يضطرب من شدة الجوع ويبكي ويصرخ للحليب، يتدفق الحليب في ثدي أمه. ومع أن الرضيع لا يعرف حتى اسم الدعاء، إلا أن صرخاته تجلب الحليب، فما السبب وراء ذلك؟ هذا أمر قد جرّبه الجميع عموما. ومن الملاحظ أن الأم لا تشعر بوجود الحليب في ثديها أحيانا، بل لا يوجد بالفعل في بعض الأحيان، ولكن ما إنْ تصل صرخاته الأليمة إلى مسامعها حتى يتدفق الحليب في ثديها. وكما أن هناك صلة وثيقة بين صرخات الرضيع وبين تدفق الحليب، فأقول والحق أقول لو كانت صرخاتنا أمام الله مليئة بالاضطرار والألم اللذين يوجدان في صرخات الوليد، فلا بد أن تستثير فضل الله ورحمته وتجذبها جذبا. وأقول بناءً على خبرتي فإني قد أحسست بل رأيت فضل الله ورحمته -الذين ينزلان نتيجة استجابة الدعاء- ينجذبان إليّ انجذابا، أما إذا لم يحسّ الفلاسفة المعاصرون ذوو العقول المظلمة بهذه الحقيقة أو لم يروها، فهذا لا يعني أن هذه الحقيقة منعدمة من الدنيا، ولا سيما وأنا مستعد في كل وقت لإراءة نموذج استجابة الدعاء. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٢، عدد ١٩٠١/٨/٣١م، ص ٣)

لم يأت في الدنيا نبي إلا وعلم الدعاء. إن الدعاء ينشئ الصلة بين العبودية والربوبية. والنزول في هذا المضمار صعب، ولكن الله ينزل فيه، يذل له الدعاء كل عقبة وصعوبة.... إذا واصل الإنسان الدعاء بلا انقطاع، أصبح إنسانا آخر، وزالت عنه الكدورة الروحانية، ونال نوعا من الراحة والسرور، وتخلّى عن

كل نوع من التعصب والرياء، وتحمل كل الصعاب التي تعترض طريقه، وصبر في سبيل الله ولوجه الله على الشدائد التي لا يصبر عليها، ولا يمكن أن يصبر عليها الآخرون. فينظر إليه الله الذي هو الرحمن والرحيم والرحمة كلها، ويحول تلك المعاناة والأذى كلها سرورا وحبورا له. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠١م، ص ٣-٤)

الدعاء يمثل علاقة كاملة بين الربوبية والعبودية. لولا تأثير الدعاء لكان وجودها أو عدمها سيان. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ١٧/١٢/١٩٠٢م، ص ٣) من شأن الدعاء أن يحول الخشب اليابس إلى أخضر، ويقدر على إحياء الميت، ففيه تأثيرات كبيرة. بحسب سلسلة القضاء والقدر يستطيع الدعاء أن ينقذ الغارق والمنغمس في المعاصي فيمسك الله بيده، ويشعر بنفسه أنه شخص آخر. انظر هل يقدر المسموم على علاج نفسه بنفسه؟ كلا بل يمكن أن يعالجه غيره، لذلك أقام الله هذه الجماعة للتطهير. إن أدعية المبعوث من الله وسيلة مثلى للتطهير.

التوفيق للدعاء وطلب الدعاء من أحد بيد الله. حين يفيض القلب حرقا للدعاء ويشق جميع الحجب، فليفهم عندئذ أن الدعاء قد قُبل. هذا هو الاسم الأعظم ولا شيء مستحيل أمامه. حين تنتهي هذه الأسباب للدعاء للخبيث يتحول حتما إلى صالح، وبدون الدعاء لا يقدر على الثبات على التوبة أیضاً. لا يسع المريض والمحجوب إرشاد نفسه. ما يحدث بحسب سنة الله أن الأدعية حين تبلغ منتهاها تنزل على القلب شعلة النور التي تحرق كل نوع من خبث صاحبها وتزيل الظلام، وتخلق فيه نورا. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣م، ص ٥-٦)

كل العضلات تُحل بالدعاء. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣م، ص ٣) إن صدق الإسلام وحقيقته مخفي تحت الدعاء وحده، لأنه لولا الدعاء فلا فائدة من الصلاة ولا جدوى من الزكاة بل تصبح الأعمال كلها لغوا، والعياذ بالله. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٣م، ص ٣)

الباب الذي فتحه الله ﷻ لصالح خلقه وحيد أي الدعاء. فحين يدخل أحد من هذا الباب باكيًا متضرعًا فذلك المولى الكريم يلبسه رداء الطهارة والطيبة، ويورد عليه غلبة عظمته بحيث يهرب أميالا من الأمور غير اللائقة والتصرفات الباطلة. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ١٤)

الطريق الأقرب للحصول على الفضل هو الدعاء. ومن شروط الدعاء أن يكون فياضا بركة واضطراب وحرقة وانكسار القلب، فهذا الدعاء يجذب فضل الله ويوصل المرء إلى الغاية المنشودة بعد القبول، لكن المشكلة أن ذلك أيضا لا يتحقق إلا بالفضل من الله فحسب. وعلاجه أن يداوم على الدعاء وأن لا يمل ولا يسأم مهما فقد التركيز والمتعة، بل يجب أن يستمر في ذلك بالتكلف والتصنع، فلتتوفيق للدعاء الحقيقي أيضا ثمة حاجة للدعاء. كثيرون يدعون ويملّون ويقولون لا يتحقق شيء. إنما أنصحكم أن البركة تكمن في التواضع فقط لأن الجوهر المقصود يصدر منه فقط، ويأتي يوم يتفق فيه قلبه مع قوله (١) وتنشأ تلقائيا الرقة والتواضع المطلوب للدعاء. فالذي يستيقظ ليلا فمهما كان يعاني من فقدان التركيز والصبر لو داوم على الدعاء حتى في هذه الحالة قائلا يا إلهي إن قلبي تحت سيطرتك وتصرفك فطهره، وأراد البسط من الله في عين حالة القبض فسوف ينبثق البسط من القبض وتنشأ الرقة، وهذا هو الوقت الذي يسمى ساعة القبول، وسيرى أن الروح تسيل على عتبات الله كالماء وكأن قطرة تنحدر من فوق إلى تحت. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣م، ص ٣)

الدعاء أمر يسهّل كل صعوبة، فبالدعاء يسهل أصعب الأمور وأعقدها. الناس لا يعرفون أهمية الدعاء وقيمتها لذا يملّون عاجلا، ويتركون العزم. مع أن الدعاء يتطلب صبرا ودواما. فحين يداوم المرء بكامل الهمة يخلصه الله من آلاف الأخلاق السيئة دع عنك خلقا سيئا واحدا، ويجعله مؤمنا كاملا. لكن ذلك مشروط بالإخلاص والمجاهدة التي تيسر هي الأخرى بالدعاء. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٣، عدد ٢٤/٤/١٩٠٤م، ص ٤)

يجب على الإنسان أن يستقبح هذه الحياة ويسعى للانسلاخ منها، ويدعو أيضا. لأنه حين يؤدي حق التدبير ويوظف الأدعية الصادقة يخلصه الله أخيرا، ويخرج من حياة الذنوب. لأن الدعاء أيضا ليس أمرا بسيطا، بل هو نوع من الموت، وحين يقبل المرء هذا الموت فإن الله ينجيه من حياة الجرائم التي تؤدي إلى الموت، ويهب له حياة طيبة.

ما الدعاء وما أسلوبه

كثيرون يعدون الدعاء أمرا بسيطا هينا، لكن تذكروا أن الدعاء ليس منحصرًا في أن يجلس الإنسان رافعا يديه بعد الصلاة، وينطق كعادة ما جرى على لسانه، فهذا الدعاء لا يجدي شيئا، لأنه يماثل الورد تماما، إذ لا يشاركه القلب ولا يقتزن به إيمان المرء بقدرات الله وقواه.

اعلموا أن الدعاء موت، فكما ينشأ الاضطراب والقلق عند الموت، مثل ذلك يتحتم أن ينشأ الجيشان والاضطراب نفسه في الدعاء أيضا، لذا لا يتأتى الأمر ما لم ينشأ الاضطراب الكامل والحرقة في الدعاء. فعلى المرء أن يستيقظ ليلا ويعرض مشاكله على الله بمنتهى الضراعة والبكاء والابتهاال، ويوصل الدعاء إلى درجة يطرأ بها نوع من الموت، عندها يصل الدعاء درجة القبول.

تذكروا أيضا أن الدعاء الأول والأهم أن يدعو الإنسان ليظهره الله من الذنوب، إن أساس كل الأدعية وجزءا منها هذا الدعاء حصرا، لأنه إذا أُجيب هذا الدعاء وتطهر الإنسان من كل أنواع الخبائث والأدران، وصار مطهرا في نظر الله، فلا يبقى بحاجة إلى سائر الأدعية لسد احتياجاته اليومية بل تجاب من تلقاء نفسها بانتظام. فالدعاء الذي يتطلب مشقة وجهدا مضنيا هو حصرا أن يتخلص من الذنوب ويُعَدَّ متقيا وصالحا في نظر الله، أي يجب إزالة الحُجُب الأولية عن قلب الإنسان، فإذا زالت فلن يحتاج لبذل جهد ومشقة لإزالة الحجب الأخرى. لأن فضل الله تعالى يحالفه فتغادره آلاف المفاسد تلقائيا، وحين تنشأ الطهارة في داخل الإنسان وتنشأ

له العلاقة الصادقة بالله تعالى، يتولاه الله ويتكفله، ويسد حاجته بنفسه قبل أن يعرضها عليه عليه السلام. هذا سر لطيف لا ينكشف إلا عند بلوغ المرء هذه الدرجة، وقبل ذلك يستحيل عليه حتى إدراكه، لكن ذلك مجاهدة عظيمة. لأن الدعاء أيضا يتطلب مجاهدة، فالذي لا يبالي بالدعاء ويتغافل ويعرض عنه، فلا يعبأ الله به، ويتعد عنه. فالاستعجال والتسرع لا يفيد هنا، بل يهب الله بفضله ورحمته ما يشاء، ومتى أراد. ينبغي ألا يشتكي السائل على أنه لم يعط له فورا ما طلب، وألا يسيء الظن بالله، بل عليه أن يستمر في السؤال والطلب. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٣، عدد ٢٤/٤/١٩٠٤م، ص ٥-٦)

الحق أن تأثير القبول لا ينشأ في الدعاء إلا عند بلوغه أقصى درجة الاضطرار، وحين يتحقق الاضطرار المتناهي عندها تخلق من الله آثار قبوله وأسبابه. فالأسباب تُخلق أولا في السماء وبعدها يظهر تأثيرها في الأرض، هذا الأمر ليس هينا بل هو حقيقة عظيمة. بل الحق أن الذي يريد رؤية تجلٍ إلهي، عليه أن يدعو. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٣، عدد ٢٤/٤/١٩٠٤م، ص ٦)

لو كان الدعاء في وسع الإنسان وكان قادرا على الدعاء برغبته، لأنجز ما أراد. لذا لا نستطيع القول إن الدعاء بحق فلان من الأصدقاء أو الأقارب سيسمع حتما. بعض الأحيان لا يرغب المرء في الدعاء مع إحساسه بالدعاء بشدة، ويقسو قلبه. فلما كان الناس لا يطلعون على هذا السر، يضلون. هنا تنشأ الشبهة أن حديث "جف القلم" (أي مسألة القدر كما فهمت) إذن صحيح! لكن جواب ذلك أن كل شيء في علم الله حتما، لكن ذلك لا يستلزم أن الله ليس قادرا على أن ينجز عملا معين حتما. إذا كان هؤلاء يؤمنون بأنه قد حدث ما كان سيحدث وأن جهدنا وسعينا عديم الجدوى، فلماذا يلجأون إلى العلاج عند إصابتهم بالصداع، ولماذا يشربون الماء البارد عند العطش؟ فالأصل أنه يترتب بعض النتائج على جهد الإنسان أيضا.

الدعاء أمر رائع. فإذا وُفق له الإنسان يكون سببا للمغفرة، وبواسطته تنزل رحمة الله، فدون الدعاء يصيب الصدا القلب أولا، ثم تحدث قسوة، ثم ابتعاد عن الله ثم العدا، وكل ذلك يؤدي إلى سلب الإيمان. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

الذي ينكر الدعاء فهو ينكر الله تعالى. الدعاء هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤م، ص ٤)

إن مثل الدعاء كمثّل نبع الماء المعين الذي يجلس المؤمن عنده، فهو يستطيع أن يروي نفسه متى يريد، فكما لا يستطيع السمك العيش خارج الماء كذلك الدعاء بمنزلة الماء للمؤمن ولا يستطيع العيش دونه. وإن أفضل محل للدعاء هو الصلاة، إذ يتمتع فيها المؤمن بالسعادة والسرور الذي لا تساويه قمة اللذة والمتعة التي يمكن أن ينالها المنغمس في الملذات والفواحش.

إن أفضل ما يناله الإنسان بالدعاء هو قرب الله تعالى، فبالدعاء يتقرب المرء إلى الله ويجذبه إليه، فحين يتحقق الإخلاص التام والانقطاع الكامل في دعاء المؤمن، يرحمه الله تعالى ويتولاه. فلو تأمل المرء في حياته لوجد لها مريّة تماما. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٩-٢٠، عدد ١٠-١٧/٦/١٩٠٤م، ص ٦)

المراد الحقيقي من الإسلام هو أن يجعل الإنسان مشيئته تابعة لمشيئة الله. ولكن الحق أن المرء لا يحوز هذا المقام بقوته، إلا أنه مما لا شك فيه أن من واجبه أن يقوم بالمجاهدات، ولكن الوسيلة الحقة والصادقة للحصول على هذا المقام هو الدعاء. الإنسان ضعيف لا يستطيع أن يجتاز هذه المرحلة الصعبة ما لم يجد القوة والتأييد بالدعاء. لقد قال الله تعالى بنفسه عن ضعف الإنسان: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٩). إن ادّعاء المرء - مع هذا الضعف والهوان - الحصول على هذه الدرجة العليا والمقام الرفيع بقوته فقط لفكرة باطلة ولاغية تماما، بل هناك حاجة ماسة إلى الدعاء لنيل هذا المرام. الدعاء قوة عظيمة وبواسطته تهون كبرى الصعاب

ويمكن الإنسان من عبور منازل صعبة بكل سهولة ويسر لأن الدعاء يجذب الفيض والقوة التي تأتي من الله تعالى. الذي يُكثر من الدعاء باستمرار يجذب ذلك الفيض في نهاية المطاف ويحقق أهدافه مؤيداً من الله. ولكن الله تعالى لا يرضى بالدعاء وحده، بل على المرء أن يستنفذ أولاً جلّ مساعيه ومجاهداته، ويسعى جهد المستطيع، وإلى جانب ذلك يقوم بالدعاء. فليستخدم الأسباب، لأن عدم استخدام الأسباب والعكوف على الدعاء وحده جهلٌ بآداب الدعاء وهو امتحان الله. والسقوط على الأسباب وحدها وعدُّ الدعاء لا شيء إلحاذ. اعلموا يقينا أن الدعاء ثروة عظيمة. والذي لا يترك الدعاء لن تحل بدنيه وبدنياه آفة، لأنه متحصّن في حصن يحرسه الجنود المدججون بالأسلحة. أما الغافل عن الدعاء فمَثَلُهُ كَمَن هو أعزل وضعيف أيضاً ويعيش في فلاة عامرة بالسباع الضواري والدواب المؤذية، فعليه أن يدرك أن حياته تحت طائلة التهديد، وسيصير صيدا للكواسر في ملح البصر، ولن يسلم له عظم ولا لحم. يجب أن تتذكروا أن السعادة العظمى للإنسان والسبيل الحقيقي لحمايته هو الدعاء وحده. الدعاء هو الملاذ له إن استمر فيه كل حين وأن. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٢٤٤/٩/١٩٠٤م، ص ٤)

الوسيلة الثانية التي علّمها الله ﷻ للحصول على الطهارة الحقيقية والعاقبة الحسنة، هي الدعاء. فأكثرُوا من الدعاء قدر الإمكان، لأن هذا الطريق مجرّب والأكثر نفعاً، لأن الله تعالى قد وعد بنفسه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء شيء يجب على المسلمين أن يعتزوا به على غيرهم. الأقوام الأخرى لا تقدّر الدعاء أبداً ولا يستطيع أهلها أن يفتخروا على هذا الطريق الطيب، بل هذا الشرف والاعتزاز خاص بالإسلام فقط، والأديان الأخرى كلها محرومة منه كلياً. (الخطابات، ص ٧، خطاب حضرته عليه السلام بمناسبة الجلسة السنوية ١٢/٢٩/١٩٠٤م، الطبعة الأولى)

الدعاء شرف خاص بالإسلام، والمسلمون يعتزون به كثيراً. وليكن معلوماً أن الدعاء لا يعني الشرثرة باللسان فقط؛ بل المراد منه أن يمتلئ القلب بخشية الله، وتخر

روح الداعي على عتباته وتسيل كالماء وتلتمس من الله القوي المقتدر قوةً ومغفرةً وقدرةً للتغلب على ضعفها وزلاتها. يمكن بكلمات أخرى التعبير عن هذه الحالة بالموت. مَنْ تيسرت له هذه الحالة فاعلموا أن باب الإجابة يُفتح له ويوهب قوةً وفضلاً واستقامة خاصة لاجتناب السيئات والثبوت على الحسنات. هذه هي الوسيلة الأقوى.

لكن المشكلة العويصة هي أن الناس يجهلون حقيقة الدعاء تماماً فينكره كثير منهم في الزمن الراهن لأنهم لا يلاحظون تأثيره. هناك سبب آخر أيضاً لإنكارهم وهو قولهم بأنه لا بد من حدوث ما هو مقدّر فما الحاجة إلى الدعاء؟ ولكني أعرف جيداً أنه عذر واه فقط. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٢، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٥م، ص ٣)

مادموا لم يجربوا الدعاء وليسوا مطلّعين على تأثيراته لذا يقولون ذلك، وإلا لو كانوا متوكّلين فعلاً فلماذا يعالجون أنفسهم عندما يمرضون؟ إنهم يركضون إلى الأطباء عندما يصابون بأمراض خطيرة.... فما دام التأثير موجوداً في الأشياء الأخرى فما السبب لعدم وجودها في العالم الباطني؟ والدعاء شيء عظيم من بينها. (الحكم، المجلد ٩، رقم ٢، عدد: ١٧/١/١٩٠٥م، ص ٢)

يجب ألا يملّ الإنسان عند الدعاء ولا يقلق يجب ألا يملّ الإنسان ولا يقلق عند الدعاء ولا يتوقف عنه ما لم يُبد الدعاء تأثيره التام. والذين يتعبون ويقلقون مخطئون لأن هذه علامة الحرمان. الدعاء شيء ممتاز بحسب رأيي. وأقول بناءً على تجربتي الشخصية إن هذا ليس بأمر خيالي. المشكلة التي لا تنحل بأي طريقة يسهّلها الله تعالى بالدعاء. الحق والحق أقول إن في الدعاء تأثيراً عظيماً. بالدعاء تُشفى الأمراض وبه تزول مصائب الدنيا ومصاعبها وهو يجنّب الإنسان من مكاييد الأعداء. ما الذي لا يُنال بالدعاء؟ فوق كل ذلك إنه يطهر الإنسان ويهبه إيماناً حياً بالله تعالى وينجّي من الذنب، وبركته يثابر الإنسان على الحسنات. ما أسعد الذي يؤمن بالدعاء، لأنه يرى قدرات الله العجيبة ويؤمن بعد رؤية الله أنه إله قادر وكريم!

لقد علّم الله ﷻ في مستهل القرآن الكريم دعاء يتبين منه أنه أمر عظيم ومهمّ جدا ولا يتم شيء بدونه. هناك حاجة كبيرة للدعاء لظهور تجليات الله تعالى ورحمته، فواظبوا عليه دائما ولا تتوانوا أبدا. باختصار، الجانب الثاني لإصلاح النفس والعاقبة الحسنة والتوفيق لكسب الحسنات هو الدعاء. فبقدر ما يتوكل المرء على الله تعالى ويوقن به ويخطو في هذا السبيل ولا يتعب ينال نتائج وثمرات طيبة وتزول المشاكل ويبلغ الداعي مبلغا أعلى من التقوى بالقدر نفسه. صحيح تماما أنه لا يمكن لأحد أن يتطهر ما لم يطهره الله ﷻ. لا يرد الموت على الأهواء النفسانية إلا بفضل الله تعالى والعزيمة النافذة. هذا الفضل والعزيمة يتولد بالدعاء، وهذه القوة تُنال بالدعاء فقط. أكرر وأقول بأنه يجب على المسلمين ولا سيما على جماعتنا ألا يستخفوا بالدعاء قط، لأن الدعاء هو الشيء الذي يجب أن يعتز به المسلمون، أما الأديان الأخرى فأمامها أحجار قدرة في هذا السبيل فلا يستطيعون أن يتوجّهوا إليه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٥م، ص ٢-٣)

الأمراض التي يعدها الأطباء مستعصية العلاج يمكن علاجها أيضا بالدعاء. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ٢٠/٤/١٩٠٥م، ص ٢)

إن حقيقة الدعاء هي التي بواسطتها تتقوى العلاقة بين الله والإنسان. وهذا الدعاء يكون سببا للحصول على قرب الله تعالى وينهى الإنسان عن المنكرات. الأصل هو أن ينال الإنسان رضا الله تعالى ثم ليدعُ لحاجاته الدنيوية أيضا، وذلك لأن المشاكل الدنيوية أيضا تحول دون الأمور الدينية، وتكون حجر عثرة خاصة في زمن عدم النضج. إن كلمة الصلاة تدل على الحرقه، فكما تنتج الحرقه من النار فعلى المنوال نفسه يجب أن تكون الحرقه في الصلاة. عندما يصل المرء فيها إلى حالة تشبه الموت عندها تسمى "الصلاة". (بدر، المجلد ١، رقم ٨، عدد: ٢٥/٥/١٩٠٥م، ص ٤)

الأسلوب الحقيقي لمعرفة الله تعالى هو الدعاء. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٥م، ص ٩)

إن مذهبي في موضوع شفاء الأمراض بالدعاء هو أنني لا أستطيع أن أبوح بكل ما هو في قلبي. الطبيب يتوقف عند مرحلة معينة ويقنط، ولكن الله يفتح السبيل بعد ذلك بالدعاء. المراد من معرفة الله والتوكل عليه أن ينشأ الأمل بعد حدود حدّدها الناس، وإلا لمات الإنسان وهو حيّ. من هنا تبدأ معرفة الله.... عندما ييأس عامة الناس يبدأ الله تعالى بالتصرفات في الخفاء ويستوي الأمر. تأتي الرسائل من عدة أشخاص يطلبون فيها الدعاء، وكل من يطلبه أدعو له، ولكن كثير منهم يجهلون فلسفة الدعاء ولا يدرون كم من التركيز والسعي يقتضيه الدعاء لإصابة الهدف. الحق أن مثل الدعاء كمثال اختيار المرء نوعاً من الموت لنفسه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٥م، ص ١٠)

هناك تأثير روحاني في الدعاء والتركيز لا يفهمه ذوو النظرة المادية قط. في سنة الله كنز أدقّ الأسباب ويعمل عمله بعد الدعاء.... عندما يعجز أناس هذا العالم عن إصلاحه نظراً إلى كثرة الفتن والفساد يُعطي الله عباده الخواص قوًى، فتستوي الأمور كلها نتيجة تركيزهم لدرجة أن تطول الأعمار نتيجة الدعاء. (بدر، مجلد ١، رقم ١٧، عدد ٢٧/٧/١٩٠٥م، ص ٢)

فليكن واضحاً أن استجابة الدعاء في الحقيقة فرع لقضية الدعاء. ومن المسلم به أن الذي لا يفهم الأصل يواجه تعقيدات في فهم الفرع ويخطئ في كل خطوة.... إن ماهية الدعاء هي أن هناك علاقة تجاذب بين العبد السعيد وربّه، بمعنى أن رحمانية الله تعالى تجذب العبد إليها أولاً ثم يتقرّب الله تعالى إلى العبد نتيجة مساعٍ صادقة من العبد. وفي حالة الدعاء تبلغ تلك العلاقة مبلغاً خاصاً وتُظهر خواصّها العجيبة. فحينما يخضع العبد لله تعالى باليقين الكامل والأمل الكامل والحب الكامل والإخلاص الكامل والعزيمة الكاملة، بعدما كان في مواجهة مصيبة شديدة، ويتيقّظ

إلى أقصى الحدود ويتقدم في مجالات الفناء مَرَقًا حُجْب الغفلة فإذا به أمام عتبات الله الذي لا شريك له. عندها تضع روحه رأسها على عتباته وَجَّكَ وقوةُ الجذب المودعة فيه تجذب ألطاف الله تعالى. عندها يتوجه الله وَجَّكَ إلى إتمام ذلك الأمر ويلقي بتأثير الدعاء على الأسباب المبدئية التي تؤدي إلى خلق أسباب ضرورية أخرى لنيل ذلك المطلوب. فمثلا إذا دعا لنزول المطر نشأت بتأثير الدعاء بعد استجابته أسباب طبيعية ضرورية لنزول المطر، وإذا كان الدعاء على قوم لحلول القحط بهم خلق الله القادر على كل شيء أسبابا معادية لذلك القوم. لذا فقد ثبت عند أهل الكشف والكمال من خلال تجارب عظيمة أن قوة التكوين تُودع في دعاء الإنسان الكامل، أي يتصرف دعاؤه في العالم العلوي والعالم السفلي بإذنه تعالى، ويجذب العناصر والأجرام الفلكية وقلوب الناس إلى ما يؤيد المطلوب. ونظائره في كتب الله تعالى المقدسة ليست قليلة. بل الحق أن حقيقة بعض أنواع الإعجاز ليست إلا استجابةً للدعاء في الحقيقة. وآلاف المعجزات التي ظهرت على أيدي الأنبياء أو الكرامات العجيبة التي أظهرها أولياء الله منذ القدم كان مصدرها الحقيقي هو الدعاء وحده. إن أنواع الخوارق التي تُرى تجليات قدرة الله القادر على كل شيء تكون نتيجة تأثير الدعاء في معظم الأحيان. الحادث العجيب الذي جرى في بركة العرب؛ حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات، وتحلّى بالصبغة الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مرّ الأجيال، وأصبح العُمي يبصرون، والبكم بالمعارف الإلهية ينطقون، وحدث في العالم دفعة واحدة انقلاب لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط، أتعرفون كيف حدث ذلك؟ إن هو إلا نتيجة تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة عبدٌ متفانٍ في الله، هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي ضعيف الحيلة. اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله بعدد همه وغمه وحُزنه لهذه الأمة، وأنزل عليه أنوار رحمتك إلى الأبد.

لقد وجدتُ من خلال تجربتي الشخصية أن تأثير الدعاء أنفذ من تأثير الماء والنار، بل ليس في سلسلة الأسباب الطبيعية شيء ذو تأثير عظيم مثل الدعاء. ولو أثّرت شبهة أن بعض الأدعية تذهب سدىً ولا يُعرف لها أيّ تأثير لقلتُ: هذا الوضع تماماً ينطبق على الأدوية أيضاً، فهل أوصدت الأدوية باب الموت؟ أو هل يستحيل أن تخطئ الأدوية الهدف؟ ومع ذلك هل لأحد أن ينكر تأثيرها؟ صحيح تماماً أن القدر محيطٌ بكل شيء، ولكن القدر لم يُبطل العلوم ولم يستخفّ بها، ولم يعدّ الأسباب شيئاً عبثياً. بل لو تأملتم في الموضوع لوجدتم أن الأسباب المادية والروحانية أيضاً لا تخرج عن نطاق القدر. فمثلاً لو قُدِّر الخير لمرضى لتيسّرت له أسباب العلاج كلها ويكون الجسم أيضاً مستعداً للانتفاع بها. عندها يؤثر الدواء كما يصيب السهم الهدف. هذا هو القانون في الدعاء أيضاً، بمعنى أن جميع الأسباب والشروط لاستجابة الدعاء لا تجتمع إلا إذا كانت الاستجابة من مقتضى مشيئة الله. لقد ربط الله تعالى نظامه المادي والروحاني بسلسلة واحدة من المؤثرات والمتأثرات. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٩-١٢).

التضرع وحده لا يكفي في الدعاء بل لا بد من التقوى والطهارة وصدق المقال واليقين الكامل والحب الكامل والتركيز الكامل، وكذلك أن لا يتنافى مع حكمة الله ما يدعو به الإنسان لنفسه أو الذي يُدعى به له من حيث الدين والدنيا، فقد تجتمع في معظم الأحيان في الدعاء الشروط الأخرى كلها ولكن المطلوب يكون منافياً لمصلحة الطالب عند الله بحسب حكمته تعالى ولا خير في تحقيق مطلبه؛ فمثلاً لو أن ولداً عزيزاً جداً على أمه طلب منها بإلحاح شديد وبكاء مرير أن تعطيه جذوة من النار أو حيةً، أو تُطعمه سمّاً يبدو جميل المنظر في الظاهر فلن تحقق الأم مطلب الولد قط، ولو فعلتْ ثم نجا الولد بحياته صدفة ولكن عطب عضوٌ من أعضائه لشكا بشدة حتماً أمّه الساذجة بعد بلوغه الرشد. وإلى جانب ذلك هناك

شروط أخرى كثيرة إن لم تجتمع كلها لما أمكن عدُّ الدعاءِ دعاءً أصلاً، وما لم تصحب الدعاء روحانية كاملة، وما لم تكن هناك علاقة قربي بين الداعي وطالب الدعاء لكان أمل التأثير في الدعاء وهما بحتا. وما لم تكن استجابة الدعاء في مشيئة الله ﷻ لا تجتمع فيه هذه الشروط وتبقى الهمم قاصرة عن التركيز على المطلوب. (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٣-١٤)

إن رفض استجابة الدعاء كلياً يتنافى مع التجارب الصحيحة والعقل والنقل. صحيح أن استجابة الأدعية تقتضي حالة روحانية يخلع الإنسان فيها لباس الأهواء النفسانية والميل إلى غير الله ليصبح روحاً حقيقة فيصل إلى الله. إن هذا الإنسان يكون مُظهر العجائب، وتتحد أمواج حبه مع أمواج حب الله تعالى كما تتدفق المياه النقية من ينبوعين متقاربين ثم تسيل مختلطةً ببعضها، إن هذا الشخص يكون بمنزلة مرآة لرؤية وجه الله تعالى، ومن خلال عجائب أعماله تتأتى معرفة الله تعالى الذي هو غيب الغيب، وتُستجاب أدعيته بكثرة وكأنه يُري الدنيا الإله الخفي. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٦٩-٤٧٠)

أما أنت فإذا قمتَ للدعاء فعليك أن توقن بأن إلهك قادر على كل شيء، وعندها سيستجاب دعاؤك، وستشاهد عجائب قدرته التي قد شاهدناها، وإنَّ شهادتنا لشهادة رؤية لا من قبيل القصص، وأنتَ لإنسان لا يؤمن بأن الله قادر على كل شيء أن يستجاب دعاؤه؟! بل كيف يتحمس هو للدعاء عند حلول الشدائد العظمى التي يؤمن أن زوالها مخالف لنواميس الطبيعة؟! (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢١)

من الحقائق الثابتة اليقينية أن الله تعالى يجب أدعية عباده ويشرفها بالقبول، لكنه لا يقبل كل رطب ويابس منها، لأن الإنسان لا يبرح يدعو الله تعالى من فرط حماسه بغض النظر إلى العواقب، ولكن الله الناصح الحقيقي والعالم بالعواقب، يرفض دعاءه نظراً إلى ما في قبوله من مضار وعواقب وخيمة، ورفضه لدعائه هو بمنزلة قبوله له.

فالله تعالى يستجيب دعاء العبد ما دام قبوله سيحفظه من الآفات والصدمات، أما دعاؤه الذي فيه ضرر فيقبله الله تعالى برفضه له. ... غير أنه لا بد من أن يجعلوا نصب أعينهم دائماً أن هناك شروطاً لاستجابة الدعاء، منها ما يتعلق بالداعي، ومنها ما يتعلق بطالب الدعاء من الداعي. فأما طالب الدعاء فعليه أن تستولي عليه تقوى الله وخشيته ويخاف استغناؤه تعالى كل حين، ويتخذ التصالح وعبادة الله شعاراً له، ويُرْضي الله بالتقوى والصدق، ولو فعل ذلك لفتح له باب استجابة الدعاء. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٣٢)

الحق والحق أقول إن الذي لا يقوم بالأعمال فهو لا يدعو الله تعالى بل يختبره، لذا فلا بد للمرء من بذل جميع القوى والقدرات قبل الدعاء، وهذا هو مفهوم هذا الدعاء القرآني. فلزاماً على المرء أن يفحص معتقده وأعماله قبل الدعاء، لأن من السنة الإلهية أن الإصلاح يتم بالأسباب، حيث يخلق الله تعالى سبباً ما يتم به الإصلاح. والذين يقولون ما الحاجة إلى الأسباب مع الدعاء، عليهم أن يتوقفوا هنا على وجه الخصوص وقفَةً تأملية. يجب أن يفكر هؤلاء الأغبياء أن الدعاء بحد ذاته سببٌ خفيٌّ يؤدي إلى أسباب أخرى. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٥)

يطلب بعض الناس مني الدعاء، لكنهم للأسف الشديد لا يعرفون آداب طلب الدعاء... فما لم ينشئ طالب الدعاء في نفسه القابلية ولم يتعود على الاتّباع والطاعة لن يجديه الدعاء نفعاً. إذا كان المريض لا يرى ضرورة العمل بأمر الطبيب فمن المحال أن يستفيد منه شيئاً. فكما أن المريض لا بد له من العمل بنصح الطبيب باستقامة وصبر لكي يستفيد منه، كذلك تماماً هناك آداب وأساليب لطلب الدعاء أيضاً.

ورد في "تذكرة الأولياء" أن شخصاً طلب الدعاء من أحد الصالحين، فطلب منه الرجل الصالح أن يأتيه بالأرز والحليب. فاندesh السائل، لكنه ذهب وجاء

بهما، فدعا له الرجل الصالح وتحقق مراد الطالب. عندها أخبره الرجل الصالح وقال: إنما فعلته من أجل إنشاء علاقة خاصة بيني وبينك.

كما ورد في تذكرة باوا فريد المحترم أن شخصا فقد مستندا هاما له، فجاء إلى باوا فريد طالبا الدعاء، فقال له أطعمني الحلوى أولاً. فذهب الرجل لشراء الحلوى، فوجد مستنده الهام بين الأوراق في محل الحلواني.

إنما قصدي من ذكر هذه الأمور أن الدعاء لا يكون ذا تأثير ما لم يكن بين طالب الدعاء والداعي علاقة خاصة. فما لم تتولد في الداعي حالة الاضطراب، وما لم يصبح قلق الطالب قلق الداعي نفسه، لا يجديه دعاؤه شيئا. فالمشكلة التي تواجه الناس أنهم يجهلون آداب طلب الدعاء، وحينما لا يرون فائدة واضحة للدعاء يسيئون بالله الظنون، فيجعلون حالهم يُرثى لها.

وأقول أخيرا: سواء أدعوتكم بأنفسكم، أو طلبتم الدعاء من أحد، فلا بد لكم من أن تتحلوا بالطهارة والصفاء، وتطلبوا الاستقامة، وتخروا أمام الله تائبين. فهذه هي الاستقامة، وعندها ستحظون باستجابة الدعاء والحلاوة في الصلاة. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾. (خطبته عليه السلام ورسالة في مسألة وحدة الوجود، ص ٢٠-٢١، الطبعة الرابعة، أغسطس ١٩٢٤م)

لقد جاء في الحديث أن الدعاء قبل الأوان يجاب، ثم يمكن أن يرجع الجميع ويدعوا عند مواجهة الخوف والخطر، والسعيد من يدعو في حالة الأمن. (كتيب الإنذار، ص ١٦، طبعة كانون الأول عام ١٩٣٦م)

إذا تلقى الإنسان الجواب سريعا بعد الدعاء فلا يكون جيدا عادة، بل التأخير يكون سببا للنجاح. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٢٠، عدد ١٨٩٩/٦/٩م، ص ١)

إن نزول الوحي يزيد المرء شوقاً وحباً، ولكن في الفراق والهجران أيضا جذب يوصل الإنسان إلى مراتب عالية من الحب، وقد جعله الله أيضا وسيلة لقربه، إذ يزيد الفراق الإنسان قلما وكربا، ويلهب في روحه اضطرابا والتياغا، فينفخ فيه روح الدعاء، فتفرّ

روحه إلى عتبة الله بمنتهى الحماس والشوق والحب قائلة: يا رب، يا رب. وكما أن الرضيع إذا ما فُصل عن ثدي أمه قليلا لم يتمالك نفسه وفرَّ إليها صارخا، كذلك تفرَّ روح العبد إلى الله تعالى وهي مضطربة اضطرابَ الطفل بل أشدَّ منه بكثير، ويوجد في هذا الفرار والسعي والكرب واللهفة من المتعة والسرور ما يستحيل وصفه. اعلموا أنه كلما اشتدت روح العبد قلقًا واضطرابًا لله تعالى، وُقق للدعاء ونُفخت في أذنيه روح القبول. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢١، عدد ١٠/٦/١٩٠١م، ص ٤)

هناك أربعة شروط لاستجابة الدعاء، وعند استيفائها يحظى دعاء المرء بحق الآخر بالقبول.

الشرط الأول هو التقوى، أي يجب أن يكون من يُطلب منه الدعاء متقيا.... والشرط الثاني لقبول الدعاء أن يكون في قلب الداعي ألم ولوعة من أجل المدعو له، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٣). والشرط الثالث أن يتيسر للدعاء وقت صافٍ ملائم للدعاء بحيث لا يحول فيه بين العبد وربّه حائل....

والشرط الرابع لاستجابة الدعاء أن يتمّ الدعاء لمدة كافية إلى أن يخبره الله تعالى بالرؤيا أو الوحي. على المحب المخلص ألا يتسرع ولا يستعجل، إنما عليه الانتظار بصبر. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٢، عدد ٣١/٨/١٩٠١م، ص ١٣-١٤)

الدعاء كيفية تهب السرور لدرجة أتأسف حين لا أجد كلمات لأشرح للعالم هذه اللذة والسرور. الحق أنه لا يمكن الاطلاع عليه إلا بالشعور فقط. باختصار، إن أهم وأول مستلزمات الدعاء أن يكسب المرء أعمالا صالحة وأن يكون اعتقاده راسخا لأن الذي لا يصحح اعتقاده ولا يقوم بأعمال صالحة ويكتفي بالدعاء فحسب فكأنه يمتحن الله تعالى. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٣، عدد ١٠/٩/١٩٠١م، ص ١-٢)

على المرء أن يبحث للدعاء عن كلمات تهيج فيه الرقة. لا ينبغي له أن يقرأ الأدعية المسنونة فقط كشعوذة من دون أن يفهم معانيها وحقيقتها. لا بد من

اتباع السُّنة، ولكن تحريّ الرقة أيضا من اتباع السُّنة. فادعوا الله تعالى بلغتكم التي تفهمونها جيدا، حتى ينشأ الحماس في الدعاء. المتمسك بظاهر الكلمات فقط يصبح مخذولا، لذا على الإنسان أن يكون متحريرا للمعنى والحقيقة. يجب قراءة الأدعية المسنونة أيضا تيمُّنا وتبرُّكا، ولكن عليكم تحريّ الحقيقة. أما الذي هو ملِّم بالعربية ويفهمها فليقرأ الأدعية بالعربية. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٣، عدد ١٠/٩/١٩٠١م، ص ٩)

هناك أصول ومبادئ للدعاء، وقد بينت مرارا أن الله تعالى ينفذ مشيئته حيناً، وحيناً آخر يهب للمؤمن ما يسأله. ثم إننا لا علم لنا بكل شيء، ولا نعرف عواقب ما نسأله، فنسأل الله تعالى أحيانا ما هو شر لنا، وإنه تعالى يستجيب لأدعيتنا حتماً، ولكنه يعطينا ما هو نافع لنا. وعلى سبيل المثال، لو سأل الفلاح من الملك فرساً أصيلاً، فأتاه الملك ثورا قويا بالنظر إلى حاجته الحقيقية، فلا شك أن الثور يكون هو الأنفع له. أو خذوا الأم مثلاً، فإنها تحقق كل رغبة لوليدها، ولكنه لو أراد أن يمسك الأفعى أو قبسا من النار، فمتى تسمح له بذلك؟ فعلى الإنسان ألا ييأس من رحمة الله أبداً، وأن يزداد في التقوى والإيمان. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤١، عدد ١٠/١١/١٩٠١م، ص ٢)

لا يفيد الدعاء إلا إذا ذاب القلب أمام الله تعالى ولا يجد المرء مفراً إلا إلى الله. والذي يفر إلى الله ويبحث عن الأمن باضطراب يُنقذ في نهاية المطاف. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ١٩٠٢/٣/٣١م، ص ٦)

كونوا كالذين لا يبقى عليهم حق للمخلوق ولا لله. اعلّموا أن من يغضب حق المخلوق لا يُجاب دعاؤه لأنه ظالم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٣، عدد ١٩٠٢/٦/٢٤م، ص ٤)

إن الله يرحم من يخاف في حالة الأمن كما يخاف عند حلول المصيبة. من لا ينسى الله في الأمن لا ينساه الله في المصيبة. أما الذي يقضي زمن الأمن في الملذات

ثم يدعو الله وقت المصائب فلا تجاب أدعيته. عندما ينزل عذاب الله يُغلق باب التوبة. فما أسعد الذي يعكف على الدعاء قبل نزول عذاب الله ويتصدق ويعظم أمر الله ويشفق على خلقه ويحسن اكتساب أعماله. هذه هي أمارات السعادة. الشجرة تُعرف بثمارها كذلك تسهل معرفة السعيد والشقي أيضا. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨ - ١٢/٥ - ١٩٠٢/٢، ص ٣٨)

من سعادة المسلمين العظمى أن إلههم سميع الدعاء. يحدث أحيانا أن طالبا يدعو برقة وألم متناهيين ولكن نتائج أدعيته تتأخر وتتوقف. ما السر في ذلك؟ في ذلك نقطة جديرة بالتذكر أن هناك تدريجا في الأمور كلها في العالم. انظروا مثلاً كم من مراحل ومدارج يجتازها الطفل قبل أن يصبح رجلاً سوياً؟ وكم وقتاً تستغرق البذرة لتُصبح دوحه؟ كذلك إن أمور الله تعالى أيضاً تُنفَّذ بالتدريج. وثانياً: حكمة الله في هذا التأخير هي تقوية عزيمة الإنسان وهمة ليكون منيعاً وراسخ الأقدام في المعرفة. من المعروف بوجه عام أنه كلما أراد الإنسان أن ينال مدارج ومراتب عليا كان بحاجة إلى سعي ووقت أكثر. فالمثابرة والعزيمة شيان مهمّان ولولاهما لما استطاع الإنسان أن يجتاز منازل النجاح. لذا من الضروري أن يوقَّع في المصائب أولاً. لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (ألم نشرح: ٧). (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ١٢/١٧ - ١٩٠٢/٢، ص ٢)

لولا إجابة الدعاء لأمكن أن تنشأ شكوك كثيرة حول وجود الله، وقد نشأت فعلاً. والذين لا يعتقدون بإجابة الدعاء ليس لديهم دليل على وجود الله في الحقيقة. إن مذهبي هو أن الذي لا يؤمن بالدعاء وإجابته لا يؤمن بالله أصلاً وسيدخل جهنم. الطريق الوحيد لمعرفة الله ﷻ هو أن يستمر المرء في الدعاء إلى أن يملأ الله قلبه باليقين وإلى أن يسمع صوت: "أنا الحق".

الصبر شرط لإجابة الدعاء

لا شك أن هناك مشاكل ومصائب كثيرة في سبيل اجتياز هذه المرحلة وبلوغ هذا المقام بَيِّدَ أَنْ علاجها الصبر، فنعم ما قاله الحافظ:

گویند سنگ لعل شود در مقام صبر آری شود و لیک بخون جگر شود

أي: يقولون إنّ الحجر يصبح ياقوتا بالصبر، هذا صحيح ولكن هذا يحدث بدم الكبد.

اعلموا أنه لا أحد يستطيع أن يستفيض من الدعاء ما لم يبلغ من الصبر منتهاه وما لم يستمر في الدعاء بالمثابرة. يجب على الداعي ألا يسيء الظن بالله تعالى بل ينبغي أن يؤمن بأنه مالك جميع القدرات والإرادات، ثم يستمر في الدعاء بالصبر، فسيأتي وقت حين يسمع الله دعاءه ويحييه. إن الذين يجربون هذه الوصفة لا يشقون ولا يُحرمون بل ينجحون في مرامهم. إن لله قدرات وقوى لا تُعدّ ولا تحصى، وقد سنّ لتكميل الإنسان قانون الصبر الطويل الذي لا يبدله. والذي يريد أن يبدل هذا القانون فكأنه يتجاسر في حضرة الله وَعَلَيْكَ ويسيء الأدب. وليكن معلوما أيضا أن بعض الناس يفقدون الصبر، ويريدون أن تتم الأمور جميعا في لمح البصر مثل المشعوذين، أقول: لو فقد أحد الصبر فماذا عساه يضر الله بعدم صبره، بل سيضر نفسه، فليفقد صبره ثم لينظر إلى أين مسيره.

لا أستطيع أن أقبل هذه الأمور أبدا. الحق أنها قصص باطلة وحكايات افتراضية إذ يقال بأن الناسك الفلاني فعل كذا وكذا بنفخة واحدة. هذا ينافي سنة الله والقرآن الكريم ولا يمكن حدوثه أبدا. القرآن الكريم هو المحك للحكم في كل أمر. انظروا مثلا عندما فُصل ابن يعقوب عليه السلام الحبيب، يوسف، عن إخوته بسبب شرهم؛ ظل يعقوب يدعو له أربعين عاما، لو كان مستعجلا لما أسفر ذلك الاستعجال عن نتيجة، ولكنه ظل عاكفا على الأدعية أربعين عاما، مؤمنا بقدرات الله تعالى حتى جذبت أدعيته يوسف بعد أربعين عاما، وفي تلك المدة الطويلة قال له بعض اللائمين بأنك تذكر يوسف دون جدوى ولكنه قال إني أعلم من الله ما لا تعلمون، لا شك أنه ما كان يعرف عنه شيئا ومع ذلك قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، فلم يعلم من قبل إلا أن سلسلة الأدعية قد طالت. لو أراد الله أن يحرمه من الدعاء لردّ عليه

سريعا، ولكن طول هذه السلسلة يدل على القبول، لأنه ليس من شيمة الكريم أن يجلس السائل طويلا ثم يجرمه، بل لا يفعل ذلك أبخل البخلاء أيضا؛ فإذا ما سمح للمتسول أن يجلس على بابه طويلا فلأنه سيعطيه شيئا ما في النهاية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ١-٢)

الدعاء شيء عجيب، ولكن من المؤسف حقا ألا يعرف آدابه أولئك الذين يطلبون الدعاء ولا يعرف الداعون المعاصرون أيضا أساليب إجابة الدعاء. بل الحق أن الناس يجهلون حقيقة الدعاء كليا. هناك بعض من ينكرون الدعاء كليا وهناك آخرون لا ينكرونه ولكن دعاءهم لا يجاب بسبب جهلهم آدابه لأنه لا يكون دعاء أصلا بمعناه الحقيقي، لذا إنهم في حالة أدنى حتى من منكري الدعاء، وإن حالتهم العملية قد أوصلت الآخرين قريبا من الإلحاد. الأمر الأول والأهم للدعاء هو ألا يتعب الداعي ولا يقنط ولا يسيء الظن بالله تعالى زاعما أنه لن يحدث الآن شيء. لقد لوحظ في بعض الأحيان أن الناس يدعون طويلا ثم عندما توشك زهرة المقصود على التفتُّح يتعبون وتكون النتيجة الخيبة والخسران. وقد تركت هذه الخيبة تأثيرا سلبيا حتى بدأ الناس ينكرون تأثيرات الدعاء نهائيا، وبلغ الأمر رويدا رويدا إلى أن ينكروا الله تعالى ويقولوا بأنه لو كان هناك إله لأجاب الأدعية. لماذا لم يجب الدعاء الذي دعوناه إلى هذه المدة الطويلة؟ ولكن لو أمعن قائل ذلك والمتعثر مثله النظر في عدم مثابرته وطبيعته المتغيرة لعلم أن كل هذه الخيبة إنما هي نتاج عجلته وتسرعته وتراكم اليأس عليه وسوء الظن بالله والقنوط المخيب للآمال؛ لذا يجب ألا يمل الإنسان أبدا.

إن مثل الدعاء كمثل فلاح يزرع البذور في حقله، يبدو في الظاهر أنه وارى الغلال المفيدة تحت التراب. هل لأحد أن يفهم حينذاك أن تلك الحبة ستتحول إلى نبتة جيدة وتنمو وتثمر؟ لا يرى العالم الخارجي ولا الفلاح كيف تتحول تلك الحبة تحت الأرض رويدا رويدا إلى نبتة. ولكن الحقيقة هي أن الحبة نفسها تتحول في

باطن الأرض رويدا رويدا بعد أيام قلائل إلى نبتة فتظهر خضرتها فوق الأرض فيراها الآخرون أيضا. انظروا الآن أن تلك الحبة عندما بُذرت في الأرض بدأت تستعد منذ الساعة نفسها أن تتحول إلى نبتة، ولكن النظرة الظاهرية لا تدرك ذلك قط، والآن حين تظهر خضرتها يراها الجميع، فالطفل الصغير لا يعرف حينها أنها ستحمل ثمارا في وقتها بل يتساءل لماذا لا تحمل الثمار الآن؟ ولكن الفلاح الفطين يعرف جيدا متى ستثمر فيستمر في رعايتها والاهتمام بها بالصبر حتى يأتي وقت تحمل فيه ثمارا وتنضج أيضا. والحال نفسه ينطبق على الدعاء وينمو الدعاء بالطريقة نفسها ويثمر. المستعجلون يكلّون ويملّون قبل الأوان، أما الصابرون الذين يتربّون المآل يثابرون ويفوزون بمرامهم.

الحق أن للدعاء مراحل ومراتب كثيرة، وبسبب جهلها يحرم الداعون أنفسهم بأنفسهم لأنهم يستعجلون ولا يصبرون، مع أن أعمال الله كلها تتسم بالتدرّج. لا يحدث أبدا أن يتزوج الإنسان اليوم ويولد له الولدُ غدا، مع أن الله تعالى قادر أن يفعل ما يشاء ولكن لا بد من أن يتخذ القانون والنظام الذي سنّه الله تعالى مساره. يحدثُ النمو بداية مثل النباتات ولا يُعلم شيء؛ فلا يسع أحدا أن يقول شيئا على وجه اليقين إلى أربعة أشهر ثم يُشعر بحركة خفيفة. وبعد مرور المدة الكاملة يولد الولد بعد تحمل مصائب حمة. إن ولادة الولد إنما هي بمنزلة ولادة الأم أيضا من جديد. لعلّ الرجال لا يستطيعون أن يقدّروا الصعوبات التي تتحملها المرأة أثناء الحمل، ولكن صحيح تماما أن المرأة أيضا تنال حياة جديدة. فكروا الآن: إن المرأة تقبل الموت لنفسها أولا من أجل الأولاد ثم تحظى بالفرح والسعادة بعد ذلك. كذلك يجب على الداعي أن يتخلى عن التقلبات والعجلة ويواظب على احتمال المشاق كلها ولا يتوهم أن الدعاء ما أُجيب. بل يأتي أخيرا وقتٌ تظهر فيه النتيجة وكأن الولد المراد قد وُلد. فمن الضروري أن يبلغ المرءُ الدعاء إلى المقام والدرجة التي يسفر فيها عن نتيجة. كما أنه عندما نضع قطعة قماش تحت العدسة وتتركز عليها

أشعة الشمس وتصل حرارتها وحدتها درجة تحرق القماش، فيحترق دفعة واحدة. كذلك من الضروري أن يبلغ الدعاء أيضا مبلغا ينال فيه قوة على حرق كل أنواع الخيبة ويحقق المرام والمقصود.

پیداست نگاراکه بلند است جنابت أي: يتبين من عدم وصول تضرعاتي إليك أن أعتابك عالية جدا.

لا بد للإنسان من أن يستمر في الدعاء إلى مدة طويلة ثم يُظهر الله تعالى النتيجة في نهاية المطاف. لقد جربت ذلك شخصا وكذلك تشهد تجربة السلف الصالح أيضا أنه إذا طال السكوت إلى فترة طويلة في أمر معين كان هناك أمل في النجاح. والأمر الذي يُرد عليه سريعا لا يكاد يتم. نرى في الدنيا بوجه عام أن المتسول عندما يصل إلى باب ويتسول بكل تواضع واضطراب ويسمع مقابل ذلك كلاما قاسيا لبعض الوقت ومع ذلك لا يبرح مكانه بل يكرر المسألة، يخجل صاحب البيت في النهاية ويعطيه شيئا مهما كان بخيلا. أفلا يجب أن يتحلى الداعي بالمشابرة مثل المتسول العادي على الأقل؟ إن الله كريم وحيي فحين يرى أن عبده المتواضع ساقط على عتباته منذ مدة فلا يجعل عاقبته سيئة. أما إذا واجه أحد عاقبة سيئة فلسوء ظنه. فمثلا لو قالت حامل بعد أربعة أو خمسة أشهر: لماذا لم يولد الولد إلى الآن، وتناولت أدوية مُجهضة تحقيقا لرغبتها، فهل سيولد الولد أم أنها ستواجه حالة اليأس والقنوط؟ كذلك إن الذي يستعجل قبل الأوان يتكبد الخسارة دائما، ولا يقتصر الأمر على الخسارة فقط بل يتضرر إيمانه أيضا حتى يُلحد بعض الناس في هذه الحالة. كان في قريتنا نجار فمرضت زوجته وماتت فقال: لقد دعوت كثيرا ولو كان هناك إله لأجاني ولما ماتت زوجتي، فألحد. ولكن إذا ثبت السعيد على الصدق والإخلاص ازداد إيمانا واستوت أموره أيضا. ما أهمية ثروات الدنيا عند الله تعالى، فهو يستطيع أن يفعل كل شيء في لمح البصر؛ ألم تروا أنه جعل قوما لم يعرفهم أحد ملوكا وجعل البلاد العظيمة تابعة لهم وجعل العبيد ملوكا. لو اتقى المرء وصار لله

لحظي في الدنيا بحياة طيبة، ولكن الشرط هو أن يكون صادقاً وبطلاً ولا يتزعزع قلبه، وألا تكون فيه شائبة من الرياء والشرك. ما الذي كان في إبراهيم عليه السلام حتى جعله أبا الملة وأبا الحنفاء وأعطاه الله بركات عظيمة لا تُعدّ ولا تحصى؟ كان يتحلى بالصدق والإخلاص فقط. لقد دعا إبراهيم عليه السلام أن يكون من أولاده نبي في العرب، فهل أُجيب دعاؤه فوراً؟ لم يخطر ببال أحد إلى مدة طويلة بعد إبراهيم عليه السلام ماذا كان تأثير الدعاء ولكنه أُجيب ببعثة رسول الله ﷺ وتحقق بشأن عظيم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣ م، ص ١-٢)

كيف تحفز الشفاعة على الصالحات؟ نجد الإجابة على هذا السؤال أيضاً في القرآن الكريم نفسه، حيث بيّن أن الشفاعة ليست كالكفارة التي يعتقد بها المسيحيون، لأن القرآن لم يحصر الأمر على الشفاعة حتى تؤدي إلى الكسل والغفلة، بل قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي عندما يسألك عبادي: أين ربنا؟ أخبرهم أنني قريب، لأن القريب يقدر على فعل أي شيء، أما البعيد فماذا عساه أن يفعل؟ فلو نشب حريق مثلاً فيحترق كل شيء ويصبح رماداً قبل أن يصل خبره إلى شخص بعيد، لذلك قال الله تعالى هنا: إني قريب. الحق أن هذه الآية تكشف لنا سرّاً من أسرار قبول الدعاء، وهو ضرورة الإيمان بقدرة الله وقوته وبقربه منا كل حين وسماعه دعاء كل داع. إن من أسباب رفض كثير من الأدعية ضعف إيمان الداعي بالله تعالى، لذا فهناك حاجة ماسة لأن نجعل الدعاء صالحاً للقبول، لأن الدعاء الذي لا يتفق مع الشروط التي وضعها الله تعالى لقبوله، لن يجاب ولن يأتي بنتيجة أو فائدة ولو دعا به كل الأنبياء أيضاً جميعاً.

وجدير بالتفكير هنا أن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ من جهة: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، أي: إن صلاتك ودعائك يصبح برّاً وسلاماً عليهم ويخمد نيران ثوائهم النفسانية، ومن جهة أخرى قال تعالى أيضاً: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، وبقراءة هاتين الآيتين معا تتضح لنا أهمية نوعية العلاقات بين

الداعي وطالب الدعاء وما يترتب عليها من نتائج، لأن الله تعالى لم يحصر الأمر في شفاعة النبي ودعائه، ولم يقل إن هذا يكفي الإنسان ويغنيه عن العمل. كذلك لا يمكن أن ينال الإنسان فلاحاً بغير شفاعة النبي ﷺ والدعاء. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣ م، ص ٣)

لم ينجح في الدنيا أحد لم يستخدم الجسد والروح كليهما. إذا لم تكن الروح شيئاً يُعتدّ به فلماذا لا يمكن للجسم الميت أن يفعل شيئاً؟ ألا تكون كافة أعضائه وقواه موجودة؟ كيف يُفهم بجلاء تام أنه ما دامت العلاقة بين الروح والجسد أبدية فلماذا يُعدّ أحدهما بلا فائدة؟

القانون المتبع في الدعاء أيضاً هو أن يتكبد الجسم معاناة وتذوب الروح، ثم يجب إحسان الظن بالصبر والمثابرة بعد الإيمان بالله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣ م، ص ٢)

يحل بالإنسان ابتلاءٌ تلو ابتلاءٍ في زمن بين الدعاء واستجابته، وفي بعض الأحيان تقصم تلك الابتلاءات الظهر، ولكن السعيد والصابر على هذه المحن والمصاعب يشتت في أثنائها أيضاً شذى أفضال الله تعالى، ويرى بعين الفراسة أن النصر آتٍ بعدها حتماً. ومن الأسرار الكامنة في الابتلاءات أن المرء يزداد حماساً للدعاء، لأنه كلما ازداد الاضطراب والاضطراب ذابت الروح بالقدر نفسه، وهذا من دواعي استجابة الدعاء. إذن، يجب ألا يقلق الإنسان أبداً ولا يسيء الظن بالله تعالى نتيجة القلق وقلة الصبر. لا يظنّ أحد أبداً أن دعاءه لا يستجاب أو لن يستجاب. إن هذا النوع من الوهم يُعتبر رفضاً لصفة الله أنه مجيب الدعوات.

يحدث أحيانا أن الإنسان يدعو لأمر ما ولكن يكون دعاؤه ناتجا عن جهله وغباوته؛ أي يطلب من الله ما ليس مفيدا ونافعا له بأي حال، فإن الله تعالى لا يرد دعاءه بل يحققه بصورة أخرى. فمثلا إذا كان الفلاح بحاجة إلى ثور للحرثة ولكنه يسأل الملك بعيرا، والملك يعلم أن إعطائه الثور هو الأنفع له فيأمر أن

يُعطى ثورا، ثم إذا قال الفلاح لغباوته أن طلبه لم يُقبل فهذا حمقه وغباوته، ولكنه لو فكر قليلا لعلم أن الثور هو الأنفع له. كذلك إذا رأى الطفل جذوة حمراء من النار وطلبها من أمه فهل ستعطيه الأم الحنون والمشفقة نارا؟ يواجه الإنسان مثل هذا الوضع أحيانا في استجابة الدعاء أيضا. والذين لا يصبرون يتسببون بأنفسهم في رفض دعائهم.

ويحدث أحيانا أن زمن الاستجابة يطول أكثر. فقد حُرّم بنو إسرائيل من دخول الأرض المقدسة إلى أربعين عاما لأنهم كانوا يتجاسرون على أنفه الأمور.... يزدادون معارضة وشرًا كل يوم ولا يدرون ما قيل لهم وما أُعطوا من تعليم، وإلى أي مدى عملوا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٣م، ص ١-٢)

كثيرون يتهمون الله ويعدّون أنفسهم أبرياء ويقولون قد صلينا ودعونا، لكنه لم يُتقبّل. فهو قصورهم أنفسهم، فما دام الإنسان لا يخلو من الكسل والتهاون في الصلاة والدعاء فلا يستحق القبول. فالإنسان إذا تناول طعامًا حلواً في الظاهر وهو خليط السم في الحقيقة، فلن يشعر الإنسان بالسم بسبب الحلاوة، لكن السم سوف يؤثر قبل أن تؤثر الحلاوة فيهلكه، ولهذا السبب لا تُتقبل الأدعية المليئة بالغفلة لأن الغفلة تبدي مفعولها أولاً، ومن المستحيل أن يكون العبد مطيعاً لله تماماً ثم لا يُقبل دعاؤه، إلا أنه من الواجب عليه حتماً أن يؤدي شروطه المحددة كاملة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠٨-١٠٩)

لا شك أننا نؤمن باستجابة الدعوات، وقد وعد الله تعالى أيضاً باستجابتها. ولكن لتأثير الأدعية وقبولها علاقة متينة مع التركيز ثم ينشأ الهياج في الدعاء من حيث الحقوق... يجب على طالب الدعاء أيضاً أن يصلح نفسه، ويتصالح مع الله تعالى ويتوب عن الذنوب. فعليكم أن تصلحوا أنفسكم قدر الإمكان واعلموا أن الذي يعبد إنساناً لا يمكن أن يستفيد أبداً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٧، عدد

قبل كل شيء من الضروري أن يكون إيمان المرء بالذي يدعوه كاملاً، حيث يجب أن يؤمن بأنه موجود وسميع وبصير وخبير وعليم ومتصرف وقادر، ويؤمن بأنه يسمع الأدعية ويجيبها. لكن ماذا أفعل ومن أسمع أن الإسلام يتعرض لمشاكل أخرى كثيرة حيث أن الناس يحبون غير الله حبا يليق به وحده، ويعطون درجة الله الناس والموتى، إن الله ﷻ هو من يقضي الحاجات ويصرف المشاكل، أما الآن فكل قبر ترونه قد عُذ قاضي الحاجات...

إنما قاضي الحاجات والمنقذ من المشاكل هو الله ﷻ وحده، ولا يتصف بهذه الصفة غيره، فلا تتوقعوا سماع أي نداء من القبور، لكنكم إذا دعوت الله ﷻ عكس ذلك عشر مرات في يوم واحد إيماناً وإخلاصاً فأقول لكم من خلال تجربتي أنه يسمع الدعاء عشر مرات ويجب أيضاً عشر مرات، بشرط أن تدعوه كما هو حق الدعاء. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٥، عدد ١٠/٢/١٩٠٤م، ص ٢)

من الضروري لاستجابة الدعوات أن يُحدث الإنسان في نفسه تغييراً طاهراً. فإذا كان لا يستطيع أن يتوقف عن السيئات وينقض حدود الله فلا يبقى في الأدعية تأثير. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٩، عدد ١٠/٦/١٩٠٤م، ص ١)

بقدر ما كان الدعاء تافهاً قلّ تأثيره، أي لا تعتبر إجابته ضرورية. فمثلاً إذا كان أحد يستطيع أن يعيش بكل سهولة بروية أو روبيتين يومياً ولكنه يطلب خمسين روية يومياً فإن طلبه سيُعَدّ تافهاً عند الله. من الضروري أن تُقدّم أمام الله تعالى ضرورة حقيقية. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٩، عدد ١/٨/١٩٠٤م، ص ٣)

إن الله تعالى يريد علاقة صادقة، وللدعاء في حضرة الله ضرورة للعلاقة، والدعاء بغير العلاقة مستحيل. لقد روي عن السلف الصالح أيضاً أنهم أكّدوا على طالب الدعاء أن ينشئ العلاقة أولاً بالذي يطلب منه الدعاء. لا يمكن أن يقول أحد جزافاً للمار في السوق أنه صديقه ولا يتولد في قلبه ألم ولا حماس للدعاء له. لا تتوطّد العلاقة بالله إذا بقي الإنسان متورطاً في أعمال الغفلة وقال باللسان فقط أنه

أنشأ العلاقة بالله تعالى... بل لإنشاء العلاقة بالله تعالى ثمة حاجة للمحوية. إنني أنصح جماعتي بذلك مرارا وتكرارا، لأن الثبات لا يتسنى ما لم يتم انقطاع تام عن الدنيا ويفترحبها في القلوب وما لم يتولد في الطبائع الحماس والاستغراق الطبيعي للعلاقة مع الله تعالى تقتضي نوعا من الفناء. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٨/١٩٠٤م، ص ٣)

إذا دعا الإنسان متوجها إلى الله تعالى كان فيه تأثير خارق للعادة، ولكن يجب أن يكون معلوما أن الأدعية تنال القبول بفضل الله فقط، وللدعاء أيضا وقت. فمثلا الصباح وقت خاص للأدعية، ففيه خاصية لا توجد في أوقات أخرى. إذن، للأدعية أوقات خاصة ينشأ فيها التأثير في الدعاء وينال القبول. (بدر، الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٥م، ص ٣)

ومن الجدير بالذكر أن لفرضية الدعاء الذي فرضه كلام الله المقدس على المسلمين أربعة أسباب. (١) أولها أن يتمسك العبد بالوحدانية برجوعه إلى الله دوما وفي كل وضع، لأن الطلب من الله بمنزلة الإقرار بأن الله تعالى وحده يحقق المراتب. (٢) والثاني أن يتقوى الإيمان بتقبل الدعاء ونيل المراد. (٣) والثالث أن يزداد الداعي علما وحكمة إذا كان فضل الله نزل بطريق آخر. (٤) والرابع أنه إذا بُشر الإنسان بتقبل الدعاء في الإلهام والرؤيا ثم تحقق بحسب ذلك، أن يزداد معرفةً بالله، التي تؤدي إلى اليقين، واليقين يقود إلى الحب، ويحصل بالحب الانقطاع عن غير الله والتخلي عن كل ذنب، وهو الثمرة الحقيقية للنجاة. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٤٢)

والحق أنه كما أودع الله الحكيم المطلق الأدوية تأثيرات رغم قوانين قدرته الثابتة كذلك جعل في الأدعية أيضا تأثيرات تثبت من خلال التجارب الصحيحة دائما. الذات الإلهية المباركة هي علة العلل التي جعلت منذ القدم استجابة الدعاء من سنتها الدائمة كذلك من سنة الإله القدوس نفسه أيضا أن المنكوبين المبتلين الذين كتب لهم الخلاص من مصابهم وفق قدر الله تعالى لا ينجون منها إلا من خلال نفحات

قدسية لهؤلاء الصالحاء الذين يحظون بقرب الله تعالى والقبول في حضرته ودعواتهم أو ببركة وجودهم في الأرض. (الحكم السماوي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٢٨)
أقول ليس للدعاء أي مثيل. ففي الدنيا بعض الشحاذين يأتون كل يوم ويثيرون الضجيج، ولا يجد المرء بدا من إعطاء شيء لهم. أما الله تعالى فقادر وكريم، حين يعزم الإنسان مسألته يجدها، أفليس الله حتى كإنسان!

تذكروا القاعدة أن الإنسان حين لا يترك الدعاء ويداوم عليه فدعاؤه يُتقبل أخيراً. وتذكروا أيضاً أن الدعاء الحقيقي هو ما يُسأل به مرضاة الله تعالى وبه تُتقبل سائر الأدعية التي هي طفيلية تلقائياً. لأن بزوال الذنب تنزل البركات. أما الدعاء لمكاسب الدنيا فقط فلا يجاب. لذا يجب على أن الإنسان أن يسأل الله تعالى أولاً رضوانه، وأفضل دعاء لذلك هو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وعندما سيواظب على هذا الدعاء فسوف يدخل جماعة المنعم عليهم. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

الدعاء الأمثل هو أن ينال المرء رضا الله تعالى والنجاة من الذنوب لأن القلب يقسو بسبب الذنوب ويصبح الإنسان دودة الدنيا. يجب أن يكون دعاؤنا أن يبعد عنا الذنوب التي تقسّي القلب ويرينا سبل مرضاته. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣١، عدد ١٦/٨/١٩٠٤م، ص ٦)

أرى أنه قد جاء زمن لا يوظف فيه الإنصاف والإخلاص والأمانة، وقليل جداً من يستفيدون من الأدلة، وإلا لا يبالي الناس بالأدلة بصفة عامة، والقلم لا يفيد. نكتب كتاباً أو كتباً فيهبُ المعارضون للرد عليه لذا أعتقد أن الفتح الأخير سيتحقق بالدعاء فقط. فكان من سنة الأنبياء أنه حين لم تنفع الأدلة والحجج كانت حربتهم الأخيرة الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٦)...

أوقن بأن كسر الصليب يتوقف على الأدعية المهرقة الملحّة، ففي الدعاء قوة حيث إذا كان الجو صافياً ودعا الناس بالتضرع والابتهاال تظهر الغيوم في السماء،

وينزل المطر، ومثل ذلك أعرف يقينا أن الدعاء سوف يدمغ هذا الباطل، فالناس الآخرون لا يهتمهم الدعاء من أجل الدين، أما أنا فأرى الدعاء هو السند الوحيد، وهذه الحرب خطيرة، يحتمل فيها الهلاك أيضا. ولنعم ما قيل:

اندریں وقت مصیبت چارہ ہائے یکساں
جزدعائے بامداد و گریہء استخار نیست

أي: ليس لنا نحن الفقراء علاج في هذا الوقت العصيب سوى الدعاء والضراعة عند السحور.

ثم إن هذه الأدعية تقتضي الانعزال والخلوة، فقد خطر ببالي مرارا أن أبني في الحقيقة مكانا خاصا بالدعاء. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٥)

"فاعلموا أن الدعاء حربة أُعطيت من السماء لفتح هذا الزمان، ولن تغلبوا إلا بهذه الحربة يا معشر الخلائق، وقد أخبر النبيون من أولهم إلى آخرهم بهذه الحربة، وقالوا إن المسيح الموعود ينال الفتح بالدعاء والتضرع في الحضرة، لا بالملاحم وسفك دماء الأمة. وإن حقيقة الدعاء الإقبال على الله بجميع الهمة، والصدق والصبر لدفع الضراء، وإن أولياء الله إذا توجَّهوا إلى ربهم لدفع مؤذٍ بالتضرع والابتهاال، جرت عادة الله أنه يسمع دعاءهم ولو بعد حين أو في الحال، وتوجَّهت العناية الصمدية ليدفع ما نزل بهم من البلاء والوبال، بعد ما أقبلوا على الله كل الإقبال. وإن أعظم الكرامات استجابة الدعوات عند حلول الآفات...

قيل: ما معنى الدعاء بعد قدرٍ لا يُردّ، وقضاء لا يُصدّد؟ فاعلم أن هذا السرّ مؤرّ تضلّ به العقول، ويُغتال فيه الغول، ولا يبلغه إلا من يتوب، ومن التوبة يذوب...

فمن أرهف أذنه لسمع هذه الحقائق، وحفّد إلينا كاللهيف الشائق، فسأخفّره بما يسرو ربيته، وبمأ عييته. وهو أن الله جعل بعض الأشياء معلّقا ببعضها من القديم، وكذلك علّق قدره بدعوة المضطرّ الأليم، فمن نهض مُهرولا إلى حضرة العزة، بعبرات متحدّرة ودموع جارية من المؤلة، وقلب يضجر كأنه

وُضِعَ عَلَى الْجَمْرَةِ، تَحَرَّكَ لَهُ مَوْجُ الْقَبُولِ مِنَ الْحَضْرَةِ، وَنُجِّيَ مِنْ كَرْبٍ بَلَغَ أَمْرَهُ إِلَى الْهَلَكَةِ. بَيِّنُ أَنَّ هَذَا الْمَقَامَ، لَا يَحْصُلُ إِلَّا لِمَنْ فَنَى فِي اللَّهِ وَآثَرَ الْحَبِيبَ الْعَلَامَ، وَتَرَكَ كُلَّ مَا يُشَابِهُ الْأَصْنَامَ، وَلَبَّى نَدَاءَ الْقُرْآنِ، وَحَضَرَ حَرِيمَ السُّلْطَانِ، وَأَطَاعَ الْمَوْلَى حَتَّى فَنَى، وَنَحَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَتَيَقَّظَ فِي زَمَنِ نَعْسِ النَّاسِ، وَعَاثَ الْوَسْوَاسَ، وَرَضِيَ عَنِ رَبِّهِ وَمَا قَضَى، وَأَلْقَى إِلَيْهِ الْعُرَى، وَمَا دَنَسَ نَفْسَهُ بِالذُّنُوبِ، بَعْدَ مَا أُدْخِلَ فِي دِيَارِ الْمَحْبُوبِ، بِقَلْبٍ نَقِيٍّ، وَعِزِّمْ قَوِيٍّ، وَصَدَقَ جَلِيٍّ. أَوْلَئِكَ لَا تُضَاعَ دَعْوَاتُهُمْ، وَلَا تُرَدُّ كَلِمَاتُهُمْ. " (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٨٢-٨٣)

لقد عامل الله ﷻ الإنسان بمنتهى التنازل كالأصدقاء. ما هي طبيعة العلاقة بين الأصدقاء يا تُرى؟ يقبل الصديق أحياناً ما يقول له صديقه وأحياناً أخرى يريد أن يفرض رأيه على صديقه ويريد أن يقبل هو رأيه. هكذا يفعل الله ﷻ إذ يتبين من ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦١) و﴿إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...﴾ (البقرة: ١٨٧) أنه يستجيب للإنسان، ويتقبل دَعَاة. ومن ناحية أخرى يتبين من الآية ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي...﴾ (البقرة: ١٨٧) ومن ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٦) أنه عَجَلٌ يريد أن يفرض أمره ويريد من الإنسان أن يقبل قراره.

بعض الناس يتهمون الله بأنه لا يجيب دعاءهم أو يعترضون على أولياء الله أن دعاءهم الفلاني لم يُقْبَل. والحق أن أولئك السفهاء يجهلون سنة الله هذه تماماً. فمن تلقى هذه المعاملة من الله يكون مطلعاً جيداً على هذه القاعدة. فقد بيّن الله نموذجين للاستجابة وفرض الاستجابة على الآخرين. فالتسليم بهما هو الإيمان، فلا تكونوا من الذين يركزون على جانب واحد فقط، وحذار أن تكونوا بمعصيتكم إياه من الذين يسعون لنقض قانون وضعه الله. (الحكم، المجلد ٧،

شرط استجابة الدعاء

اعلموا جيدا أن دعاء المرء يجب حين يجتنب الغفلة والفسق والفجور ابتغاء وجه الله تعالى. كلما نال المرء قرب الله تعالى نال نصيبًا من ثمرات استجابة الدعاء، ولذلك قال الله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقال: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبأ: ٥٣)، أي من كان بعيدا عني فلماذا أجب دعاءه؟ وكأن الله تعالى قد علّمنا درسًا بذكر هذا الناموس الطبيعي. ولكن هذا لا يعني أن الله تعالى لا يمكن أن يسمع من بعيد حقيقةً، كلا بل إنه يعلم حتى النيات الخفية في القلوب، بل الإرادات التي لم تنشأ بعد. إنما نبّه الله الإنسان إلى ضرورة قربهِ من الله تعالى، حيث بيّن أنه كما أن الصوت الصادر من بعيد لا يُسمع، كذلك فمن يتعد عن الله تعالى بالوقوع في الغفلة والفسق والفجور، فليعلم أنه كلما ازداد بعدًا عن الله تعالى وقع الحجاب والبُعد في استجابة أدعيته.

وما أصدق ما قال قائل: پیدا است ند ارا که بلند هست جنابت. أي: الواضح من النداء أنك عالي الحضرة.

وكما قلت آنفاً إن الله عالم الغيب، غير أن من نواميس الله تعالى أنه لا يتم شيء من دون التقوى. (الحكم، المجلد ٤، رقم ٤٤، عدد: ١٠/١٢/١٩٠٠م، ص ٣)

الآية ١٨٨: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي

الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٩﴾

إن "كلوا" أمر، فحين يعمل به المؤمن باعتباره أمرا من أوامر الله، فسوف ينال الثواب، وكذلك يترتب الثواب على العمل بأمر الله ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، لكنه إذا صلى الصلاة أيضا بدافع الرياء فله الويل. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٩)

﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾، ليس ضروريا في أثناء الاعتكاف أن يبقى الإنسان جالسا في الداخل دون أن يخرج أبدا... في داخل المسجد يكون البرد شديدا فيمكنكم^١ أن تجلسا على السطح تحت الشمس. ويمكنكما أن تتحدثا في أمور ضرورية إذ لا بد من الاهتمام بالأمور الضرورية، علما أن كل عمل المؤمن عبادة. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٧٤)

الآية ١٨٩: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

أي لا تستولوا على أموال الناس بغير الحق، ولا تقدموا أموالكم لأصحاب السلطة كرشوة لاغتصاب أموال الناس بمساعدة الحكام. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ١٩٠: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

أي لا تدخلوا البيوت متسلقين الجدران، بل ادخلوها من أبوابها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

^١ الكلام هنا موجّه إلى السيد الدكتور عباد الله المحترم والسيد خواجه كمال الدين إذ كانا معتكفين في المسجد في قاديان. (المدون)

الآية ١٩١: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

أي قاتلوا في سبيل الله الذين سبقوكم فيه وشتوا عليكم هجوما بعد هجوم، ولكن مع ذلك عليكم ألا تعتدوا عليهم... (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٢)

المحاربة لم تكن إلا ضد المجرمين المتعودين على قتل المسلمين والمخلين بأمن البلاد، وكان السطو والنهب شغلهم الشاغل. وكانت هذه الحرب مشروعة له ﷺ لكونه حاكماً وليس بصفته رسولا كما يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾... أي لا تتعرضوا لغير المحاربين. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٤٣)

عندما بلغ ظلم الكفار الظالمين منتهاه أنزل الله الذي يرحم عباده في نهاية المطاف وحيه على رسوله أنه قد بلغتني استغاثة المظلومين، فأذن اليوم أن تقاوموهم، واعلموا أن الذين يرفعون السيف على الأبرياء سيقتلون بالسيف، ولكن لا تعتدوا فإن الله لا يحب المعتدين. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٦٧-٤٦٨)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم أن عليكم أن تردوا هجمات الكفار بالأسلحة والأساليب التي يهاجمونكم بها. والمعلوم أنهم لا يهاجمون الإسلام بالسيف بل بالقلم، لذا من الواجب أن تردوا عليهم بالقلم، وإذا ردّ عليهم بالسيف فسيكون ذلك اعتداء يمنع منه القرآن الكريم بصراحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٧، عدد ٢٤٤/٢/١٩٠٥م، ص ٢)

لقد وردت كلمات "مثنى وثلاث ورباع" صراحة في القرآن الكريم عن تعدد الزوجات، ولكن في نفس هذه الآية جاء الأمر بالاعتدال أيضا. فإن لم يكن لدى المرء القدرة على الاعتدال ومال إلى إحداهن حباً لها، أو كان دخله قليلا، أو كانت

قوته الرجولية ضعيفة، فعليه ألا يتجاوز واحدة. والأفضل عندي ألا يلقي المرء نفسه في الابتلاء، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تركزوا على الأمر الحلال بحيث تصبحوا عبدةً للنفوس.

باختصار، إذا صار المرء مولعاً بالنساء بحجة أنه أمرٌ حلال، فهو مخطئ. ليس بوسع كل إنسان معرفة المشيئة الإلهية. إن الله لا يريد أن يحب المرء النساء حباً يجعله عابداً نفسه، كما أنه تعالى لا يريد أن تترهبوا، بل يريد أن تكونوا معتدلين، ولا تتصرفوا تصرفات غير لائقة. (الحكم، المجلد ٢، رقم ٢، عدد: ٦/٣/١٨٩٨م، ص ٢)

الآية ١٩٤: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْبَغْيُ وَتَرْتَفَعَ الْعِرَاقِيلُ وَيَكُونَ الْحُكْمُ لِلدِّينِ لِلَّهِ.
(الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٥)

أي اقتلوا مشركي العرب حتى لا تكون فتنة... كيف يثبت الجبر من هذه الآيات؟ ما يثبت منها هو أن قاتلوهم إلى أن تُكسر شوكتهم، ويخمد الشر والفساد، حتى يستطيع الناس الذين أسلموا في الخفاء أن يمارسوا أحكام الإسلام علناً أيضاً. إذا كان الله تعالى يريد الإكراه على الإيمان... لما أجاز الجزية والصلح والمعاهدات، ولما أُذن لليهود والنصارى أن يأمنوا بأداء الجزية ويعيشوا بسلام وأمان في كنف المسلمين. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٣)

بعض الناس الذين يعادون الحق عندما يسمعون مثل هذا التعليم يعترضون - إن لم يجدوا اعتراضاً آخر - أنه إذا كان الإسلام يعلم المواصاة فلماذا خاض النبي ﷺ الحروب؟ ولكن هؤلاء الجهال لا يعلمون أن الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت بعد تحمل إيذاء شديد إلى ١٣ عاماً متتالية، ومع ذلك كانت حروبه دفاعية فقط؛ فقد ظل يتحمل الإيذاء على أيديهم إلى ١٣ عاماً، فقد قُتل المسلمون رجالاً ونساءً،

وعندما وصل ﷺ إلى المدينة لم يتوقف هؤلاء الظالمون عن إيذائه هنالك أيضا، فأمر الله تعالى القوم المظلومين بالمقاومة وذلك أيضا لِيُنْقَذَ الخلق من شر الأشرار، وليُفتح المجال لقوم صادقين ولدين صادق. (الخطابات، ص ٢٨، خطاب حضرته عليه السلام) بمناسبة الجلسة السنوية في ٢٩/١٢/١٩٠٤، الطبعة الأولى)

الآية ١٩٥: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ أي حب الله مع المتقين. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٠م، ص ٣)

الآية ١٩٦: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

أي لا تنتحروا، ولا تتسببوا في هلاككم بأيديكم. والواضح أنه لو كان خالد مثلاً يشتكي الوجع في بطنه، فترحم عليه زيدٌ وشجّ رأسه هو، فلن يُعَدَّ هذا معروفاً في حق خالد، وإنما يقال: لقد شجّ رأسه حمقاً وغباءً وبدون جدوى، وإنما يكون المعروف أن يقوم زيدٌ بما يليق وينفع خالداً كأن يُحضر له أدوية نافعة ويداويه بحسب المبادئ الطبية، أما أن يشجّ رأسه هو فذلك لا ينفع خالداً بشيء، بل على العكس إنما يوجع عضواً شريفاً من جسمه دون جدوى...

فالأسلوب الحكيم للتضحية بالنفس في سبيل القوم إنما هو أن يتحمل الإنسان العناء لمصلحتهم، عاملاً بالقوانين الطبيعية النافعة، ويتندر نفسه لاتخاذ التدابير النافعة لهم؛ لا أن يشجّ رأسه بحجر، أو أن يتلع سما ويرحل عن الدنيا متأثراً مما يرى فيه قومه من بلاء شديد وضلال كبير وموقف خطير، ثم يحسب أنه قد أنقذ قومه بفعلته غير اللائقة هذه، ذلك ليس من شأن الرجال بل هو من صفات النساء. فإن من عادة عديمي

الهمة أنهم يعمدون دائماً إلى الانتحار فوراً عند مواجهة مصائب يصعب عليهم تحملها. إن هذا الانتحار، مهما يقال في تبريره بعد ذلك، عارٌّ عند العقل والعقلاء بلا ريب. غير أنه من الواضح أنه ما لم تسنح لأحد فرصة الانتقام من العدو فلا اعتبار لصبره وامتناعه عن الانتقام. فما يدرينا ماذا سيفعل هذا لو قدر على الانتقام؟ إن أخلاق الإنسان لا تظهر أبداً على حقيقتها ما لم يمر بمرحلة من المصائب، وأيضاً بمرحلة من المقدرة والسلطان والثراء؛ إذ من البين أن الذي يموت في حالة من الضعف وقلة الحيلة وفقدان السلطة، مضروباً بأيدي الناس، وبدون أن يجد أياماً من السلطة والحكومة والثروة لن يتجلى من أخلاقه شيء، وما لم يحضر ساحة القتال فلن يثبت لنا ما إذا كان شجاعاً أم جباناً، إننا لا نستطيع أن نحكم على أخلاقه. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٨-٤٥٠)

سأل شخص وقال: إن أهل بيتي وأولادي موجودون حيث الطاعون شديد وأنا قلق وأريد أن أسافر إلى هناك. فقال عليه السلام: لا تذهب، ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، بل انفضّ في الهزيع الأخير من الليل وادعُ لهم، هذا خير لهم من ذهابك إلى هناك. الذهاب إلى مقام مثله ذنب. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٨)

سُئل حضرته أن بعض الأمور في الحقيقة تكون صحيحة لكن مقتضى المحل والقانون يمنع إظهارها، فهل نُظهر رأينا بحسب: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ (البقرة: ٢٨٤)؟ فقال حضرته عليه السلام:

هذا يمكن عندما يكون الإنسان حرّاً بالطبع. فقد قال عليه السلام في موضع آخر: ﴿لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، فاتباع القانون مهمٌّ جداً، فحين يمنع القانون فلا بد من الامتناع، إذ في بعض الأحيان يجوز إخفاء الإيمان أيضاً، فما دام القانون مانعاً فما الداعي للإظهار؟ فالإظهار الذي يؤدي إلى دمار الأسرة والهلاك ممنوع. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠)

لقد ترسخت في أذهان شعب "الباتان" القاطن على التخوم الأفغانية فكرة خاطئة، حيث يأتون ويهاجمون الضباط الإنجليز، فيشوهون سمعة الإسلام بأعمالهم الطائشة هذه. يظنون أنهم لو قتلوا كافرا أو تابعا لدين آخر لصاروا من المجاهدين، وإذا قُتلوا أصبحوا في عداد الشهداء. إنني أتأسف على هؤلاء المشايخ اللئام الذين يحرّضون هؤلاء "الباتان" الطائشين ولا يقولون لهم إنكم إن قتلتم شخصا بغير حقّ فلن تكونوا في عداد المجاهدين بل تكونوا من الظالمين، وأنكم إن هلكتم في سبيل ذلك فلن تُعدّوا من الشهداء، بل ستُعدّون من المنتحرين الذين يموتون ميتة حرام، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٦). إنهم يهلكون أنفسهم بأنفسهم ويفسدون، وإنني موقن بأنهم يستحقون عقوبة قاسية. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٨، عدد ١٩٠٥/٥/٢٤، ص ٨)

يجب ألا تقدّم الرشوة قطعا لأن ذلك إثم كبير. إن تعريف الرشوة عندي هو ما تُتلف به حقوق الحكومة أو الناس الآخرين، فأنا أمتنع من ذلك بشدة. أما إذا قدّم شيء لأحد كهدية أو نذرٍ دون قصد إتلاف حقوق أحد بل كان المرء يقصد منها حماية حقوقه واجتناب الشر فلا أمتنع من ذلك ولا أعدّ ذلك رشوة. الشريعة لا تمنع اجتناب ظلم أحد بل تقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٩، عدد ١٩٠٢/٨/١٧، ص ٩)

الأمر الإلهامي والكشفية منفصلة عن الشريعة، لذا ينبغي أن لا تُجعل تابعة لكلمات ظاهرية للشريعة.

إن قضية الوحي الإلهي منفصلة تماما، وليس هناك نظير أو اثنان فقط بل ثمة آلاف النظائر من هذا القبيل. أحيانا يُكشف على ملهم في الإلهام بعض الأحكام التي لا توجبها الشريعة، لكن الذي تُكشف عليه يجب عليه العمل بها، وهو يجد في عدم العمل بها موتا وإثما كبيرا، مع أن الشريعة لا تعدّه من الذنب.... فالجاهل يعدها مخالفة للشريعة ويعترض عليها إلا أنه يكون بسبب غبائه، لأنّ ذلك أيضا

نوع من الشريعة. يسير هذان الأمران محاذاةً منذ خلق الله ﷻ العالم، أي شريعة ظاهرة، تكون لأُمُور الدنيا، وأخرى تمثِّل أُمُورا تُكشَف على المبعوث بواسطة الكشف والإلهام، وهو يؤمر بأن يفعل بعمل يبدو مخالفاً للشريعة لكنه في الحقيقة لا يكون مخالفاً. فانظروا مثلاً إن إلقاء النفس في التهلكة عن عمد ممنوع بحسب الشريعة، كما ورد: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بينما أمر الله ﷻ شخصاً أن يدخل البحر ويشقه، فهل سيعصيه؟ أخبروني هل كان عملُ إبراهيم عليه السلام حين بدأ يذبح ابنه، موافقاً للشريعة؟ فهل ورد في أي شريعة أن الإنسان إذا رأى في الرؤيا أنه يذبح ابنه فليذبحه فعلاً عندما يستيقظ؟ إلا أن ذلك العمل كان قد قبله قلبه وعمل به. ثم انظروا! إن أم موسى عليها السلام لم تكن نبيه، لكنها ألقت موسى في النهر بناء على ما رأت في الرؤيا. فمتى تسمح الشريعة بإلقاء الطفل في النهر؟ فبعض الأمور تكون وراء الشريعة، ويدركها أهل الحق الذين لهم علاقة خاصة بالله فقط، وهم الذين يعملون بها. (بدر، المجلد ٢، رقم ٢٢، عدد: ١٩٠٣/٦/١٩م، ص ١٧٠-١٧١)

الشريعة الظاهرة هي ما تم فيها الاعتناء والاهتمام التام بأُمُور الدنيا لكي لا يظهر في نظامها أي أمر مخالف للطريق في الظاهر. أما الشريعة الباطنية فهي بعض الأمور الظاهرة التي يتعذر تحقيقها في بادي النظر كاملة، وتُكشَف وتُنشر من خلال الإلهام والكشف. تنزل على أهل الكشف أوامر على شاكلة الشريعة الظاهرة، تتضمن حقائق بعض الأمور، فما لم يسعَ الملهم للعمل بها قلباً وقالبا، يستحيل أن يتحقق الإصلاح الداخلي كما حقه في الحقيقة. وهذه الأمور النازلة على أهل الكشف، لا تعارض الشريعة في الحقيقة، بل هي تُكمل بعض الحقائق. فمثلاً قد قيل ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، بينما يؤمر شخص بأن يلقي ابنه الرضيع في النهر كما أمرت بذلك أم موسى عليها السلام أو يدخل البحر كما أمر موسى عليه السلام نفسه، أو كما أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه فبدأ ذلك فعلاً. فهذه

الأمر تكون وراء الشريعة ويدركها أهل الحق فقط وهم الذين يعملون بها وحدهم.
(الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٣، بتاريخ ٢٤/٦/١٩٠٣، ص ١٥)

فليجرب ذلك أي معارض وليشعل النار وليلقنا فيها فلن تحرقنا النار أبداً، وسوف يعصمنا الله ﷻ حتماً بحسب وعد. لكن ذلك لا يعني أن نرتمي بأنفسنا في النار. إذ ليس ذلك دأب الأنبياء بل قد قال الله ﷻ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة ١٩٦). فنحن لا نرتمي في النار عن عمد وإنما هذا الوعد الإلهي في الحماية مقابل الأعداء، أنهم إذا أرادوا أن يحرقونا فلن تحرقنا النار أبداً. لذا إنني أرى أنه لا داعي للتكلف والتأويل، فنحن نؤمن أن له ﷻ تصرفات ظاهرية أيضاً كما له تصرفات باطنية. بل من أجل ذلك قد ألهمني الله ﷻ سلفاً "آگ سے ہمیں مت ڈرا، آگ ہمارى غلام بلکہ غلاموں کی غلام ہے؟" أي: لا تخوفني من النار، فإن النار خادمة لنا، بل خادمة خدامنا. (بدر، المجلد ٢، رقم ٤٧، عدد: ١٦/١٢/١٩٠٣، ص ٣٧٣)

وَأَحْسِنُوا بِخَلْقِ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ يُصَادِقُ الْمُحْسِنِينَ. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٦)

الآية ١٩٨: ﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾

أما الحج ففيه أركان الحب كلها. في بعض حالات الحب الشديد لا يرى الإنسان حاجة إلى الثياب أيضاً. العشق ضرب من الجنون، وإن تسوية اللباس دائماً ليس من العشق في شيء. كانت في مدينة سيالكوت سيده عشتت خياطاً، وكان الناس يمنعونها عنه بكل طريقة ممكنة، ولكنها مع ذلك كانت تذهب إليه ممزقة لباسها. فخلاصة الكلام أن هذا النموذج للحب البالغ منتهاه يوجد في الحج. يخلق الناس رؤوسهم، ويقومون بالسعي. ومن علامات الحب القبلية أيضاً، فهي أيضاً موجودة

في الحج كوجودها شكليا في شرائع الله كلها. التضحية أيضا تمثل قمة العشق. فقد أكمل الإسلام كل هذه الحقوق كاملة. والمجنون من يعترض بسبب عماه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/٢٠١٩ م، ص ٣)

الذهاب إلى الحج حبا وإخلاصا سهلا لكن العودة في الحالة نفسها صعبة. هناك كثيرون يعودون من هنالك قساة القلوب وخاسرين. والسبب وراء ذلك هو أنهم لا يطلعون هناك أيضا على الحقيقة، ويتبنون الرأي بعد رؤية القشر فقط، ويُجرمون من بركات ذلك المكان بسبب سيئاتهم. ثم يتهمون الآخرين؛ لذا من الضروري أن يقيم المرء في صحبة المبعوث من الله مدة بصدق وإخلاص ليطلع على أحواله الداخلية ويتبين صدقه كاملا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/٢٠١٩ م، ص ٤)

... إذا سافرتم فاتخذوا كل تدبير يتعلق بالسفر، وخذوا معكم زادا كافيا لتجنبوا

التسول. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٧)

وَتَزَوَّدُوا، لأن في الزاد مصلحتكم أنكم لن تسألوا أحدا، أي أن السؤال مذلة، فيجب أن تتخذوا هذه الخطوة لتفادي الذلة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٦)

على المؤمن أن يكون مستعدا وحذرا دائما لسفره، والتقوى هي خير زاد. ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٢، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٠ م، ٢٤/١١/١٩٠٠ م، ص ٥)

الآية ١٩٩: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾

الكلمة الأردية "گناه" أصلها من "جناح"، ثم تحول حرف "ج" إلى "گ"، كما يحصل بالفارسية. والجناح هو الميل المتعمد، فالمراد من الجناح، الميل المتعمد إلى

السيئات. ومن المستحيل أن أقبل صدور ذلك من الأنبياء بأي حال، والقرآن الكريم أيضا لم يذكر ذلك أبداً. إن صدور الجناح من الأنبياء مستحيل، لأنهم يحتلون مكانة المعرفة العالية، وميلان العارف إلى السيئة محال. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٥، عدد ١٠/١٢/١٩٠١م، ص ٢)

الآية ٢٠٠: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

إن الاستغفار، الذي تتقوى به جذور الإيمان، ورد في القرآن الكريم على معنيين: الأول: ترسيخ حب الله في القلب - من خلال الصلاة به ﷻ - وردع صدور الذنوب التي تثور في حالة الابتعاد عنه تعالى، وطلب العون من الله تعالى من خلال التفاني فيه. هذا هو استغفار المقربين الذين يعدّون الانفصال عن الله هلاكاً ولو لطرفة العين. إنهم يستغفرون ليثبتهم الله على حبه.

والنوع الثاني من الاستغفار هو التخلص من الذنوب والفرار إلى الله، والسعي لترسيخ حب الله في القلب كالشجرة الثابتة في التربة، وذلك لكي يتربى المرء تربية طيبة، فيجتنب جفاف الخطيئة والهلاك.

سمّي هذان النوعان بالاستغفار لأن لفظة (غفر)، التي منها تُشتق كلمة الاستغفار، تعني (التغطية) والستر. وبكلمات أخرى، فإنّ الاستغفار يعني الرجاء من الله أن يستر خطايا العبد المستغفر الذي يظل متفانياً في حب الله تعالى، وألا يسمح لجذور الطبيعة البشرية بالانكشاف، بل يغطيها في رداء ألوهيته ويعطيه نصيباً من قدوسيته. ولو أن جذراً ما قد كُشف بسبب أية خطيئة، فالمرجو منه تعالى أن يستره ثانية ويُثَقِّدَه من نتائج انكشافه. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٤٦-٣٤٧)

عندما يهيج ينبوع الحب في الإنسان يقتضي هذا الحب بطبيعة الحال أن ينال

رضا الله تعالى أكثر فأكثر. فبسبب شدة الحب يُكثر من الاستغفار أيضاً. لهذا السبب يتخذ الذين يحبون الله حبا كاملا الاستغفار وردا لهم في كل لحظة وآن. وأكبر علامة للمعصوم هي أنه ينشغل في الاستغفار أكثر من غيره على الإطلاق. المعنى الحقيقي للاستغفار هو الاستعانة بالله تعالى لدفع كل زلة وتقصير يمكن أن يصدر من الإنسان بمقتضى بشريته ولكي لا يظهر ذلك الضعف للعيان بل يبقى مستورا ومخفيا نتيجة فضل الله. ثم وُسِّع معنى الاستغفار لعامة الناس، وُضِّم إليه مفهوم آخر أن يحمي الله في الدنيا والآخرة من عواقب سيئة وتأثيرات سامة لزلة أو قصور صدر من قبل. إذًا، فإن ينبوع النجاة الحقيقية هو حب الإنسان لله وَعَلَى الذي يجذب حب الله تعالى بواسطة تواضع العبد وتضرعه وابتهاله واستغفاره الدائم. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٧٩ - ٣٨٠)

... لهذا يلزمه الاستغفار بالمعنى المذكور آنفا للمحافظة على الخصرة الروحانية والسلامة. كما أن طلب ماء السلامة من مصدر الحياة الحقيقية من أجل إنماء تلك الخصرة قد عُبر عنه أيضا بالاستغفار في القرآن الكريم. (نور القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٥٧)

فالاستغفار في اللغة المغفر الذي يحتمي به الإنسان من الآفات، ولهذا اشتقت منه كلمة المغفر، والمراد من الاستغفار أن يمنع الله من ظهور ذلك البلاء الذي يُخشى ظهوره أو الذنب الذي يخشى ارتكابه، ومنع ذلك البلاء أو الذنب من الصدور ويستره. (نور القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٥٥ - ٣٥٦)

الإنسان بحاجة دائمة إلى الله تعالى، لذا لا بد من أن يستعين بالله تعالى باستمرار وهذا هو الاستغفار بعينه. هذه هي حقيقة الاستغفار، ثم وُسِّعت وجُعِلت للناس الذين يُذنبون ليُحفظوا من نتائج ذنوبهم السيئة. والأصل في الموضوع هو إنقاذ الإنسان من الضعف. فالذي لا يقدر أهمية الاستغفار مع كونه إنسانا هو سيئ الأدب وملحد. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٢م، ص ٥)

المعنى الحقيقي للاستغفار هو رغبة المرء ألا يصدر منه ذنب، أي أن يكون بريئاً من الذنب. والمعنى الثاني دون ذلك هو أن يكون محفوظاً من نتائج سيئة لذنوبه. (بدر، مجلد ١، رقم ١، عدد ١٩٠٢/١٠/١٩، ص ٧)

إن أسباب الغفلة غير معلومة. ففي بعض الأحيان تملو الظلمة قلب الإنسان دون أن يدرك، فهدف الاستغفار هو تدارك هذا الوضع، والمراد منه ألا يغلب الصدا والظلمة على القلب. يعترض المسيحيون لغباوتهم أن ذلك يُثبت أن هناك ذنوباً سابقة، بل الحق أن معناه الحقيقي هو ألا يصدر الذنب أصلاً، وإلا إذا كان معنى الاستغفار هو طلب مغفرة الذنوب السابقة فليقولوا أي كلمة تفيد عدم صدور الذنوب في المستقبل؟ إن كلمة "غفر" و"كفر" تعطيان معنى واحداً. كان الأنبياء جميعاً بحاجة إلى الاستغفار، كلما يُكثر أحد من الاستغفار يكون معصوماً بالقدر نفسه. فالمعنى الحقيقي هو أن الله تعالى عصمه، معنى المعصوم هو المستغفر. (بدر، المجلد ١، رقم ٧، عدد ١٩٠٢/١٢/١٢، ص ٥٢)

الذنب دودة تسري في دم الإنسان، وليس له العلاج سوى الاستغفار فقط. فما هو الاستغفار يا ترى؟ ألا إنما الاستغفار أن يسأل المرء الله حَفْظَهُ من عواقب وخيمة للذنوب التي صدرت منه. وألا تصدر منه تلك التي يقدر على ارتكابها ولم يرتكبها بعد، وأن تحترق وتتلاشى في الداخل. (بدر، المجلد ٢، رقم ١٤، عدد ١٩٠٣/٤/٢٤، ص ١٠٦)

إذا تاب المرء بيقين فإن الله يغفر الذنوب التي تصدر منه. كان النبي ﷺ يستغفر سبعين مرة، مع أن الذنوب السابقة كلها كانت يمكن أن تُغفر بالاستغفار مرة واحدة، فثبت منه أن الاستغفار يعني أن يكبح الله كل غفلة وذنوب في المستقبل ولا يدعها تصدر مطلقاً. (بدر، المجلد ٢، رقم ٢٢، عدد ١٩٠٣/٦/١٩، ص ١٦٩)

يجب التوجه إلى التوبة والاستغفار. ماذا يستطيع الإنسان أن يفعل سوى التوبة والاستغفار؟ لقد قال الأنبياء جميعاً إنكم إذا تبثتم واستغفرتم سيغفر الله لكم. فصلوا

الصلوات واستعينوا بالله لاجتناب الذنوب مستقبلا، واسألوا الله العفو على ذنوب سابقة، وأكثروا من الاستغفار لئلا تثور قوة الذنب الكامن في طبيعة الإنسان. في طبيعة الإنسان ملكة من نوعين، أولاهما القوة على كسب الخيرات والحسنات، والأخرى القوة على ارتكاب السيئات، ووضع الحدّ على هذه القوة بيد الله. هذه القوة تكمن في داخل الإنسان كما تكمن النار في الزند.

هو ألا يصدر أي ذنب في الظاهر، وألا تظهر قوة على ارتكاب الذنوب. إنّ حقيقة استغفار الأنبياء هي أنهم معصومون أصلا ولكنهم يستغفرون كيلا تظهر تلك القوة في المستقبل. أما بحق عامة الناس فيُستنتج منه معنى آخر أيضا وهو أن ينقذ الله من نتائج سيئة لجرائم وذنوب صدرت من قبل، وأن يغفرها وينقذ من صدورها في المستقبل.

على أية حال، يجب على الإنسان أن يستمر في الاستغفار. البلايا المتنوعة التي تنزل في الدنيا مثل القحط وغيره يكون المراد منها أن ينصرف الناس إلى الاستغفار. ولكن ليس المراد منه أن يردد المرء: "أستغفر الله، أستغفر الله" باللسان فقط، بل الحق أن حقيقة الاستغفار ظلت خافية على الناس هنا لكون العبارة من لغة أجنبية. كان العرب يفهمون هذه الأمور جيدا، أما في بلادنا فقد بقيت كثير من الحقائق خافية لكون اللغة أجنبية. هناك كثيرون يقولون إننا استغفرنا كذا وكذا مرة، سبّحنا مئة مرة أو ألف مرة ولكن لو سألتهم عن المراد من الاستغفار أو معناه لاحتاروا حيرة ما بعدها حيرة. على الإنسان أن يستمر في الاستغفار في قلبه بصورة حقيقية كيلا يواجه مغبة ما صدر منه من المعاصي والجرائم، وليطلب العون من الله سرا دوما ليوفقه للأعمال الصالحة في المستقبل وينقذه من المعصية.

اعلموا جيدا أن الكلمات وحدها لا تنفع شيئا. يمكنكم الاستغفار بلغتكم أيضا ليغفر الله الذنوب السابقة وينقذ منها في المستقبل ويوفق للحسنات، هذا هو الاستغفار الحقيقي، ولا حاجة أن يردد الإنسان "أستغفر الله، أستغفر الله" بلسانه

فقط وقلبه غافل. اعلّموا أنه لا يصل إلى الله إلا ما يصدر من القلب، لذا يجب أن تدعوا بلغتكم كثيرا لأن ذلك يؤثر في القلب. لا شك أن اللسان يشهد على القلب فقط ولكن إذا نشأ الحماس في القلب ورافقه اللسان أيضا فبها ونعمت، وإلا فالأدعية باللسان فقط دون مرافقة القلب عابثة لأن الدعاء الحقيقي هو ما ينبع من القلب. إذا استمر الإنسان في الدعاء في قلبه قبل حلول البلاء واستغفر الله لوجده رحيما وكرهما ولزال البلاء. ولكن عندما ينزل فلا يزول. لذا يجب أن يستمر المرء في الدعاء ويستغفر كثيرا قبل حلول البلاء، فهكذا يحمي الله تعالى عند البلاء. (بدر، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤٩/٩/١٩٠٧م، ص ٤)

الاستغفار يعني أن يطلب المرء من الله الحماية من عقوبة الجرائم السابقة والمعاصي، وأن يسأل الله العصمة من ارتكاب الذنوب في المستقبل. كان الأنبياء أيضا يستغفرون والعامّة أيضًا.

اعترض بعض القساوسة الأغبياء على استغفار النبي ﷺ وكتبوا أن استغفاره يُثبت أنه كان مذنباً، لكن هؤلاء السفهاء لا يعرفون أن الاستغفار خصلة سامية، فقد خلق الإنسان ضعيفاً، والضعف من فطرته. والأنبياء يعرفون جيداً هذا الضعف الفطري والبشري، لذا يدعون الله قائلين: ربنا احفظنا من ظهور الضعف البشري. فالغفر الستر، فالأصل أن القدرة التي يتمتع بها الله ﷻ لا يتمتع بها أي نبي أو ولي أو رسول، فلا أحد يستطيع الادعاء أنه قادر على اجتناب الذنب بقوته، فالأنبياء أيضاً محتاجون إلى الله لحمايتهم، فلاظهار العبودية كان النبي ﷺ أيضاً يسأل الله حمايته كالأنبياء الآخرين....

فالاستغفار كلمة عربية، ومعناها طلب المغفرة قائلًا: يا إلهنا، نعوذ بك من شر ما ارتكبنا من الذنوب في الماضي لأن الذنب سُمٌّ، ومفعوله أيضاً حتمي. واحفظنا منها في المستقبل بحيث لا يصدر منا الذنب. أما التردد باللسان فقط، فلا يحقق الهدف.

... إذن يجب ألا ترددا كلمات التوبة والاستغفار كتراتيل سحرية، بل استغفروا الله تعالى واضعين معانيها ومفاهيمها في الحسبان وادعوا الله بعطش صادق وبحرقّة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٤، عدد ١٨/٥/١٩٠٨ م، ص ٣)

لم يعط الله الملائكة أيّ خيار في ملكوته السماوي... أما فطرة الإنسان فقد حُيِّرَت بين القبول والإنكار، وبما أن الإنسان قد مُنح هذا الخيار من فوق، فلا يمكن القول بأن ملكوت الله يختفي من الأرض بسبب وجود إنسان فاسق، بل الحق أن المُلْك لله فقط في كل حال، كل ما في الأمر أن ثمة ناموسين؛ ناموس القضاء والقدر الخاص بملائكة السماء، وهو أنهم لا يقدرّون على المعصية البتّة، وناموس القضاء والقدر الخاص بالبشر على الأرض، وهو أنهم قد حُيِّرُوا من السماء في اقتراح المعصية، غير أنهم إذا استعانوا بالله أي استغفروه، فيمكن أن يزول ما بهم من ضعف بتأييد من روح القدس، فيجتنبوا ارتكاب المعصية، كما يجتنبها أنبياء الله ورسله. أما الذين يرتكبون المعاصي فينفعهم الاستغفار من حيث إنهم يُعصمون من مغبّة الذنوب، أي من العذاب، لأن بقاء الظلام بعد مجيء النور محال. وأما المجرمون المصرون على الجريمة الذين لا يستغفرون الله، أي لا يلتمسون منه القوة، فهم لا ينفكّون يعاقبون على جرائمهم. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٤)

لا بد للإنسان أن يتوب، ويظلّ منهمكاً في التوبة والاستغفار، وحذراً من أن يتجاوز سوء أعماله الحدود، فتجلب عليه غضب الله تعالى. إذا نظر الله تعالى إلى أحد برحمته ألقى حبه في قلوب الناس عموماً، ولكنه حين يتعدى شرّه الحدود يصدر في السماء الحكم بمعارضته فتقسو قلوب الناس تجاهه بمشيئة الله، ولكنه عندما يخزّ على أعتاب الله تائباً مستغفراً تتولد الرحمة في الخفاء وتُلقى بذرة الحب في قلوب الناس من حيث لا يدري أحد. باختصار، إن التوبة والاستغفار وصفة مجربة لا تخطئ. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٧، عدد ١٢/٥/١٨٩٩ م، ص ٥)

أرى أنه ليس هناك عوذة ولا حرز ولا دواء أفضل من الاستغفار. وأقول لأحبابي أن يعقدوا الصلح والموافقة مع الله تعالى وينهمكوا بالدعاء. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٢٣، عدد ١٨٩٩/٦/٣٠، ص ٥)

أكثرُوا من الاستغفار، هذا هو الطريق الأمثل للخلاص من الهموم. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ١٩٠١/١/٢٤، ص ١١)

الاستغفار مفتاح التقدم الروحاني. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤، عدد ١٩٠١/١/٣١، ص ١١)

أكثرُوا من الاستغفار، إذ تُغْفَر بسببه الذنوب ويرزق الله الأولاد أيضا. اعلّموا أن اليقين شيء عظيم، والذي يوقن يقينا كاملا يأخذ الله بيده. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤، عدد ١٩٠١/١/٣١، ص ١١)

الذين يدعون الله ويستغفرونه ويتصدقون قبل نزول البلاء، يرحمهم الله ويعصمهم من عذابه. فلا تسمعوا أقوالي كقصة تروى، بل أقول لكم نصحا لله تعالى أن افحصوا أحوالكم، واعكفوا على الدعاء، واطلبوا من أصدقائكم أيضا أن يدعوا الله تعالى. إن الاستغفار يعمل عمل الثرس إزاء عذاب الله والمصائب الشديدة. قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٤)، فإن كنتم تريدون أن تُعصموا من عذاب الله فاستغفروا بكثرة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٧، عدد ١٩٠١/٧/٢٤، ص ١)

أكثرُوا من الاستغفار. إن للإنسان حالتين، إما ألا يُذنب أو ينقذه الله من مغبة الذنب. يجب الانتباه إلى كلا المعنيين عند الاستغفار، أحدهما أن يلتمس من الله تعالى أن يستر ذنوبه، وثانيا: يلتمس التوفيق من الله لينقذه من الذنوب في المستقبل، ولكن لا يكفي الاستغفار باللسان فقط بل يجب أن يرافقه القلب أيضا، أدعوا في الصلاة في لغتكم أيضا؛ هذا ضروري. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٩٠١/٨/١٠، ص ٣)

الأمراض نوعان: أحدهما مستوٍ، والثاني مختلف. والمرض المستوي ما لا يقاسي فيه المرء الآلام ولا يهتم ولا يبالي مطلقاً بمداواته، ومثاله البرص، أما المرض المختلف فيشعر المرء بآلامه، فيهتم بعلاجه. كذلك حال الذنوب، فمنها ما يشعر به الإنسان، ومنها ما لا يشعر به مطلقاً، لذا فإنه بحاجة لأن يستغفر الله كل حين. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٦)

لقد بحثنا في معنى الاستغفار ووجدنا أن الإفراط والتفريط في استخدام القوى الإنسانية - أي استخدامها في غير محلها - هو العصيان، وإن طلب العبد من ربه لطفه وفضله معناه في الحقيقة: ارحمنا يا ربنا وأنقذنا من الإفراط والتفريط في استخدامها، إنها الاستعانة به سبحانه. كان المسيح أيضاً بحاجة إلى نصرته الله. ومن لم يعتقد بذلك فهو ليس مسلماً.... (قال النبي ﷺ عن الاستغفار) إن المراد منه هو ارتقاء المراتب. (بدر، المجلد ١، رقم ٢، عدد ٧/١١/١٩٠٢م، ص ١٣)

إذا كان معنى الاستغفار هو طلب مغفرة الذنوب السابقة فليقولوا أي كلمة تفيد عدم صدور الذنوب في المستقبل؟ يحظى الإنسان بالحماية من الذنوب أي العصمة منها بسبب الاستغفار، فيلتمس من الله ألا تظهر وتبرز للعيان القوى الجاذبة إلى المعاصي، لأنه كما أن الإنسان بحاجة إلى أن تُغفر له ذنوبه السابقة كذلك هو بحاجة إلى ألا تظهر الذنوب من قواه في المستقبل، هذا الأمر أيضاً يقتضي الدعاء وإلا ما السبب في أن يدعو الإنسان عندما يكون متورطاً في الذنوب ولا يدعو للحماية منها في المستقبل؟ إذا لم يكن هذا الدعاء مذكوراً في الإنجيل فهو كتاب ناقص، لقد ورد فيه: اسألوا تُعطوا. فقد استغفر النبي ﷺ وأُعطى، بينما لم يسأل المسيح ولم يُعط. باختصار، لقد قام القرآن الكريم بتقسيم طبيعي إذ اختار كلمة "الاستغفار" نظراً إلى الحماية من الذنوب من جميع النواحي، لأن الإنسان محتاج إلى كلا الوجهين؛ أي أحياناً يحتاج إلى مغفرة الذنوب وأحياناً أخرى يحتاج إلى ألا تظهر وتبرز تلك القوى أصلاً، وإلا كيف يمكن أن تحتب القوى تلقائياً بغير حماية من الله، الكتاب الكامل

هو ذلك الذي أعطى تعليماً من كلا النوعين، والعقل والضرورة يقتضيان الدعاء من كلا النوعين. (بدر، المجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٣)

إن الذي يدعي اجتناب الذنوب فهو كاذب، إذ من المعلوم أن النمل تجتمع حتماً حيث توجد الحلوى، كذلك تلزم الإنسان لوازم النفس، وهل يمكنه التخلص منها؟ إذا لم تكن يد فضل الله ورحمته مع الإنسان فليس في وسعه اجتناب الذنوب سواء أكان نبياً أو ولياً، كما أنه ليس مما يفتخر الأنبياء والأولياء به أنهم لا يرتكبون الذنوب، بل هم دوماً يسألون الله فضله. إنما المراد من استغفار الأنبياء هو أن تبقى يد فضل الله عليهم دوماً، وإلا لو وُكل الإنسان إلى نفسه فلا يسعه أن يكون أبداً محفوظاً ومعصوماً. يشرح الدعاء "اللهم باعدْ بيني وبين خطاياي" والأدعية الأخرى أيضاً هذا المعنى للاستغفار. فسّر العبودية حصراً أن يأوي المرء إلى الملاذ الإلهي، فالذي لا يريد ملاذ الله فهو مغتر ومتكبر. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد ٢٦/٦/١٩٠٣م، ص ١٧٨)

يعترض الأحق عديم المعرفة على كلمة الاستغفار، فهو لا يعرف ما أجمل هذه الكلمة وأنها تدل على الطهارة الداخلية للنبي ﷺ بشكل لا يخطر على قلوبنا ولا يمكن أن نتصوره. ومن هنا يبدو أنه كان عاشق الرضا، وفي هذا المجال يقطع أشواطاً كبيرة بسرعة هائلة. فحين كان يتصور من الله ويجد نفسه مقصراً في الشكر له ﷻ يستغفر ليتدارك ذلك التقصير. فأنى لنا أن نشرح هذه الكيفية لِعُميان العقول ومجدومي القلوب هؤلاء. فلا يسعهم إدراك ذلك دون أن تصيبهم تلك الكيفية. فحين تغمر كثرة المنن الإلهية المرء تمتلئ روحه حبا، فتندفع إلى تدارك التقصير في الشكر بالاستغفار. هؤلاء لا يريدون - كأصحاب المنطق الجاف - عدم ظهور القوى التي يمكن أن يصدر منها أي ضعف أو غفلة فحسب، بل يكونون منتصرين على تلك القوى سلفاً، وإنما يستغفرون تذكراً بالمنن الإلهية زعماً منهم بأنهم لا يؤدون حق الشكر عليها، فهو مقام لطيف وسامٍ، لا يعرف الآخرون حقيقته. مثلما لا

تدرك الحيوانات - ومنها الحمار مثلاً - حقيقة الإنسانية، كذلك أنى للآخرين أن يطلعوا على حقيقة مقام الأنبياء والرسل وعلاقاتهم اللطيفة جداً بالله ﷻ، التي تزداد لطفاً بقدر ما يزيد حبهم الذاتي. فانظروا كيف أن يوسف عليه السلام كان قد قال فقط أن يُذكر عند الملك، مما دفعه إلى البقاء في السجن لمدة طويلة، مع أنه أمر عادي في النظر العادي، لكنه كان منافياً لعلاقات الحب هذه. باختصار، هو سر لطيف لا يطلع عليه كل فلان وعلان. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٤-١٥، عدد ٣٠/٤ و ١٠/٥/١٩٠٤م، ص ٢)

عندما تنزكي نفس الإنسان يتولاه الله ﷻ بنفسه ويتكفله، ويترى في حضن الله كما تربى الأم ولدها في حضنها. ففي هذه الحالة ينزل نور الله على قلبه ويحرق تأثيرات الدنيا فيشعر الإنسان بتغير في نفسه، ولكن عليه ألا يطمئن بهذه الحالة أيضاً أبداً ظاناً أن هذه القوة قد نشأت فيه إلى الأبد ولن تضع. فمثلاً إذا وقع ضوء الشمس على الجدار فهذا لا يعني قط أنه سيبقى مضيئاً هكذا دائماً... النور الذي يُعطاه الإنسان ليس أبدياً بل هو مؤقت، ولاصطحابه إلى الأبد هناك ضرورة إلى الاستغفار. إن سبب استغفار الأنبياء هو معرفتهم بهذه الأمور فيعيشون خائفين خاشعين دوماً لئلا يُنزع منهم رداء النور الذي أُعطوه.... كلما أكثر النبي من الاستغفار كان أعلى وأسمى درجة، ومن لم يحظ بهذه الحالة فهو في خطر، ويمكن أن يُنزع منه رداء الحماية في وقت من الأوقات لأن الأنبياء أيضاً يُعطونه مؤقتاً ثم يحظون به بصورة دائمة بسبب الاستغفار. الحق أن الأنوار الحقيقية هي عند الله، وينالها الجميع منه ﷻ سواء أكانوا أنبياء أو غيرهم. إن علامة النبي الصادق أنه يحافظ على هذا النور بالاستغفار. معنى الاستغفار هو الحفاظ على النور الذي حازه المرء من الله تعالى، بل والاستزادة منه. وللحصول عليه هناك خمس صلوات لكي يلتبس المصلي ذلك النور من الله كل يوم بنهم. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨/٩/١٩٠٤م، ص ٣)

وعند قولهم "واغفر لنا" ينشأ سؤال: ألم يغفر الله لهم وقد دخلوا الجنة؟ وما الحاجة إلى الاستغفار ما داموا قد غُفِرَ لهم؟

والجواب أن المغفرة معناها في الأصل ستر الحالات الناقصة غير الملائمة وتغطيتها، فالمراد أن أصحاب الجنة سيطمعون أن ينالوا الكمال التام، وأن يغرقوا في النور كلياً، فدائماً ما يجدون حالتهم الأولى ناقصةً عند رؤيتهم الدرجة التالية من الكمال، فيودون تغطية حالتهم الأولى، ثم إذا رأوا درجة الكمال الثالثة تمنوا تغطية حالتهم الثانية أي أن تُستر حالتهم الناقصة تلك وتُخفى، وهكذا سوف يظل أصحاب الجنة يتمنون المغفرة غير المتناهية بعد كل مرحلة.

إن كلمة الاستغفار أو الغفران هي الكلمة نفسها التي يطعن بها بعض الجاهلين في نبينا ﷺ، ولعلكم - أيها المستمعون الكرام - قد أدركتم مما سلف أن الرغبة في الاستغفار إنما هي مفخرة للإنسان، فمن كان مولوداً من بطن امرأة ومع ذلك لا يتخذ الاستغفار دَيْدناً له في كل حال فهو دودة وليس إنساناً، وأعمى وليس بصيراً، ونجسٌ وليس طيباً. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٣)

اعلموا يقينا أن القلوب بيد الله. لولا فضل الله لتنصّر المرء عاجلاً أو تورّط بإلحاد من نوع آخر، لذا يجب أن تسألوا الله فضله دائماً واستعينوا به لثبّتكم على الصراط المستقيم. والذي يستغني عن الله يصبح شيطاناً. لذا يجب على الإنسان أن يستمر في الاستغفار حتى لا ينشأ سم وحاس يهلك الإنسان. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ١٠)

استمروا في التوبة والاستغفار لأن الله تعالى قد وعد بأنه يوسّع في رزق المستغفرين. (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ٦/٢/١٩٠٨م، ص ٥)

الآية ٢٠١: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠١)، أي اذكروا ربكم

جل شأنه بحماس قلبي كما يُذكر الآباء. وليكن واضحا أن الحب حين يشتد كثيرا يشبه المخدوم الوالد. والحب المنزه عن كل كدورة وغرض يترسخ في صميم القلب بشقّ جميع حُجبه كأنه جزء منه، عندها تبدو علاقة حب المحب بالمحبوب وارتباطه الوثيق به كأنها في الحقيقة من الولادة، ويتحد مع طبعه وكأنه جزء منه لا يتجزأ، بحيث لا يتذكر وسيلة السعي والجهد أبداً. وكما أن الابن يشعر بعلاقة روحانية بأبيه عند تصور وجوده، كذلك يشعر هو الآخر كل حين وآن بهذه العلاقة باطنياً. وكما أن ملامح الأب وحليته تظهر بجلاء على وجه الابن ويجوز الابن سلوك الأب وعمله وخصاله وشمائله بنقاء تام، فقياساً على ذلك يكون الحال نفسه له أيضاً. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٥٩-٢٦٠ الحاشية)

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، من الواضح أنه لو كان استخدام

هذه الكلمات على سبيل المجاز من المنهيات الشرعية لنزّه الله تعالى كلامه من أسلوب يمكن أن يُستنبط منه جواز هذا الاستخدام. (مرآة كمالات الإسلام،

الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٦٥)

لقد خاطبني الله مرة وقال: "أنت مني بمنزلة أولادي. أنت مني بمنزلة لا يعلمها

الخلق". عندها شق المشايخ جيوبهم وقالوا: أيّ شك في كفره الآن؟ ونسوا الآية:

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠،

ص ٣٧٦، الحاشية)

لقد ذكر هنا سرّان اثنان. أولاً: لقد شبّه الله ﷻ ذكره بذكر الآباء. والسرّ في

ذلك أن حب الوالدين هو الحب الخالص والفطري. ألا ترون أن الطفل ينادي أمه

بصورة تلقائية وعفوية حتى وإن ضربته وقست عليه. فالله تعالى يعلم الناس في هذه الآية أن ينشئوا معه ﷻ علاقة حبٍ فطري. ثم تتولد الطاعة لأمر الله تلقائيا نتيجة هذا الحب. وهذا هو مقام المعرفة الحقيقية الذي يجب على الإنسان أن يتحلى به، بمعنى أنه يجب أن يتولد فيه حب فطري وخالص لله تعالى. (محاضرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٨٢)

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ هنا شبه الله تعالى بالأب، وهذه الاستعارة أيضا لا تتعدى التشبيه. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٧)

في كل واحد من بني آدم توجد نجاسة الحيض نوعا ما، ولكن الذي يتوب إلى الله تعالى بصدق القلب يكون له الحيض نفسه جسم طفلٍ طاهرٍ. وبناء على ذلك فإن الفانين في الله تعالى يُسمّون أبناء الله، ولكنهم ليسوا أبناء الله حقيقةً لأن ذلك كفر، فالله تعالى منزّه عن أن يكون له أبناء. إنهم يُسمّون أبناء الله على سبيل الاستعارة لأنهم يذكرون الله تعالى دائما بحماس القلب مثل الطفل الصغير؛ فقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى هذه المرتبة فقال: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. ولهذا السبب ذكر الله تعالى بكلمة "الأب" في كتب جميع الأقوام. وهناك تشابه بين الله تعالى والأم أيضا على سبيل الاستعارة؛ وهو كما أن الأم تربيّ الجنين في بطنها، كذلك يتربّي عباد الله المحبوبون لديه في حضن حبه تعالى وينالون جسما طاهرا بدلا من الطبيعة السيئة. إذن، فالأولياء والصوفيون إنما يسمّون أبناء الله على سبيل الاستعارة، إذ أن الله تعالى منزّه عن الأبناء ومن صفاته أنه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٨٢)

ما المراد من حب الله؟ إنما المراد أن يؤثر المرء مرضاة الله على والديه وزوجته وأولاده ونفسه وعلى كل شيء عزيز عليه. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. والجدير بالتدبر هنا أن الله تعالى لم يعلمنا أن نادوا الله أبا لكم، وإنما أعطى هذا التعليم لئلا ينخدع أحدٌ كالنصارى، ولا ينادي الله أبا.

فلو قال هنا أحد: هذا يعني أن هذا الحب لله أقلّ من حب المرء لأبيه، فليعلم أن الله تعالى قد قال هنا: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ دحضًا لهذا الاعتراض، ولو لم يقل الله هنا: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ لكان هذا الاعتراض في محله، ولكن هذه الجملة تفنّده. انظروا كيف سقط هؤلاء الذين ينادون الله أبًا، حيث اتخذوا الإنسان الضعيف إلهًا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠٢م، ص ٥)

يقول السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "رأيت ربي على صورة أبي"، وأنا أيضا رأيت الله تعالى على صورة أبي وكانت صورته ذات شوكة كبيرة. ولما كان أبي قد شاهد زمن الولاية لذا كان ذا همة عالية وعزيمة قوية. فرأيت جالسا على عرش عظيم، وألقي في قلبي أنه "الله". السر في ذلك أن الأب يكون عظيم الشأن من حيث الشفقة والرحمة ويكون شديد القرب والعلاقة، لذا إن رؤيتي إياه على صورة الأب تدل على علاقة الحب الشديد، لذلك ورد في القرآن الكريم أيضا: ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾. ومن إلهاماتي: "أنت مني بمنزلة أولادي" وهو على مفهوم ومصدق الآية المذكورة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٢م، ص ٧)

ما الذي عمّله الوجوديون؟ وماذا علموا مما لم نعلمه؟ وماذا نفعلوا الناس؟ ليس جواب كل هذه الأسئلة إلا لا شيء. إذا لم يكن أحد منهم مكابرا ومعاندا فليجبنا على هذا السؤال: إن الله يهدي إلى طريق المحبة والطاعة لقوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٦) وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾. فهل حدث في الدنيا قط أن يفنى الابن في محبة الأب، ويصير هو الأب؟ لا شك أنه يمكن أن يفنى في محبة الأب، ولكن يستحيل أن يصير الأب. إن الفناء النظري شيء ينتج من المحبة حتما، ولكن الفناء الذي يتخذ مبررا لخلق وجود جديد يزعم أنه هو الله، فهو فناء باطل. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٣٥، عدد: ٢٤/٩/١٩٠١م ص ٣)

الآية ٢٠٢: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

كلما اتسع نطاق علاقات المؤمن الدينيوية كان سبباً في علو درجاته، لأن الدين يكون نصب عينه، وتكون دنياه ومالها وجاهاها خادمةً للدين. فالأمر الأساس هو ألا تكون الدنيا غايته المنشودة، بل يكون الدين هو هدفه المنشود من كسبه الدنيا أيضاً، وأن يكسب الدنيا بحيث تصير خادمةً للدين. إذا أراد المرء السفر استخدم المطية أو أخذ الزاد معه، ولكن لا تكون المطية ولا الزاد في حد ذاتهما هدفه الحقيقي، إنما يكون هدفه الأساس هو الوصول إلى غايته المنشودة، كذلك تماماً يجب على الإنسان أن يكسب الدنيا جاعلاً إياها خادمة للدين.

لقد علّمنا الله تعالى دعاء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، وهنا ذكر الدنيا قبل الآخرة. ولكن أيّ دنيا؟ حسنة الدنيا التي تصبح مدعاةً للحسنات في الآخرة.

لقد تبين من تعليم هذا الدعاء جلياً أن على المؤمن عند كسب الدنيا أن يعتني بحسنات الآخرة كل الاعتناء. كما أن كلمة "فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً" تتضمن الإشارة إلى كافة الأساليب الحسنة التي يجب على المؤمن المسلم اتخاذها عند كسب الدنيا. فاكسبوا الدنيا بكل طريقة ممكنة تؤول بالصلاح والخير، ولا تتسبب في إيذاء أحد، ولا تكون مدعاة للعار والخلل. إن كسب الدنيا على هذا النحو سيكون مدعاة لحسنة في الآخرة حتماً. فاعلموا أن الذي ينذر حياته في سبيل الله فلا يكون كمن لا يحرك ساكناً. كلا، ثم كلا، بل إن الدّين ونذر الحياة لوجه الله تعالى يجعلان الإنسان يقظاً ونشطاً، فلا يقرب منه الكسل والخمول.

ورد في الحديث الشريف عن عمار بن خزيمة قال قال: عمر رضي الله عنه لأبي: ما منعك من زرع الأشجار في أرضك؟ قال أبي: إني شيخ هرم سأموت قريباً. قال عمر رضي الله عنه:

عليك زرع الأشجار. ثم رأيت عمر رضي الله عنه وهو يساعد أبي في زرع الأشجار في أرضنا. كان نبينا عليه السلام يستعيز من العجز والكسل دائما. لذا أقول لكم مرة أخرى: لا تكونوا كسالى. إن الله تعالى لا يمنع من كسب الدنيا، بل يعلمنا الدعاء لنيل حسنة الدنيا. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٩، عدد ١٦/٨/١٩٠٠، ص ٣-٤)

الإنسان بحاجة إلى شيئين من أجل إسعاد نفسه، أحدهما أن يبقى في مأمن مما يواجهه في الحياة الدنيا الوجيزة من المصائب والشدائد والابتلاءات، والثاني: أن ينجو من الفسق والفجور والأمراض الروحانية التي تُبعده عن الله تعالى. فالمراد من حسنة الدنيا هو أن يبقى الإنسان محفوظا من كل بلاء سواء كان جسديا أو روحانيا ومن الحياة السيئة والذلة. ﴿حُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. فإذا أصيب الإنسان بألم في الظفر فقط يفقد حلاوة الحياة. فمثلا أنا مصاب بألم خفيف تحت اللسان وأعاني منه بشدة، كذلك عندما تكون حياة أحد فاسدة -خذوا فئة المومسات مثلا ترون كيف مُلئت حياتهن ظلمة وهنّ كالبهائم دون أدنى انتباه إلى الله والآخرة- فحسنة الدنيا هي أن يحفظ الله العبد من كل بلاء ومن كل جانب سواء أكان متعلقا بالدنيا أم بالآخرة. وجانب الآخرة في الحسنة المذكور في ﴿فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ هو أيضا ثمة حسنة الدنيا، فلو نال الإنسان حسنة الدنيا لكان في ذلك تفاؤلا حسنا عن الآخرة. يخطئ من يقول بأنه لا حاجة لطلب حسنة الدنيا بل يجب أن تسألوا حسنة الآخرة فقط. إن الصحة الجسدية وغيرها أمور تريح الإنسان وبفضلها يستطيع أن يكسب شيئا للآخرة، لذلك تسمى الدنيا مزرعة الآخرة، والحق أن الذي يعطيه الله تعالى الصحة والعزة والأولاد والعافية في الدنيا وله أعمال صالحة يُتوقع أن تكون آخرته أيضا حسنة. (بدر، المجلد ١، رقم ١٠، عدد: ١٩٠٣/١/٢، ص ٧٧)

التوبة ليست أمرا زائدا أو عديم الجدوى للإنسان، ولا تقتصر فائدتها على القيامة فقط. كلا! بل يتحسن بها دين المرء ودنياه، ويتمتع بالراحة والسعادة في هذا العالم وفي الآخرة أيضا.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي ربنا هب لنا أسباب الراحة والطمأنينة في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضًا، ونجنا من عذاب النار. لاحظوا أن كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ تتضمن إشارة دقيقة تدل على التوبة، إذ تقتضي كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ أن الإنسان قد تبرأ من جميع الأرباب التي كان قد اتخذها سابقا ورجع إلى هذا الرب. ولا يمكن أن تخرج هذه الكلمة من صميم فؤاد الإنسان بدون الحرقه والرقه الحقيقية. والرب هو من يوصل الإنسان إلى الكمال، وهو من يريه. الحقيقة أن الإنسان يكون قد اتخذ أربابًا كثيرة، ويعتمد كليًا على حيله وخدعاته وهي تكون أربابه. إذا تفاخر المرء بعلمه أو قوته فذلك ربه، وإذا كان يتباهى بحسنه أو ماله أو ثرواته فهذه أربابه. خلاصة القول إن ألوفًا من الأسباب المماثلة تلازم الإنسان، ولا تتسنى له معرفة الرب الحقيقي ما لم يتخل عن جميع تلك الأسباب متبرئًا منها، ويخضع رأسه أمام الرب الحقيقي - الذي هو واحد لا شريك له - ويختر على عتبة بابه مرددًا كلمة "رَبَّنَا" بصوت ملؤه الألم والرقه تذيب القلب. إنه يعترف بذنوبه أمام هذا الرب بكل حرقه وتغان ويتوب إليه ثم يخاطبه بقوله: "رَبَّنَا"، أي أنت وحدك الرب الحقيقي، فقد كنت مخطئًا إذ ظلمتُ تأثها في أماكن أخرى، أما الآن فقد تخلّيتُ عن جميع الأصنام الكاذبة والآلهة الباطلة، وأقرّ بربوبيتك بصدق القلب وأختر على عتباتك.

باختصار، لا يمكن للإنسان أن يتخذ الله ربًا له بدون ذلك. لا يمكن للإنسان أن يعرف الرب الحقيقي ويقر بربوبيته ما لم يخل قلبه من جميع الأرباب الأخرى وعظمتها وتكريمها وتبجيلها. قد اتخذ بعض الناس الكذب ربًا لهم، ويرون أنه لا يمكن لهم العيش بدونهم، وبعضهم قد اتخذوا السرقة أو النهب أو الخداع ربًا لهم ويعتقدون بأنه لا سبيل لهم للرزق بدون هذا السبيل، وهكذا فقد اتخذ هؤلاء تلك الأمور أربابًا لهم. لاحظوا إذا كان هناك سارق ولديه جميع الأدوات اللازمة للنقب، والوقت وقت الليل المفيد لمطلبه، وليس هناك حارس متيقظ، فهل يرى في هذه

الحالة سبيل الرزق له إلا سبيل السرقة التي يمكن أن يأتيه رزقه من خلاله؟ فإنه يتخذ أدواته معبودا له. فمن يعتمد كلياً على حيله ويتكل عليها لا يرى حاجة للاستعانة بالله. إنما يحتاج إلى دعاء الله تعالى من يجد جميع الأبواب مسدودة أمامه إلا باب الله تعالى، عندها يخرج الدعاء من قلبه. خلاصة القول إن دعاء: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا...﴾ يقوم به من لا يعرف رباً سواه عز وجل، ويوقن أن جميع الأرباب الأخرى باطلة ولا تساوي هذا الرب الحقيقي.

ليس المراد من النار في قوله تعالى ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، هي التي ستكون يوم القيامة، بل إن الذي يعيش طويلاً في الدنيا يرى بأم عينه أن هناك أنواع النيران في الدنيا أيضاً. إذ يدرك ذوو الخبرة أن ثمة صنوف النيران في العالم، فشتى أنواع العذاب والخوف والفقر والفاقة والمرض والفشل والذلة والإدبار والمخاوف والآلام والأذى من قبل الأولاد والأزواج والمشاكل الناشئة بين الأقارب عند المعاملات معهم؛ كلها نار. لذا فالمؤمنون يدعون الله تعالى أن يقيهم هذه النيران كلها ويقولون: ربنا ما دمنا قد تمسكنا بأهدابك فاحمنا من كل هذه الآفات التي تجعل حياة الإنسان مريعة وهي بمنزلة النار للإنسان. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤٤/٣/١٩٠٣ م، ص ٩-١٠)

الآية ٢٠٨: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

إن أفضل الناس من يتفانون في ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويشترون رضوانه بنفوسهم؛ وهؤلاء هم الذين تشملهم رحمة الله. وكذلك فمن حاز درجة الروحانية حقاً ضحى بنفسه في سبيل الله تعالى.

يقول الله في هذه الآية: إنما ينال النجاة من كل الآلام من يبيع نفسه في سبيلي ونيل مرضاتي، ويثبت ببذل نفسه أنه لله تعالى، ويرى أن كيانه كله لم يخلق إلا لطاعة

الله وخدمة المخلوق. ثم يأتي بالحسنات الحقيقية التي تتعلق بكل ملكة من ملكاته برغبة وشوق، وحضور قلبٍ وكأنما هو ناظرٌ في مرآة طاعته إلى حبيبه الحقيقي حتى إن إرادته توافق إرادة الله تماماً، وتنحصر لذته كلها في طاعته، وتصدر عنه جميع الأعمال الصالحات على سبيل اللذة وليس عن طريق المشقة.

هذه هي الجنة الدنيوية التي يحظى بها الإنسان الرباني فوراً. وأما جنة الآخرة فما هي في الحقيقة إلا آثار هذه الجنة الحاضرة وأظلالها، وسوف تمثلها القدرة الإلهية في العالم الثاني عياناً في صور حية محسوسة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٥)

إن عبد الله المحبوب عنده يضحي بنفسه فداءً في سبيله تعالى ويشري بها مرضاته تعالى. وأمثاله هم الذين يصبحون مورداً لرحمة خاصة من الله. هذه إذن هي روح الاستقامة التي بها يلاقي الإنسان ربه. فليفهمها من شاء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٢١)

منهم الذين يشرون أنفسهم في سبيل الله ليرضى بهم بحال من الأحوال. (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٧٣)

من المؤمنين أناس يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله؛ هم الذين تشملهم رحمة الله. (نور القرآن، رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٤٠)

إن عباد الله الذين يؤثرون الدين على الدنيا يعاملهم الله بالرأفة والمحبة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. من هم عباد الله؟ إنهم أولئك الذين يندرون في سبيل الله حياتهم التي وهبهم إياها، ويضحون بأنفسهم في سبيل الله، ويرون إنفاق المال في سبيله فضلاً من الله وسعادة لهم. أما الذين يجعلون أملاك الدنيا وعقاراتها هي غايتهم المتوخاة، فينظرون إلى الدين بنظرة فاترة، وهذا ليس دأب المؤمن الحقيقي والمسلم الصادق. إنما الإسلام الحقيقي أن ينذر المرء قواه وقدراته كلها في سبيل الله ما دام على قيد الحياة، ليرث حياة طيبة. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٩، عدد ١٦٨/٨/١٩٠٠م، ص ٣)

الآية ٢٠٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

أي يا أيها المؤمنون سلّموا أعناقكم في سبيل الله ولا تتبعوا سبل الشيطان. والمراد من الشيطان هنا هم أولئك الذين يعلمون السيئات. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤١٦)

الآية ٢١١: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

أي سيظهر جلاله بواسطة مظهره الإنساني ويرى وجهه. لقد ساد الكفر والشرك إلى حد كبير ولكن الله ظل ساكتا صامتا، وصار مثل كنز مخفي، أما الآن وقد بلغت غلبة الشرك وعبادة الإنسان أوجها ووُطئ الإسلام تحت الأقدام، فقال الله إني سأنزل إلى الأرض وسأري آيات قاهرة لم أرها منذ أن خلقت نسل آدم، والحكمة في ذلك أن الدفاع يكون بقدر شدة هجوم العدو، والآن قد بالغ عبّاد الناس في الشرك، وقد وصل هذا الغلو منتهاه، لذا فسوف يحارب الله بنفسه الآن، ولن يعطي سيفاً في أيدي الناس، ولن يكون هناك جهاد، بل سيري عليه السلام قدرته. (حقيقة الوحي، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٨)

"إذا نزل أحد منهم بجسمه العنصري.. فلزم أن يترك مقامه خالياً ويخرج من صفّه، ويبعد عن مقام تسبيحه أو ركوعه أو سجدته الذي أقامه الله عليه، وينزل إلى الأرض كالمسافرين، وما نرى في القرآن أثراً من هذا التعليم، بل جعل الله نزول الملائكة كنزول نفسه، وجعل مجيئهم كمجيء ذاته. ألا تنظر إلى هذه الآية.. أعني قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٣)، وقوله عَلَيْكَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. وههنا نكتة أخرى.. وهي أن الله إذا نزل إلى الأرض مع ملائكته فلا بد

من أن ينزل الملائكة كلهم، فإن الملائكة جند الله فلا يجوز أن يتخلف أحد منهم عند نزول رب العرش إلى الأرض، فإذا تقرر هذا فيلزم منه أن تبقى كل سماء من العرش إلى السماء الدنيا خالية عند نزول الله تعالى على الأرض، ليس فيها رب رحيم رب العرش ولا ملكٌ من الملائكة، واللازم باطل فالملزوم مثله كما لا يخفى على المتفكرين. " (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٨٢)

الآية ٢١٥: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْجِئِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

يظن الناس خطأ أن فلاناً ذهب إلى فلان وصار من الصديقين في لمح البصر بدون أدنى مجاهدة وتركية نفس. انظروا في القرآن الكريم لتعلموا أن الله تعالى لن يرضى عنكم حتى تحلّ بكم المصائب والزلازل كما حلّت بأنبياء الله الذين اضطروا أحيانا ليقولوا ما قالوا؛ إذ ورد ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ﴾ فعباد الله ألقوا في المحن في أول أمرهم دائماً، ثم قبلهم الله تعالى. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧ م، ص ٤٣)

إن رحمة الله ستأتي سريعاً بعد أيام الابتلاء. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٥٩)
"أن تدخلوا الجنة" إن الجنة بحسب تصور المسلمين ليست جنة مادية فقط بل هي دار رؤية الله، وهي دار السعادتين الروحانية والمادية، أما بحسب تصور المسيحيين فهي مادية فقط. (حجة الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٤٧)

إن الله ﷻ أيضاً يقول للمؤمنين: إن نعيم الجنة يفوق الإدراك، ولم تُعطوا العلم الحقيقي بها، ولكنكم سوف تنالون النعم التي لم ترها عينٌ ولم تسمعها أذنٌ ولم تخطر على قلب بشرٍ، وأُخفيت عنكم حالياً. فإنما ستكشف علينا جميع تلك الأمور الخفية عندما نناولها، فكل ما ورد في القرآن الكريم والحديث من الوعود

فإنما هي بمنزلة مثل، إذ قد قيل بحقها إن تلك الأمور خفية لم يطلع عليها أحد. فلو كانت تلك اللذات هي نفسها التي يشعر بها المرء بشرب الشراب أو الخمر في هذه الدنيا أو اللذة التي يتمتع بها عند مضاجعة المرأة، لما قال الله تعالى إنها أمور لم ترها عين ولم تسمعها أذن وما خطرث على قلب بشر. فنحن المسلمون نؤمن بأن الجنة التي هي دار الجزاء للجسم والروح ليست دارا ناقصة للجزاء، بل سوف ينال فيها الجسم والروح كلاهما جزاءهما بحسب حالاتهما، كما سيعاقبان معا في جهنم بحسب أوضاعهما، ونفوض تفاصيلها الحقيقية إلى الله، ونؤمن بأن الجسم والروح كلاهما سيشارك في الجزاء والعقوبة، وهذه العقيدة تنسجم مع العقل والإنصاف. فمن منتهى الخبث والوقاحة ومن أعمال أبناء الحرام أن يطعنوا في القرآن الكريم بأنه يعد بالجنة المادية فقط، إنما القرآن يصرح بجلاء إن كل من يدخل الجنة فسوف ينال الجزاء الروحاني والجسماني كليهما، فكما سيتمتع بالنعمة المادية سيتمتع بالنظر إلى الله تعالى أيضا، وهي أسمى لذة في الجنة، كما ستكون هناك لذة المعارف أيضا ولذة أنواع الأنوار ولذة العبادة أيضا، لكن الجسم أيضا سينال سعادته التامة. (نور القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٢٣-٤٢٤)

"ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا إن كان هذا هو المسيح الذي أرسل لكسر الصليب وقتل الخنازير فقد مضت عليه إحدى عشرة سنة من رأس القرن، فأبي صليب كُسر، وأي خنزير قُتل، وأي جزية وُضعت، ومن ذا الذي دخل في الإسلام وترك سبل الكافرين؟

أما الجواب فاعلم أن الحق لا يأتي دفعة بل يأتي تدريجا، وفي العيني عن ابن عباس رضي الله عنه: يُقيم عيسى تسع عشر سنة لا يكون أميرا ولا شرطيا ولا ملكا. وقد مضت على رسول الله ﷺ ثلاث عشر سنة في مكة وما لحق به في هذه المدة إلا فئة قليلة من المساكين. وكان من بعض علاماته المكتوبة في التوراة فتح الروم

والشام وبلاد فارس، فما عاينها الناس في وقت حياته، وما تبعه جموع كثيرة من كل قوم ومثلك إلا بعد انتقاله إلى رفيقه الأعلى، بل ما رأى في أوائل زمانه إلا مصيبة على مصيبة، والذين آمنوا معه آذاهم القوم إيذاءً كثيراً وعيروهم وطردهم وقالوا عليهم كل كلمة شريرة كاذبين. وهكذا طردوا الأنبياء كلهم، ومستهم البأساء والضراء في أوائل زمانهم، فمضت على ذلك الابتلاء مدة طويلة حتى قالوا متى نصر الله، فهلك من كان من الهالكين، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَزُلْوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ﴾، فكَذَلِكَ يريد أبناء هذا الزمان ليقتلوني أو يصلبوني أو يطرحوني في غيابة جبٍّ، ويدوسوا الصداقة بأرجلهم، ويحرقوا الأشجار الخضرة كما يُحرق الحشائش اليابسة، فالله المستعان على ما يكيدون وهو خير الناصرين. وأما نصره الذي ينكرونه فشيء سترى ما لا تسمع، بل ظهرت علاماته في أعين الناظرين.

ألا ترى أن الزمان كيف انقلب إلى التوحيد .. وكيف هبَّت رياح الإسلام في بلاد المشركين .. وكيف يدخلون في دين الله أفواجا في كل مُلك؟ فما هذا إلا النور الذي نزل من السماء مع الذي أنزل لإصلاح الناس، فأَي دليل واضح من هذا إن كنت من المنصفين؟ يا مسكين .. قُمْ وافتح العين لتتظر كيف يُكسر الصليب ويُقتل الخنزير بحربة السماء. وأما قتل الناس بآلات هذه الدنيا فليس بشيء عجيب. أليس الملوك يفعلون أيضا ذلك؟ فتحسَّن حربة الله، ولا تكن من المنكرين. " (حماسة البشرى، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ٣١٧-٣١٨)

ينبغي أن نؤمن بأن وعود الله صادقة. وإن وعده حق حتى لو بدت جميع الأسباب منافية، وإن وعده حق حتى لو لم يكن أحد معنا، فإنما يضعف وعد الذي تضعف قدرته وصلاحيته. ألا إن إلهنا هو القادر ولا يطرأ عليه أي ضعف مطلقا، وهو كل يوم هو في شأن، فعلى أفراد جماعتنا أن يتمسكوا بهذا الإيمان.

أحيانا تطرأ الابتلاءات على الجماعة، ويتشتتون، كما انتشر صحابة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة والحبشة، لكن الله ﷻ في نهاية المطاف جمعهم في مكان واحد، فلا ابتلاء من سنته، وتصيب الزلازل حتى لا يبقى مناص من القول ﴿مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ (البقرة: ٢١٥)، ويختلج في قلوب البعض وسوسة أنه قد تكون تلك الوعود كاذبة، إلا أن قول الله يتحقق في النهاية. (بدر، المجلد ٣، رقم ١٠، عدد: ٨/٣/١٩٠٤، ص ٤)

الآية ٢١٧: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

عندما يكون الدعاء جديرا بالقبول يخلق الله تعالى حماسا صادقا واضطرابا في قلب الداعي. وفي كثير من الأحيان يعلم الله تعالى الدعاء بنفسه، ويخبر بالأسلوب أيضا بالإلهام كما يقول: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ (البقرة: ٣٨). يتبين من ذلك بكل جلاء أن الله تعالى يعلم عباده الصالحين الأدعية الجديرة بالقبول إلهاما. وفي بعض الأحيان يكون في تلك الأدعية شيء لا يُعجب الداعي ولكنه يُجاب. يبدو أن ذلك يحدث بحسب الآية: ﴿عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٢، ص ٧)

هناك أشياء كثيرة تحبونها ولكنها لا تكون جيدة، وهناك أشياء كثيرة أخرى لا تحبونها ولكنها تكون مفيدة لكم في الحقيقة. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣، عدد ٢٤٤/١/١٩٠٤، ص ٢)

الآية ٢١٨: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ

فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠٥﴾

أي أن القتال في الشهر الحرام إثم ولكن الصد عن سبيل الله والكفر وإخراج عباد الله الصالحين من المسجد الحرام إثم أكبر. وأن التمرد أي الإخلال بالأمن إثم أكبر من القتل. ولن يزال هؤلاء الناس يقاتلونكم ليصرفوكم عن الدين الحق إن استطاعوا. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٥)

الآية ٢١٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي الذين آمنوا وتركوا أوطانهم وأهواءهم النفسانية وجاهدوا في سبيل الله، أولئك يرجون رحمة الله... وأن فيض رحيمية الله تعالى يحالف حتما أولئك الذين يستحقونه. وليس هناك أحد طلبه ولم يجده.

عاشق که شد که یار بحالش نظر نہ کرد اے خواجہ درد نیست و گر نہ طیب ہست

أي عاشق هذا الذي لا يلتفت حبيبه إلى حاله.. فيا صاحبي لا وجود للألم الحقيقي، وإلا فالطبيب موجود. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٥١-٤٥٢ حاشية رقم ١١)

الآية ٢٢٣: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

أي اجتنبوا النساء أيام الحيض ولا تقربوهن -أي قصد الجماع- حتى يطهرن. فإذا كان الفيدا أيضا يضم بيان الاعتزال بهذا الوضوح فأرونا ذلك. لكن هذه الآيات لا تعني أن مجرد مسّ الزوج امرأته بيده -دون قصد الجماع- حرام عليه، فمن الحمق والغباء أن يركز المرء على هذا الأمر لدرجة يحدث الخلل في الحاجات الاجتماعية

حيث تُعتبر المرأة أيام الحيض سمّا زعافا يؤدي مسّها إلى الموت فورا، إذا كان مسّ المرأة بغير نية الجماع حراما لواجهت النساء المسكينات أشد المصائب، فلو مرضت إحداهن ما استطاع أحد جسّ نبضها، ولو سقطت على الأرض ما أنفضّها أحد، ولو كانت بحاجة إلى تدليك الأيدي والأرجل عند الإصابة بألم لما قدر على ذلك أحد، ولو ماتت لما دفنها أحد، لأنهن نجسات لدرجة حرّم مسّهن. فكل هذه جهالات السفهاء، وإنما الحق أن ما حرّم على الزوج أيام الحيض هو الجماع فقط. أما ملاطفة الأزواج نساءهم ومداعبتهم حبا فليست محرّمة. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٩)

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، فباستخدام كلمة "التوابين" قد لفت الله انتباهنا إلى الطهارة الباطنية والنظافة، وبكلمة "المتطهرين" رغبنا في النظافة الظاهرة والطهارة. وليس المراد من هذه الآية أن الله ﷻ يحب فقط أولئك الذين يهتمون بالطهارة الظاهرة، بل ذكر أيضا كلمة "التوابين" ليشير إلى أن حب الله لعباده على وجه أكمل وأتم، والذي يُكسب النجاة يوم القيامة، مرتبط بتوبة الإنسان إلى الله بصدق بالإضافة إلى الاهتمام بالطهارة الظاهرة. لكن المهتم بالطهارة الظاهرة فقط في العالم يمكن أن يستفيد من هذا الاهتمام بحيث يسلم من الأمراض الجسدية الكثيرة. وصحيح أنه لا يقدر على ملاحظة نتائج الحب الإلهي السامي، لكنه لما كان قد أنجز شيئا بحسب مشيئة الله، أي قد طهر بيته وجسده وملابسه من النجاسات، لذا تقرر أن يُعصم من بعض الآفات الجسدية إلا إذا كان قد استحق العقاب لكثرة الذنوب؛ لأن في هذه الحالة لن يُهيئ الله له التمسك بالطهارة الظاهرة كما هو حقّها ويجعله يستفيد من نتائجها. باختصار، بحسب الوعد الإلهي يمكن أن يشترك في الجزء الخفيف والبسيط من الحب حتى ذلك العدو الذي يسعى للطهارة الظاهرة في حياته الدنيا، كما يلاحظ في التجارب أن الذين يُنظّفون بيوتهم جيدا ولا يدعون مجاري مياههم تتسخ ويغسلون أيديهم على الدوام، ويخلّلون بين

أصابعهم، ويستخدمون أعواد الأسنان للتنظيف، ويتسوّكون ويُطهّرون أجسامهم ويحتنبون الرائحة الكريهة والعفونة، فهم يسلمون عادةً من الأمراض الوبائية الخطرة. فكأنهم بذلك ينتفعون من وعد: ﴿يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، أما الذين لا يُبالون بالطهارة الظاهرة فهم يقعون في الفخ أخيراً يوماً من الأيام، حيث تصيبهم الأمراض الخطيرة. إذا قرأتم القرآن الكريم بتدبر أدركتم أن رحمة الله اللامنتهية أرادت أن ينجو الإنسان من العذاب الروحاني باتخاذ الطهارة الباطنية، ويسلم باتخاذ الطهارة الظاهرة من العذاب الدنيوي المتمثل في أنواع الأمراض والأوبئة، وهذه السلسلة بيّنها القرآن الكريم من أوله إلى الأخير، فهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ تُبيّن بجلاء أنّ المراد من التوابين هم الذين يسعون للطهارة الباطنية، أما المراد من المتطهرين فهم الذين يجتهدون على الدوام للطهارة الجسدية الظاهرة. وكذلك يقول الله ﷻ في آية أخرى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (المؤمنون: ٥٢)، وباقتراحهما نستنتج أن عقوبة الخبيثين ضرورية في عالم الآخرة، لأنه حين نترك قواعد الطهارة الجسدية في هذا العالم نُصاب فوراً بآفة ما، ومثل ذلك من الضروري إذا أهملنا مبادئ الطهارة الروحانية أن يحل علينا بعد الموت عذابٌ أليم كالوباء نتيجة أعمالنا. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣٣٦-٣٣٨)

إن أفضل ما في البيعة هو التوبة، ومعناه الرجوع. التوبة تعني أن يهجر الإنسان معاصيه التي قد ازداد بها كلفاً وتعلّقاً واتخذها له وطناً، فكأنه يعيش في وطن المعاصي، والرجوع في هذا السياق يعني أن يتطهّر من تلك المعاصي. وترك الوطن شاقٌّ على المرء جداً، حيث يكابد في تركه صنوف المعاناة. كم يعاني المرء عند ترك بيته، أما عند هجرته من وطنه فيضطر لقطع صلته عن أحبابه كلهم، ويذهب إلى بلد جديد تاركاً وراءه كل شيء من سرير ودار وفناء وجار وسكك وزقاق وأسواق، أعني أنه لا يرجع بعد ذلك إلى وطنه الأول أبداً. هذا هو معنى التوبة، فإن أصدقاء المعصية غير أصدقاء التقوى، وقد سمى الصوفية هذا التغير موتاً.

التائب يتكبد خسائر كبيرة، ويواجه حرجاً كبيراً عند التوبة الصادقة، ولكن الله رحيم كريم، فلا يتوفى عبده التائب ما لم يمنّ عليه بنعم البدل من كل ما خسر. وهذا ما يشير إليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾، أي أن التائب يصبح بتوبته فقيراً عديم الحيلة، ولذلك يحبه الله ويُدخله في زمرة الصالحين. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨ - ١٢/٥/١٩٠٢م، ص ٣٦)

أي أن الله تعالى يحب الذين يريدون الطهارة الروحانية والنظافة الظاهرة أيضاً. إن النظافة الظاهرة تساعد على الطهارة الروحانية، ولو تركها الإنسان ولم يتطهر بعد التغوّط فلن ينال من الطهارة الروحانية شيئاً. تذكّروا أن النظافة الظاهرة شرط للطهارة الروحانية، لذلك من واجب المسلم أن يغتسل يوم الجمعة على الأقل، ويتوضأ عند كل صلاة، ويستخدم الطيب عند صلاة الجماعة. وقد جاء الأمر بالتطيب في العيدين ويوم الجمعة للحكمة نفسها. الواقع أن اجتماع الناس فيه خطر العفونة، والاعتسأل ولبس اللباس النظيف والتعطر كل هذه تحول دون تولد العفونة السامة. وكما أن الله تعالى جعل هذا القانون هنا، فقد جعل لما بعد الموت أيضاً قانوناً مماثلاً. (كتيب "الإنذار"، ص ٧-٨، طبعة ١٩٣٦)

لا شك أن الله تعالى يحب التوابين ويحب الذي يبتغون الطهارة. لا يتبين من هذه الآية فقط أن الله يحب التوابين بل يثبت أيضاً أن التزكية والطهارة الحقيقية مشروط بالتوبة الحقيقية، والتخلي عن كل نجاسة وقذارة أيضاً، وإلا فإن مجرد تكرار كلمة التوبة لا ينفع شيئاً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤م، ص ١) اعلم أن الذنب سمٌّ وَهَلَكَةٌ، والتوبة والاستغفار ترياق. لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٠، عدد ٦/٧/١٩٠٦م، ص ٣)

إن الله لا يضيع الذين يدعون. عندما يدعو الإنسان بتضرع عند مواجهة المصيبة يأمر الله الملائكة لينقذوه، فيُنقذ فعلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧م، ص ١٠-١١)

التوبة الحقيقية تجعل الإنسان حبيب الله، ويوفَّق بها الإنسان للطيبة والطهارة، كما وعد الله في ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. فالتوبة في الحقيقة شيء إذا تم القيام بها مع لوازمها الحقيقية فبها تبذر بذرة الطهارة في الإنسان التي تورث الإنسان الحسنات. ولذلك قال النبي ﷺ "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" أي تغفر ذنوب التائب التي ارتكبها قبل التوبة، فالله ﷻ يعفو بفضله عن أوضاعه السابقة والتصرفات المشينة السخيفة وظلمه ويعقد عهد الصلح مع الله ﷻ ويبدأ له حسابٌ جديد. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٨، عدد ١٧/١٠/١٩٠٣م، ص ١)

الحق أن بالاستغفار والتوبة تُغفَر ذنوب المرء، ويحبه الله ﷻ، فقد قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ إن التائب توبة صادقة في عداد المعصومين، فذنوبه السابقة تغفر. أما المستقبلية فعليه أن يجعل معاملته مع الله صافية، وبذلك سينضم إلى أولياء الله، ولن يخاف ولن يحزن. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤م، ص ٥)

إن الله يحب التوابين والذين يذنبون قصارى جهدهم أن يتطهروا من الذنوب بحال من الأحوال. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٤)

هناك توابون وهناك متطهرون أيضاً، فالتواب من يعود كلياً إلى الله. أما المتطهر فيستمر في المجاهدات والرياضات، وتكون في قلبه لهفة وأمنية عارمة في أن يتطهر من الشوائب، ويقهر ثوائر النفس الأمّارة بأي طريقة، ويصبح زكي النفس. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤، عدد ١٤/١/١٩٠٨م، ص ٢)

الآية ٢٢٤: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

إن الإسلام قد أعلن الغاية المتوخاة من النكاح، وهي أن يتيسر للناس علاج الشهوات النفسانية عن طريق شرعي قد حدّده الله في قانون الطبيعة منذ القدم، وبذلك يفوزون بالعفاف والورع ويتجنبون طرقا غير شرعية ومحرمة لإشباع الشهوة، فهل يمكن أن يقال بحق من قال في كلامه الكريم: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ إن الهدف من الزواج أن يشبع الناس شهواتهم ولا يكون له أي هدف غير ذلك. فهل الهدف من الحرث هو اللهو واللعب أو أن يحصد ما زرعه كاملا؟ ثم أقول: هل من قال في كلامه المقدس ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (النساء ٢٥) أي يجب أن تكون غايتكم من النكاح أن تفوزوا بالعفة والورع وتجتنبوا نتائج الشهوات الوخيمة، ولا ينبغي أن تنصرفوا إلى هذا العمل خاضعين للشهوة كالحيوانات بعيدا عن الهدف الطيب. فهل يُظَنّ في الله الحكيم أنه أراد في تعليمه أن يجعل المسلمين عبدة الشهوات؟ فهذه الأمور لم تردّ في القرآن الكريم فقط، بل قد روي عن النبي ﷺ الموضوع نفسه في البخاري ومسلم من كتب الحديث المسلّم بها. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠ ص ٤٤)

أي إن نساءكم كمثّل حرث لكم لإنجاب الأولاد... ولكن عليكم أن تراعوا الواجبات تجاه الحرث، أي يجب ألا تباشروهن بطريقة تمنع الإنجاب. كان بعض الناس في صدر الإسلام يعزلون عند الجماع فمنعهم الله تعالى من ذلك وسمّى النساء حرثا، أي أرضا تنبت فيها الغلال بكل أنواعها. وبين في هذه الآية بأنه لما كانت المرأة في الحقيقة مثل الحرث وتُنجب الأولاد كما تنبت الغلال من الحرث فلا يجوز أن يُمنع ذلك الحرث من إنجاب الأولاد. أما إذا كانت المرأة مريضة وكان من المؤكد أن الحمل سيهدد حياتها، أو إذا كان هناك مانع آخر مبني على صحة النية فهذه الحالات استثناء من ذلك، وإلا فإن منع الإنجاب لا يجوز عند الشرع مطلقا.

فلما سمى الله تعالى المرأة حرثا، فلكل عاقل أن يفهم أنه سمّاها كذلك لأنه عدّها سببا لإنجاب الأولاد، وجعل الأولاد أيضا بين أهداف النكاح ليتولد عباد الله ليذكروه. وجعل الهدف الثاني من ذلك غض البصر وأن يجتنب الزوجان سوء النظر، وعدّ الهدف الثالث أن يتولد الأنس المتبادل بينهما ويجتنبا ألم العزلة. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٩٢-٢٩٣)

الآية ٢٢٥: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

الحلف اللغو ممنوع بحسب القرآن الكريم لأنه يمثل سخرية من الله وتجاسرا عليه، كذلك الحلف الذي يمنع من الأعمال الصالحة أيضا ممنوع كما حلف أبو بكر رضي الله عنه على عدم إعطاء الصدقة للصحابي مسطح في المستقبل فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ أي يجب ألا تقسموا قسما يمنع من الأعمال الصالحة...

لقد جاء في التفسير للمفتي أبي مسعود، مفتي السلطنة العثمانية تحت الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ بأن المراد من العُرْضة أن يعجز شيء من عمل معين ويمنع منه. وورد أيضا أن هذه الآية نزلت بحق أبي بكر الصديق حين أقسم أنه لن يتصدق في المستقبل على الصحابي مسطح لاشترائه في حديث الإفك. فيقول الله تعالى بآلا تحلفوا بما يمنعكم من الأعمال الصالحة، غير أن الحلف لحل الأمر المتنازع فيه ليس ممنوعا. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢٢، عدد ١٠/٧/١٩٠٤م، ص ٧)

الآية ٢٢٦: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

الأفكار التي تنشأ في القلوب تلقائيا لا يُعتَبَر المرء مذنبًا بسببها، وإنما لاعتباره مجرما عند الله هناك ثلاث حالات، أولا: أن تجري على لسانه كلمات خبيثة معادية للدين والصدق والإنصاف. ثانيا: أن تصدر من الجوارح أي أعضاء الجسم تصرفات المعصية.

ثالثاً: أن يعقد القلب عزيمة على ارتكاب معصية أي يعقد العزم على أنه سيرتكب سيئة، وإلى ذلك يشير قول الله ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذْكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي أن الإنسان سيؤاخذ على الذنوب التي يكسبها القلب بإرادة، أما مجرد ما يخطر في القلب فلن يؤاخذ عليه، لأن الطبع الإنساني ليس له سيطرة عليها، فالله الرحيم لا يؤاخذنا على الأفكار التي هي خارج نطاق سيطرتنا، وإنما يؤاخذ حين نتبع تلك الأفكار بعزيمة القلب باللسان أو باليد، بل نكسب الثواب أحياناً على تلك الأفكار. وإن الله تعالى لم يذكر في القرآن الكريم الذنوب التي يرتكبها الإنسان بيديه وأقدامه فحسب، بل قد ذكر ذنوب الأذن والعين والقلب أيضاً كما يقول تعالى في كلامه المجيد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧). انظروا كما ذكر الله تعالى ذنب السمع والبصر، كذلك ذكر ذنب الفؤاد أيضاً، لكن ذنب الفؤاد ليس تلك الأفكار والأخيلة لأنه لا سيطرة للقلب على نشوئها، وإنما ذنب القلب عقد العزم على ارتكابه، فمجرد الأفكار التي لا يقدر الإنسان على منعها لا تعدّ إثماً، إلا أنها ستعدّ إثماً عندما يعزم الإنسان عليها، ويعقد العزم على ارتكابها. وكذلك يقول الله جل شأنه عن الذنوب الخفية الداخلية: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ (الأعراف: ٣٤). (نور القرآن رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٢٧-٤٢٨)

الآية ٢٢٧: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

إن الذين يعتزمون على الانفصال من زوجاتهم ينبغي ألا يتسرعوا في الطلاق بل ينبغي أن ينتظروا أربعة أشهر، فإن رجعوا خلاها عن إرادتهم هذه فسيجدون الله غفوراً رحيمًا.

الآية ٢٢٨: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

أي إذا كانت المطلقة مظلومة في علم الله ودعت الله فسوف يسمع الله دعائها.

(الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ٥٢)

الآية ٢٢٩: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

إن الآريين حين لا يستطيعون الرد على الاعتراض الوارد على النيوك ويفحمون ويعجزون عن الجواب فلا يعملون بالإنصاف وخشية الله، بل يلصقون بالإسلام اعتراضات كريهة وافتراءات باطلة، فبعضهم يثيرون مسألة الطلاق مع علمهم أن في كل قوم هناك احتمال ظهور مشاكل طبعا يتعذر الخلاص منها بدون الطلاق، فمثلا إذا كانت المرأة زانية فكيف تقبل غيرة زوجها أن يسمح لها بممارسة الدعارة ليل نهار على كونها زوجة له؟ كذلك إذا تمادت زوجة أحدهم في عداء الزوج حتى بدأت تخطط لاغتياه فهل يمكن أن يعايش مثل هذه المرأة بهدوء وسكينة؟ كلا بل إن الغيور حين يلاحظ أن زوجته ساءت لدرجة يمسك بها الأشخاص الأجانب لإشباع شهوتهم ويقتلونها ويعانقونها وهي ترضى بذلك كله وتسمح لهم بهذه التصرفات عن طيب خاطرها، فإن لم تكن قد أقدمت على الزنا في الحقيقة إلا أن تلك الفاسقة تتحين الفرصة له، فلا يقبل أي غيور أن يبقى زوجها هذه المرأة الفاسقة، وإذا قال الآريون: ما الحرج في ذلك ولا بأس بذلك، فلا نريد أن نناقشهم وإنما خطابنا موجّه إلى أولئك النجباء الذين فطّرهم الله ﷻ على الحياء والغيرة. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٦٥)

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ راجيات الرجوع. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٥٢)

ردا على سؤال: هل يمكن أن تكون المرأة نبيّة؟ فقال: لا، فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء: ٣٥)، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةً﴾ فالنساء في الحقيقة تابعات للرجال، فحين أغلق باب لصاحب الدرجة وصاحب المرتبة فما بال هؤلاء المسكينات ناقصات العقل. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧٤/٤/١٩٠٣م، ص ٩-١٠)

لم يحفظ أي دين آخر حقوق المرأة قطعاً كما حماها الإسلام، فقد قال بإيجاز: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي كما للرجال حقوق على النساء فمثلها للنساء أيضاً على الرجال. لكنه يُسمع عن بعض الناس أنهم يعتبرون المسكينات بمثابة الحذاء، ويعهدون إليهن أدنى الأعمال وأذلها، ويسبّونهن ويحتقرونهن ويطبّقون عليهن أحكام الحجاب بطريقة غير مشرّعة وكأنهم يندونهن.

يجب أن تكون العلاقة بين الزوجين كالعلاقة بين صديقين صادقين ومخلصين، فالزوجات هن أول شهيد على أخلاق المرء وعلاقته بالله. وإذا كانت علاقة المرء ليست جيدة مع زوجته فكيف يرجى أن يعقد الصلح مع الله؟ فقد قال النبي ﷺ: "خيركم خيركم لأهله". (بدر، مجلد ٢، رقم ١٨، عدد ٢٢٥/٥/١٩٠٣، ص ١٣٧)

الآية ٢٣٠: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

في هذه القروء الثلاثة التي تُقدّر مدتها بثلاثة أشهر يحدث الطلاق مرتين، أي يطلق الزوج زوجته بعد كل حيض، وعند حلول الشهر الثالث يجب أن يتنبه الزوج لأنه إما أن يطلق مرة ثالثة ويسرّحها بإحسان ويقطع العلاقات نهائياً، أو يحتنب الطلاق الثالث ويسكن المرأة في بيته بحسن العشرة، ولا يجوز له أن يأخذ ما أعطى امرأته من مال قبل الطلاق. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٥٢)

حين نتدبر النكاح لا نتوصل إلى أي حقيقة له إلا أن نقول إن المراد منه تعايش إنسانين معا بموجب شروط العقد الطيب، وإن الذي ينقض الشروط يكون جديرا بالحرمان من حقوق العقد من المحكمة، وهذا الحرمان بتعبير آخر يسمى الطلاق، فالطلاق انفصال تام بين الزوجين حيث لا يتأثر المطلق سلبيا بتصرفات المطلقة، أو بتعبير آخر يمكن أن نقول إذا فسخت المرأة المتزوجة عقد النكاح بسلوكها السيئ، فهي كعضو فسد وتعفن، أو كالسن التي نخرها السوس وهي تؤلم الجسم كله دوما بشدة وتؤذيه، فتلك السن لم تبق في الحقيقة سنا، ولا ذلك العضو المتعفن عضوا في الحقيقة، وسلامة المرء في أن يقتلعها أو يبتز ذلك العضو ويرميه. وكل هذه العملية توافق قانون الطبيعة. ليست علاقة المرأة بالرجل كعلاقتها بيدها أو قدمها إلا أنه إذا أصيبت يد أحد أو قدمه بمرض فقد أجمع الأطباء والمعالجون على أن بقاء حياته يكمن في بترها. فمن منكم لا يرضى بقطع عضو لحماية النفس؟ كذلك إذا جلبت زوجتك - بسلوكها السيئ وذنوبها الكبير - الوبال عليك، فهي عضو فاسد ومهترئ، ولم يعد عضوا لك فأسرع إلى بتره وارمه خارج البيت، وحذار أن ينتشر سُمُّه في جسمك الكامل فيهلكك. ثم إذا أكل أي طير أو سُبُع ذلك العضو المبتور والمسموم، فلا علاقة لك به، لأن ذلك العضو قد انفصل عنك ولم يبق من جسمك منذ قطعتَه ورميته. فإذا كان الزوج لا يبقى زوجا بعد الطلاق ولا الزوجة تبقى زوجة له وتنفصل عنه مثلما يُقطع العضو الفاسد ويرمى، فينبغي التأمل قليلا في أي شيء يشبه النيوك الطلاق، فالطلاق أن يقطع الرجل علاقته بامرأته نهائيا متبرئا منها، أما في النيوك فيبقى الزوج زوجا كالسابق ولا يفسخ عقد القران، وإن الذي يجامع المرأة الأجنبية فلا يعقد القران عليها.

وإن قلت إن المسلمين يطلقون الزوجات دونما سبب أيضا، فأنت تعرف أن الله قد نهي المسلمين عن اللغو كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٤) كما قد حذر القرآن كثيرا أولئك الذين يطلقون النساء

دوغما سبب أيضا. ثم ينبغي أن تفكر في أن المسلمين ينفقون أموالا كثيرة على الزواج كل على سعته، ويحددون مبلغا كبيرا لمهر الزوجة ويكون حقا للمرأة، ويصل مبلغ المهر عند البعض ألوفاً بل مئة ألف عند البعض أو بضع مئات الألوف عند البعض الآخرين. وهذا المهر حق المرأة وهي تستلمه عند الطلاق في كل حال، كما يأمر القرآن الكريم الأزواج أيضا أن لا يأخذوا من الزوجات عند الطلاق ما قد أعطوهن سلفاً فهو ملكٌ لهن، وإذا كان هناك أولاد فالرجل يتعهد بنفقاتهم، ولهذا لا يطلّق أي مسلم زوجته ما لم تكن وبالا عليه وتنغص حياته. فأى غي يريد أن يتلقى هذا العبء الكبير على عاتقه دوغما سبب؟

باختصار إذا انقطعت جميع العلاقات الزوجية بعد الطلاق فأى مماثلة بينه وبين النيوك الذي بموجبه تجامع زوجة أحدهم - وهي ما زالت زوجته - شخصاً أجنبياً؟ ثم إن الطلاق لا يخص المسلمين وحدهم، بل يكون القران في كل قوم - إن لم يكونوا ديوثين - مشروطاً بعفة المرأة، فإذا صارت المرأة سيئة فالغيورون من كل قوم يحتاجون إلى التخلي عنها سواء كانوا هندوساً أو نصارى.... المرأة السيئة كمثل العضو الفاسد ويجب قطعها والتخلي عنها بموجب القانون نفسه الذي يوجب قطع الأعضاء الفاسدة من الجسم، فلما كان طرد النساء من هذا القبيل عملاً محبباً في الحقيقة ويطابق الغيرة الإنسانية فلا يُقبل أيُّ مسلم على هذا التصرف سراً، أما النيوك فيمارس في الخفاء، لأن الضمير يشهد على أنه عمل خبيث. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨-٤١)

إذا تسببت المرأة في الأذى أو المصيبة فأنى لنا أن نفكر أن الله سيسخط علينا إذا طلقنا مثل هذه المرأة، إنني أنسب قسوة القلب إلى الذي يبقني عنده مثل هذه المرأة لا إلى ذلك الذي يُخرجها من البيت في مثل هذه الأوضاع. إن معاشة المرأة مع عدم ملائمة الطبع قسوة أشدُّ وطأً من الطلاق. فالطلاق مصيبة تُختار مقابل مصيبة أشد منها، فجميع العهود تُفسخ بنقض الشروط، فأى دليل عقلاي على

أن عقد النكاح لا يُفسخ؟ ولأي سبب يعتبر نوعية عقد النكاح مختلفاً عن سائر العقود، صحيح أن عيسى أذن في الطلاق بشرط أن تكون المرأة زانية، لكنه أخيراً أذن. إنما النكاح للوصول لا أن نبقي قلقين مشوشين الأفكار بسبب النزاع والقلق الدائم. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٥٣-٥٤، الحاشية)

إن اقتران المرأة بزوجها يتوقف على العفاف والطاعة والتراضي، وإذا اختل أمر من هذه الأمور الثلاثة صار من المستحيل الحفاظ على هذا الزواج. فزوجة المرء كأعضاء بدنه، فإذا تآكل أي عضو له أو انكسر العظم وتعذر جبره، فلا يبقى أي خيار غير البتر. ومعلوم أن لا أحد يرضى بأن يقطع عضو بدنه بيده، فلا يقطع إلا عند تعرضه لمصيبة عظيمة، فالحكيم الذي أمر الرجل بالزواج مصلحة له وأراد أن يتحد الرجل والمرأة فهو الذي سمح عند ظهور المفساد بأن الراحة إذا كانت تكمن في فصل المؤذي كالسن المسوس أو العضو المتآكل أو العظم المكسور، فينبغي التمسك بذلك لتفادي آفة لا تطاق، لأن الوصل الذي لا تترتب عليه الفوائد المرجوة بل يظهر عكس ذلك فذلك الوصل ليس في الحقيقة وصلاً. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٦٥-٦٦)

حين أذن الله للرجل بالطلاق عند الضرورة ولم يصحح بأن الطلاق ينبغي عند ارتكابها الزنا أو صدور أي فاحشة منها فقط، فالحكمة في ذلك أن الله الستار لم يرد أن يشهر بها، فلو أعلن أن الزنا وغيره من الجرائم هي الموجبة للطلاق لفهم الناس أن تلك المرأة يُشك فيها بالسيئة، أو هي ارتكبت كذا وكذا من الفواحش حتماً، لكن هذا السر يبقى محدوداً عند الزوج فقط. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٦٥، الحاشية)

ليست في الدنيا فرقة تعارض الطلاق، فالمرء يضطر إليه في بعض الأحيان لضرورة ما.... في أي دين لا يوجد طلاق؟ فإذا حدث اختلاف شديد بين الرجل والمرأة فما السبيل إلا الطلاق؟ (مذهب سناتن، الخزائن الروحانية المجلد ١٩، ص ٤٧٠-٤٧١)

لو كان الطلاق يخالف الضمير الإنساني لما أقدمت عليه الأمم الأخرى أيضاً، لكننا نلاحظ أنه لا يوجد أي شعب لا يطلّق رجاله النساء عند الضرورة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١٩٠٣/٥، ص ١١٧)

الحق أن الطهارة الإسلامية هي التي شعرت بضرورة الطلاق وإلا فالذين يعيشون كالديوثين، يرون أنه لا حاجة للطلاق مهما فعلت أزواجهم. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٤٦ الحاشية)

فاصنعوا إلى زوجاتكم المعروف روحانياً ومادياً، وادعوا لهن دائماً، واجتنبوا الطلاق، لأنه شقي جداً عند الله مَنْ يتسرع في الطلاق. إن ما وصله الله، فلا تستعجلوا في كسره كما يُكسر الإناء النجس. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٧٥، الحاشية)

سأل شخص: الذين يقومون بتطبيقات ثلاث دفعة واحدة فهل تقع أم لا؟ فهل يصح ذلك أم لا؟

فقال حضرته رداً عليه: إذا كانت التطبيقات الثلاث صدرت بحسب ما أمر القرآن الكريم وكان الفاصل بين كل واحد منها بحسب ما بيّنه القرآن الكريم، فبعد مضي عدة التطبيقات الثلاث لا تبقى للرجل أي علاقة بالمرأة. أما إذا تزوّجها أحد بعد مضي العدة ثم اتفق أن يطلقها هو الآخر فيجوز للزوج السابق أن يتزوجها، أما إذا طلقها الزوج الثاني لكي يتزوجها زوجها الأول فهذه "حالة" وهي حرام.

أما إذا كانت التطبيقات الثلاث صدرت في وقت واحد فللزوج فرصة أن يرجع تلك المرأة قبل مضي العدة، لأن هذا الطلاق غير جائز أصلاً. ولم يصدر بحسب ما أمر الله ورسوله، ويتبين بالتدبر في القرآن الكريم جيداً أن الله ﷻ يكره أن يقطع الزوجان العلاقات القديمة وينفصلا. ولذلك قد وضع شروطاً كبيرة للطلاق، فإصدار التطبيقات الثلاث بعد فواصل وعيش الزوجين في مكان واحد، كل هذه الأمور فُرِضت لعل العتاب القلبي والسخط يزول منهما ويتصالحا في وقت من الأوقات.

فمن الملاحظ كثيراً أن الأقارب حين يتخاصمون ويتوجهون عند الثورة والفوران إلى الحكام لرفع القضايا حاملين الطلبات والأوراق، فيقول لهم الحكام المتفرسون أن يراجعوا بعد أسبوع، وإنما يقصدون من ذلك أن يركنوا إلى التصالح، وتنزل منهم الثورة، ولا تبقى فيهم خصومة، ولذلك لا يأخذون قضيتهم آنذاك لأنهم يرون ذلك خلافاً للحكمة، فيؤجلونها.

وعلى غرار ذلك قد حدد الله ﷻ مدة كافية لانفصال الزوجين، وفي هذه المدة يتسنى للزوجين أن يتدبرا في مصالحهما وخسائرها. يقول الله ﷻ: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾، أي بعد تطليقين إما أن يمسكها جيداً أو يسرحها بمنة، وإن لم يحدث الصلح خلال هذه المدة الطويلة أيضاً، فمن الصعب أن يميل إلى الإصلاح. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠٤/٤/١٩٠٣ م، ص ١٤)

الطلاق لا يكتمل مرة واحدة. يجب أن يكون في الطلاق ثلاثة طهور. صحيح أن الفقهاء أجازوا التطليقات الثلاث دفعة واحدة، إلا أنهم وضعوا رخصة أن الرجل بعد انقضاء العدة إذا أراد أن يرجع إلى تلك المرأة فيجوز لها أن تعقد القران مع الزوج نفسه، كما يجوز لها أن تقترن بغيره أيضاً؟

بحسب القرآن الكريم حين تصدر التطليقات الثلاث فلا يجوز للزوج أن يقترن بمطلقة إلا إذا تزوجها غيره ثم طلقها لسبب ما دون قصد التحليل، أما إذا طلقها بقصد أن تكون حلالاً لزوجها الأول فهذا حرام ويسمى "حلاله". فحين أجاز الفقهاء التطليقات الثلاث دفعة واحدة ثم أجازوا للزوج أن يتزوجها بعد انقضاء العدة فإنما سبب ذلك أنه لم يطلقها أولاً بحسب الأسلوب الشرعي.

يتبين من القرآن الكريم أن الله ﷻ يبعث الطلاق كثيراً، لأنه يدمر الحياة الزوجية للزوجين كليهما، ولذلك حدد تطليقات ثلاث ومدة ثلاثة طهور، حتى إذا أراد الصلح فليتصالحا بعد التفكير في المصالح والتبعات. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م، ص ١٠٥)

لا يطلع الآخرون كاملا على الأمور الزوجية بين الزوجين، فيحدث أحيانا أنه لا ترتكب النساء أي فاحشة أو لا يوجد فيهن عيب ومع ذلك لا يكون انسجام ووثام في الطباع؛ الأمر الذي يحدث الخلل في العشرة، وفي هذه الصورة يجوز للرجل أن يطلّقها.

في بعض الأحيان تكون المرأة من الأولياء والعايدات الصالحات والعفيفات ويتعاطف معها الرجل عند الطلاق ويكي عند اتخاذ هذه الخطوة ومع ذلك يستطيع أن يطلقها ما دام لا يحبها، فعدم انسجام الطباع أيضاً مسألة شرعية. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١/٥/١٩٠٣م، ص ١١٧)

إذا كان هناك شرط بأنه لو حدث كذا لوقع الطلاق فسيقع إن حدث هذا الشيء فعلا. فمثلا إذا قال أحد: إن أكلت تلك الفاكهة لوقع الطلاق ثم أكلها لوقع الطلاق فعلا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢١، عدد: ١٢/٦/١٩٠٣م، ص ١٦٢)

شخص تزوج فتاة من عائلة نبيلة بمنتهى الحب وكان زواجا ثانيا له، لكنه بعد ذلك وخلال عشرة أشهر فقط أراد أن يقطع علاقته بها لسبب بسيط جدا، فحزن حضرته على ذلك كثيرا، وقال: لقد نشأ في غضب لا أطيقه، فإن هذا التصرف الظالم جدّا عار على أفراد جماعتنا. ففي اليوم الثاني أصدر حضرته قرارا أن يسكن ذلك الشخص زوجته الثانية في بيت منفصل وأن يعطيها مثلما يعطي زوجته الأولى، وعليه أن يبيت عندها ليلة ويبيت ليلة أخرى عند الأولى، فالزوجة الثانية ليست أمة ومستعبدة بل هي زوجة، ويجب أن لا تجعل خادمة وتابعة للزوجة الأولى أبدا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد ٢٦/٦/١٩٠٣م، ص ١٧٨)

... هذا المرض منتشر في النساء بوجه عام إذ يغضبن لأتفه الأمور ويُسئن بالكلام إلى أزواجهن بل يذكرن حمواتهن وأحماءهن أيضا بكلمات قاسية مع أنهم آباء أزواجهن ويستحقون الاحترام. إنهن يعتبرن هذا الأمر عاديا ويحسنن الشجار معهم كشجارهن مع النساء الأخريات في الحارة مع أن الله تعالى جعل خدمتهم وإرضاءهم

واجبا مهماً. بل قال أيضا بأنه إذا أمر الوالدان شابا أن يطلق زوجته فعليه أن يطلقها. فلما أمكن طلاق المرأة لقول أصهارها فماذا بقي بعد ذلك؟ (الحكم، مجلد ١١، رقم ١١، عدد ٣١٣/٣/١٩٠٧م، ص ١٠)

لقد عدّ الله ورسوله الطلاق أبغض الحلال، وقد سُمح به في ظروف حين تكون الحاجة إليه شديدة. فكما أن الله الذي هو الربّ قد هياّ الغذاء للحَيَّات والعقارب، كذلك سنّ مسألة الطلاق للذين حالتهم متردية جدا ولا يقدرّون على أن يتمالكوا أنفسهم، ليجتنبوا بسببه الآفات والمصائب التي يمكن أن يواجهوها في حال عدم السماح به، أو قد يواجه الآخرون أيضا ظروفًا لا يجدون بُدًّا من الطلاق. فالإسلام الذي يحيط بالمسائل كلها قد سنّ مسألة الطلاق ولكنه عدّه مكروها أيضا. (بدر، مجلد ٦، رقم ٣٨، عدد ٩٥١/٩/١٩٠٧م، ص ٧)

لم يترك الإسلام هذا الخيار في يد الرجل فقط بأنه إذا رأى فسادا أو عدم التوافق فليطلق زوجته. بل أعطى المرأة أيضا خيارا أن تطلب الطلاق بواسطة القاضي. وعندما تحصل المرأة على الطلاق بواسطة القاضي يسمى الخلع في مصطلح الإسلام. فإذا وجدت الزوج ظلما أو كان يضربها بغير حق أو يعاملها معاملة سيئة لا تطاق أو كان هناك عدم توافق بينهما لسبب آخر أو كان الرجل عنيّنا أو غير دينه أو ظهر للعيان سبب آخر لا تستسيغ المرأة البقاء في بيته بناء عليه؛ فلها أو يمكن لأحد أولياء أمرها أن يشكوه عند القاضي. وسيكون من واجب القاضي أن يأمر بالفصل بينهما ويفسخ النكاح إذا وجد شكوى المرأة في محلها. ولكن في هذه الحال لا بد من استدعاء الرجل أيضا إلى المحكمة ليبين لماذا لا تُفصل عنه زوجته؟ (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية المجلد ٢٣، ص ٢٨٨-٢٨٩)

كما أنّ السبيل مفتوحة للنساء أيضًا عند الضرورة؛ أعني أنه إذا كان الرجل لا يصلح لشيء فلهن أن يطلبن بواسطة القاضي الخلع الذي يقوم مقام الطلاق... وإذا كانت المرأة مستاءة من بعلمها على تعدّد زواجه، فلها الخيار أن

تطلب منه الخلع بواسطة القاضي. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٨٠-٨١)

الآية ٢٣١: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

إن طلقها مرة ثالثة بعد الحيض الثالث فلم تعد تلك المرأة زوجة له، ولا يجوز أن يعيدها إليه حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ (أي هذه هي عقوبة هذا الرجل الذي لا يفهم حتى بعد التوجيه المذكور آنفا. فلما لم تبق هذه المرأة زوجة له فلها خيار تام في الزواج من أحد آخر. (الديانة الآرية، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٥٢-٥٣)

بعض الآريين عند عجزهم عن الرد المعقول يقولون إن عادة التحليل في المسلمين تشبه النيوك، أي إن المسلم الذي يطلق زوجته، يدفع زوجته إلى مضاجعة غيره ليلة واحدة لتَحِلَّ له من جديد، ثم يتزوجها بعقد القران، فبِمَ نردّ على هذا الافتراء غير قول لعنة الله على الكاذبين. فليتضح على القراء أن عادة التحليل كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل الإسلام، لكن الإسلام حَرَّمَ هذه العادة الخبيثة نهائياً، وقد لعن رسول الله ﷺ العاملين بها، فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنه أن "عملية المحلل والمحلل له" من الزنا، أما عمر رضي الله عنه فروي عنه أن المحللين يُرجمون، وإذا عقد أحد القران على المطلقة، فلن يصح قرانه إلا إذا تزوّجها. أما إذا كان في باله أنه يتزوجها فصد تطليقها لاحقاً لتحلّ لزوجها السابق، فهذا القران ليس صحيحاً أبداً، فمثل هذا المتزوج يزني بتلك المرأة، وإن الذي يرغب في مثل هذا الزواج فهو يطلب منها الزنا. باختصار إن التحليل حرام باتفاق علماء الإسلام. والأئمة وعلماء السلف مثل قتادة وعطاء والإمام الحسن وإبراهيم النخعي، والحسن البصري ومجاهد والشعبي وسعيد ابن المسيب

والإمام مالك، وليث والثوري والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وجميع العلماء الباحثين قائلون بحرمته. وجميع الباحثين يقولون بحرمته، والشريعة الإسلامية ومعاجم اللغة العربية تقول: يقال زوج لمن يعقد القران على امرأة بقصد العيش معها كزوجة مراعيًا جميع الحقوق وأن يكون عقد الزواج حقيقيا وواقعيا لا أن تكون حيلة لأحد، أما ما ورد في القرآن الكريم ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فإنما يعني أنه كما تُعقد القرانات في العالم بحسن النية لمصالح النفس كذلك إذا لم يتزوج المرء مطلقة بالشروط نفسها وبالنية نفسها، ثم لم يطلق نفسه عن طيب خاطره فلا يجوز للزوج الأول أن يتزوجها مرة أخرى، فالآية لا تقصد أن يمهد المتزوج الطريق للزوج السابق دون أن ينوي الزواج بصدق النية، وإنما يصح الزواج إذا عُقد القران بعزم وإرادة قوية مراعيًا الأغراض الصحيحة، أما إذا تزوج شخص بحيلة ما فلن يكون الزواج صحيحا عند الشرع وسوف يعتبر من الزنا، فإن الذي يريد أن يلصق بالإسلام تهمة "عملية التحليل" فليتذكر أن ذلك ليس مذهب الإسلام، وأن التحليل عند القرآن الكريم وصحيح البخاري ومسلم وأحاديث صحيحة أخرى حرام قطعاً وأن مرتكبه يستوجب العقاب كالزاني. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ص ٦٦-٦٧)

لقد ورد في القرآن الكريم شرط أنه لو صدرت التطليقات الثلاثة في ثلاثة طُهور أي في ثلاثة أشهر فهذه المرأة ستنفصل نهائيا عن الزوج، ثم إذا طَلَّقها زوجها الآخر أيضا مصادفة ففي هذه الحالة الوحيدة يمكن أن تعود إلى زوجها الأول، وإلا فلا. فهذا الشرط وُضع لمنع الطلاق لئلا يتجاسر كل واحد على الطلاق بل يطلق فقط ذلك الذي قد تعرض لمصيبة يرضى بموجبها الانفصال عنها نهائيا، وقد حُدد موعد ثلاثة أشهر أيضا لأنه إذا كان أحد قد طَلَّق غضبا فعسى أن يزول غضبه. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ص ٦٧، الحاشية)

الآية ٢٣٢: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

أي لا تمسكوا النساء لتعذبوهن... وإن طلقتموهن فسرّحوهن بإحسان. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ٣٣٦)

الآية ٢٣٣: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

حين حدثت ثلاثة تطليقات بعد ثلاثة قروء وانقضت العدة، فهن لم يعدن زوجات لكم فلا تمنعهن من الزواج. (الديانة الآرية، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٥٣)

الآية ٢٣٤: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾. من واجب الرجل أن يوفر لزوجه ما تحتاجه من طعام وكساء. ويتبين من هنا أن الرجل مسؤول عن تربية المرأة والإحسان

إليها وتوفير الراحة لها. وهو بمنزلة السيد وربّ النعمة لها. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٨٨)

الآية ٢٣٥: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

أي يجب على المرأة التي يموت زوجها أن تمتنع عن النكاح إلى "أربعة أشهر وعشرا". (شهادة القرآن، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ٣٣٦)

الآية ٢٣٨: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

ما حُدد بتراضي الفريقين فلا اعتراض عليه، فليس المراد من المهر الشرعي أنه قد حدد في الآثار أو الأحاديث بل المراد منه المهر المروج للناس في زمن معين. في بلادنا فساداً أن الناس يحددون المهر حتى مائة ألف روبية بدافع الرياء خلافاً للنية، فإنما يكتب في استمارة النكاح تخويفاً وبقصد فرض السيطرة على الزوج، لكن ذلك يؤدي إلى مساوئ أخرى، فلا أهل المرأة ينوون الاستلام ولا الزوج ينوي الدفع.

مذهبي أنه إذا طرأت مثل هذه الحالة وحصل نزاع فما لم تثبت النية أن الزوج كان راضياً بتراضي الطرفين على دفع مبلغ قد كتب، فلا يجوز الضغط على الزوج على دفعه. ينبغي أن يحدد المهر نظراً لوضع الزوج الاقتصادي والعادة السائدة وغير ذلك من الأمور، لأن الشريعة لا تتبع النية الفاسدة ولا القانون. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٦، عدد ١٩٠٣/٥/٨، ص ١٢٣)

طُرح على المسيح الموعود عليه السلام سؤال: النساء اللاتي مهرهن ٨٠ كيلو من شحم

البعوض، فكيف يؤدي؟

الجواب: عند تعيين المهر يجب أن يكون في البال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٧)، كما يجب مراعاة أوضاع الزوج، فإذا كان لا يقدر على دفع عشر روبيات فكيف يؤدي مهرا يقدر ثمنه بمائة ألف روبية. أما شحم البعوض فليس مهرا، فهو يندرج في: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد ١٦٥٣/٤/١٩٠٤م، ص ٦)

سئل عليه السلام: ما حكم امرأة لا تعفي من مهرها؟ فقال: هو حقها، ويجب دفعه لها، وينبغي أن يُدفع مع عقد القران وإلا فليدفع لاحقا. ومن نبل نساء البنجاب والهند إعفاؤهن الزوج من المهر عند الوفاة أو حتى قبله، لكنه مجرد عادة تدل على النبل والنجابة فقط. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد ١٦٥٣/٤/١٩٠٤م، ص ٦)

الآية ٢٤٦: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

عندما يستقرض الله تعالى لا يكون المراد من ذلك بأنه محتاج، والعياذ بالله، هذا الزعم كفر، بل المراد من ذلك أنه سيعيده بالجزاء. وهذا أحد الطرق الذي يريد الله أن يمن به. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠٥١/٥/١٩٠٢م، ص ٧)

يعترض بعض الجاهلين على قول الله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قائلا: إن هذا يدل على أن الله محتاج، والعياذ بالله.

لا ندري كيف استنتج هذا الغي من هنا أن الله تعالى محتاج. إن المفهوم الحقيقي للقرض هو إعطاء شيء للآخر مع وعد من الملتقي بإعادته إلى صاحبه، ولكن هذا الغي يختلق من عنده معنى الإفلاس والفقر أيضا. والحق أن المراد من القرض هنا: مَنْ ذَا الَّذِي يقدم لله تعالى أعمالا صالحة ليعطيه الله جزاءها أضعافا مضاعفة. وهذا هو المعنى اللائق بعظمة الله، وهذا ما ينكشف جليا بالتأمل في العلاقة بين العبودية والربوبية. ذلك أن الله تعالى يقوم بتربية الجميع، بدون أي

تميز بين مؤمن وكافر، وبدون أي مقابل من برٍّ أو دعاءٍ أو تضرعٍ، وينفع الجميع بفيض ربوبيته ورحمانيته، وأنى له أن يضيع حسناتٍ أحد وهو الذي يعلن: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٨). هذا هو المفهوم الحقيقي للقرض الذي يتبين من هذه الآية. ولما كان هذا هو المفهوم الحقيقي للقرض موجودًا فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، وجاء تفسيره في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٨). (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢١، عدد ١٠/٦/١٩٠١م، ص ٣)

الآية ٢٥٠: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

رأيتُ في الكشف رجلين على هيئة الإنسان جالسين في بيت، أحدهما على الأرض والثاني قرب السقف. فخاطبتُ الجالس على الأرض وقلتُ: أنا بحاجة إلى جيش قوامه مئة ألف جندي. ولكنه لزم الصمت ولم يرد عليّ بشيء. ثم توجَّهتُ إلى الثاني الذي كان قرب السقف باتجاه السماء وقلتُ له: أنا بحاجة إلى جيش قوامه مئة ألف جندي. فقال بعد سماع كلامي: لن تُعطى مئة ألف بل ستُعطى خمسة آلاف جندي. فقلتُ في نفسي: مع أن خمسة آلاف قليل، ولكن القلة يمكن أن تغلب الكثرة بإذن الله. ثم قرأتُ الآية: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٤٩، الحاشية)

الآية ٢٥١: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

كان هناك زمن يُخَوِّف فيه الناس بالسيوف، ولكن ماذا كان هؤلاء الناس يفعلون مقابل ذلك؟ كانوا يدعون الله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. ولكن لا يُخَوِّف اليوم أحدٌ بالسيوف بفضل الله تعالى. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤٨/٨/١٩٠٣ م، ص ٤)

الآية ٢٥٢: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

أي لولا أنه ﷺ يتدارك الضالين بواسطة الصالحين، ولولا دفعه بعضهم ببعض لفسدت الأرض. وإنه من فضل الله العظيم أنه يرسل الهداة من عنده عند انتشار الضلال لأن الرحم والمنة من عادته. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥١)

الآية ٢٥٤: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

ليكن معلوماً أنه كلما ورد فعل "رفع" في القرآن الكريم في حق الأنبياء والأخيار والأبرار كان معناه العام هو بيان منزلة عليا في السماء يحتلها هؤلاء الأخيار عند الله من حيث مكانتهم الروحانية ونقطتهم النفسية، وأيضاً كي ييسرُوا أن روحهم

سُتْرُفَعُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَفِرَاقِهَا الْجَسَدَ إِلَى مَقَامٍ قُرْبَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؛ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِإِظْهَارِ الْمَكَانَةِ السَّامِيَةِ لِنَبِيِّنَا الْأَكْرَمِ ﷺ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾. أَيُّ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسُوا سَوَاسِيَةً مِنْ حَيْثُ دَرَجَاتِهِمْ، بَلْ بَعْضُهُمْ نَالَ شَرَفَ الْكَلَامِ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَرُفِعَتْ دَرَجَاتُ بَعْضِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ.

لَقَدْ جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّ رُوحَ كُلِّ نَبِيٍّ تُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَتَنَالُ مَقَامًا فِي سَمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ بِحَسَبِ دَرَجَتِهَا، فَيُقَالُ بِأَنَّهَا رُفِعَتْ إِلَى مَقَامٍ كَذَا وَكَذَا، وَذَلِكَ لِتَسْتَبِينَ دَرَجَتِهَا الظَّاهِرِيَّةِ أَيْضًا بِحَسَبِ دَرَجَتِهَا الْبَاطِنِيَّةِ. إِذَا، فَهَذَا الرُّفْعُ إِلَى السَّمَاءِ يَكُونُ لِتَحْقِيقِ الدَّرَجَاتِ. وَأَمَّا الْعِبَارَةُ: ﴿رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا فَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ رُفْعَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ أَعْلَى مِمَّنْ رُفِعَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ رُوحَهُ لَمْ تَسْتَقِرْ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ رُوحِ الْمَسِيحِ، وَلَمْ تَسْتَقِرْ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ مِثْلَ رُوحِ مُوسَى بَلْ هِيَ أَعْلَى وَأَسْمَى مِنَ الْجَمِيعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ الْمَعْرَاجِ بِمُنْتَهَى الصَّرَاحَةِ. بَلْ وَرَدَ فِي "مَعَالِمِ النَّبُوَّةِ" حَدِيثٌ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ تَجَاوَزَ السَّمَاءَ السَّادِسَةَ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ قَالَ مُوسَى: "رَبِّ لَمْ أَظُنَّ أَنَّ يُرْفَعُ عَلَيَّ أَحَدٌ." لَاحِظُوا هُنَا أَنَّ فِعْلَ "رَفَعَ" قَدْ اسْتُخْدِمَ لِبَيَانِ الدَّرَجَاتِ فَقَطْ. وَتَبَيَّنَ مَعْنَى الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا مِنْ خِلَالِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ يُرْفَعُ إِلَى السَّمَاوَاتِ بِحَسَبِ دَرَجَتِهِ، وَيَنَالُ نَصِيبَهُ مِنَ الرُّفْعِ بِحَسَبِ مَقَامِ قَرْبِهِ. وَتَبَيَّنَ أَيْضًا أَنَّ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ - وَإِنْ كَانَتْ عَلَى الْأَرْضِ أَثْنَاءَ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا - تَكُونُ لَهَا صِلَةٌ مَعَ سَمَاءٍ تُعْتَبَرُ حَدًّا أَعْلَى لِرَفْعِهَا. ثُمَّ بَعْدَ الْمَمَاتِ تَسْتَقِرُّ رُوحُهُ فِي السَّمَاءِ الَّتِي جُعِلَتْ الْحَدُّ الْأَعْلَى لِرَفْعِهَا. فَالْحَدِيثُ الَّذِي يَذْكُرُ رُفْعَ الْأَرْوَاحِ عَمُومًا بَعْدَ الْمَمَاتِ يُؤَيِّدُ هَذَا الْبَيَانَ. (إِزَالَةُ الْأَوْهَامِ، الْخَزَائِنُ الرُّوحَانِيَّةُ، الْمَجْلَدُ ٣، ص ٢٧٥-٢٧٦)

الْمُرَادُ مِنْ صَاحِبِ الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَبِيُّنَا ﷺ، الَّذِي وَهَبَتْ لَهُ ظِلًّا كَمَالَاتٌ مِنَ الدَّرَجَةِ الْقُصْوَى الَّتِي هِيَ ظِلَالُ كَمَالَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ وَأَثَارُهَا. وَظَهَرَتْ

الخلافة الحقّة - التي لخلق مظهرها الكامل قد خلقت سلسلة بني آدم، بل قد خلّق الكون كله - في وجود النبي الغالي عليه السلام، وصارت يبلوغ مرتبتها الكاملة والتامة مرآة تري الله. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٣٤-٢٣٥، الحاشية)

يقول الله تعالى في الشأن الرفيع لهذا النبي الكريم: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾، فالمراد من رفع الدرجات، الدرجة الأخيرة في الارتفاع التي حظي بها النبي عليه السلام ظاهراً وباطناً. وهذا الوجود الجواد الذي هو الخير المتجسد أعلى وأكمل من ثلاثة أنواع المقربين، ويدعى المظهر الأتم للألوهية. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٥٢، الحاشية)

ومن الجدير بالذكر أن لأولياء الله أيضاً درجات مختلفة وكما يقول الله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. يحظى البعض بالأفضلية على بعض بل يصل بعضهم إلى درجة لا يستطيع الصالحاء من الدرجة الدنيا أن يعرفوهم فينكرون مقامهم السامي فيتسبب ذلك في ابتلائهم وعثارهم. الحق أن تجليات الربوبية مختلفة. الذين هم أخص العباد يَخْصُون بتجلٍ من الدرجة العليا ولا يُعْطَى غيرهم نصيباً من هذا التجلي. مع أن الله واحد لا شريك له وهو ربّ الجميع، فمع ذلك لكل شخص ربّ خاص به من حيث التجليات المختلفة. ليس المراد من ذلك أن هناك أرباباً مختلفين بل الرب واحد وهو ربّ الجميع، والذي يقول بتعدد الأرباب هو كافر. ولكن يضطر المرء إلى القول بناء على مراتب العلاقات المختلفة والتفاوت في ظهور صفات الله بأن لكل شخص ربّاً منفصلاً. كما لو وُضعت مقابل وجه واحد مرايا عديدة منها صغيرة مثل العدسة وبعضها أصغر منها أيضاً وبعضها صغير إلى درجة أن تكون بقدر الجزء من خمسين جزءاً من العدسة، وبعضها أكبر من العدسة قليلاً وبعضها كبيرة إلى درجة يمكن أن يُرى فيها الوجه بكامله. فمما لا شك فيه أن الوجه هو هو ولكن كلما كانت المرآة صغيرة تراءى فيها الوجه صغيراً إلى درجة قد يُرى عندها كنقطة فقط في بعض المرايا الصغيرة

جدا. ولن يتراءى الوجه بكامله ما لم تكن المرأة كاملة. فلا شك أن الوجه هو هو وهذا هو الصحيح تماما ولكن يصح القول في الذي يتراءى في الظاهر في مرايا مختلفة بأنه ليس واحدا من منطلق تلك الرؤية بل هناك عدة وجوه. كذلك الربوبية الإلهية أيضا لا تتجلى لكل واحد على مستوى واحد. إن نفس الإنسان بعد تركيتها تكون في حكم المرأة التي ينعكس فيها وجه ربوبية الله. ولكن النفوس البشرية ليست سواسية من حيث الفطرة وإن كان أحد حائزا على تزكية النفس بل تتفاوت دوائر مواهبهم من حيث الضيق والسعة كما تتفاوت الأجرام السماوية بين الصغيرة والكبيرة. فالنفس التي موهبتها ضيقة النطاق ستنعكس فيها ربوبية الله وتجلياته في نطاق ضيق بسبب صغر موهبة النفس وإن كانت قد حازت التزكية. فمن هذا المنطلق، مع أن الرب واحد ولكن سيتراءى أرباب مختلفون عند انعكاسه في مواهب النفوس المختلفة. هذا هو السر وراء قول النبي ﷺ في الصلاة دائما: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم. فمع أن الرب واحد ولكن رب محمد ﷺ أعلى من الجميع من حيث التجليات العظيمة والربوبية العالية.

ثم هناك نقطة أخرى أنه لما كانت مدارج القرب والعلاقة مع الله الأحد متفاوتة فلو تصدى أحد، وإن كان مقربا إلى الله، لمن كان أعلى منه وأكبر بكثير من حيث القرب والحب لكانت النتيجة النهائية أن الأقل قربا إلى الله لا يهلك فقط بل يموت محروما من الإيمان كما حدث مع بلعام باعور مقابل موسى، إذ كان مشرفا بمكالمة الله ومخاطبته من قبل وكانت أدعيته تجاب وكان يُعَدّ وليا في البلد كله، وكان صاحب كرامات ولكنه عندما تصدى لموسى بغير حق ولم يعرف قدره أُسْقِط من مقام الولاية والقرب، فشبهه الله بالكلب. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٤٧-٣٤٩)

لقد تلقى الوحي الملايين من عباد الله الصالحين، لكن منزلتهم لم تكن واحدة عند الله. بل حتى أنبياء الله الأطهار الذين يتلقون وحيا من الطراز الأول بكل صفاء

وجلاء ليسوا سواء في المرتبة. يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فثبت من ذلك أن الوحي فضلٌ محضٌ من الله تعالى وليس هو في ذاته دليلاً على الفضل، لأن الفضل إنما يكون على قدر الصدق والوفاء، وهي أمور لا يعلمها إلا الله وحده. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٩)

لقد بلغت معرفة نبينا الأكرم عليه السلام منتهى فطرة الإنسان، ولذلك فقد نزل القرآن الكريم كاملاً، وليس في ذلك ما يدعو إلى الاستياء منه. يقول الله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وقد أمرنا أن نتبع النبي عليه السلام في كل الأوامر والأخلاق والعبادات. فلو لم تُعطَ فطرتنا تلك القوى التي من شأنها أن تنال جميع كمالات النبي عليه السلام بصورة ظلية لما أمرنا قط باتباع هذا النبي العظيم، لأن الله تعالى لا يكلف أحداً فوق طاقته. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ١٥٦)

الآية ٢٥٦: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

إن الله الجامع للصفات الكاملة والذي وحده يستحق العبادة؛ وجوده بديهي الثبوت لأنه حيٌّ بذاته وقائم بذاته، ولا شيء سواه حيٌّ بذاته وقائم بذاته، بمعنى أنه لا توجد في أي شيء سواه عليه السلام صفة أن يكون موجوداً بذاته دون علة موجدة ولا يمكن أن يبقى قائماً، أو أن يصبح أي شيء علة موجبة لهذا العالم المخلوق بكمال الحكمة والترتيب المحكم والموزون. وإن هذا الأمر يُثبت وجود خالق هذا العالم جامع الصفات الكاملة.

وتفصيل هذا الاستدلال الدقيق أنه من الثابت بداهة أن كل ما يلاحظ من الموجودات في العالم إن وجوده وبقائه ليس ضرورياً بحد ذاته. فمثلاً: الأرض كروية

الشكل، وقطرها بحسب رأي البعض يقدر بـ ٧٩٢٦ ميلا تقريبا، ولكن لا يقوم دليل لماذا كان هذا الشكل وهذا القدر ضروريا لها، ولماذا لا يجوز أن تكون أكبر من ذلك أو أقل، أو لماذا لا يجوز أن تكون على شكل غير شكلها الحالي وتتشكل بشكل آخر؟ فلما لم يقم على ذلك دليل فإن هذا الشكل والمقدار الذي بمجموعه يسمّى "الوجود" لم يعد ضروريا للأرض. وقياسا على ذلك قد صار وجود جميع الأشياء الموجودة في العالم وبقاؤها غير ضروري بذاته. ولا يقتصر الأمر على أن وجود كل شيء ممكن الوجود ليس ضروريا نظرا على ذاته، بل نرى في بعض الحالات أسبابا لانعدام معظم الأشياء ولكنها مع ذلك لا تنعدم. فمثلا تحدث أحيانا مجاعة شديدة أو يتفشى وباء خطير، ومع ذلك لا تزال بذرة كل شيء محفوظة منذ بدء الخليقة، بينما كان جائزا عند العقل بل واجبا أن تنعدم نهائيا مرة على الأقل - من بين آلاف المرات التي حلت فيها الشدائد والحوادث بالدنيا منذ الأزل - من على وجه الأرض (عند حلول المجاعة) الغلال التي عليها مدار طعام الإنسان، أو أن يتلاشى قسم منها أو لا يبقى على وجه البسيطة أيّ بشر نتيجة شدة الوباء أو ينقرض نوع من الأنعام، أو يختل نظام الشمس أو القمر صدفة أو يحدث خلل في شيء آخر من بين أشياء كثيرة مهمة لبقاء نظام العالم على ما يرام؛ لأن سلامة بلايين الأشياء من الاختلال والفساد وعدم حلول الآفة بها هو أمر متعذر على الفهم. بل إن تطرق الفساد بين حين وآخر إلى الأشياء التي ليس وجودها ضروريا ولا بقاؤها هو الأقرب إلى القياس من وجودها وبقائها. فإن في وجودها وبقائها على ترتيب محكم وتركيب أبلغ وعدم انعدام أيّ شيء من بين ملايين الأشياء الضرورية في العالم وعدم تعرّضها للزوال دلالة صريحة على أن لها محيّا ومحافظا وقيوما جامعا للصفات الكاملة، وهو المدبر والحكيم والرحمن والرحيم والأزلي والأبدي في ذاته، ومنزّه عن كل نقیصة، لا يصيبه موت ولا فناء، بل هو منزّه عن النعاس والنوم الذي يشبه الموت. فهذا هو الإله الجامع للصفات الكاملة الذي خلق هذا العالم مراعيًا الحكمة الكاملة وعلى أحسن تقويم، وفضّل

الوجود على العدم. وهو الذي يستحق العبادة لكمالته وخالقيته وربوبيته وقيوميته. إلى هنا كانت ترجمة معاني الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

والآن يجب أن يرى المرء بنظر الإنصاف كيف أقام القرآن الكريم في هذه الآية دليلاً على وجود خالق العالم بكمال البلاغة والدقة والمتانة والحكمة، وكيف جمع في كلمات وجيزة معاني كثيرة ودقائق حكيمة، وأثبت وجود الخالق كامل الصفات لـ "ما في السماوات وما في الأرض" بدليل محكم بحيث ما وسع إلى يومنا هذا حكيماً من الحكماء أن يُدلي ببيان كامل وشامل مثل بيانه. بل الحق أن الحكماء ناقصي الفهم لم يعدّوا الأرواح والأجسام أيضاً حادثة، وظلّوا يجهلون السر الدقيق أن الحياة الحقيقية والوجود الحقيقي والقيام الحقيقي مسلّم به لله تعالى وحده. وإن هذه المعرفة الدقيقة إنما تتسنى للمرء من هذه الآية التي قال الله تعالى فيها إن الحياة والبقاء على وجه الحقيقة لله وحده الذي هو جامع الصفات الكاملة ﷻ، ولا وجود ولا قيام حقيقي لأي شيء سواه. فقد قدّم هذا الأمر دليلاً على ضرورة وجود خالق العالم وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بمعنى أنه ما دام العالم لا يحظى بحياة حقيقية ولا ببقاء حقيقي، فكان بحاجة حتماً إلى علة موجبة ينال بسببها الحياة والبقاء. ولا بد أن تكون تلك العلة الموجبة إلهاً جامعاً للصفات الكاملة ومدبراً بمشيئته وحكيماً وعالماً بالغيب. فذلك الذات هو الله تعالى، لأن "الله" بحسب مصطلح القرآن الكريم اسم لذات جامع للكمالات التامة، لذلك فقد عُدَّ الاسم "الله" في القرآن الكريم موصوفاً لجميع الصفات الكاملة، وقال في عدة آيات إن الله رب العالمين، والرحمن والرحيم والمدبر بمشيئته والحكيم وعالم الغيب والقدير والأزلي والأبدي وما إلى ذلك.

فقد صار مصطلحاً في القرآن الكريم أن "الله" هو اسم لذات جامع للصفات الكاملة كلها. فمن هذا المنطلق أورد الله تعالى اسم "الله" على رأس هذه الآية فقال

تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. أي أن قيومَ هذا العالم الفاني هو ذاتُ جامع الكمالات. وبذلك أشار إلى أن هذا العالم موجود ومرتبّ بترتيب محكم وتركيب أبلغ؛ فمن الباطل الزعمُ أن بعضاً من هذه الأشياء قد تكون بمنزلة العلة الموجبة لبعضها الآخر، بل إن هذا العمل الحكيم المبني على حكمة كاملة يحتاج إلى خالق قادر بمشيئته، وحكيم وعليم ورحيم وغير فانٍ ومتصف بجميع الصفات الكاملة. فذلك الخالق هو "الله" ﷻ الحائز على كمال تام في ذاته. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخرائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٤-٥١٨، حاشية على الحاشية رقم ٣)

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي من حق الله الشخصي أن يكون معبودَ جميع المخلوقات ولا يشاركه في ذلك أحدٌ، وذلك بدليل ساطع أنه حيٌّ منذ الأزل إلى الأبد، وهو قيومٌ كل شيء. أي أن قيام كل شيء وبقائه بفضل بقاءه وقيامه ﷻ وحده. وهو الذي يمسك كل شيء كل حين وأن. فلا يطرأ عليه النعاس ولا يأخذه النوم. أي لا يغفل قط عن حفظ المخلوقات. فلما كان بقاء كل شيء يتوقف عليه وحده فثبت أنه وحده خالق كل مخلوق في السماوات والأرض ومالكه. وشكل هذا القياس الوارد في الآية الكريمة بحسب القاعدة المنطقية على النحو: (أن الجزء الأول للقياس المركب) (الصغرى) هو أن الله ﷻ حقا -أزليا وأبديا دون أن يشاركه فيه أحد- في أن يكون معبود جميع المخلوقات. (والكبرى) هو أن الذي يكون له الحق الأزلي والأبدي في كونه معبود جميع المخلوقات يكون حياً أزليا أبدياً، وقيوم جميع الأشياء. (فالنتيجة) أن الله حيٌّ أزلي وأبدي وقيوم جميع الأشياء. أما الجزء الثاني للقياس المركب الذي جعلت فيه نتيجة القياس الأول الصغرى للقياس، (الصغرى) (إن الله أزلي وأبدي وقيوم جميع الأشياء)، (الكبرى) (أن الذي يكون حياً وأزلياً وأبدياً وقيوم جميع الأشياء يكون خالق جميع الأشياء) (فالنتيجة) (أن الله خالق كل شيء). الصغرى للجزء الأول من القياس المركب أي القضية بأن الله ﷻ يحوز حقا أزلياً وأبدياً أن يكون معبود المخلوقات

كلها دون أن يشاركه في ذلك غيره، هي ثابتة بإقرار الفريق الثاني، فلا حاجة لإقامة الدليل. أما الكبرى للجزء الأول من القياس المركب، أي القضية بأن الذي يملك الحق الأزلي والأبدي في أن يكون معبود جميع الأشياء يجب أن يكون حيًا وأزليًا وأبديًا وقيوم جميع الأشياء، هي ثابتة؛ حيث أنه إذا لم يكن الله حيا وأزليا وأبديا فلا بد من الافتراض أنه خلق في زمن ما، أو لن يبقى في زمن في المستقبل، وهذا الافتراض يبطل كونه معبودا أزليا أبديا في كلتا الحالتين ذلك لأنه إذا لم يبق وجوده هو فلا يمكن أن يُعبد، لأنه لا تصح عبادة المعدوم. فلما لم يبق معبودا أزليا أبديا بسبب كونه معدوما، بطلت قضية استحقاق الله في أن يكون معبودا أزليا وأبديا، مع أنه قد ذكر قبل قليل أن هذه القضية صادقة، ولهذا لا نجد بدا من الإيمان بأن الذي يملك حق كونه معبودا أزليا وأبديا يكون نفسه حيا أزليا وأبديا.

وكذلك إذا لم يكن الله قيوما لجميع الأشياء، أي لا تكون حياة الآخرين وبقاؤهم متوقفة على حياته وبقائه، ففي هذه الحالة ليس بقاءه شرطا للمخلوقات. بل سيكون تأثيره بمنزلة المؤثر قسرا لا بصفته علة حقيقة تحفظ الأشياء، لأن المؤثر قسرا يقال لمن لا يكون وجوده وبقاؤه شرطا لبقاء المتأثر به. فمثلا إذا رمى زيد حجرا وفور رميه مات فلا شك أن الحجر الذي انطلق من يده سيظل يتحرك حتى بعد وفاة زيد، وكذلك لو وصف الله بمجرد المؤثر قسرا، بحسب آريا سماج، فهذا يستلزم والعياذ بالله ألا تتضرر الأرواح والذرات أبما ضرر حتى لو افترض موت البرميشور. لأنه -بحسب قول البانديت ديانند الذي سجله في "ستيارتھ بركاش" وبذلك أساء إلى التوحيد إساءة شنيعة، وكذلك بحسب قول البانديت كهرك سنغ المحترم الذي قلد البانديت ديانند دون تفكير وتأمل - قد ورد في الفيدا أن جميع الأرواح مستغنية عن البرميشور لبقائها وحياتها. وأن علاقة البرميشور بالمخلوقات كمثل علاقة النجار بالكرسي والخزاف بالجرة؛ أي يسير نظام البرميشور بمجرد التركيب، وهو ليس قيوم الأشياء. لكن كل عاقل يعرف أن هذا الاعتقاد يستلزم الاعتقاد بعدم ضرورة وجود

البرميشور أيضا لبقاء الأشياء مثل الخزافين والنجارين، بل كما بعد موت الخزافين والنجارين تبقى الجرار والكراسي كما هي، كذلك لن يحدث أي خلل في الأشياء الموجودة لو مات البرميشور. فثبت أن فكرة البانديت بأن البرميشور يماثل الخزاف والنجار في الصناعة قياس مع الفارق. فلو آمن بكون الله قيوم الأشياء ولم يعدّه مثل النجارين لما اضطر للزعم بأن الأرواح لن تتضرر أيما ضرر في حال افتراض موت البرميشور. غير أن ذلك قد يكون قد ورد في الفيدا. وإلا كيف أقبل أن البانديت المحترم يشك في قيومية الإله، وهي من أجلى البديهيات. لكنه إذا كان البانديت المحترم يؤمن بأن البرميشور قيوم جميع الأشياء، فمن أي أنواع المعرفة تشبيهه بالنجارين والخزافين؟ وأي برهان على ذلك قد ورد في الفيدا؟ انظروا كيف أثبت القرآن الكريم صفة قيومية الله في آيات كثيرة، كما قال في الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٦)، أي بسببه ﷺ يوجد في الطبقة السفلى والعليا نور الحياة والبقاء. فثبت من بحثنا هذا الجزء الأول من القياس المركب. أما صغرى الجزء الثاني من القياس المركب فهو نفس الذي كان نتيجة الجزء الأول من القياس المركب. وقد ثبت الجزء الأول من القياس المركب آنفا، فثبتت النتيجة أيضا.

أما الكبرى للجزء الثاني، أي أن يكون الحي الأزلي والأبدي والقيوم لجميع الأشياء خالقا، فتتحقق بحيث يقال القيوم لمن كان بقاءه وحياته شرطا ضروريا لبقاء الأشياء وحياتها وتأمين كل ما تحتاج إليه. ومعنى الشرط أنه إذا افترض انعدامه، فلن نجد بداً من افتراض المشروط أيضا. كما لو قلنا إذا لم يكن هناك الله لما كان هناك شيء آخر، فالقول: "إذا انعدم وجود الله فسوف ينعدم كل شيء" يساوي تماما القول: "لو لم يكن الله وجود لما كان هناك شيء آخر" فثبت أن وجود الله علة لوجود الأشياء الأخرى. وليس للخالقية معنى آخر سوى أن يكون وجود الخالق علة لوجود المخلوق، فثبت أن الله خالق، وهو المراد. (المقالات القديمة، لخزائن

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أي هو روح كل نفس وسند كل وجود. والمعنى الحرفي لهذه الآية هو أن الله هو الإله الحيّ والقائم بذاته وحده. فلما كان هو الحي الوحيد وهو الوحيد القائم بذاته فتبين من ذلك بوضوح أن كل ما يتراءى عداه فهو حيّ بسبب حياته عَلَيْهِ السَّلَام، وكل مَنْ هو قائم في الأرض أو في السماوات فهو قائم بسببه. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٢٠)

الوجود الحقيقي والبقاء الحقيقي والصفات الحقيقية كلّها لله وحده، لا شريك له فيها. هو الحي بذاته، ومنه تستقي سائر الكائنات الحيّة حياتها. هو القائم بذاته، ومنه تستمد سائر الموجودات بقاءها. وكما لا يجوز عليه الموت، كذلك لا يطرأ عليه أدنى تعطل في الحواس من قبيل النوم أو النعاس، بينما سائر المخلوقات خاضعة لسلطان الموت كما هي عرضة للنوم والنعاس. كلّ ما ترونه في الأرض أو السماء إنما هو لله، وموجود وبق بقدرته تعالى. من ذا الذي يشفع عنده دون إذنه... علمه محيط بالحاضر والغائب، ولا يحيط بعلمه أحد إلا بقدر ما شاء. إن سلطانه وعلمه محيطان بالأرض والسماء كلها. هو الذي يحمل كل شيء ولا يحمله شيء... وهو أسمى وأجلّ من أن يعزى إليه ضعف وعجز وقلة حيلة. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٣-٢٧٤)

إن كافة المخلوقات، بدءاً من الأجرام الفلكية إلى الأشياء الأرضية، متصبغة في خلقها بصبغة العبودية. فكل ورقة تنبئ، وكل غصن يعلن، وكل صوت ينادي أن الألوهية تعمل فيها عملها. إن تصرفات الألوهية العميقة جداً والتي لا نقدر بفكرنا وقوتنا على بيانها بل يستحيل علينا استيعابها استيعاباً كاملاً، تعمل عملها. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أي أن الله تعالى وحده جامع للصفات الكاملة ومنزه عن النقائص كلها، وأنه هو وحده يستحقّ العبادة وأن وجوده هو بديهي الثبوت، لأنه حيّ بذاته وقائم بنفسه، ولا شيء سواه حيّ بذاته وقائم بنفسه. ما المراد من ذلك؟ المراد أنه ليس في العالم شيء - سوى الله

تعالى - وُجد بذاته وقام بذاته من دون علّة موجبة له، أو كان علّة موجبة لهذا العالم المخلوق بمنتهى الحكمة والترتيب المحكم الموزون. فتبين من هنا أن لا أحد سوى الله يقدر على أن يغيّر أو يبدّل شيئاً في عالم المخلوقات هذا، أو يكون سبباً لحياة كل شيء أو قيامه.

يكشف التدبر في هذه الآية أن مذهب "وحدة الوجود" قد ابتعد عن الحق، وقد تعثر أهلّه في فهم صفات الله تعالى، وليس بوسعهم أن يدركوا أنهم قد تعثروا في فهم العلاقة بين العبودية والألوهية نفسها. يبدو أن أصحاب الكشوف والمجاهدات من أهل هذا المذهب أرادوا معرفة الله تعالى، ففشلوا في فهم طبيعة العلاقة بين العبودية والربوبية، فاعتقدوا بخلق الأشياء. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٣٨-١٣٩)

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أي أن وجود الإنسان بحاجة إلى خالق وإلى قيوم أيضاً لكي يخلقه الخالق ويحميه القيوم من الفساد. فإن ذلك الإله خالق وقيوم أيضاً. وعندما وُلد الإنسان انتهت مهمة الخالقية، ولكن مهمة القيومية مستمرة إلى الأبد، لذلك كانت هناك حاجة إلى الاستغفار باستمرار. باختصار، هناك فيض لكل صفة من صفات الله، ففي سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى الاستمرار في الاستغفار للحصول على فيض القيومية. أي نعبدك يا رب ونستعين بك لتعيننا قيوميتك وربوبيتك وتنقذنا من العثار حتى لا يظهر منا ضعف فنحرم من العبادة. (عصمة الأنبياء، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٧٢)

﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، أي أنّ الحائز على الحياة الحقيقية هو وحده وَتَعَالَى، وبقية الأشياء قد خلقها هو، وهي تنال الحياة منه. أي أنه هو وحده روح جميع الأرواح وقدرة كل القدرات في الحقيقة. أما إذا ظن أحد أنه منفصل منذ القدم وأن ربوبيته لم تُحط بشيء ولم يكسب أي شيء ظهوره منه.. ففي هذه الحالة سيُعدُّ واحداً من الأشياء المحدودة، ولا يكون لنا مناص من البحث عن محيّده. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٢٤-٢٢٥، الحاشية)

إن الله تعالى اسمين اثنين، الحيّ والقيوم. ومعنى الحيّ أنه حيٌّ بذاته ويهب الحياة للآخرين أيضاً. والقيوم معناه: قائم بذاته، وبسنده يقيم الأشياء الأخرى التي خلقها. فالأشياء التي استفادت من قبل من اسم الله "الحيّ" هي التي يمكن أن تستفيد من اسمه "القيوم" لأن الله تعالى يقيم بسنده الأشياء التي خلقها وليس التي ما مستّها يده. فمن يؤمن بالله حيّاً أي خالقاً هو الذي يحق له أن يؤمن به قيوماً أيضاً، أي الذي يقيم بسنده ما خلقه. ولكن الذي لا يؤمن بالله حيّاً، أي خالقاً، لا يحق له أن يعتقد بأنه وَعَلَىٰ يساندها لبقائها، لأن معنى المساندة هو أنه لولا هذا السند لانقرضت هذه الأشياء كلها. والمعلوم أن الأشياء التي ما أتت إلى حيز الوجود بيده وَعَلَىٰ ليست بحاجة إليه لبقائها أيضاً. وإذا كانت محتاجة إليه من أجل بقاء وجودها فهي محتاجة إليه من أجل خلقه ذلك الوجود أيضاً.

فالخاص أن هذين الاسمين لله تعالى، أي الحي والقيوم مرتبطان ببعضهما من حيث تأثيراتهما ولا ينفصلان بحال من الأحوال. فالذين يعتقدون أن الله تعالى ليس خالق الأرواح والذرات لو استخدموا العقل والفهم لاضطروا للاعتراف بأنه تعالى ليس قيوماً لها أيضاً. أي لا أقول بأن الذرات أو الأرواح خلقت بسند من الله، بل الأشياء التي خلقها الله وَعَلَىٰ هي التي تحتاج إلى سنده. فكيف إذاً ستحتاج إلى سنده الأشياء الأخرى التي ليست بحاجة إلى سنده من أجل وجودها؟ إنه ادّعاء بدون دليل. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٢-٣٦٣)

ليكن معلوماً أن القرآن الكريم ذكر الله تعالى اسمين اثنين وهما: الحيّ والقيوم. المراد من الحي هو: حيٌّ بنفسه ويهب الحياة للآخرين. ومعنى القيوم هو القائم بذاته وسبب لقيام الآخرين. البقاء الظاهري والباطني لكل شيء وحياته منوط ببركة هاتين الصفتين. إن صفة «الحيّ» تقتضي أن يُعبد الله وحده، كما أن مظهره في سورة الفاتحة هو «إِيَّاكَ نَعْبُدُ». وصفة «الْقِيُومُ» تقتضي أن يُطلب السند منه، وقد ذكر هذا المفهوم بجملة: «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ».

إن كلمة ﴿الْحَيِّ﴾ تقتضي العبادة لأنه خلق كل شيء ولم يتركه وشأنه بعد الخلق. فمثلا لو بنى البناء بناية، ثم مات لما تضررت البناية بشيء، ولكن الإنسان بحاجة دائمة إلى الله تعالى، لذا لا بد من أن يستعين بالله تعالى باستمرار وهذا هو الاستغفار بعينه. هذه هي حقيقة الاستغفار. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٠، عدد ١٧ / ٣ / ١٩٠٢ م، ص ٥)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ المشركون يستعينون بألهتهم عبثا إذ لا تترتب عليها فائدة قط. ومهما كان أحد مقربا إلى الله ولكن لا يسع أحدا أن يشفع عنده دون مبرر ويحرر المجرم، إن علم الله محيط بما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما يُطلعهم عليه بنفسه ليس أكثر من ذلك. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٢، حاشية في الحاشية رقم ٣)

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ معنى الشفاعة بحسب القرآن الكريم هو أن يدعو المرء لأخيه ليتحقق مرامه أو يُرفع عنه البلاء. فيأمر القرآن الكريم أن مَنْ كان خاضعا لله تعالى أكثر فليدعُ لأخيه الضعيف نسبيا لينال الأخير أيضا المرتبة نفسها، هذه هي حقيقة الشفاعة. فمما لا شك فيه أننا ندعو لإخواننا أن يهبهم الله تعالى القوة ويرفع عنهم البلايا، وهذا نوع من المواساة لهم. فإن لم يعلم الفيدا هذه المواساة ولا يمكن لأحد بحسبه أن يدعو لأخيه فهذا ليس بأمر محمود للفيدا بل هو مثلبة كبيرة. ولما كان الناس كلهم كجسد واحد فقد علّمنا الله تعالى مرارا وتكرارا بأن قبول الشفاعة في يد الله ولكن عليكم أن تداوموا على الشفاعة لإخوتكم أي ركّزوا على الدعاء لهم ولا تتوقفوا عن الشفاعة أي من الدعاء النابع عن المواساة لأن لبعضكم حقا على بعضكم الآخر.

إن كلمة الشفاعة مستمدة من "شفع"، والشفع تعني الزوج وهو خلاف الوتر. فيُسمّى الإنسان شفيعا حين يصبح زوجا لغيره بكمال المواساة ويفنى فيه، ويسأل لغيره العافية كما يسألها لنفسه. وجدير بالذكر أنه لا يكتمل دين أحد ما لم تتولد فيه المواساة

على سبيل الشفاعة، بل الحق أن للدين جزئين كاملين، أحدهما حب الله والثاني حب البشر حتى يُعَدَّ المرءُ مصيبتهم كمصيبتهم، وأن يدعو لهم، الأمر الذي يسمَّى الشفاعة بتعبير آخر. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٦٣-٤٦٤)

اعلموا أن ادعاء الألوهية تهمة سافرة على المسيح عليه السلام لأنه لم يدَّع الألوهية قط، كل ما قاله عليه السلام عن نفسه لا يتعدَّى حدود الشفاعة. وهل من أحد ينكر شفاعة الأنبياء؟ لقد نجا بنو إسرائيل مرات عديدة من عذاب ملتهب بشفاعة موسى عليه السلام. إني صاحب تجربة في هذا المجال، وإن كثيرا من الأشراف من جماعتي يعرفون جيدا أن بعضا من المرضى والمبتلين بالمصائب قد نجوا من مصابهم نتيجة شفاعتي، وكانوا قد أخبروا بذلك قبل الأوان. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٣٦) إن سنة الله القديمة هي أنه يغفر الذنوب بالتوبة والاستغفار، ويجب دعاء الصالحين

على سبيل الشفاعة أيضا. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٤٧) إن كلمة "الشفيع" مستمدة من "الشفع" ومعناها الزوج. لذا لا يمكن أن يكون شفيعا إلا من كان مظهرا أتم لمقامين، أي أن يكون مظهرا كاملا لللاهوت والناسوت. المراد من كونه مظهرا كاملا لمقام اللاهوت هو أن يصعد إلى الله، وينال من الله. ومعنى كونه مظهرا لمقام الناسوت هو أن ينزل إلى الخلق ويبلغهم ما يناله من الله. والمظهر الكامل لهذين المقامين هو نبينا الأكرم، ولقد أشير إلى ذلك في: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩-١٠).

نقول بكل تحد بأنه لم يحظ بنصيب كامل لمقام اللاهوت إلا نبينا الأكرم. يقتضي الجزء الناسوتي أن ترافقه لوازم البشرية، وتوجد هذه الأشياء بكاملها في النبي عليه السلام، إذ قد تزوج ورزق أولادا، وكانت لديه زمرة من الأصدقاء، ونال الفتوحات ونبذ فكرة الانتقام مع وجود القوة، ومع أنَّ الخيار كان بيده إلا أنه أبدى الرُّحْمَ نابذا الانتقام. فما لم تكتمل لوازم الإنسانية كلها لا يسع المرء أن يقوم بالمواساة كاملة، بل سيبقى ناقصا من الأخلاق الفاضلة في هذا المجال.

فمثلا كيف لمن لم يتزوج أن يقدر حقوق الزوجة والأولاد؟ وكيف يستطيع أن يُري نموذج شفقتة ومواساته؟ الرهبانية تقضي على المواساة، لهذا السبب لم يُجزها الإسلام. باختصار، إن الشفيع الكامل هو الذي يوجد فيه كلا الجزأين بالكامل. ولما كان ضروريا أن يكون الشفيع مظهرا لكلا المقامين فقد أقام الله تعالى منذ بدء الخليقة ظلا لهذه السلسلة؛ أي عندما خلق آدم وضع فيه الجزء اللاهوتي حين قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠)، ووضع الجزء الناسوتي إذ خلق منه حواء؛ أي عندما نفخ الروح قامت علاقة آدم مع الله تعالى نوعا ما، وعندما أخرج حواء صار الجزء الثاني ناسوتا بسبب العلاقة مع المخلوق. فما لم يوجد كلا هذين الجزأين في الإنسان بصورة كاملة لا يمكن أن يكون شفيعا. فكما خرجت حواء من ضلع آدم كذلك يخرج الخلق من ضلع الإنسان الكامل. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ١٩٠٢/٢/٢٨م، ص ٥-٦)

من الغريب حقا أن يطالب المسيحيون بالعصمة من أجل الشفاعة؛ لأن العصمة وحدها لا تكفي عندهم للشفاعة، بل الشفاعة ممكنة حين يكون الشفيع معصوما وابن الله أيضا، ثم يصبح ملعونا بعد أن يُعلّق على الصليب! وما لم يتحقق هذا الثلاث بحسب معتقد المسيحية لا يمكن لأحد أن يكون شفيعا. فلماذا إذن يرددون "العصمة، العصمة"؟ فإذا عُرض عليهم معصوم أو أثبت أنه كذلك فهل سيقبلونه شفيعا؟ كلا، بل من الضروري بحسب اعتقادهم أن يكون ابن الله، وإن لم يكن إلهًا، فمع ذلك لا يمكن أن يكون شفيعا قط ما لم يُصلّب ويصبح ملعونا! ثم هناك أمر آخر جدير بالتدبر وهو أنه إذا كان يسوع إلهًا بنفسه وبالتالي كان علة العلل وتحمل ذنوب العالم كله أيضا فكيف صار معصوما. نترك جانبا ذكر الذنوب التي أثبتتها المؤرخون اليهود والمفكرون الأحرار من إنجيله، ولكن لما كان قد حمل الذنوب كلها وكان هو السبب وراء ارتكاب الذنوب لكونه علة العلل فإن عدّه معصوما يدل على عقلية غريبة حقا. ثم ليس المعصوم اسمًا لله لأن المعصوم هو مَنْ كان له عاصم،

وإن اسم الله هو العاصم. ما دامت هناك حاجة إلى البتوة من أجل الشفاعة - ولهذا الغرض أيضا هناك حاجة إلى لعنة الصليب - فتصبح هذه اللحمة والسدى كلها مصداق: بناء الفاسد على الفاسد.

القول الحق والصحيح كما بينته من قبل أيضا أنه من الضروري للشفيع أن يكون على علاقة كاملة مع الله تعالى لينال منه الفيض. ثم يجب أن يكون على علاقة متينة مع المخلوق ليوصل إلى المخلوق ذلك الفيض والخير الذي يناله من الله تعالى. ولا يمكن لأحد أن يكون شفيعا ما لم تتحقق فيه هاتان العلاقتان القويتان. والبحث الثالث الجدير بالتدبر في هذه المسألة هو أنه لا يمكن أن تصدر نتيجة مفيدة ما لم تكن النماذج ملحوظة، وإنما تبقى البحوث كلها افتراضية. انظروا إلى نموذج المسيح، فهو لم يقدر على إصلاح بضعة حواريين أيضا، بل ظل يصفهم ضعيفي الاعتقاد بل سمى بعضهم شيطانا أيضا، ولا يثبت له نموذج كامل من الإنجيل. أما نبينا الأكرم ﷺ فهو نموذج كامل مقابله إذ قد أنقذ أصحابه من العذاب الأليم الجسدي والروحاني أيضا وأخرجهم من حياة الذنب، حتى أنه قلب العالم رأسا على عقب. كذلك أفادت شفاعة موسى عليه السلام أيضا. المسيحيون يعدّون المسيح مثل موسى ولكن لا يستطيعون أن يثبتوا أنه أنقذ القوم من الذنوب مثله. بل نرى أن حالة القوم ساءت كثيرا بعد المسيح. وإذا كان أحد يشك في ذلك الآن أيضا فليتجول في لندن ومدن أوروبية أخرى لينظر هل أنقذهم من الذنوب أم ورّطهم فيها؟ يمكن لشخص من فئة اجتماعية سافلة أيضا أن يقول بأن "بالميك" ^١ أنقذه من ذلك، ولكن كلها ادعاءات فارغة لا يصحبها دليل واضح. إذن، إن قول المسيحيين بأن المسيح جاء للإنقاذ ليس إلا قولاً خياليا فقط لأننا نرى أن حالة القوم ساءت كثيرا بعد مجيئه، وابتعدوا عن الروحانية كثيرا.

^١ بالميك: مؤسس وزعيم الفرقة الهندوسية المسماة "البالميكية." (الناشر)

الشفيع الحقيقي والكامل هو نبينا الأكرم ﷺ الذي أخرج القوم من الوثنية، ومن كل نوع من نجاسة الفسق والفجور، وجعلهم قوما من الطراز الأعلى. والدليل على ذلك أن الله تعالى يرسل في كل عصر نماذج لإثبات طهارته وصدقته. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٢م، ص ٤-٥)

إن أدعية المبعوث من الله تؤثر في العالم أجمع. هذا قانون إلهي دقيق لا يدركه كل شخص، والذين أنكروا مسألة الشفاعة ارتكبوا خطأ كبيرا. إن قانون الطبيعة يقتضي شفيعا، فهو يكون من ناحية على علاقة متينة بالله تعالى ومن ناحية ثانية بالخلق، ويكون متحليا بمواساة البشر أو يمكن القول بتعبير آخر إن قلبه يكون مجبولا على هذا النحو بحيث يستعد للمواساة سريعا؛ لذا فهو يأخذ من الله ويوصل إلى الخلق بسبب عزيمته وتركيزه، ويؤثر فيهم. هذه هي الشفاعة.

إن زوال المصيبة نتيجة دعاء الإنسان وتركيزه أو قلة المعصية والذنوب كله يندرج تحت الشفاعة. التركيز يؤثر في الجميع، وإن لم يتذكر المبعوث الإلهي أسماء أصحاب العلاقة معه. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٢م، ص ٦)

لا يخطر ببال أحد أن الشفاعة ليست بشيء. إننا نؤمن بأن الشفاعة حق، وقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣) نص صريح على ذلك. هذه هي فلسفة الشفاعة، أي أن تحمد ثوائر النفس التي تدفع إلى اقتراف الذنوب.

لقد بين الله تعالى هنا نتيجة الشفاعة وهي القضاء على حياة الآثام وأن تحمد ثوائر النفس وحوافزها. فمسألة الشفاعة لم تُبطل الأعمال، بل تحفز على الأعمال الحسنة. لقد اعترض الحمقى لعدم فهمهم مسألة الشفاعة معتبرين الشفاعة والكفارة والفداء شيئا واحداً، مع أنها لا يمكن أن تكون سواسية؛ إن عقيدة الكفارة تغني عن الأعمال الحسنة، أما الشفاعة فترغب في الحسنات. الأمر الذي ليس فيه حكمة

ولا فلسفة فهو لغو، وإننا ندعي أن أصول الإسلام وعقائده وجميع تعاليمه تنطوي على حكمة، الأمر الذي تفتقر إليه معتقدات الأديان الأخرى.

كيف تحفز الشفاعة على الصالحات؟ نجد الإجابة على هذا السؤال أيضا في القرآن الكريم نفسه، حيث بيّن أن الشفاعة ليست كالكفارة التي يعتقد بها المسيحيون، لأن القرآن لم يحصر الأمر على الشفاعة حتى تؤدي إلى الكسل والغفلة، بل قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي عندما يسألك عبادي: أين ربنا؟ أخبرهم أنني قريب، لأن القريب يقدر على فعل أي شيء، أما البعيد فماذا عساه أن يفعل؟ فلو نشب حريق مثلاً فيحترق كل شيء ويصبح رماداً قبل أن يصل خبره إلى شخص بعيد، لذلك قال الله تعالى هنا: إني قريب. الحق أن هذه الآية تكشف لنا سرّاً من أسرار قبول الدعاء، وهو ضرورة الإيمان بقدرة الله وقوته وبقربه منا كل حين وسماعه دعاء كل داع. إن من أسباب رفض كثير من الأدعية ضعف إيمان الداعي بالله تعالى، لذا فهناك حاجة ماسة لأن نجعل الدعاء صالحاً للقبول، لأن الدعاء الذي لا يتفق مع الشروط التي وضعها الله تعالى لقبوله، لن يجاب ولن يأتي بنتيجة أو فائدة ولو دعا به كل الأنبياء أيضاً جميعاً.

وجدير بالتفكير هنا أن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ من جهة: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، أي: إن صلاتك ودعائك يصبح برّاً وسلاماً عليهم ويخمد نيران ثوائهم النفسانية، ومن جهة أخرى قال تعالى أيضاً: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ (البقرة: ١٨٧)، وبقراءة هاتين الآيتين معا تتضح لنا أهمية نوعية العلاقات بين الداعي وطالب الدعاء وما يترتب عليها من نتائج، لأن الله تعالى لم يحصر الأمر في شفاعة النبي ودعائه، ولم يقل إن هذا يكفي الإنسان وبغنيه عن العمل. كذلك لا يمكن أن ينال الإنسان فلاحاً بغير شفاعة النبي ﷺ والدعاء.

يفيد الدعاء حصراً مَنْ يصلح نفسه، وينشئ علاقة صادقة بالله. لو شفع الرسول لأحد ولكن الذي شُفع له إن لم يصلح نفسه ولم يخرج من حياة الغفلة فماذا عسى أن تفيده الشفاعة. (الحكم، المجلد ٧ رقم ١١ عدد ١٩٠٣/٢/٢٤ م، ص ٧)

لقد ذكر القرآن الكريم جداراً لِيَتِمِّينَ يريد أن ينقضَّ وكان تحته كنز لهما وما كانا بلغا الحلم بعد، وكان هناك خطرٌ أن الجدار إذا انقضَّ سوف ينكشف الكنز ويأخذه الناس، ولن يجد هذان الغلامان شيئاً. كلف الله ﷻ نبيين بخدمة إقامة الجدار ففعلا ليجد الغلامان كنزهما عندما يكبران. وهذا ما قال الله ﷻ هنا: ﴿كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٣) أي قد حفظنا الكنز بسبب صلاح أبيهما. فمن هنا يبدو أن الغلامين ما كانا صالحين، ولم يكن أملٌ في صلاحهما، وإلا لقال الله ﷻ إن هذين الغلامين صالحان أو سيصبحان صالحين. كلا! لم يقل ﷻ هذا بل ذكر أباهما فقط، فكل ما فعله الله كان بسبب صلاح أبيهما. فانظروا هذه هي الشفاعة. (الحكم، المجلد ٧ رقم ١٢ عدد ١٩٠٣/٣/٣١ م، ص ٥)

إن مسألة النجاة والشفاعة مسألة جليلة الشأن وذات بال من بين المسائل الدينية لدرجة تنتهي عندها جميع أهداف الالتزام بالدين، وهي آية جليلة وبينه لاختبار صدق دين وحقانيته، ويُعلم بناء عليها بكل يقين واطمئنان صدق أي دين وإن كان من عند الله في الحقيقة. وصحيح تماماً أن الدين الذي لم يبين هذه المسألة بطريقة سليمة أو لم يُر في فرقه نماذج الحائزين على النجاة بتميّز بين وجليٍّ، فلا حاجة إلى دليل آخر على بطلانه. أما الدين الذي كشف عن حقيقة النجاة بكمال الصحة، وليس ذلك فحسب، بل قدّم أيضاً في عصره أناساً نُفخت فيهم روح النجاة بالكامل، فقد ختم أنه صادق ومن عند الله.

بسبب مئات أنواع الغفلة والحُجُب، وصولات النفس والزلات، والضعف والجهل والظلمات، والعتار في كل خطوة والأخطار المتتالية، والوساوس وآفات الدنيا وبلاياها المختلفة الأصناف والألوان، فإن كل إنسان بطبيعته يشعر في قلبه بأنه

بحاجة حتما إلى يد قوية تنقذه من جميع هذه المكروهات؛ لأنه ضعيف بطبيعته، فلا يستطيع أن يثق بنفسه لحظة واحدة بأنه قادر بنفسه على الخروج من ظلمات النفس. هذه شهادة ضمير الإنسان، وإضافة إلى ذلك لو تعمّن المرء في الموضوع لوجد أن العقل السليم أيضا يقتضي شفيعا من أجل النجاة لأن الله تعالى في ذروة التطهّر والتقّوس، والإنسان في الدرك الأسفل من الظلمة والمعصية والكدورة، وبسبب فقدان الصلة والتشابه لا تستحق فئة عامة الناس أن تحظى بالنجاة بنيل الفيض من الله مباشرة. لذا فقد اقتضت حكمة الله ورحمته أن يكون بعض الكمّل الذين لهم أفضلية خاصة من حيث فطرتهم واسطةً بينه ﷺ وبين البشر. وينبغي أن يكون هؤلاء من الذين حازت فطرتهم جزءا من الصفات اللاهوتية وجزءا من الصفات الناسوتية؛ ليقبّسوا نصيبا من فيض الله بسبب علاقتهم باللاهوت وبسبب علاقتهم بالناسوت، يوصلوا إلى الأسفل فيضا نالوه من الأعلى، أي إلى البشر، وذلك بسبب علاقتهم بالناسوت. صحيح تماما القول بأن هؤلاء الناس يمتازون عن غيرهم من البشر بوجه خاص بسبب زيادة كمال اللاهوت والناسوت فيهم وكأنهم خلّق آخر تماما؛ لأن الحماس الذي يُعطونه لإظهار جلال الله وعظمته، والقدر الذي تُملأ به قلوبهم بعواطف الإخلاص، والقدر الذي يُعطون من الحماس لمواساة البشر، إنما هو أمر يفوق العادة لدرجة يتعذر على الآخرين تصوّره.

من الجدير بالذكر أيضا بأن هؤلاء الناس لا يكونون على مستوى واحد بل يحتل بعضهم مرتبة عليا من حيث الفضائل الفطرية ومنهم من هم دون ذلك وهلمّ جرّا. والضمير النقي لذي عقل سليم يفهم جيدا أن مسألة الشفاعة ليست مختزعة أو محتلفة بل يوجد نظائرها في النظام الذي وضعه الله تعالى منذ القدم، وتوجد شهادات صريحة عليها في نواميس الله في الطبيعة.

والآن، يجب أن تُفهم فلسفة الشفاعة على أن "الشفع" يعني الزوج في العربية وهو خلاف الوتر. ففي كلمة "الشفاعة" إشارة إلى أمر مهم وهو من صفات الشفيع

أن يكون حائزا على الاتحاد مع الطرفين؛ بمعنى أن يكون من ناحية على علاقة متينة مع الله ﷻ حتى يصبح له كالشَّعْ والرَّبط بسبب كمال الاتحاد، كذلك يجب أن يكون على علاقة متينة مع المخلوق أيضا وكأنه جزء من أعضائهم. فالحق أن تحقُّق تأثير الشفاعة يعتمد على هذين الجزأين. وهذا هو السرُّ في أن حكمة الله خلقت آدم على هذا النحو إذ أنشأت في فطرته نوعين من العلاقة منذ البداية؛ فمن ناحية أنشأت علاقته بالله تعالى كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠)، أي فقعوا أيها الملائكة، له ساجدين فوراً. يتبين من الآية المذكورة آنفاً بجلاء أن الله ﷻ نفخ في آدم روحه بعد خلقه فوراً وأنشأ علاقة فطرية معه ﷻ. وفعل ذلك كي تكون للإنسان علاقة فطرية مع الله ﷻ. كذلك كان ضرورياً من جانب آخر أن تكون له علاقة فطرية مع الذين يُسمَّون بشراً، لأنه عندما يكون وجودهم مستمداً من آدم، أي عظامهم من عظامه ولحمهم من لحمه، فسينالون حتماً نصيباً من هذه الروح التي نُفخت في آدم، لذا سيكون آدم شفيعاً لهم بصورة طبيعية، لأن الصدق الذي أُودع فطرة آدم بسبب نفخ الروح لا بد أن ينال نصيباً منه أيضاً الشخص الذي خرج منه، كما هو واضح أن ولد كل حيوان يأخذ نصيباً من صفاته وأفعاله. وهذه هي حقيقة الشفاعة أن يأخذ الوارث الفطري نصيباً من مورثه. لأنه كما بيَّنتُ من قبل أن كلمة "الشفاعة" مستمدة من مصدر "الشفع" الذي يعني الزوج، فالذي يكون بفطرته زوجاً لشخص آخر سيأخذ نصيباً من صفاته حتماً. فعلى هذا المبدأ تجري سلسلة التوارث الخَلْقِي؛ أي أنَّ ولد الإنسان ينال نصيباً من قوى الإنسان، والمُهر يقتبس نصيباً من قوى الفرس، وولد الشاة يستمد نصيباً من قواها. وهذه الوراثة تسمَّى بتعبير آخر الاستفاضة من الشفاعة، لأن أصل الشفاعة هو "الشفع" أي الزوج. إذًا، فإن مدار الاستفاضة من الشفاعة كله أن تكون بين المستفيض والذي يريد الاستفاضة من شفاعته علاقة فطرية لتنال فطرته أيضاً كل ما أُودعت فطرة الشفيع. إن هذه العلاقة

كما هي موجودة في فطرة الإنسان كهيئة من الله، بمعنى أن كل إنسان جزء من إنسان آخر، كذلك هي في ازدياد مستمر من حيث الكسب أيضا، بمعنى أنه عندما يودّ أحد أن يزداد حُبّه للخلق ومواساته لهم، وهذه موجودة في فطرته سابقا، فيزداد فعلا بقدر دائرة فطرته وعلاقته؛ فبناء على ذلك تموج قوة الحب بحيث يزداد أحد حبا لأحد حتى لا يستقر له قرار دون أن يراه، فتؤثر شدة حبه على قلب الآخر في نهاية المطاف. مَنْ يَحِبُّ أَحَدًا إِلَى أَقْصَى الْحُدُودِ يَطْلُبُ لَهُ الْخَيْرَ أَيْضًا بِوَجْهِ كَامِلٍ وَصَادِقٍ. فهذه الظاهرة ملحوظة ومحسوسة في الأمهات تجاه أولادهن.

إذًا، إن أصل الشفاعة هو الحب حين يكون مصحوبا بالعلاقة الفطرية، لأن كمال الحب الذي هو شرط للشفاعة مستحيل دون العلاقة الفطرية. ولإيداع هذه العلاقة في فطرة الإنسان لم يخلق الله حواء منفصلة بل أخرجها من ضلع آدم، كما قال في القرآن الكريم: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ٢).. أي خلق زوج آدم أي حواء من وجوده لتكون علاقة آدم مع حواء وأولادهما طبيعية لا مصطنعة. وفعل ذلك لتدوم العلاقة والمواساة بين بني آدم لأن العلاقات الطبيعية لا تنفك، ولكن العلاقات غير الطبيعية لا تدوم، لأنه لا يوجد فيها جذب متبادل كما في العلاقة الطبيعية.

باختصار، فقد خلق الله تعالى بصورة طبيعية كلتا العلاقتين اللتين كانتا ضروريتين لآدم؛ مع الناس ومع الله.

يتبين من هذا البيان بكل جلاء أن الإنسان الكامل الذي يحق له أن يكون شفيعا هو ذلك الذي يكون حائزا على نصيب كامل من هاتين العلاقتين، ولا يمكن لأحد أن يكون إنسانا كاملا دون حيازة هذين الكمالين. لذا فقد جرت سنة الله من بعد آدم أن جعلت هاتان العلاقتان ضروريتين لكل إنسان كامل يمكن أن يكون شفيعا. أولا: نُفِخَتْ فِيهِمُ الرُّوحُ السَّمَاوِيَّةُ فَاتَّصَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ وَكَأَنَّهُ نَزَلَ فِيهِمْ. ثانيا: إن علاقة الزواج بين البشر التي أُحْكِمَتْ بِالْحُبِّ وَالْمَوَاسَاةِ الْمُتَبَادِلَةِ بَيْنَ آدَمَ وَحَوَاءَ جُعِلَتْ تَتَجَلَّى فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَنَتِيجَةُ لَذَلِكَ رَغَبُوا فِي الزَّوْجَاتِ أَيْضًا.

وهذه أول علامة على أنهم يتحلّون بعاطفة مواساة البشر. وإلى ذلك يشير الحديث الشريف الذي جاء فيه: "خيركم خيركم بأهله" .. أي أنّ أكثركم مواساة لبني البشر هو مَنْ يحسن معاملة زوجته أولا. ولكن الذي يعامل زوجته بالظلم والشر لا يمكن أن يعامل الآخرين بالخير، لأن الله تعالى خلق آدم وجعل زوجته أول مصداق لحبه. فالذي لا يحب زوجته أو ليست له زوجة أصلا فهو ساقط عن مرتبة الإنسان الكامل، ويعوزه شرط من شرطي الشفاعة؛ لذا لا يحق له الشفاعة وإن كان يحظى بالعصمة. ولكن الذي ينكح زوجة يضع لنفسه أساسا لمواساة البشرية، لأن الزوجة تكون سببا لعلاقات كثيرة، إذ تنجب الأولاد فيصبح لهم زوجات، فتكون هناك جدات للأولاد من الأم وأخوال وغيرهم من الأقارب. وبذلك يعتاد مثل هذا الإنسان على المواساة تلقائيا. فتتوسع دائرة عاداته هذه وتعطي الجميع نصيبا من مواساته. أما الذين يتربّون كالرهبان فلا يجدون فرصة لتوسيع دائرة عاداتهم هذه فتبقى قلوبهم قاسية ومتصلبة.

الحق أنه لا علاقة حقيقية للعصمة بالشفاعة، لأن مفهوم العصمة يقتصر على أن يُعصم الإنسان من الآثام فقط. والمراد من الإثم أن ينقض المرء أمر الله عمدا ويستحق العقاب.

فمن الواضح أنه لا تلازم ذاتيا بين العصمة والشفاعة، لأن الأطفال غير المدركين والمجانين بالولادة أيضا أبرياء بحسب الشرح المذكور آنفا لأنهم لا يقدرّون على أن يرتكبوا إثما عمدا ولا يستحقّون عقابا عند الله نتيجة ارتكابهم أيّ عمل. فهم يستحقّون دون شك أن يُعدّوا معصومين. ولكن هل يحق لهم أيضا أن يكونوا شفعا للناس ويسمّوا منجّين؟ فيتين من ذلك بوضوح أنه لا علاقة حقيقية بين عصمة أحد وكونه منجّيا. ولا يعقل قطعا أن يكون هناك علاقة حقيقية بين العصمة والشفاعة. غير أن العقل يُدرك جيدا أنه ضروري للشفيع أن يتحلّى بكلتا العلاقتين المذكورتين من قبل. ويحكم العقل دون أدنى تردد أنه إذا وُجدت فيه إحدى هاتين

الصفيتين، أي أن تكون له صلة متينة بالله تعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون على علاقة قوية مع الخلق مبنية على الحب والمواساة؛ فلا شك أن هذا الشخص سيشفع بحماس قلبي للذين لم يقطعوا علاقتهم به قصداً، وستُقبل شفاعته، لأن الذي أودعت فطرته هاتين العلاقتين سيكون جاذبا للفيض حتما بسبب حبه التام لله تعالى ثم يوصل الفيض نفسه إلى الخلق نتيجة حبه التام لهم أيضا. وهذه هي الكيفية التي تُسمَّى الشفاعة بتعبير آخر. ومن المحتوم للشفيع كما قلت قبل قليل، بأن يكون على علاقة متينة بالله تعالى وكأن الله قد حلّ في قلبه، وتكون بشريته قد ماتت كلياً وظهر التجلّي اللاهوتي في كل ذرة من كيانه، وسالت روحه على عتبات الله بعد الذوبان كالماء، وبذلك قد بلغت منتهى قرب الله تعالى.

كذلك من الضروري أيضا للشفيع أن يكون قلبه خفاقا بشدة مواساةً لمن يشفع له وكأنه على وشك أن يُغشى عليه، وكأن أعضائه على وشك الانفصال عن جسده من شدة القلق والاضطراب، وكأن حواسه متشتتة. وتكون مواساته قد أبلغته درجةً تفوق مكانة الأب والأم، وتفوق كل مواسٍ وناصح أمين. فعندما تتولد فيه هاتان الحالتان، يصبح زوجا من حيث مقام اللاهوت، وزوجا من ناحية أخرى من حيث مقام الناسوت أيضا. عندها تكون كلتا كفتي الميزان متساويتين. أي يكون مظهرها كاملا للاهوت ومظهرها كاملا للناسوت أيضا، وسيكون في كلتا الحالتين بصورة البرزخ.



فقد قال الله تعالى في القرآن الكريم أنّ النبي ﷺ شافع مشيرا إلى هذا المقام للشفاعة: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم: ٩، ١٠) أي صعد هذا الرسول إلى الله واقترب منه قدر الإمكان واجتاز كمالات القرب

كلها، ونال حظا كاملا من مقام اللاهوت، ثم رجع إلى الناسوت رجوعا كاملا، أي أوصل نفسه إلى منتهى العبودية، ونال حظا كاملا من مستلزمات البشرية الطاهرة، مثل مواساة البشر وحبهم الذي يُسمَّى كمال الناسوت. وبذلك بلغ درجة الكمال

في حب الله، وكذلك بلغ الكمال في حب البشر. فما دام قد دنا إلى الله بوجه كامل، ثم تدلّى بوجه كامل إلى البشر؛ لذا صار -بسبب تساوي القرب من الجهتين- كوتر بين قوسين، فوجد فيه الشرط الواجب وجوده في الشفاعة. وشهد الله تعالى في كلامه المجيد أنه ﷺ صار بين نوعه وبين ربه كالوتر بين القوسين. (عصمة الأنبياء، الخزانة الروحانية، المجلد ١٨، ٦٥٥-٦٦٤)

ضرورة الشفاعة

يمكن أن يطرح أحد هنا سؤالاً: ما حاجة الإنسان إلى الشفاعة؟ ولماذا لا يجوز له أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره ويسأله العفو مباشرة؟ إن قانون الطبيعة بنفسه يرد على هذا السؤال، لأنه من المسلّم به عند الجميع ولا يسع أحدا الإنكار أن سلسلة نسل الناس بل الحيوانات أيضاً تجري نتيجة الشفاعة. لقد كتبت قبل قليل أن "الشفاعة" مستمدة من "شفع" وتعني الزوج. فأيّ شك في أن بركات التناسل كلها قد نتجت ولا تزال تنتج عن الشفع. إن أخلاق الإنسان وقوته وملاحمه تنتقل منه إلى غيره بهذه الطريقة، أي هي نتيجة الشفع. كذلك الحيوان الذي يتولد من حيوان آخر مثل الشاة أو الثور أو الحمار وغيرها، والقوى كلها التي تنتقل من حيوان إلى آخر هي أيضاً نتيجة الشفع في الحقيقة. فحين يؤخذ هذا الشفع بمعنى أن يُنشئ ناقصٌ علاقةً روحانية مع كاملٍ ويتلقى من روحه علاجٌ ضعفه ويجتنب الأهواء النفسانية، فتسمى هذه العلاقة شفاعةً. كما أن القمر عندما يقابل الشمس وينشئ معها نوعاً من الاتحاد والعلاقة ينال فوراً الضوء الموجود في الشمس. ولأن لهذا الشفع الروحاني بين القلوب المحبة وبين الأنبياء علاقةً مع الشفع الجسدي كعلاقة بين زيد وأبيه مثلاً، لذا فالحائزون على الفيض الروحاني أيضاً يُعدّون أولاداً عند الله. والحائزون على الخلق الكامل ينالون الملامح والأخلاق والبركات نفسها التي توجد في الأنبياء. فهذه هي حقيقة الشفاعة. وكما أنّ من مستلزمات الشفع.. أي الربط الجسدي، أن يكون الأولاد أشباه الشخص صاحب الصلة معهم، كذلك هي خاصية الشفع الروحاني أيضاً.

باختصار، إن حقيقة الشفاعة هي أن قانون الله تعالى الجاري في الطبيعة منذ القدم في الأمور المادية والروحانية هو أن جميع البركات تنتج عن الشفع، والفرق الوحيد هو أن قسما منه سُمِّيَ شفعا والآخر سُمِّيَ شفاعةً. وكما أن الإنسان بحاجة إلى الشفع للمحافظة على سلسلة النسل، كذلك هناك حاجة للشفاعة لبقاء السلسلة الروحانية، وقد ذكر كلام الله تعالى كِلا النوعين، كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم إنه خلق آدم زوجا ثم خلق من هذا الزوج خلقا كثيرا، رجالا ونساء. ويقول ﷻ أيضا بأنه خلق على الأرض آدم خليفة له وكانت فيه روح الله. ثم ظل هذا النور ينتقل من آدم إلى أنبياء آخرين وورث هذا النور كلٌّ من إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب وموسى وداود وعيسى وغيرهم، حتى بُعث نبينا الأكرم ﷺ الوارث الأخير. فكما ورث جميع الأنبياء الأطهار ملامح جسدية من آدم، كذلك نالوا منه روح الله أيضا لكونه خليفةً. ثم بواسطتهم ظل غيرهم أيضا ينالون هذا الإرث بين حين وآخر. (عصمة الأنبياء، الخزانة الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٧٨-٦٨٠)

لا يثبت كون أحد شفيعا في الآخرة إلا الذي أبدى شيئا من نماذج الشفاعة في الدنيا. فعندما نظر إلى موسى من هذا المنطلق يثبت كونه أيضا شفيعا لأنه أزال بدعائه أكثر من مرة عذابا موشكا، وهذا ما تشهد به التوراة. وكذلك حين نظر إلى سيدنا محمد المصطفى ﷺ من هذا المنطلق يتبين كونه شفيعا كأجلى البديهيّات لأن من تأثير شفاعته رفع الصحابة المساكين إلى العروش. وكان من تأثير شفاعته أن صار الناس موحدين -بعد ما تربّوا في الوثنية والشرك- بحيث لا يوجد نظيرهم في أي زمن. ثم من تأثير شفاعته ﷺ أن متبعيه لا يزالون يتلقون إلهاما صادقا من الله تعالى إلى يومنا هذا، ويكلّمهم الله تعالى. ولكن أين وكيف تثبت كل هذه الأشياء في المسيح ابن مريم. أية شهادة أكبر على شفاعة سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ من أننا نجد من الله بواسطته ما لا يمكن أن يجده أعداؤنا؟ أما إذا أراد

معارضونا اختبار ذلك فيمكن البتُّ في الموضوع في غضون بضعة أيام. (عصمة الأنبياء، الخزانة الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٩٩-٧٠٠)

لا رسول ولا شفيع لبني آدم كلهم إلا محمد المصطفى ﷺ. (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٣)

فمن بايعني بصدق، واتبعني بقلب صادق، وتخلّى عن جميع رغباته متفانيًا في طاعتي، فهو الذي ستشفع له روحي في أيام الآفات هذه. (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٤-١٥)

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة ٢٥٦) أي أن الله تعالى لا يتعب بحمل السماوات والأرض اللتان يسعهما كرسيه، وهو العليّ، لا يصل كنهه عقل، وهو العظيم فكل شيء أمام عظمتة تافه. هذا هو ذكر الكرسي وهو استعارة فقط أريد بها البيان أن السماوات والأرض تحت تصرف الله، ومقامه أبعد منها جميعا ولا تحدّ عظمتة حدود. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١١٨، الحاشية)

الآية ٢٥٧: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿لا إكراه في الدين﴾، أي أن الدين لا يريد أن يُكره أحدا على الإيمان بشيء بل يقدم الأدلة على كل شيء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٣)

لا يصح زعم نواب صديق حسن خان القائل بأن الناس يُدخلون في الإسلام بالإكراه في زمن المهدي. يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ غير أن النصارى كانوا في زمن ما يُنصرون الناس كرها. ولكن الإسلام يعارض الإكراه منذ بداية

عهده. إنما الإكراه فعل الذين لا يجدون الآيات السماوية معهم. أما الإسلام فهو بحر زخار من الآيات السماوية. لم تظهر على يد أي نبي معجزات بقدر ما ظهرت على يد نبينا الأكرم عليه السلام. إن معجزات الأنبياء السابقين قد انتهت بوفاتهم، أما معجزات نبينا عليه السلام فلا تزال تظهر وستظل تظهر إلى يوم القيامة. وكل ما يظهر في تأييدي إنما هي معجزات النبي عليه السلام كلها. أين القساوسة أو اليهود أو الأقوام الأخرى الذين يقدرّون على إظهار الآيات مقابلها؟ كلا، ثم كلا، ثم كلا، ولو ماتوا ساعين لذلك لما استطاعوا أن يظهروا آية واحدة لأن آلهتهم زائفة فهم لا يتبعون الإله الحق. إن الإسلام بحر المعجزات، لم يستعمل الإكراه قط، فما هو بحاجة إليه أصلاً. (حقيقة الوحي الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٦٨-٤٦٩)

لقد علّمنا الله تعالى في القرآن الكريم أنه لا إكراه في الدين، كما يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وكما يقول: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ (يونس: ١٠٠). (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ٢١٩)

الإسلام لم يعلم الجبر والإكراه قط. فلو أمعنا النظر في القرآن الحكيم وكتب الحديث وكتب التاريخ جميعاً، أو سمعناها من أحد بامعان وتدبر قدر الإمكان، لعلمنا يقيناً بعد هذا الاطلاع الواسع أن اتهام الإسلام برفع السيف لنشر الدين بالقوة هوّه بمتان عظيم وافتراء مخجل؛ وإن هو إلا زعم أولئك الذين لم يدرسوا القرآن والأحاديث وكتب تاريخ الإسلام الموثوق بها دراسة محايدة خالية من التعصب، بل بذلوا جهدهم في التزوير والافتراء. ولكنني أعلم أنه قد اقترب الآن الزمن الذي يدرك فيه المتعطشون للحق زيف هذه البهتان.

إدّاء، فكيف يمكننا أن نصم بالإكراه والجبر ديناً يُعلّمنا كتابه القرآن الكريم في صراحة تامة أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وهل يحقّ لنا أن نتهم بعقيدة الإكراه ذلك النبي العظيم الذي ظل يوصي أصحابه طول ثلاثة عشر عاماً في مكة المعظمة، بألا يقابلوا الشر بالشر، وأن يظلوا متمسكين بأهداب الصبر؟ نعم، لما تجاوز عدوان

الأعداء الحدودَ كلها، وتألبت جميع الشعوب للقضاء على دين الإسلام، اقتضت غيرُ الله أن يُقتلَ بالحُسام مَنْ يرفع الحسام؛ وإلا فإن القرآن لم يعلم الإكراه مطلقاً. ولو كان الإكراه من تعاليم الإسلام لما استطاع أصحاب النبي ﷺ أن يقدموا عند الاختبارات أسوةَ الصدق والوفاء كالمؤمنين الصادقين. وإن وفاء أصحاب سيدنا ومولانا ونبينا ﷺ لأمر غني عن البيان كلية؛ إذ لا يخفى على أحد أن مواقف صدقهم ووفائهم قد بلغت من العظمة التي لا يوجد لها نظير في الأمم الأخرى. إن هذه الأمة الوفية لم تتخلَّ عن صدقها ووفائها حتى تحت ظلال السيوف، بل أبدت في سبيل الوفاء لنبينا المقدس العظيم من الصدق ما لا يمكن أن يتحلى به أي إنسان إلا إذا كان قلبه وصدوره منورين بالإيمان.

وجملة القول أنَّ لا إكراه في الإسلام، وأن الحروب الإسلامية لا تخرج عن ثلاثة أقسام: (١) الدفاعية، أي دفاعاً عن النفس. (٢) القصاصية، أي عقاباً لمن يسفك الدماء، أي النفس بالنفس. (٣) التحريرية، أي توطيداً للحرية الدينية، وكسرًا لشوكة قوة المعتدين الذين كانوا يقتلون المسلمين بسبب إسلامهم. فلما كان الإسلام خالياً من أي تعليم لإدخال الناس فيه قسراً أو تهديداً بالقتل ثبت أن انتظار ظهور مهدي سقّاك أو مسيحٍ سقّاك لغو باطل على الإطلاق؛ إذ من المستحيل أن يُبعث أحد ليسفك الدماء من أجل إدخال الناس في الإسلام بالسيف خلافاً لتعليم القرآن. (المسيح الناصري في الهند، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١١-١٢)

لقد ورد في القرآن الكريم أمر بوضوح تام ألا ترفعوا السيف لنشر الدين، بل قدّموا محاسن الدين واجذبوا الناس إليكم بسيرتكم الطيبة. ولا تظنوا أن الإسلام قد أمر برفع السيف في البداية، لأن ذلك السيف لم يُرفع لنشر الدين بل سُلّ لتجنب هجمات الأعداء أو لإرساء دعائم الأمن، ولم يكن الهدف من وراءه الإكراه من أجل الدين قط. (نجم القيصر، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٢٠-١٢١)

إن كافة المسلمين الصادقين الذين خلوا من قبل، لم يعتقدوا قط أنه يجب نشر الإسلام بحدّ السيف، بل الحق أن الإسلام قد انتشر في العالم بقوة محاسنه الخالدة دائماً. فالذين يُدْعَوْنَ مسلمين، ومع ذلك يتبنّون فكرة نشر الإسلام بحدّ السيف، لا يعترفون في الحقيقة بميزاته، وإن سلوكهم هذا يشبه سلوك الوحوش الضارية. (ترياق القلوب الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ١٦٧، الحاشية)

من الجهل والغباوة الشديدة أن يستعجل المشايخ المعاصرون لضحالة علمهم ويقولوا إن النبي ﷺ رفع السيف لإدخال الناس في الإسلام قهراً. وإن قليلي الفهم من القساوسة أيضاً واقعون في الشبهات نفسها. ولكن ما من حديث أكذب من أن تُلصق تهمة الجبر والإكراه بدين تعليمه الأول هو: ﴿لا إكراه في الدين﴾. بل الحق أن حروب نبينا ﷺ وأصحابه كانت إما لحماية أنفسهم من هجمات الكفار أو لإرساء دعائم الأمن والسلام، أو لدفع عدوان الذين أرادوا القضاء على الدين بالسيف. (ترياق القلوب الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ١٥٨)

﴿لا إكراه في الدين﴾ أي يجب ألا يُنشر الدين بالإكراه. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٩)

الكتاب الذي يضم آية ﴿لا إكراه في الدين﴾ يمكن الظن به أنه يعلم ذلك الجهاد (العدواني)؟ (الحكومة الإنجليزية والجهاد الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢)

المهمة التي من أجلها سينزل المسيح ابن مريم من السماء بحسب عقيدتكم - أي محاربة الناس بمعية المهدي لإجبارهم على اعتناق الإسلام - لعقيدة مسيئة إلى الإسلام. أين ورد في القرآن المجيد أن الإكراه في الدين جائز؟ كلا، بل يقول الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿لا إكراه في الدين﴾.. أي لا إجبار ولا قسر في الدين. فمن أين حوّل المسيح بالإكراه بحيث لن يرضى بشيء دون الإسلام أو القتل، حتى إنه لن يقبل الجزية أيضاً؟ في أيّ موضع وأيّ جزء وأيّ سورة من القرآن ورد هذا التعليم؟ إن القرآن كله يعلن مرة بعد أخرى أن لا إكراه في الدين، ويبيّن جلياً أن

الحروب في عهد النبي ﷺ لم تكن لنشر الدين قسراً، بل كانت لسبيين: إما عقاباً للذين قتلوا كثيراً من المسلمين وأخرجوا بعضهم من وطنهم وظلموهم ظلمًا كبيراً، كما يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ أي يؤذن للمسلمين الذين يجارهم الكفار بالردّ على عدوانهم لكونهم مظلومين، وإن الله قادر على أن ينصرهم؛ أو كانت تلك الحروب دفاعية، أي كانت تُشنّ ضد أولئك الذين كانوا يهاجمون المسلمين للقضاء على الإسلام، أو كانوا يمنعون قسراً انتشار الإسلام في بلادهم، فحاربهم المسلمون دفاعاً عن النفس، أو لإرساء الحرية في البلاد. وبدون هذه الأسباب الثلاثة لم يَشُنَّ النبي ﷺ ولا خلفاؤه الأطهار أي حرب مطلقاً، بل الحق أن الإسلام نفسه تعرّض لظلم الآخرين بما لا مثيل له بين الأمم. وما دام الأمر كذلك فكيف يكون عيسى المسيح هذا والمهدي صادقين، إذ بيد أن بقتل الناس بُعِدَ ظهورهما حتى لن يقبلا من أيّ كتابيّ الجزية وينسخان قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩). كيف يُعَدَّان من حماة الإسلام مع أنهما لا يلبثان إلا وينسخان حتى تلك الآيات القرآنية التي لم تُنسخ أيام النبي ﷺ أيضاً؟ أبعد هذا الانقلاب العظيم كله لن يحدث أيّ خلل في "ختم النبوة"؟!

كان يجدر بالمسيح الصادق - في زمن قد مضى فيه على عهد النبوة ألف وثلاثمائة سنة، وتعشبت أمة الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة - أن يفتح القلوب بالدلائل لا بالسيف، وأن يكسر العقيدة الصليبية ببرهان يقيني قاطع، لا أن يبدأ في كسر الصلبان المصنوعة من فضّة أو ذهبٍ أو نحاسٍ أو خشبٍ. إذا لجأتم إلى الإكراه كان إكراهكم دليلاً كافياً على أنكم لا تملكون برهاناً على صدقكم. فكلّ سفیه ظالم إذا عجز عن تقديم برهان مدّ يده إلى السيف أو البندقية، وأما الدين الذي لا يقدر على الانتشار إلا بقوة السيف لا يمكن أن يكون من عند الله أبداً. فإن كنتم لا تستطيعون الكفّ عن مثل هذا الجهاد وتُسَمَّون الأبرار ملاحدة

ودجالين من فورة غضبكم، فها إننا ننهي كلامنا بهاتين الجملتين: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾

كَمْ من الفِرَق - يا ترى - سيحارب مسيحيكم ومهديكم الخياليان بالسيف في زمن شقاق المسلمين وفُرقتهم؟ أليست الشيعة تستوجب سَلَّ السيف عليهم في رأي أهل السنة، ثم أليس أهل السنة يستحقون أن يُمحوا ويُبادوا عن بكرة أبيهم عند أهل الشيعة؟ فما دامت فِرَقكم المختلفة نفسها مستوجبةً للعقاب بحسب معتقداتكم فكم منها ستجاهدون؟

اعلموا أن الله تعالى ليس بحاجة إلى السيف، وسينشر دينه في الأرض بآيات سماوية ولن يقدر أحد على منعه. (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ٧٣-٧٦)

ولو قيل إن جعل العرب مسلمين عنوةً كان جائزاً، فهو زعمٌ لا يثبت من القرآن المجيد مطلقاً، إنما يثبت من القرآن أن العرب كلهم كانوا قد آذوا النبي ﷺ إيذاءً شديداً، وقتلوا كثيراً من الرجال والنساء من أصحابه، وأخرجوا من نَجوا من سيوفهم من أوطانهم، لذا فكل أولئك الذين ارتكبوا منهم جريمة القتل أو أعانوا عليها كانوا يستحقون القتل بالقتل عند الله، وكان القتل قصاصاً هو الحكم الأساس فيهم، ولكن الله أرحم الراحمين خفف عنهم وقال إن من اعتنق منهم الإسلام فسوف يعفى عنه جرمه الذي استوجب به الإعدام. فشتان بين هذه الرحمة والإكراه؟ (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ٧٤ الحاشية)

أي يجب ألا يُنشر الدين بالإكراه. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٤٦٠، الحاشية، وص ٤٦٨)

"يقولون لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ وَيَقْرَأُونَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ ثُمَّ يَقُولُونَ قَوْلًا خَالَفَ ذَلِكَ وَيَصْرُونَ عَلَى أَنْ مَهْدِيهِمْ يَخْرُجَ بِالْحَسَامِ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ".

(مواهب الرحمن، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٠٢-٣٠٣)

واضح بدهاءة وأسرع إلى الفهم أن القرآن الكريم في الحقيقة هو الكتاب الذي يُعدّ كتاباً إلهياً ولا يحتمل الطباع الإنسانية مثل هذه الأحمال، ولا يقدم أموراً مخالفة للعقل، والتي تُعدّ مطالبة الإيمان بها في عداد الإكراه والجبر، لأن العقل السليم لا يقبل أن يكون في الدين أيُّ إكراه أو جبر، لهذا قد قال الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. (نور القرآن، الرقم ١، الخزانة الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٣١-٣٣٢)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. فما الحاجة إلى الإكراه أصلاً؟! من الغريب حقاً أن يتهم بغير حق هؤلاء القوم، الذين اسودّت قلوبهم بغضاً وعداوة، كلام الله تعالى بممارسة الجبر والإكراه، مع أن القرآن الكريم قد قال بصراحة تامة بأنه لا إكراه في الدين. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٢-٢٣٣)

لا أعرف من أين وممن سمع معارضونا أن الإسلام انتشر بقوة السيف؟! يقول الله في القرآن الكريم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، فمن ذا الذي أمر بالجبر؟! وماذا كانت وسائل الإجبار المتوفرة؟! وهل يمكن أن يتحلى بهذا الإخلاص وهذا الإيمان من يُجبرون على تغيير دينهم؛ أي أن يجرؤوا، على كونهم بعدد مائتين أو ثلاثمائة ودون أن يتلقوا رواتب أو أغراض مادية، على مواجهة جيش يعدّ بالآلاف؟! وعندما يصل عددهم إلى ألف يهزمون مئات الآلاف من أعدائهم، ويرضون بالذبح مثل الخراف والمعز في سبيل الدفاع عن الدين من هجمات الأعداء، ويشهدون بدمائهم على صدق الإسلام. كما يكونون مشغوفين بنشر وحدانية الله تعالى، فيتحملون في سبيل نشر رسالة الإسلام أنواع الشدائد، ويصلون إلى صحاري أفريقيا كالزهاد؛ ثم يصلون، بعد مكابدة كل نوع من الصعاب، إلى الصين في هيئة الدراويش غير قاصدين الحرب على أهلها، فيبلغونهم دعوة الإسلام، ثم ينجحون بجهودهم المباركة في إدخال عشرات الملايين من أهل الصين في الإسلام. ثم يدخلون الهند في هيئة الدراويش، مرتدين الحيش، وينجحون في إدخال جزء كبير من أهل

الهند في الإسلام. ثم يصلون إلى حدود أوروبا ويبلغونها رسالة "لا إله إلا الله". قولوا أمانةً، بالله عليكم، أيمن أن يقوم بهذه المهمة مَنْ أكرهوا على الإسلام، وظلت قلوبهم كافرة ولا يؤمنون إلا باللسان فقط؟! كلا، بل لا يقوم بهذه المهمة إلا أولئك الذين تعمر قلوبهم بنور الإيمان، ولم يشغل أيّ حيز من قلوبهم سوى الله. (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤٦٨-٤٦٩)

لا يوجد في القرآن الكريم تعليم الإكراه قط. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٢)

اعلم أن هؤلاء المشايخ أنفسهم قد قالوا عن الأحاديث التي وردت عن المهدي والتي تذكر أنه سيقوم بالقتال وسفك الدماء، إن معظمها موضوعة، وأن كلها تقريباً مجروحة. أما نحن فليس مذهبنا أن المهدي سيسفك الدماء عندما يأتي. أي دين ذلك الذي ليس فيه سوى القتال وسفك الدماء. إن هؤلاء الجهال لا يفهمون قضية الجهاد أيضاً. يقول القرآن الكريم: لا إكراه في الدين، فهل يجوز الإكراه في الدين حين يأتي المهدي ويخوض الحروب، ألا يكون ذلك إساءة إلى هذا الحكم القرآني؟ هل هدفه إحياء الإسلام، أم الإساءة إلى الإسلام؟ لو كانت الحروب ضرورية في الدين، فلماذا لم يقاتل رسول الله ﷺ لمدة ١٣ عاماً في الفترة المكية؟ لقد ظل يقاسي كل نوع من الأذى في تلك الفترة، ومع ذلك لم يشرع في القتال. إنما مذهبنا أن النبي ﷺ لم يخض الحروب لإكراه الناس على الإسلام، إنما كانت تلك الحروب عذاباً من عند الله على الذين آذوه إيذاءً شديداً، وطاردوا المسلمين، وضيقوا عليهم الخناق. فليس صحيحاً أبداً أن الإسلام يشهر السيف في وجه الناس، وإنما يعرض عليهم القرآن والهدى. لقد جاء الصلح والأمن، وليس في العالم دين ينشر الصلح والسلام مثل الإسلام.

فمن الخطأ القول إن المهدي يخوض الحروب. هذا ليس مذهبنا أبداً. ما الفائدة

إذا أهلك الناس بضرب رقابهم ونهب أموالهم؟

إن دعواي بكوني المهدي الموعود ثابتة من القرآن الكريم. فكما أن السلسلة الموسوية انتهت على المسيح، كذلك قد ختم الله هذه السلسلة المحمدية على المسيح المحمدي بسبب المماثلة الخاصة. وقد سماه الله المهدي لأنه سيتلقى الهدى من الله مباشرة، وسيأتي في زمن يكون النور والهدى قد رُفعا من الدنيا.

وهناك أمر شديد اللطافة فيما يتعلق بالمماثلة بين السلسلتين، وهو أن المسيح الموسوي جاء في القرن الرابع عشر بعد موسى ﷺ، كذلك إن زمن بعثة المسيح المحمدي أيضا هو القرن الرابع عشر نفسه، وكما أن المسيح الموسوي وُلد في الدولة الرومية لا في الدولة اليهودية، كذلك فإن المسيح المحمدي أيضا لم يولد في الدولة الإسلامية، بل في الدولة الإنجليزية.

باختصار، ليس مذهبي أبدا أن المهدي يأتي ليخوض غمار الحروب، ولا يكون له من عمل إلا إراقة الدماء. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١ م، ص ٨) أقول صدقا وحقا لو كان اعتراض قوم نوح متسما بالنبل والمروءة لما بطش الله بهم. إنما تُعاقَب الأقوام نتيجة أعمالها السيئة. لقد قال الله تعالى إن الذين يأتون لسماح القرآن يجب أن تبَلِّغهم مأمَنهم، وإن كانوا منكِرين ومعادين، إذ لا إكراه في الدين كما قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٢ م، ص ٤)

فليعلم الذين يعترضون بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف أنهم كاذبون في ادعائهم هذا. إن تأثيرات الإسلام لا تحتاج لانتشارها إلى أيّ إكراه، وإذا كان أحد يرتاب في ذلك فليمكث عندي ويرَ بأم عينيه أن الإسلام يُثبت حياته بالبراهين والآيات. في إنجلترا وفرنسا وغيرها من البلاد الأوروبية الأخرى يُطعن في الإسلام بشدة بأنه قد نُشر بالجبر، والمؤسف حقا أن هؤلاء لا يرون أن الإسلام يعلم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ولا يرون أن الدين الذي قد نُهي عن هدم الكنائس بعد انتصاره كيف يمكنه أن يمارس الإكراه؟ الحق أن المشايخ، الذين هم أصدقاء الإسلام

الأغبياء، هم الذين عاثوا هذا الفساد. إنهم لم يدركوا حقيقة الإسلام بأنفسهم، وأتاحوا للآخرين فرصة الاعتراض بسبب معتقداتهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٢م، ص ٦)

كل ما يفعله الله تعالى يفعله للتعليم والتربية. لأن زمن الشوكة يمتد طويلا، كما امتدت شوكة الإسلام وقوته إلى قرون طويلة، فزعم بعض الحمقى أنه نُشر بالإكراه مع أن تعليمه هو: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٧) لقد خلق الله تعالى خاتم الخلفاء ليثبت أن الإسلام لم ينتشر بالإكراه وجعل مهمته "يضع الحرب" وقرر من جانب آخر: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الصف: ١٠) أي أنه سيجعل الإسلام غالبا على الملل الهالكة بالحجة والبرهان، ويرفع الحرب والقتال. إن الذين ينتظرون مهديا ومسيحا سفاكا مخطئون أشد الخطأ. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٢م، ص ٣)

إن استخدام السيف في الزمن الراهن إنما هو بمنزلة إشهار السيف على الإسلام نفسه. الوقت الحالي هو لفتح القلوب، وهذا لا يمكن تحقيقه بالإكراه. إن الاعتراض أن النبي ﷺ رفع السيف أولا باطل تماما. لقد صبر ﷺ والصحابة إلى ١٣ عاما متتالية وظلوا يتحرون الصلح دائما على الرغم من ملاحقة الأعداء وكانوا يودون ألا تندلع الحرب بأي حال. الأمم المشتركة التي طلبت الصلح والأمن أُعطيتهما دائما وعُقد الصلح معها. لقد حاول الإسلام تفادي الحرب بكل الطرق. لقد ذكر الله تعالى بنفسه سبب الحرب في القرآن الكريم بأنه لما كان هؤلاء الناس مظلومين بشدة وأوذوا بكل طريق؛ أذن الله حينها ليقاتلوا ضد الظالمين، وإلا لو كان هناك تعصّب لجاء الأمر أن على المسلمين أن يحاربوا لنشر دين الله. ولكنه ﷺ أمر من ناحية أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ومن ناحية ثانية عندما ظلم المسلمون وأوذوا إلى أقصى الحدود عندها أذن لهم بالمقاومة. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ١٠/٢/١٩٠٣م، ص ٧٤)

لا بد من الحرية في الأمور الدينية. يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. لا يوجد مثل هذا الكلام في الإنجيل قط. ما هو السبب الحقيقي للحروب؟ لقد أساء الناس الفهم، لو كان هناك أمر بشن الحروب لكان معنى ذلك أن ١٣ عاما للنبي ﷺ قد ضاعت إذ لم يرفع السيف فور بعثته، بل الأمر هو بقتال المحاربين فقط. لم يتبنَّ الإسلام مبدأ المبادرة بالحرب قط. ماذا كان سبب الحرب؟ فقد بينه الله ﷻ بنفسه فقال: ﴿ظَلَمُوا﴾. فلما رأى الله تعالى أن المسلمين مظلومين أذن لهم بالقتال، ولم يأمر قط أن هذا هو وقت رفع السيف لذا عليكم أن تدخلوا الناس في الإسلام قهرا، بل قال بأنكم مظلومون فقاوموهم الآن، جميع القوانين تأذن للمظلوم أن يقاوم لحماية نفسه. (بدر، مجلد ٢، رقم ١-٢، عدد ٢٣-٣٠/١/١٩٠٣م، ص ٣)

فهذا خطأ المعترضين أنفسهم، ومنشؤه عدم العلم. إنهم لا يدرون أن الإسلام لا يميز الإكراه قط لنشر الدين. انظروا كيف جاء المنع من ذلك في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. (كيف يمكن التخلص من الإثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٣١)

الآية ٢٥٨: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

إن خشية الله الكاملة لا تتأتى بغير اليقين أبدا، كذلك السلوك على سبيل التقوى الدقيقة وتطهير الأعمال من شوائب الرياء مستحيل من دون اليقين، كذلك إن لعن ثروات الدنيا ومغرياتها، والاستغناء عن قرب الملوك، وعدَّ الله الكنز الوحيد مستحيل من دون اليقين.

والآن قولوا بالله، يا مَنْ تسمّون أنفسكم مسلمين: كيف يمكنكم الخروج من ظلمات الشك إلى نور اليقين؟ إن وسيلة اليقين هي كلام الله الذي:

﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٧٠)

يظن بعض الناس أن الإنسان يصبح ولي الله بكسب الحسنات بكثرة. هذا جهل بل قد جعل الله تعالى المؤمن وليا أصلا كما يقول: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾. (بدر، المجلد ٤، رقم ٣، عدد ٢٠/١/١٩٠٥م، ص ٣)

الآية ٢٦٠: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

أما الحجة التي قدّمت عن موت "عزير" وعودته إلى الحياة بعد مئة عام، فلا تنفع معارضينا شيئا، لأنه ما قيل قط إن عزيرا أُحيي وأرسل مرة ثانية إلى الدنيا، دار الهموم والأحزان، حتى يستلزم ذلك مأساة إخراجهم من الجنة، بل لو حُملت تلك الآية على معناها الحرفي أيضا، لما ثبت شيء إلا تجلّي قدرة الله التي أحييت عزيرا لحظة واحدة ليهب له اليقين بقدرته عَلَّامٌ. ولكن المجيء إلى الدنيا كان مؤقتا فحسب، وبقي عزير في الجنة في الحقيقة. وليكن معلوما أيضا أن جميع الأنبياء والصّديقين يُحيون بعد الممات ويُعطون جسما نورانيا، وفي بعض الأحيان يقابلون الأتقياء في القيطة أيضا. وإن هذا العبد المتواضع صاحب تجربة في هذا المجال. فأية غرابة لو أحيّا الله تعالى عزيرا على هذا النحو؟ أما الاستنباط من هذا النوع من الحياة أنه أُحيي وأُخرج من الجنة فهو جهل غريب من نوعه، بل الحق أن تجلّي الجنة يتعاضم بهذه الحياة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨٧-٢٨٨)

إن القرآن والحديث يشهدان بالاتفاق بأن الذي مات لن يعود إلى الدنيا على الإطلاق، ويرجّله القرآن الكريم من الدنيا إلى الأبد قائلا: ﴿أَتَمَّ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦). أما قصة "عزير" وغيره - الواردة في القرآن الكريم - فلا تعارض هذا المبدأ، لأن كلمة "موت" استُخدمت في اللغة بمعنى النوم والغشي أيضا. (انظروا: القاموس)

أما ما ذُكر في قصة عزير عن كساء العظام لحمًا فهو أمر آخر تماما، وقد أُريدَ منه البيانُ كأن الله تعالى يُحيي الميت في الرحم ويكسو عظامه لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح. وبالإضافة إلى ذلك لا يثبت من آية أو حديث قط أن عزيرا أُحيي مرة أخرى ثم مات. فيتبين من ذلك بجلاء تام أن حياة عزير الثانية لم تكن حياة دنيوية، وإلا لذكر موته بعد ذلك حتما. أما ما ذُكر في القرآن الكريم عن حياة بعض الناس ثانية؛ فليست حياة دنيوية. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٩)

من ضمن الأدلة التي يقدمها منكرو وفاة المسيح أنهم يثيرون السؤال عن حياة عزير عليهما السلام قائلين: لقد أُحيي عزير أيضا بعد مئة عام بعد الموت؟

وليكن واضحا أن ذلك الإحياء كان بعد الإماتة. والإحياء عدة أقسام: أولا: أن يحيا المرء بعد الممات، بأن ينشق قبره ويأتي إلى الدنيا بكفنه وفراشه. وثانيا: أن يهب الله أحداً بفضله ورحمته حياة جديدة، كما توهب لأهل الله بالفعل، ومثاله الشخص الذي قال لأهله من شدة مخافة الله تعالى: إذا ما متُّ فذرُّوا رمادي في يوم ربيع، فأحياه الله أي حياة روحانية، فجمعُ الرماد أيضا نوع من الحياة الجسدية، ولكن لا يُجمع أي رماد في الحياة التي توهب بعد الممات.

فنحن نقول لقد حصل ما حصل في قصة عزير، ولكنه لم يرجع إلى بيته بعد الإحياء أبداً.

وكان حضرة المولوي (نور الدين) قال لي: بقي هناك شيء لتجيب عليه من أجل اطمئنان القلب، وهو أن الله تعالى قال له هنا: ﴿لَنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾

(البقرة: ٢٦٠). فكنت أجبتُه: ليس ضروريا أن يكون آيةً بحسب فهم الناس، بحيث ينشق قبره ويخرج منه، فهذا باطل. إنما هو من قبيل أن بعض الناس يُدْعَوْنَ حجةَ الله وآيةَ الله. بعضهم يكونون آيةً بحد ذاتهم، وبعضهم تبقى آثارهم بعد الممات. كان ضروريا على المعارضين أن يبينوا ما هو الهدف من إثارة هذا الاعتراض. الحق أن اعتراضهم لا علاقة له مع مسلكنا. يعتقد معارضونا أن المسيح رُفِعَ إلى السماء حيًا، وسيعود حيا، وسؤالنا هو: ما علاقة قصة عُزير باعتقادهم هذا، وما هو وجهُ الشبه بينهما؟

إنما تكون هنالك المشابهة لو اعتقد المعارضون أن المسيح عليه السلام سينشق قبره ويخرج منه، ولكنهم ما داموا لا يعتقدون بذلك فمن الغريب حقا أن يقدموا هذه القصة دليلا على صحة معتقدهم. الحق أنه القياس مع الفارق... باختصار، إن إقحام قصة عزير في هذه القضية.. قضية المسيح.. ليس إلا خلط الحابل بالنابل. إن مذهبنا هو أن لا علاقة بين قصة عزير ومجيء المسيح عليه السلام. أما إذا كان السؤال على نحو آخر، أي لو سئل: كيف أُحيي عزير، فهذا أمر آخر؟ ونقول: إننا نرفض عودته إلى الحياة حقيقةً، ويرفضها القرآن الكريم من أوله إلى آخره.

إن ما قدّر الله تعالى للعباد هو أن يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه وغير ذلك، ثم في النهاية قبض ملاك الموت الروح، ثم أمورٍ أخرى مثل مجيء المنكر والنكير، وعرض الأعمال، وفتح نافذة من القبر، ثم يخبر القرآن الكريم أن الموتى سيُبعثون يوم القيامة فقط، حيث قال: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ (الأنعام: ٣٧). وورد في تفسير "معالم التنزيل": أن الموتى لا يرجعون.

إن القرآن الكريم جزءان، جزء هو كالحق، وجزء هو أحكام الهدى. وما يقدمه القرآن كأحكام الهدى فإنه يريد منا أن نصدّقها ونعمل بها، كقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٥).... ليس واجبا على الله تعالى أن يبين

الحقائق المتعلقة بالقصص، فآمنوا بها وفوضوا تفسيرها إلى الله تعالى.... فإذا كان معارضونا يتحلون بالأمانة وخشية الله، فلزام عليهم أن ينظروا عند تناول قصة عزيز إلى الآيات القرآنية التي تعلن صراحة أن الموتى لا يعودون. والآن نردّ عليهم بجواب آخر جدلاً. لقد بينتُ من قبل وأقول مرة أخرى: أما القصص فيكفي بها الإيمان إجمالاً، أما الأحكام والتعاليم فالعمل بها ضروري، لذا فلا بد من فهمها واستيعابها. هذا، وإن ما ورد عن عزيز أنه مات مئة عام، فاعلموا أن من معاني "أمات" "أنام" أيضاً، كما أن "الموت" قد أُطلق في القرآن الكريم على زوال القوة النامية والحسيّة أيضاً. ملخص الكلام إنه يمكننا أن نفسر النوم في قصة عزيز أيضاً على غرار النوم في قصة أصحاب الكهف.

والفرق بين قصة أصحاب الكهف وقصة عزيز هو أن الكلب ذُكر هنالك، أما هنا فذكر الحمار، والنفس تشابه الكلب والحمار كليهما. لقد عدّ الله تعالى اليهود حميراً، وفي قصة بلعام باعور ذكر الكلب، فيبدو من هنا أنّ النفس ملازمة لكل من هؤلاء القوم، فكل من صار مغشياً عليه من هؤلاء ذُكر معه كلب أو حمار. باختصار، وفقاً للأسلوب الآخر المشار إليه آنفاً، نفَسّر "أمات" بمعنى "أنام"، ونؤمن بأنه حتى ولو نام أحد إلى مئتي ألف عام، فضلاً عن مئة عام، فلا حرج في ذلك، ولكن الروح التي يمسكها ملك الموت لا تعود إلى الدنيا ثانية. والروح تُقبض في النوم أيضاً، ولكن لا يمسكها ولا يأخذها ملك الموت معه.

ولا يصحّ الاعتراض أبداً على النوم لمدة طويلة، فقد وردت في كتب الهندوس أساليب كثيرة لحبس النَّفس، وحبس النَّفس مرحلة من مراحل المجاهدات الجوقية الهندوسية التي تسمى عندهم "جوغ أبهياس". وقبل مدة وجيزة نشرت الجرائد خبر اكتشاف كوخٍ قديم لناسكٍ هندوسي في مكان خلال أعمال الحفر لمدّ السكة الحديدية. كذلك نُشر في الجرائد أن شاباً ظل نائماً عشرين عاماً. فليس غريباً أن يظل أحد نائماً لمئة عام أيضاً.

كلمة "لم يَتَسَنَّه" أيضا جديرة بالتدبر والإمعان، وفهم حقيقة ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ (البقرة: ٢٦٠) ليس صعبًا على ضوء التجارب المعاصرة، فقد كتب أحد الرجال الثقات أنه أكل لحمًا طيخ قبل ولادته بعشرين سنة، وكان قد حُزّن في العلبة بعد سحب الهواء منها. وتُسَوَّد الآن كل يوم من أوروبا وأميركا مئات الآلاف من العلب المحتوية على طعام جاهز لم يَتَسَنَّه.

الحق أن لفظ ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾ إنما يثير الاعتراض على مجاهدات النساك الهندوس المذكورة آنفا، ويميط اللثام عن سرّ البحوث العلمية المعاصرة، إذ هو مذكور في القرآن الكريم سلفًا.

فكما أن الطعام يفسد ويتعفن جراء تأثير خاص للهواء، كذلك يؤثر الهواء على الإنسان أيضا، فأئى غرابية إذا أمكن الحفاظ على الطعام بحالته الأصلية بطريقة ما. قد تكشف البحوث في المستقبل أن الهواء يعمل على الإنسان أيضا كما يعمل على الطعام. هذه كلها علوم، ولا غضاضة في قبولها. فقد تمكنوا من خلال البحوث والتجارب العلمية المعاصرة من صناعة أخفاف تمكّن الإنسان من المشي على سطح ماء البحر، واخترعوا معاطف لا تؤثر عليها النار أو الرصاص. فأية غرابية في أن يثبت في المستقبل علميًا حقيقة قول الله "لم يَتَسَنَّه" المذكور في القرآن الكريم؟ إن تأثير الهواء هو ما يفسد الطعام، والهواء وثيق الصلة بالإنسان أيضا، وهو نوعان: نوع يدخل في الإنسان فينعشه وينشطه، ونوع آخر يخرج مع النفس محروقًا وعَفِنًا. باختصار، لو ثبت بالتجارب العلمية صدق قول الله ﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾، فلا حرج في ذلك علينا مطلقا، بل الحق أنه كلما انتشرت العلوم الطبيعية - وستنتشر في المستقبل حتمًا - تجلّت عظمة القرآن الكريم ومحاسنه أكثر فأكثر.

نرى كل يوم أن الأطعمة واللحوم المطبوخة في أوروبا تُسَوَّد إلى الهند ولا تفسد. كذلك تأتي الأدوية المصنوعة في أوروبا من آلاف الأميال وتبقى هي كما هي لشهور وسنوات ولا تفسد.

لقد أخبرني شخص أن البيضة لو وُضعت في زيت الخردل لن تفسد. وبالمثل من الممكن أن يقع التأثير على شباب الإنسان وقواه أيضا بطريقة ما. لقد مارس بعض المسلمين أيضا عملية حبس النفس، فقد جاءني ذات مرة شخص وأخبر أنه يتنفس مرتين فقط في اليوم.

هذه شهادة عملية على أن للهواء دخلاً في فساد الشيء، فلا غرو لو طال عمر الإنسان نتيجة الوقاية من هذا النوع من الهواء، وأي ضير إذا قبلنا إطالة العمر. من المعروف أن كل الحكيم والحقائق إنما تكتشف بحسب قانون الله الجاري في الطبيعة، أو تكون موجودة في نظام العناصر فيمعن بعض الباحثين النظر فيه ويكتشفها. ولا اعتراض على هذا عندنا، بل إن مذهبي أنه كلما تقدمت العلوم الطبيعية وأخذت الصورة العملية، تجلّت عظمة القرآن الكريم في العالم أكثر فأكثر. (الحكم، المجلد ٤، رقم ٢٦، عدد ١٦٥/٧/١٩٠٠م، ص ١-٤)

الآية ٢٦١: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

واعلموا أن ما ورد في القرآن الكريم أن أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ جُعِلَتْ أجزءاً ووُضعت على أربعة جبال منفصلة ثم أتت عندما نوديت ففي ذلك أيضا إشارة إلى عمل التّرب، لأن تجارب هذا العلم توحى أن الإنسان يملك قوة مغناطيسية قادرة على جذب جميع كائنات الأرض إلى نفسه. ويمكن أن تتطور قوة الإنسان المغناطيسية لدرجة يتمكن بواسطتها من جذب طير أو دابة إلى نفسه، وذلك بمجرد التركيز عليها، فتدبر ولا تغفل. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، الجزء الثاني، ص ٥٠٦)

يتبين لنا بالتدبر في قصة إبراهيم عليه السلام هذه أن معرفة النبي ﷺ كانت تفوق معرفته ﷺ، هذه الآية تثبت أفضلية النبي ﷺ، فقد قيل لسيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾، ومع أن إبراهيم عليه السلام ردَّ عليه بقوله بلى، أي أؤمن بذلك، ولكني أريد اطمئنان قلبي. لكن النبي ﷺ لم يطرح مثل هذا السؤال قطّ، ولم يتلق مثل هذا الرد أيضاً، ومن هنا نفهم أنه ﷺ كان قد بلغ قمة الاطمئنان والعرفان سلفاً، لذلك قال ﷺ: "أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي".

هذه الآية تثبت أفضلية النبي ﷺ، وإن كنا لا نستطيع أن نرفض أن فيها فضيلة إبراهيم عليه السلام أيضاً، وهي أنه حين قال الله له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾؟ فلم يقل: لا أؤمن، بل قال: أنا أؤمن ولكن أريد الاطمئنان.

فحين يقدم الإنسان شرطاً يقترحه هو ثم يقول: أريد اطمئنان قلبي، لا يجوز له الاستدلال بهذه الآية لأن صاحب الشرط لا يملك أدنى درجة من الإيمان، بل هو على مقام الإيمان والتكذيب^١ ويضع للتسليم شرطاً من اقتراحه. فمتى يصحُّ له قوله أنا أريد اطمئنان القلب كإبراهيم، إذ كان إبراهيم قد سأل رقي الإيمان ولم ينكر، ولم يقدم أي شرط، وإنما سأل عن كيفية إحياء الموتى، ثم فوّض الأمر إلى الله، ولم يطلب أن يحیی ميتاً فلاناً معيّنًا، أو يفعل كذا. ثم إن الجواب الذي أعطاه الله ﷻ هو الآخر طريف وعجيب. فقد قال الله ﷻ بما معناه: "خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَأَلْفُهَا مَعَكَ"، فمن الخطأ القول اذبحها، لأنه لا توجد في الآية كلمة الذبح بل المراد أَلْفُهَا مَعَكَ كما يربي الناس بعض الطيور مثل الحجل أو السمان أو البلبل بحيث تسمع هذه الطيور صوت مالكها، وتتوجه إليه حين يناديها. وعلى هذا النحو لم يكن إبراهيم عليه السلام ينكر إحياء الموتى بل كان يريد أن يعرف كيف يسمع الموتى

^١ يبدو أن كلمة "بين" سقطت هنا بسهو الناسخ إذ ينبغي أن تكون الجملة "بل ما زال في مقام بين الإيمان والتكذيب". (المدون)

صوت الله، وبذلك أدرك أن كل شيء بالطبع يطيع الله ويستجيب له. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣ م، ص ٣)

السؤال: ما الذي قصد إبراهيم عليه السلام من قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (البقرة: ٢٦١)؟

الجواب: إنما القصد الإلهي من ذلك -الذي ينبغي أن يُعَدَّ سرًّا إلهيًّا- هو أن كل شيء يسمع نداءه. فلم يشك إبراهيم عليه السلام قط في إحياء الموتى، فنحن نشاهد كل يوم ولادة الحيوانات من الماء الآسن والأغذية العفنة. أفلا يكون الولد الذي يولد في البطن ميتًا أول الأمر؟ إذن فالذي ينكر الوقائع أحقَّ جدًّا. أما إبراهيم عليه السلام فكان يريد أن يطَّلِع على السرِّ الحقيقي، فقال الله تعالى إن كل شيء يسمع ندائي. فمثلما تندفع إليك الطيور بسماع ندائك، كذلك كل شيء يسمع ندائي ويندفع إليَّ فورًا، حتى إن الأدوية والأغذية التي تدخل بطن الإنسان وكل ذرة تسمع ندائي، فهنا أراد الله تعالى أن يؤكد على ضرورة التزود بالإيمان والمعرفة.

ومن هنا يتبين أن للمخلوق انجذابًا لطيفًا إلى الخالق، كما قال شاعرٌ:

همه راروئے در خدا دیدم وآل خدا بر همه ترا دیدم

أي: لقد رأيت الجميع يتوجهون إلى الله ورأيتك يا إلهي فوقهم كلهم.

... باختصار، في هذه القصة يريد الله أن يثبت أن كل شيء يخضع لمشيئة الله، وإن أنكر ذلك أحد فلا يثبت وجود الله أيضًا. في آخر الآية وردت صفتا الله "العزیز" و"الحکیم"، أي أن غلبته القهرية ثابتة بحيث يرجع إليه كل شيء، بل الإنسان حين ينال قرب الله ينشأ فيه أيضا جذبٌ ما، وإثباته موجود في سورة العاديات. ويتبين من العزيز والحكيم أن غلبته مبنية على الحكمة، وليست شيئًا مؤذيا بلا حق. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٥ عدد ٤/٢/١٩٠٣ م، ص ٩)

الآية ٢٦٢: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

أي الذين ينفقون في سبيل الله يبارك الله في أموالهم كما أن حبة واحدة تُزرع في الأرض ولكن الله يستطيع أن يخرج منها سبع سنابل وكل سنبله يمكن أن تحمل مئة حبة. بمعنى أن الإكثار والزيادة في القدر الأصلي داخل في قدرة الله. والحق أننا أحياء بفضل قدرته هذه. ولولا قدرة الله على الإكثار في شيء من عنده لهلكت الدنيا كلها ولما بقيت على وجه الأرض نفسٌ منقوسة. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٧٠-١٧١)

الآية ٢٦٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

لا تضيعوا بالمنة والإيذاء صدقاتكم التي يجب أن تكون مبنية على الصدق، لأن كلمة "الصدقة" مشتقة من الصدق. فإذا خلا قلب المرء من الصدق والإخلاص لا تبقى صدقته صدقة، وإنما تكون عملاً من الرياء. وملخص القول: إن في المحسن ضعفاً، إذ قد يمن بإحسانه إذا ما أخذته ثورة الغضب، فلهذا حذر الله المحسنين هنا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٤)

لا تضيعوا صدقاتكم وصنيعكم بالمن على المحسن إليه وإيذائه، أي لا تعيروا من أحسنتم إليه بقولكم: لقد أعطيتك كذا وكذا؛ ولا تؤذوه، وإلا سوف يضيع صنيعكم، ولا تسلكوا في الإنفاق مسلماً ينم عن الرياء. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٦)

التضرع والابتهال والصدقات تُلغي عقوبة الجريمة الثابتة. ومن هنا استُمدَّ مبدأ إخراج الصدقات، وهذه الطرق ترضي الله تعالى. المال هو الكِبْدُ في علم الرؤى، فإخراج الصدقات هو بمنزلة الفداء بالنفس، فعندما يدفع المرء الصدقات يؤكد صدقه وثباته أيما تأكيد! والحق أن الكلام لا ينفع المرء شيئا ما لم يؤكد به عمله. وإنما تسمى الصدقة صدقةً لأنها تضع العلامة على الصادقين. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢، عدد ١٨٩٨/٣/٦، ص ٢)

المؤمن هو الذي يعتقد بالصدقات والدعاء. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٥، عدد ١٨٩٩/٤/٢٦، ص ٦)

إن بعض الناس يقولون شيئا ثم لا يثبتون عليه، فهم مذنبون. إن أمثل صدقة هي التي يُدَاوَم عليها وإن كانت قليلة. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٩، عدد ١٩٠٥/١٠/٢٠، ص ٢)

فكروا أيضا، ما الهدف من الصدقات والتبرعات أصلا؟ لماذا هي رائجة في كل قوم؟ الإنسان بطبعه يميل إلى الصدقة عند المصيبة والبلاء، فيتصدق الناس بدفع النقود أو بذبح الخراف أو إعطاء الفقراء ألبسة أو ما شابهها. فإذا كان البلاء لا يُردّ بالصدقات؛ فلماذا يتصدق الناس في حالة الاضطراب أصلا؟! الأمر ليس كذلك، بل البلاء يُردّ حتما، وهذا ما يثبت بإجماع مائة وأربعة وعشرين ألف نبي. وأعرف يقينا أن هذا ليس ما يدين به المسلمون فقط، بل هذا هو اعتقاد المسيحيين والهندوس أيضا، وأرى أنه ما من أحد في الدنيا ينكر ذلك. فما دام الأمر كذلك فمن الواضح تماما أن مشيئة الله يمكن أن تزول. (محاضرة لدهيانة الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٧)

الآية ٢٦٧: ﴿أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ

زُفَعَاءُ فَآصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣١٩﴾

إن أبسط عناصر المركبات مكور؛ فقطرة الماء أيضا تظهر على هيئة مكورة،
وجميع الكواكب التي تظهر، شكلها مكور، ويتخذ الهواء أيضا شكلا مدورا في
الزوابع التي تسمى بالعربية أعاصير، وهي التي تظهر في الريح العاصف الشديد،
فتلتف بشكل دائري ليتخذ الهواء شكلا دائريا. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية،
المجلد ١٧، ٣١٩، الحاشية)

الآية ٢٦٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

أي أيها المؤمنون، أنفقوا على الناس على سبيل الجود أو الإحسان أو الصدقة
من كسبكم الحلال، أي الذي لم يختلط به شيء من مال السرقة أو الرشوة أو الخيانة
أو الغبن أو الظلم، ونزهوا قلوبكم عن إنفاق الخبيث من المال. (فلسفة تعاليم
الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٦)

الآية ٢٧٠: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

أي من أوتي الحكمة فقد أوتي مالا كثيرا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة،
الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٣٩٠-٣٩٩)

الحكمة تشمل خيرا كثيرا، ومن نال الحكمة فقد نال خيرا كثيرا. فهذه
العلوم والمعارف التي تُسمى بتعبير آخر بالحكمة، تُعطى لأتباع كلام الله
كالبحر المحيط لكونها تشمل خيرا كثيرا. ويودع فكرهم ونظرهم بركة، فتعكس

في نفوسهم - التي هي كالمرآة - الحقائق الحقّة من الدرجة العليا باستمرار، وتنكشف عليهم الحقائق الكاملة. وتهيئ لهم تأييدات الله تعالى عند كل تحقيق وتدقيق أسبابا، فلا يبقى بياهم ناقصا ببركتها ولا يتطرق إليه خطأ. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٥٣٣-٥٣٤، حاشية على الحاشية رقم ٣)

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٧٠)، فالملحوظ كم تحت هذه الآيات المسلمين على تلقّي العلم والحكمة. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٩٢)

الأموال السماوية التي يُعطاها عباد الله الخواص ويوزعوها على الدنيا ليست من قبيل الدراهم الدنيوية ودنانيرها، بل هي الحكمة والمعرفة كما يقول الله تعالى مشيرا إلى هذا الأمر: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. والخير هو المال، أما الحكمة فهي المال الطيب الذي يشير إليه الحديث النبوي: "إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي". وهذا المال هو آية من آيات المسيح الموعود. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٤١-٤٤٢)

المراد من الحكمة هنا هو علم القرآن. فهؤلاء الناس يُطْلَعُونَ على العلم والبصيرة بواسطة وحي خاص، فيميزون بين الصحيح والموضوع بناء على هذا الأصل المحكم. مع أن العوام وعلماء الظاهر لا يجدون إلى ذلك سبيلا. (مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٩٣)

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، والمراد من الحكمة هو معرفة عظمة ذات الباري تعالى وصفاته، والمراد من الخير الكثير هو الإسلام؛ إذ قال الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٩). وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٥). أي أرزقني يا رب علما كاملا بعظمتك ومعرفة شؤونك وصفاتك. وقال أيضا: ﴿وَبَذَلْتُ أُمْرَتِي وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام:). فتبين بقراءة هاتين الآيتين معا أن السبب وراء عِدِّ نبينا ﷺ أول المسلمين هو أنه أعلم من غيره في علوم معرفة الله؛ أي أن علمه ﷺ بالمعارف الإلهية أكثر من غيره، لذا فإن إسلامه ﷺ أيضا أرفع وأعلى من الجميع، وهو أول المسلمين. ولقد أشير أيضا إلى كثرة علم النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤). أي علّمك الله علومًا ما كنت قادرًا على تحصيلها بنفسك، وإن فيوض الله نزلت عليك بفضله تعالى أكثر من غيرك؛ بمعنى أنك سبقت الجميع من حيث المعارف الإلهية والأسرار والعلوم الربانية، وأن الله تعالى قد مسحك بعطر معرفته أكثر من غيرك.

إذن، فقد جعل الله تعالى العلم والمعرفة وسيلة لإدراك حقيقة الإسلام، مع أن هناك وسائل أخرى أيضا لإدراكها؛ مثل الصوم والصلاة والدعاء والعمل بكافة أوامر الله التي تربو على ستمئة أمر، ولكن العلم بعظمة الباري عز اسمه وبوحدانية ذاته، والمعرفة بشؤون وصفاته الجلالية والجمالية، هي أعظم الوسائل التي تتوقف عليها الوسائل الأخرى كلها؛ إذ كيف لغافل القلب والمحروم تماما من معرفة الله أن يوفق للصوم والصلاة والدعاء، أو يكسب الخيرات الأخرى؟ إذ الدافع وراء كل هذه الأعمال الصالحة هو المعرفة، وهي منشأ الوسائل الأخرى كلها، وهي تتولد منها. وإن بداية هذه المعرفة هي بسبب صفة الرحمانية وليست نتيجة أي عمل أو دعاء، بل هي فقط هبة من الفيض الذي لا علة فيه، يهدي من يشاء ويضل من يشاء. ولكن هذه المعرفة تزداد نتيجة الأعمال الصالحة وحسن الإيمان حتى تنزل في نهاية المطاف بصورة الإلهام وكلام الله وتنور الصدر كله بالنور الذي يسمّى الإسلام. وعند الوصول إلى هذه الدرجة من المعرفة التامة لا يبقى الإسلام مقتصرًا على الألفاظ، بل تتسنى جُلّ حقيقته التي تناولت ذكرها قبل قليل، وتضع روح الإنسان رأسها على عتبات الله بكل تواضع وانكسار. عندها يصدر من كلا الجانبين صوت يقول: كل ما هو لي فهو لك؛ أي تنطق روح العبد وتقرّ بأن كلّ ما هو لي فهو

لك يا ربي، ويتكلم الله تعالى أيضا ويبشر عبده قائلا: يا عبدي، كل ما هو معي من السماوات والأرض وغيرهما فهو معك كله. وقد أشير إلى هذه المرتبة في الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٤). (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٦-١٩٠)

لقد سمى الله تعالى القرآن مالا، وسمى الحكمة أيضا مالا كما يقول: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. يقول المفسرون بأن معناه: "مالا كثيرا". لقد ورد معنى المال "الخير" في القواميس. ويقول النبي ﷺ في حديث آخر ما مفاده أنني قمت بضيافة كبيرة وطبخت الطعام من كل نوع فجاء البعض للأكل فأكلوا واستمتعوا وبعضهم رفضوا هذه الدعوة وحرموا منها. انظروا الآن هل طبخ النبي ﷺ أطعمة دنيوية أم روحانية؟

الحق أن الأنبياء يبينون معظم الأمور الروحانية بأساليب مختلفة ولكن الناس الماديين يجرونها إلى أمور مادية. أتساءل هل سيوزع المسيح عليه السلام الدراهم والدنانير بكثرة عند مجيئه إلى الدنيا حتى تمتلئ بيوت المشايخ بالذهب والفضة؟ ولكن أين ذكر أنه سيسد حاجة العطاشى الروحانيين بهذه الطريقة؟ فإن لم يكن ذلك مذكورا في أي مكان فاعلموا أنه هو الذكر نفسه الذي جاء على سبيل الاستعارة. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٧، عدد ٢٣/٧/١٩٠٠م، ص ٣)

ما هي العلوم حقيقة؟ إن هي إلا خواص الأشياء. ولولا أن الله تعالى قد جعل في الأجرام والنجوم والنباتات تأثيرات شتى لتعذر على الإنسان الإيمان بصفة الله العليم. من المؤكد أن أساس علمنا هو خواص الأشياء، وذلك لكي نتعلم الحكمة. والعلوم تسمى حكمة أيضا حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٦)

إن الله تعالى قد سمى القرآن الكريم خيرا وقال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٧٠). فالقرآن الكريم كنز أموال المعارف والعلوم، وقد سمى الله تعالى معارف القرآن وعلومه مالا، وبالقرآن تأتي البركات المادية أيضا. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٧)

الذي تريدون نصحه فانصحوه باللسان. الكلام نفسه بأسلوب معين يجعل الإنسان عدواً وإذا قيل الكلام نفسه بأسلوب آخر يجعل الإنسان صديقا. اجعلوا أعمالكم تابعة لـ ﴿وَجَادِثُهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فقد سمى الله هذا الأسلوب للكلام حكمة، وقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠١م، ص ٨)

كلمة "الإنسان" مشتقة من "أنسان"، أي أنس لله ومواساة مع بني البشر. عندما يتولد كِلا هذين الأنسين عندها يسمى الإنسان إنسانا. وهذا ما يسمى بمغزى الإنسانية. وعند إن بلوغ هذا المقام يجعل الإنسان أن يُدعى من أولي الأبواب. وما لم يتحقق ذلك لا يتم شيء. مهما ادعيتكم بلسانكم فهو ليس شيئا يُعتدّ به عند الله ونييه والملائكة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠١م، ص ٣)

الآية ٢٧٥: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أي ينفقون تارة سرا خشية الرياء، وطورا علانية كي يكونوا أسوة للآخرين. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٧)

لقد قيل في الإنجيل: لا تعملوا الصالحات قدام الناس رياءً، ولكن القرآن يقول: لا تُخفُوا عن الناس جميع أعمالكم، بل اعملوا بعض الصالحات سرًّا إذا رأيتم أن فعلها سرًّا خيرًا لأنفسكم، واعملوا بعضها علانية إذا رأيتم في إظهارها خيرا لعامة

الناس، وذلك لتناولوا أجرين، وليتأسى بأسوتكم ضعفاء الناس الذين لا يتشجعون لفعل الخيرات، فيقوموا بهذا العمل الصالح. باختصار، إن الله تعالى قد بين بنفسه الحكمة وراء قوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وهي ألا تنصحوا الناس بالقول فقط، بل رغبوهم في الحسنات بالعمل أيضاً، لأن القول لا يؤثر في كل مكان، أمّا القدوة فلها تأثير بليغ في أكثر الأحيان. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣١-٣٢)

كما تقومون ببعض أعمالكم الحسنة سرا كذلك يجب أن تُظهروها على الناس أحيانا ليتأسوا بأسوتكم لأن من عادة الإنسان أنه يحرز القوة بالنظر إلى الأسوة. (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ٣٥٠-٣٥١، مكتوب رقم ١٢، إلى عبد الرحمن المدراسي رحمته الله)

الآية ٢٨٠: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ بَانَ لَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾

بعث شخص رسالة طويلة سائلا هل الربا الحاصل من بنوك الادخار أو المصانع التجارية جائز أم لا؟ لأن المسلمين يواجهون خسائر كبيرة بسبب عدم جوازه. فقال عليه السلام: هذا الأمر يتعلق بالاجتهاد، فما لم تُدرس كل جوانبه وما لم تُعرض علي كافة أنواع الخسارة والمنافع الحاصلة منه لا أستطيع أن أبدي رأبي فيه هل هو

جائز أم لا. لقد خلق الله تعالى آلاف الأساليب لكسب المال، فعلى المسلم أن يختارها ويحتنب الربا. الإيمان منوط بالصراط المستقيم، والإعراض عن أوامر الله تعالى على هذا النحو ذنب. فمثلاً إذا صارت تجارة الخنزير هي الأنفع في العالم فهل سيشرع المسلمون فيها؟ غير أنه إذا رأينا أن ترك الربا سبب لهلاك الإسلام عندها نجيزه انطلاقاً من: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (الأنعام: ١٤٦)، ولكن هذا الأمر ليس مهماً بل هو أمر داخلي ويتعلق بالأهداف الشخصية. أما أنا فمتوجه حالياً إلى أمور دينية عظيمة الشأن، وبأخضع نفسي لإيمان الناس، فلا أستطيع التوجه إلى هذه الأمور البسيطة. فلو تركت المهمات العظيمة وانصرفت إلى سفاسف الأمور مثله لكان مثلي كمثل ملك يريد أن يبني قصراً في مكان فيه أسود وسباع أخرى وثعابين وذبابٌ ونمل. فإن لم يتوجه إلى السباع والثعابين أولاً ولم يهلكها، بل بدأ بقتل الذباب فماذا عسى أن يكون حاله؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠/٦/١٩٠٢م، ص ١١)

سأل أحد: ما حكم استثمار مال الربا في التجارة عند الضرورة؟

قال عليه السلام: حرام. غير أنه إذا أخذ المال من أحد المعارف دون أن يكون هناك وعد لتسديد أكثر من المبلغ المُستدان، وكذلك لا يكون في بال المعطي أيضاً أنه سيسترد ماله بأكثر، ثم لو أعطاه المستدين في هذه الحالة أكثر قليلاً من المبلغ المُستدان فهذا ليس ربا بل هو في حكم: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. (الرحمن: ٦١)

عندها سأل شخص: إذا كانت الحاجة ملحة ولا تستوي الأمور بغير الربا فما الحكم إذن؟ قال عليه السلام: لقد حرّمه الله على المؤمنين، والمؤمن هو مَنْ يثبت على الإيمان فيكون الله ولياً وكفيلاً له. لقد خلا في الإسلام عشرات ملايين الناس الذين لم يأخذوا الربا ولم يدفعوه، فهل سُدَّت حاجاتهم أم لا؟ يقول الله تعالى: لا تأخذوا الربا ولا تعطوه. أما الذي يفعل ذلك فهو يستعد للحرب مع الله تعالى. إذا كان الإنسان يتحلى بالإيمان فيجازيه الله تعالى عليه. الإيمان شيء مبارك جداً: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٧). إذا كان

قلقًا على أنه ما الذي يمكن أن يفعله في هذه الحالة؟ فهذا يعني كأن أمر الله كان بلا جدوى. الحق أن قدرة الله عظيمة. الربا ليس بشيء يُذكر، بل لو أمر الله ألا تشربوا ماء الأرض مثلاً لأنزل الماء من السماء دائماً. كذلك يجعل الله سُبُلًا سبيلًا عند الحاجة حتماً ليجتنب الإنسان المعصية. يتطرق الضعف إلى الإيمان ما دام مشوبًا بالشوائب. لا يمكن للمرء أن يهجر الذنب ما لم يُعنه الله، وإلا يمكن للإنسان أن يقدم عذرًا بعد عذر على كل ذنب بأنه لا يستطيع أن يتركه وأنه لو تركه لما استوت أموره. فإذا نظرنا إلى أصحاب المتاجر والعطّارين لوجدناهم يبيعون السلع القديمة التي تعود إلى عدة سنوات ويخدعون الناس. والموظفون يأخذون الرشوة وكلهم يقدمون أعذارًا بأنهم لا يستطيعون العيش بدونها. لو جُمعت أعذارهم كلها لكانت النتيجة أن العمل بكتاب الله مستحيل لأن العيش في هذه الحالة محال مع أن الله تعالى ييسر الأمور للمؤمن من عنده. وقد جرب الصلحاء كلهم أن الله تعالى يجعل لهم سبيلًا عند المصيبة والصعوبة. الناس لا يقدرون الله حق قدره ولا يتوكلون عليه كتوكلهم على باب الحرام. الإيمان بالله وصفة لو قدرها الناس لابتغوا أن يحفظوها كما يحفظون الصفات العجيبة الأخرى. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧/٣/١٩٠٣ م، ص ٧٥)

إن أخذ مال الربا ودفعه حرام عندي. المؤمنون هم الذين يثبتون على إيمانهم فيتولاهم الله تعالى ويتكفلهم والله على كل شيء قدير... التورط في المعصية بتقديم الأعذار أسلوب سافل يأتي من الشيطان. ولو توكل الإنسان على الله لثم كل شيء... فالله تعالى لا يُوقع الإنسان في مثل هذه المشاكل، والذي يقع فيها فبسبب ضعفه هو. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٣ م، ص ٥-٦)

طرح شخص سؤالاً: الذين يعملون في دائرة السكك الحديدية يُجسم من راتبهم جزء واحد من ١٦ جزءاً من الروبية كل شهر ثم يعاد إليهم كروبية بعد فترة بل يعطون مبلغاً إضافياً فما حكم ذلك؟

قال عليه السلام: إن تعريف الربا هو أن شخصاً يُقرض أحداً مبلغاً من المال ليستمد منه فائدة ويحدد قدر الفائدة أيضاً. حيثما انطبق هذا التعريف كان ربا ولكن الذي يستقرض ولا يعد بأداء مبلغ إضافي وإنما يعطي شيئاً زائداً بطيب خاطره فهذا ليس ربا. لقد اهتم الأنبياء بالشروط دائما. فإذا أخذ الملك مثلاً مبلغاً معيناً ثم أعاده مع مبلغ إضافي، ولكن الدائن لا يُقرضه بنية أخذ زيادة فذلك أيضاً ليس ربا، بل هو إحسان من قبل الملك. لم يستقرض النبي ﷺ قط إلا ودفع شيئاً إضافياً عند التسديد. فيجب الانتباه إلى أنه يجب ألا يعقد المرء نية لأخذ زيادة، أما ما يأتيه بغير النية والشرط فلا يدخل في الربا. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ١٩٠٣/٣/٢٧، ص ٧٥)

إن تعريف الربا هو أن يُقرض أحد لربحه الشخصي، وحيثما انطبق هذا التعريف كان ربا. وما دام الموظفون في سكك الحديد لا يعطون ذلك المال بأنفسهم رغبة في الربا بل يُطرح من راتبهم قهراً فلا ينطبق عليه تعريف الربا وما يُعطيه المسؤولون مبلغاً زائداً أيضاً لا يدخل في الربا. فلهم أن يروا بأنفسهم هل يدفعون هذا المبلغ بأنفسهم رغبة في الربا أم يُطرح من راتبهم تلقائياً ثم يعاد إليهم دون طلب منهم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ١٩٠٣/٣/٢٤، ص ٦)

قال شخص آخر: لقد كتب السير سيد أحمد خان أن ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ ممنوع. فقال عليه السلام: ليس صحيحاً القول بأن ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ ممنوع والربا العادي وما شابهه جائز. الشريعة لا تقصد ذلك قط. فمثلاً إذا قيل لأحد: لا ترتكب ذنباً تلو ذنب، فهذا لا يعني أنه يجب أن يرتكب الذنب حتماً. فهذا النوع من المبلغ الذي يتلقاه أحد من الحكومة ليس ربا إلا إذا دفعه هذا الشخص أولاً بنية أن يأخذ الربا. أما إذا أعطته الحكومة على سبيل الإحسان إليه فهذا ليس ربا. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ١٩٠٣/٣/٢٧، ص ٧٥)

سئل عليه السلام عن التأمين، فقال عليه السلام: لقد أجازت الشريعة العهود والمسؤوليات ما عدا الربا والقمار. ليس في القمار أية مسؤولية بينما هناك حاجة للمسؤولية في

التجارات الدنيوية. ثانيا: يجب الانتباه في مثل هذه الأسئلة إلى أن القرآن الكريم يأمر بعدم التجسس في المسائل. فمثلا لو دُعي أحدٌ إلى الطعام فبدأ المدعوُّ يفكر أنه من الممكن أن يكون مألٌ مُضيفه من حرام ففي هذه الحالة سوف تنعدم الضيافة كليا. من أسماء الله "الستار" أيضا وإلا فالثابتون على الصراط المستقيم في العالم قلة بوجه عام غير أن مستوري الحال كثيرون. وقد جاء في القرآن أيضًا: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وإلا ستقعون في مشقة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧/٣/١٩٠٣ م، ص ٧٦)

طُرح سؤال عن الربا وقيل بأن الإنسان يضطر بعض الأحيان. فقال عليه السلام: لا نستطيع أن نفتي بجوازه فهو غير مسموح به في كل الأحوال. غير أن هناك نوعا من الربا المسموح به في الإسلام وهو ألا يكون هناك أي شرط عند إعطاء القرض، ثم يمكن أن يدفع المقرض شيئا من عنده على سبيل الإحسان عند تسديد الدين. هذا ما كان النبي ﷺ يفعله، فمثلا إذا اقترض عشرة روبيات كان يعيد أحيانا بقدر مئة روبية. الربا الحرام هو الذي تكون فيه الشروط والعهد سلفا. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٨/١٩٠٤ م، ص ٨)

...هناك آخرون يقولون بأن أمورنا لا تسير بدون أخذ الربا. فأنتى لمثل هؤلاء الناس أن يُعَدَّوا متقين؟ فقد وعد الله تعالى أنه سَيُنَجِّي المتقي من كل صعوبة وسيرزقه من حيث لا يحتسب. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٥، عدد ١/٧/١٩٠٤ م، ص ٥)

استفسر الحكيم نور الدين رحمته الله حضرته نيابة عن شخص أن شخصا يملك عشرين ألف أو اثنتين وعشرين ألف روبية تقريبا، وهناك سيخيٌّ يريد أن يستثمر نقوده تلك في التجارة، ويقول طمأننةً لصاحب المال أن يبقى الأموال عنده وليعمل بحسبما يطلبه منه، أي يشتري السلع من حيث يقول ويرسلها إلى المكان الذي يريد، والمال الوارد سيكون أمانة، وبعد عام سيعطيه هذا السيخي ألفين وست مئة روبية ربحا. وقد جاء هذا الرجل مستفتيا أنه إذا لم تكن النقود التي سيأخذها بعد عام ربا فيمكن أن يدخل في التجارة مع السيخي.

قال عليه السلام: ما دام سيعمل بنفسه أيضا، وما دام لجهده دخل في الموضوع، وسيبذل وقته أيضا، وقيمة وقت كل شخص وجهده يقدر نظرا إلى مرتبته؛ ويُدفع ثمن وقته وجهده. هناك أناس يتقاضون عشرة آلاف وبعضهم يتقاضى مليوناً عوضاً عن وقتهم وجهدهم، لذا فإنّ النقود التي سيعطيها السيخي ليست ربا بحسب رأيي، فأفتي بجواز أخذها. إن كلمة الربا تدل على نقود تؤخذ مقابل نقود بغير بذل أي جهد. لقد تغيّرت معظم المسائل في هذا البلد في هذه الأيام إذ توجد شائبة من الربا في جميع أنواع التجارة، لذا هناك حاجة الآن إلى اجتهاد جديد. (بدر، مجلد ٣، رقم ٤١-٤٢، عدد ١-٨/١١/١٩٠٤م، ص ٨)

وقال عليه السلام عن ربا البنوك: إن مذهبي هو، وهذا ما ألقى الله في روعي أن تُنفق مثل هذه النقود لنشر الدين. صحيح تماما أن الربا حرام، ولكنه حرام للإنسان. أما ما يأتي في قبضة الله لا يبقى حراماً لأن حرمة الأشياء تتعلق بالناس وليس بالله. فالربا حرام للإنسان وزوجته وأولاده وأقاربه وأحابه وجيرانه حرمة تامة. ولكن إذا أنفق هذا المال لنشر الدين خالصة فلا ضير في ذلك وخاصة حين صار الإسلام ضعيفا جدا. والمأساة الأخرى هي أن الناس لا يدفعون الزكاة.

أرى أن هناك مصيبتين نازلتان حالياً وقد استُيحيحت كلتا الحرمتين. أولاً لا يدفعون الزكاة التي أمروا بدفعها، ويأخذون الربا الذي مُنعوا من أخذه. أي لا يؤدّون حق الله، ويأخذون ما ليس حقهم.

فما دام الحال على هذا المنوال والإسلام يواجه ضعفا خطيرا فأفتي أن أموال الربا التي تؤخذ من البنوك يجب أن تُبذل كلها في سبيل نشر الدين. الفتوى التي أصدرتها ليست عامة، لأن أخذ الربا وإعطاءه كلاهما حرام، ولكن في زمن ضعف الإسلام الحالي، وما لم تنشأ سبل التقدم المالي وما لم ينتبه المسلمون إلى هذا الأمر فإن بذل مال مثله في سبيل الإسلام ليس حراماً.

إن حرمة الربا بحسب مفهوم القرآن الكريم تعني أنه إذا أنفقه أحد على نفسه فهو حرام. واعلموا أيضا أنه كما لا يجوز أخذ الربا كذلك لا يجوز إعطاؤه الآخرين، إلا أن دفع هذا المال في سبيل الله جائز، وطريقه الوحيد هو إنفاقه في نشر الإسلام فقط. ومثال ذلك أنه إذا كان الجهاد جاريا وكان أحد من الفاسقين الفاجرين يملك أسلحة وبارودا، لا يجوز امتناع المرء عن استخدامها ظنا منه أن تلك الأسلحة والبارود حرام، بل استخدامها هو الأنسب. في هذا الزمن لا جهاد بالسيف وقد أعطانا الله تعالى بفضلله حكومة أعطتنا حرية دينية من كل نوع. لم يعد الآن إلا الجهاد بالقلم، لذا يمكننا أن نسخره في نشر الدين. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٣، عدد ٩/٢٤/١٩٠٥م، ص ٩)

إن مذهبنا هو أنه محرّم بتاتا أن يبذل أحد مال الربا على نفسه أو يستهلكه لنفقات شخصية أيا كان نوعها أو يعطيه أولاده أو متسولا أو محتاجا أو جارا أو مسافرا فكل ذلك حرام. إن أخذ مال الربا وإنفاقه ذنب. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٦، عدد ٩/٢٩/١٩٠٥م، ص ٤)

إن بذل مال الربا لحاجة شخصية غير جائز ولكن ليس شيئا حراما على الله. والمال الذي يُنفق في سبيل الله ليس حراما. ومثال ذلك أنه مهما كان استخدام الرصاص والبارود غير جائز ولكن الذي لا يستخدمها ضد عدوٍ متعطش للدماء يوشك أن يهلك هو بنفسه. ألم يقل الله بأن الخنزير ليس حراما على من كان جائعا منذ ثلاثة أيام بل يحل له؟ فكيف يمكن أن يكون ذنبا لو أنفقنا مال الربا في سبيل الله؟ ليس فيه نصيب للمخلوق ولكن أجزى بكل اطمئنان وسكينة قلب بذله لإعلاء كلمة الإسلام وإنفاذا لحياة الإسلام وأقول بأن ذلك يدخل في: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. وهذا استثناء. تظهر في سبيل نشر الإسلام آلاف الحاجات التي تقتضي المال. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٦، عدد ٩/٢٩/١٩٠٥م، ص ٤)

هناك حاجة إلى الأموال لنشر الإسلام، ولو أنفقت لهذا الغرض أموال تأتي من البنوك بصورة الربا فجائز لأنها خالصة لله وليست محرمة عليه وَعَلَيْكُمْ. وكما قلت قبل قليل أيّا كان منشأ الأسلحة والبارود يكون استخدامها في الجهاد جائزا. هذه الأمور تُفهم دون أدنى تكلف لأنها واضحة تماما. إن الله قد حرّم الخنزير ومع ذلك قال: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٧٤) فلما كان أكل الخنزير جائزا لإنقاذ الحياة في حالة الاضطرار أفلا يجوز إنفاق مال الربا لإنقاذ حياة الإسلام وإعلاء كلمة الله في الاضطرار حين يصارع الإسلام من أجل حياته في الحالة الراهنة من الضعف؟ هذا الإنفاق جائز عندي حتما، بل يجب إنفاقه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٣، عدد ١٩٠٥/٩/٢٤، ص ١٠)

إن مذهبي الذي تبنّي الله عليه وما يُفهم من القرآن الكريم هو أنه ليس للإنسان أن يبيع الربا لنفسه ولعياله وأولاده أو أصدقائه أو أقاربه بل هو نجس واستهلاكه على هذا النحو ذنب وحرام، أما في زمن ضعف الإسلام هذا، حين يحتاج الدين إلى نصرّة مالية بشدة متناهية، فلا بد من نصرته. فكما قلت مثلا إنه يجب أن يؤلّف كتاب لليابانيين ثم يُعطى ياباني فصيحٌ وبلغ ألف رويّة ليرجمه ثم تُطبع ألف نسخة منه وتوزّع في اليابان؛ فإن بذل مال الربا في أمور كهذه جائز لأنه مال الله وسيعود بهذه الطريقة إلى الله تعالى. مع كل ذلك سوف يُفعل ذلك في حالة الاضطرار، ولا يجوز هذا أيضا بغير الاضطرار...

ما أقصده هو أنه لما كان أكل الخنزير جائزا في حالة الاضطرار لقضاء حاجة النفس فأبي خير لو أنفق المرء مال الربا لمواساة الإسلام ولإنقاذ الدين من الهلاك، إن هذا الإذن خاص بالزمان والمكان وليس أن يُعمل به على الدوام. فحين لن تكون حالة الإسلام ضعيفة كما هي الآن سيكون أخذ الربا لهذه الضرورة أيضا حراما كذلك لأن الحكم العام عن الربا هو الحرمة. (بدر، مجلد ١، رقم ٢٦، عدد ١٩٠٥/٩/٢٩، ص ٤)

وصلت رسالة أحدهم إلى حضرته سألته فيها ما دام حضرته قد سمح بالتعامل بالربا مع البنك قائلا أنه نظرا للعصر الراهن وأوضاع الإسلام يمكن أن يعد ذلك اضطرارا، فلما كانت كلمة "الاضطرار" قابلة للتوسع، فهل يجوز التعامل بالربا نظرا للاضطرار الشخصي والقومي والوطني والتجاري أم لا؟

فقال عليه السلام: بهذا يريد الناس أن يفتحوا بابًا لأكل الحرام لكي يفعلوا ما يريدون، فلم أقل إن أخذ الربا من البنك وأكله يجوز لأي إنسان مضطر، وإنما بينت جواز إنفاقه لنشر الإسلام وسدّ الحاجات الدينية، وهو أيضًا مشروط لأن المال لنصرة الدين لا يتوفر، والدين يفتقر إليه، ولا شيء حرام على الله تعالى. أما الحاجات الشخصية والقومية والوطنية والتجارية، فالربا حرام قطعًا. إن الجواز الذي بينته فمثله كمثل جواز إطلاق النار بالبندقية والمدفع للمسلم على أحد في الحرب، لأن العدو أيضًا يقوم بذلك، مع أن حرق أي حيوان بالنار حرام شرعًا. (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ١٩٠٨/٢/٦، ص ٧)

الذي ينقض أمر الله يعاقب. ولقد قال الله تعالى من قبل بأنه إن لم يرتدع المرء عن التجارة بالربا فهذا إعلان حرب. وإن حرب الله هي أنه ينزل العذاب على هؤلاء الناس. وهذا الفقر بمنزلة عذاب وثمرة ما كسبته الأيدي. (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ١٩٠٨/٢/٦، ص ٥-٦)

قال ذلك الرجل: ماذا نفعل، نستدين بالربا مضطرين. فقال عليه السلام: إن الذي يتوكل على الله يجعل الله له مخرجًا من الغيب، فالأسف أن الناس لا يفقهون هذا السر أن الله تعالى لا يدع المتقي يضطر للدين بالربا. تذكروا أن التعامل بالربا أيضًا ذنب مثل ذنوب أخرى كالزنا والسرقة. فكم من الخسارة أن يفقد الإنسان المال والمكانة والإيمان أيضًا. ليس في الحياة العادية أمر مكلف حتى يضطر الإنسان للدين بالربا. فالنكاح مثلاً لا يكلف شيئاً، إذ يتحقق النكاح بقبول الطرفين. وبعده الوليمة سنة، وهي أيضًا معقاة عنها إذا

لم يقوَ عليها الإنسان. إذا تمسك الإنسان بنفقات فيها الكفاية، فلا يضره شيئاً. من المؤسف جداً أن الناس يُسخطون الله من أجل إشباع الأهواء النفسانية والأفراح المؤقتة، وفي ذلك هلاك لهم. فاعلموا أن التعامل بالربا ذنب عظيم. ألا يعرفون أن الله تعالى أجاز أكل الخنزير في اضطرار، فقد قال: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٦)، لكنه لم يقل ذلك بحق الربا بل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٧٩-٢٨٠). إن مذهبي أن الذي يتوكل على الله لا يحتاج (إلى الربا). إذا كان المسلمون يواجهون هذا الابتلاء فهو عقاب لأعمالهم السيئة، إن الهندوس حين يرايون يغتنون، أما المسلمون فحين يرتكبون هذا الذنب يهلكون وهم مصداق ﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ (الحج: ١٢). أفليس من الضروري أن يكف عنه المسلمون؟

على الإنسان أن يتبع في معاشه مبدأ القناعة والاكتفاء حتى لا يُضطر للدين الربوي، بحيث يزيد الربا على مبلغ الدين الحقيقي. فبالأمرس تلقيت رسالة من أحد أنه قد دفع إلى الآن ألف روبية وما زال هو مدين بخمسمئة أو ستمئة، ثم من الكارثة أن المحاكم أيضاً تحكم ضد من لم يدفع الربا، لكن ما ذنبها في ذلك؟ فما دام إقراره موجوداً فمعنى ذلك أنه راضٍ بدفع الربا، فهي تصدر الحكم ضده. كان أفضل من ذلك أن يجمع المسلمون تبرعات ليفتحوا صندوقاً يتاجرون بوارداته ويستثمرون المبلغ في التجارة، لكيلا لا يحتاج أي أخ للاستدانة بالربا، بل كان ممكناً لكل واحد أن يسد حاجته من ذلك الصندوق بحسب الحاجة، ويسدد في الميعاد. (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ٦/٢/١٩٠٨م، ص ٦)

إن الذي لا يُسرع إلى الحرام بل يسعى اجتنابه فإن الله تعالى يهيئ له وسيلة من الحلال. ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٣)، فالذي يجتنب الربا وأعمال

الحرام الأخرى، فسوف يجعل الله له مخرجًا. فحسنة الواحد وفكرته الحسنة تؤثر في غيره أيضًا، فمن صبر واستقام يستعد المرابي نفسه لتقديم المبلغ له دون ربا. (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ٦/٢/١٩٠٨ م، ص ٦)

الآية ٢٨٣: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

أي إذا دُعيتم للإدلاء بشهادة الحق فلا ترفضوا. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦١)

الآية ٢٨٤: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

عندما يكون النفع والخسارة مشتركة بين الفريقين في الرهن فالانتفاع منه ليس ممنوعا عندي. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٣ م، ص ٦)
طُرح سؤال عن الرهن فقال عليه السلام:

الشروط الراهنة للرهن جائزة، في الزمن الماضي كان الحكام يستلمون من المزارعين بحسب القانون ضريبة عند الحصاد، وإن لم يكن هناك حصاداً فيُعقون من الضريبة، أما الآن فالحكام يقبضون الضريبة في كل حال سواء حصل الحصاد أم لا، ولا يتركونها. فبذلك جاز الرهن أيضًا، لأن الزرع يحصل منه الحصاد أحياناً وأحياناً لا، فالمرتهن في كلا الحالتين مسئول عن الربح والخسارة. فالرهن جائز في حالة العدل، ففي العصر الراهن إن معاملة الحكومة مع الزراع حصلت في صورة مقايضة، وفي هذه الحالة ينتفع أصحاب الأراضي أحياناً ويخسرون أحياناً أخرى، وفي صورة العدل هذه يجوز الرهن بلا شك.

فما دامت دابة الركوب ودابة الحليب يمكن أن تعطى في الرهن المقبوض، والمرتهن يستطيع أن يستفيد من حليبيها وركوبها فرهن الأرض تحقق تلقائياً.

ثم سئل حضرته عن رهن الحلي فقال:

أي شيء كان في الرهن سواء كان حلياً أو غيرها، ما دام الانتفاع منه جائزاً فما الداعي للتكلفت عبثاً؟ إذا كان أحد يستفيد من الحلي حيث يلبسها فعليه أن يدفع الزكاة عليها أيضاً، فالزكاة على الحلي أيضاً واجبة، فبالأمس قدمت زوجتي ١٥٠ روبية زكاة على الحلي، إذن إن كان الإنسان يستخدم الحلي فليدفع الزكاة عليها أيضاً، وإذا كان المرهون عنزا وهو يشرب حليبها فليقدم لها العلف أيضاً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ١١)

إن مثل القلب كمثال قناة كبيرة تتفرع منها قنوات صغيرة تسمى جداول. من قناة القلب تنشق قنوات صغيرة كاللسان وغيره، فإذا كان ماء القناة الصغيرة فاسداً وقذراً وكدرًا فيقال بالقياس عليه إن ماء القناة الكبيرة فاسد أيضاً. فإذا رأيتم أن لسان شخص أو يده أو قدمه أو غيرها نجس، فاعلموا أن قلبه أيضاً نجس مثلاً. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ٨/٨/١٩٠١م، ص ٣)

الآية ٢٨٦: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

... ففي قولهم: لا نفرّق بين أحد من رسله إقرار منهم أننا لا نؤمن ببعض وننكر

بعضاً، بل نؤمن بالجميع...

يتبين من كل هذه الآيات أن القرآن يفرض على المسلمين أن يؤمنوا بجميع الأنبياء الذين ذاع قبولهم في العالم. ويكفي دليلاً على صدق هؤلاء الأنبياء بحسب القرآن الكريم أن جزءاً كبيراً من الدنيا آمن بهم، وأن نصرة الله وتأييده حالفهم في كل خطوة. حاشا لله أن يجعل عشرات ملايين الناس تابعين صادقين ومضحين بحياتهم لشخص يُعرف عنه أنه يفتري عليه وَعَلَيْكُمْ ويخدع العالم ويكذب. وإذا أُعطي

الكاذب إكراما كما يُكرم الصادقون لارتفع الأمان واشتبه أمر النبوة الصادقة. صحيح وحقُّ تماما المبدأ القائل بأن الأنبياء الذين يُكرمون بالقبول ويحالفهم تأييد الله ونصرته في كل خطوة ليسوا كاذبين قط. غير أنه من الممكن أن يحرف الذين يأتون فيما بعد صحائفهم ويغيروها ويقلبوا معانيها بتفسيراتهم على أهوائهم. بل ضروري أيضا للكتب القديمة أن يستنبط منها أناسٌ ذوو أفكار مختلفة معاني بحسب رأيهم ثم تُعدُّ المعاني نفسها جزءا من الكتب رويدا رويدا. ثم ينقسم الناس إلى فرق مختلفة بناء على جذب من تلك الأفكار المختلفة، وكل فرقة تستنبط معنى يعارض ما ذهبت إليه فرقة أخرى. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٧٧-٣٧٨)

الآية ٢٨٧: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

أي أن الله تعالى لا يُكره النفس البشرية على قبول ما ليس في سعتها العلمية، ولا يعرض على الإنسان إلا العقائد التي في وسعه أن يفهمها حتى لا تكون أوامره من قبيل التكليف بما لا يطاق. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٤٣٢)

نحن مأمورون أن نتبع النبي ﷺ في كل الأوامر والأخلاق والعبادات. فلو لم نُعطَ فطرئنا تلك القوى التي من شأنها أن تنال جميع كمالات النبي ﷺ بصورة ظلية لما أُمِرنا قط باتباع هذا النبي العظيم، لأن الله تعالى لا يكلف أحدا فوق طاقته، كما يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٦)

وأي شك في أن الذي تمت عليه الحجة عند الله ... جدير بالمؤاخذة يوم القيامة. أما الذي لم تتم عليه الحجة عند الله وهو مكذب ومنكر فمع أن الشريعة (التي تُطلق أحكامها على الأعمال الظاهرية) قد سمته كافرا، وندعوه نحن أيضا كافرا اتباعا للشريعة، إلا أنه مع ذلك لن يكون معرضا للمؤاخذة عند الله بحسب مضمون الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، ولكننا لسنا مخولين لنحكم بنجاته وإنما أمره على الله ولا دخل لنا في ذلك. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٨٦)

علينا إعمال العقل أيضا، لأن الإنسان مكلف بسبب العقل. لا يمكن لأحد أن يجبر نفسه على قبول ما ينافي العقل. لم يكلفنا الشرع بما يفوق القوى البشرية. إن قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٧) يبين جليا أن أحكام الله ليست مما يستحيل أن يعمل به أحد، كما لم ينزل الله شرائعه وأحكامه في الدنيا إظهارا لفصاحته وبلاغته ولا تدليلا على قوته الإبداعية ولا بيانا للقصص والأساطير، وكأما قرر منذ البداية أن الإنسان الضعيف الحقير لن يقدر على العمل بهذه الأحكام. كلا، تعالى الله عن فعل ذلك علوا كبيرا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٦٩-٧٠)

الالتزام بالشروط يكون بقدر الاستطاعة. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (مكتوبات أحمد، المجلد ٢، ص ١٨، مكتوب رقم ٤٩، إلى الخليفة الأول عليه السلام)
لقد جئت لتعليم القرآن الكريم فقط. لقد أرسل الله تعالى القرآن ليُعمل به. ولم يرد فيه قط بأن الله يُكره أحدا. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١م، ص ٧)
المواهب تبين بالفراسة. لقد أخفى الله تعالى بعض الأمور وأظهر بعضها، ولو أظهر كل شيء لضاع أجر الإيمان، ولو أخفى كل شيء لبقيت الأديان كلها خافية تحت الظلام، ولما كان هناك شيء مقنع، ولما استطاع صاحب دين أن يقول لغيره إنك مخطئ، ولما استقام مبدأ المؤاخذة، لأن ذلك كان تكليفا بما لا يطاق، بينما

يقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٢م، ص ٥)

فقد زوّد الله تعالى طبيعة كل إنسان موهبة لفهم نبوة الأنبياء والوحي والإلهامات التي تنزل عليهم. وتلك الموهبة هي الرؤيا. إن لم ير أحد رؤيا صادقة قط فأنت له أن يؤمن أن الوحي والإلهام أيضا شيء؟ ولما كان من صفات الله أنه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، لذا زوّد الجميع بهذه القدرة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٢م، ص ٦)

إن مدار الشريعة هو على اليسر وليس على العسر: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢م، ص ٨)

السؤال: النساء اللاتي مهرهن ٨٠ كيلو من شحم البعوض، فكيف يؤدي؟
الجواب: عند تعيين المهر يجب أن يكون في البال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، كما يجب مراعاة أوضاع الزوج، فإذا كان لا يقدر على دفع عشر روبيات فكيف يؤدي مهرا يقدر ثمنه بمائة ألف روبية. أما شحم البعوض فليس مهرا، فهو يندرج في ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (بدر، المجلد ٣، رقم ١١، عدد: ١٦/٣/١٩٠٤م، ص ٥-٦، والملفوظات، المجلد ٣، ص ٤٠٤)

كما تضعف الحواس الباطنية في هذه الفترة كذلك تفتقر الحواس الظاهرية، إذ يصاب البعض بالعمى وبعضهم بالصمم ويعجزون عن المشي أيضا ويصابون بأصناف المصائب والآلام. باختصار، إن هذه الفترة رديئة جدا. يتبين من كل ذلك أن الإنسان يستطيع أن ينجز شيئا في زمن واحد فقط يتخلل الزمنين أي زمن الشباب، لأنها مرحلة نمو القوى ونيل القوة. ولكن في هذه الفترة ترافق المرء النفس الأمارة وتحاجمه بشتى الأساليب وتريد أن تُبقيه تحت تأثيرها. وهذه الفترة هي فترة المؤاخذه وهي الأيام التي تصلح لفعل شيء من أجل العاقبة الحسنة، ولكنها محاطة بالآفات بحيث إن لم يسع الإنسان بكل ما في وسعه تجرّه هذه الفترة إلى الجحيم

وتجعله شقياً، ولكن إذا أمضاها المرء بحسن العمل والتيقظ والحذر الكامل يُتوقع بفضل الله تعالى أن تكون العاقبة حسنة لأن الفترة الأولى هي فترة الجهل والغفلة ولن يؤاخذ الله عليها كما يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١، عدد ١٩٠٥/١/١٠ م، ص ٣)

لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٧)، ولا رهبانية في الإسلام حيث يُضمر المرء يديه عاملاً بها، أو يُعطل قواه الأخرى أو يلقي بنفسه في مشقات قاسية أخرى. المراد من تحمّل المصائب من أجل العبادة هو أن يتنحى المرء من الأمور التي تُبعده عن متعة العبادة - ولا بد أن يشعر بالألم عند التخلي عنها في البداية - ويحتنب سخط الله. فمثلاً إذا كان هناك سارق يجب أن يترك السرقة، وإذا كان هناك من يرتكب الفواحش فليتحلّ عنها وعن سوء النظر، وإذا كان مدمناً على المخدرات يجب أن يجتنبها. عندما يترك أشياء يحبها فلا بد من تحمّل المشقة الشديدة في البداية، وإذا ثبت على تركها بالصبر والمثابرة سيرى أن الصعوبة التي كان يعاني منها في تركها بدأت تتحول إلى متعة رويداً رويداً، لأن الحسنات ستبدأ بالحلول محل تلك السيئات، وستأتي معها نتائجها المريحة أيضاً، لدرجة أنه حين يقدم المرء رضا الله تعالى في كل قوله وفعله، ويكون كل تحرّك وسكون له تابعا لأمر الله، سيرى بجلاء ووضوح أنه يستمتع بالاطمئنان والسكينة الكاملة. ففي هذه الحالة يقال: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٦) في هذه المرحلة يدخل المرء في ولاية الله ويخرج من الظلمات إلى النور.

تذكروا أن الإنسان عندما يلقي بنفسه في مشقة بترك الأشياء التي يحبها - المكروهة في نظر الله والمنافية لمشيئته تعالى - يترك جسمه الذي يتحمل هذه المعاناة تأثيره على الروح أيضاً فتحدث الروح تغييراً في نفسها متأثرة بالجسم فتخر على عتبات الله عفويا بكامل التواضع. هذا هو طريق الفوز بالمتعة في

العبادة. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٩، عدد: ١٠/٣/١٩٠٣ م، ص ١، والملفوظات، المجلد ٢، ص ٦٩٨)

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا...﴾. أي لا تؤاخذنا يا ربنا على أعمال حسنة لم نكسبها لأننا نسيناها، ولا تؤاخذنا على أعمال سيئة لم نرتكبها قصدا بل صدرت نتيجة سوء فهمنا... (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٥)

لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. إن الله يعفو أيضا عما يفوق القدرة ولا يستطيع الإنسان احتماله. (الحكم، المجلد ١٢، رقم ٢٢، عدد ٢٦/٣/١٩٠٨ م، ص ٤)



فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
٣	في ﴿آلَمْ﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه﴿﴾، ذكر العلة الفاعلة والعلة المادية والعلة الصورية والعلة الغائية لنزول القرآن الكريم
٨-٧	حقيقة التقوى
٩	في ﴿هدى للمتقين﴾ وعدُّ أن المؤمنين بالقرآن سيبلغون الكمال
١٣	ترجمة معاني ستة آيات أولى في سورة البقرة
١٣	العلل الأربعة للقرآن الكريم
١٤	صفة المتقي الأولى
١٥	صفة المتقي الثانية
١٧	ثلاث درجات النفس: النفس الأمارة، واللّوامة والمطمئنة
١٨	حالة العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى
٢٠	تأثير الصحبة
٢٢	في ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ بشارة بقبول الدعاء ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
٢٢	علامة المتقي أنه ينفق في سبيل الله ما أعطاه الله
٢٢	أسلوبان للإتفاق في سبيل الله
٢٣	باب الوحي والإلهام يُفتح للمتقي
٢٥	التقوى مفتاح العلوم الدينية
٢٨	المراد من المتقين هم المطهرون المذكورون في ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾
٢٨	التقوى أول شرط للعثور على العلوم السماوية والأسرار القرآنية

٣٠	أخطأ الناس في فهم معنى الأبدال، وبيان المعنى الحقيقي
٣٢	تكليفان في سبيل الله، أي الشرعي والسماعي
٣٣	الاتقاء مشتق من باب الافتعال، وصفته التكلف
٣٥	ولادات المتقي الثلاثة
٣٥	حقيقة التقوى
٣٨	إذا كان الإنسان تقياً يزيل الله له دواعي الذنب
٣٩	برأيي كان الأئمة الأربعة علامة بركة، وأتقياء في الحقيقة
٣٩	من هو المتقي؟
٣٩	لقد وعد الله أنه سيُجنب المتقي كل مشكلة ومصيبة
٤١	صفة المؤمنين
٤٣	مدارج المتقي: الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة
٤٥	كم من معاناة تقتضيها التقوى
٤٦	مراتب التقوى الثلاثة
٤٩	نوعان للاتقاء: العلمي والعملية
٥٠	حقيقة أركان الصلاة: القيام، الركوع، السجدة وغيرها
٥١	المراد من الرزق في ﴿مما رزقناهم ينفقون﴾
٥٣	الحكمة في استخدام ﴿مما﴾ مع ﴿رزقناهم ينفقون﴾
٥٦	التعريف بالمتقي وفلسفة الإيمان
٥٧	الفرق بين الصلاة والدعاء
٥٩	الصلاة أعلى نوع من الدعاء
٥٩	الصلاة أكبر معيار لزهد الإنسان
٦٢	للدعاء علاقة مع القبول
٦٥	الصلاة الحقيقية
٦٦	منافع الصلاة

٧٧	الفناء في الله ضرورة لإقامة العلاقة معه
٨٥	تفسير ﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾
٨٥	في كلمة "آخرة" ذكرٌ وحي المسيح الموعود عليه السلام
٨٦	في ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وعدٌ لفلاح المتقين
٨٧	حقيقة ختم الله على القلوب
٩١	من يصدق عليهم ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾
٩٣	أساليب المنافقين
٩٤	نوعان من العمى، عمى العيون وعمى القلوب
٩٥	معنى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٩٨	الإتيان بمثل القرآن مستحيل
١٠٠	المعارف المذكورة في سورة الفاتحة فريدة لا نظير لها
١٠٠	إعجاز القرآن الكريم
١١١	تشابه الإيمان بحديقة تجري من تحتها الأنهار
١١٢	تمثُّل الأعمال الدنيوية في الآخرة
١١٥	حقيقة العبادة
١١٩	حقيقة أنهار اللبن والعسل في الجنة
١٢٨	الضلال نتيجة سوء أعمال المرء نفسه
١٣٠	ذكر تقدم الصحابة رضي الله عنهم في ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾
١٣١	الملائكة وحقيقتها
١٤٢	لماذا لا نرى الملائكة
١٤٧	الملائكة تترك تأثيرها بحسب مواهبنا المختلفة
١٥٢	الإنعامات الروحانية بعد بلوغ درجة الفناء
١٥٤	النبي صلى الله عليه وسلم هو آدم للزمن الأخير
١٥٥	سؤال الملائكة الله تعالى عن آدم وتفسيره

١٥٩	المخلوقات قبل آدم
١٦٢	تفسير تعليم آدمَ الأسماءَ
١٦٨	نوعان من الحسن في خلق الإنسان، حسن المعاملة وحسن البشارة
١٧٠	جاء النبي ﷺ بجمال روحاني عظيم
١٧٣	معنى كلمة الشيطان، الهالك وهي مستمدة من "شيط"
١٧٤	الشيطان وحقيقته
١٧٦	الجحيم ليست أبدية
١٧٧	معنى "إسرائيل"
١٧٧	تفسير الآية: ﴿لا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا﴾
١٧٨	الزكاة ومسائلها
١٨٠	الموافقة بين قول الإنسان وفعله ضرورة
١٨٦	المراد من ﴿رجزًا من السماء﴾ هو الطاعون
١٨٨	العلاقة بين ﴿دابة الأرض﴾ و﴿رجزا من السماء﴾
١٩٣	تفسير ﴿يقتلون النبيين﴾ (هل يمكن أن يُقتل نبي)؟
١٩٣	النجاة مستحيلة بغير الإيمان بالنبي ﷺ
٢٠٦	المراد من ﴿رفعنا فوقكم الطور﴾
٢٠٧	المراد من كون بني إسرائيل قرودا في آية: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾
٢٠٨	تفسير ﴿إذ قتلتم نفسا﴾ وهل حيّ الميت فعلا؟
٢١٤	تفسير روح القدس
٢١٩	تكون لروح القدس علاقة بالأنبياء والأطهار من الناس
٢٢١	معنى اللعنة
٢٢٥	رؤى اليهود وإلهاماتهم عن بعثة النبي آخر الزمان
٢٢٦	تفسير ﴿أشربوا في قلوبهم العجل﴾
٢٢٧	الملاك جبريل وتأثيراته

٢٣٩	السر في الإيمان بالملائكة
٢٤١	الأحاديث لا تنسخ الآيات القرآنية
٢٤٤	الناجي وعلاماته
٢٤٦	معنى الإسلام اللغوي والاصطلاحي
٢٤٨	نذر الحياة في سبيل الله هو الإسلام الحقيقي
٢٥٠	في ﴿بلى من أسلم وجهه لله...﴾ إشارة إلى مرتبة الفناء واللقاء
٢٥٩	ضرورة نذر الحياة في سبيل الله
٢٦٢	نتيجة المداينة النهائية
٢٦٢	تفسير ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم﴾
٢٦٤	ينبغي أن يجعل المرء معاملته مع الله سوية دائما
٢٦٧	تفسير ﴿جعلناكم أمة وسطا﴾
٢٦٩	تفسير ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾
٢٧٢	المخاطبون في ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ هم ضعاف الإيمان وليس النبي ﷺ
٢٧٨	ثبات المؤمنين في الابتلاء ونزول رحمة الله
٢٨٢	جزاء حياة المؤمن
٢٩٠	المراد من ﴿نقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ الأولاد أيضا
٢٩٣	الابتلاء على المبعوثين من الله وجماعاتهم
٢٩٦	سبب حلول البلاء
٣٠٠	سبيلان لتقدم الإنسان
٣٠١	المعاناة بحسب مدارج تقدُّم الإنسان
٣٠٤	معنى كلمة "جُنَّاح"
٣٠٥	الفرق بين السباب وبيان الواقع
٣٠٧	ثلاثة أنواع لقرب الله وحقيقته
٣١٢	معنى كلمة "الحب"

٣١٧	جزاء للعبادة
٣١٨	ثلاث درجات لمراتب القرب والحب
٣٢١	جاذبان لكسب الإنسان خيرا أو شرا: لمة الملك، لمة الشيطان
٣٢٢	تفسير ما ﴿أَهْلٌ بِهِ لغير الله﴾
٣٢٤	الحكمة وراء تعليم القصاص
٣٢٦	فلسفة الصوم ومسائله
٣٣١	تفسير ﴿وعلى الذين يطبقونه فدية طعام مسكين﴾
٣٣٥	نبوءة في كلمة "قرآن"
٣٣٦	ضرورة الدعاء وأهميته وشروط إجابته
٣٦٧	أربع شروط لاستجابة الدعاء
٣٧٤	الحروب الإسلامية كانت دفاعية
٣٧٦	تفسير ﴿لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾
٣٧٩	فلسفة الحج
٣٨١	معنى الاستغفار وضرورته ومنافعه
٣٩٢	تفسير ﴿فادكروا الله كذكركم آباءكم﴾
٣٩٨	المراد من عذاب النار في ﴿وقنا عذاب النار﴾
٤٠٠	المراد من ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ هم معلّمو السيئة
٤٠٠	المراد من ﴿أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ إظهار جلاله ﷻ
٤٠٦	في ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ترغيب في الطهارة الظاهرية والباطنية
٤١٠	علة النكاح الغائية في الإسلام
٤١٠	تفسير ﴿نساؤكم حرث لكم﴾
٤١١	المراد من "عرضة" في ﴿لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾
٤١١	الأفكار التي تنشأ في القلوب تلقائيا لا تجعل المرء مذبذباً

٤١٣	شرح مسألة الطلاق
٤١٤	طريق التطليق
٤١٧	الستر على المرأة بواسطة الطلاق في الإسلام
٤١٨	الحالة محرمة
٤٢١	طريق الحصول على الخلع
٤٢٥	المراد من المهر الشرعي
٤٢٦	المراد من القرض في ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا﴾، هي الأعمال الصالحة
٤٢٩	المراد من صاحب الدرجات في ﴿رفع بعضهم درجات﴾ هو النبي ﷺ
٤٣٤	الدليل في ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم..﴾ على خالق العالم
٤٣٨	المعنى الحرفي لـ ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾
٤٤١	معنى الشفاعة وحقيقتها
٤٤٣	فلسفة الشفاعة
٤٥٣	ضرورة الشفاعة
٤٥٤	النبي ﷺ هو الشفيع الحقيقي
٤٥٦	لم ينتشر الإسلام بالجبر والإكراه
٤٦٥	الإسلام يعلم الحرية في الأمور الدينية
٤٦٦	تفسير ﴿فأما لله مئة عام ثم بعثه﴾
٤٦٩	من معاني "أمات"، أنام أيضا
٤٧٢	إن معرفة النبي ﷺ كانت تفوق معرفة إبراهيم عليه السلام
٤٧٣	السر الإلهي في ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾
٤٧٤	الصدقة مشتقة من الصدق
٤٧٦	المراد من الحكمة في ﴿مَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ﴾ هو علم القرآن
٤٨١	تعليمات المسيح الموعود عليه السلام عن الربا

٤٩١	الانتفاع من الرهن
٤٩٢	المراد من التفريق في ﴿لا نفرّق بين أحد من رسله﴾
٤٩٤	لم يكلف الإنسان تكليفا شرعيا أكثر من قدرته



فهرس الآيات المفسرة

رقم الآية	البقرة	الصفحة
٧-٢	﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾	١
٨	﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ...﴾	٨٧
٩	﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا ...﴾	٨٨
١١	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ ...﴾	٨٩
١٢-١٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ...﴾	٩٣
١٤	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ ...﴾	٩٣
١٥	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ...﴾	٩٣
١٩	﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾	٩٤
٢٠	﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ...﴾	٩٥
٢١	﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ...﴾	٩٥
٢٢-٢٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي ...﴾	٩٦
٢٤-٢٥	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا ...﴾	٩٧
٢٦	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	١١١
٢٧	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ...﴾	١٢٨
٢٩	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ...﴾	١٣٠
٣٠	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ...﴾	١٣٠
٣١	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ...﴾	١٣١
٣٢	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...﴾	١٦٢
٣٣	﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا ...﴾	١٦٧

١٦٨	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ...﴾	٣٥
١٧٢	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ...﴾	٣٦
١٧٣	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا ...﴾	٣٧
١٧٦	﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ ...﴾	٣٨
١٧٦	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ...﴾	٣٩
١٧٦	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ...﴾	٤٠
١٧٧	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ...﴾	٤١
١٧٧	﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مُصَدِّقًا ...﴾	٤٢
١٧٨	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾	٤٤
١٨٠	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ...﴾	٤٥
١٨١	﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ...﴾	٤٦
١٨١	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ...﴾	٥٦
١٨٣	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ...﴾	٥٧
١٨٣	﴿وَوَضَعْنَا عَلَىكُمْ الْعِمَامَ وَأَنْزَلْنَا ...﴾	٥٨
١٨٦	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا ...﴾	٦٠
١٩٠	﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ...﴾	٦١
١٩٠	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ ...﴾	٦٢
١٩٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ...﴾	٦٣
٢٠٥	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا ...﴾	٦٤
٢٠٦	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ ...﴾	٦٦
٢٠٨	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ...﴾	٧٣
٢١٠	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ...﴾	٧٤
٢١١	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	٨٣
٢١١	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾	٨٤

٢١١	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا ...﴾	٨٨
٢٢١	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ ...﴾	٨٩
٢٢٥	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ...﴾	٩٠
٢٢٦	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا ...﴾	٩٤
٢٢٦	﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ ...﴾	٩٥
٢٢٧	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ...﴾	٩٨
٢٣٩	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ...﴾	٩٩
٢٣٩	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ...﴾	١٠٣
٢٤٠	﴿مَا نُنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ ...﴾	١٠٧
٢٤٣	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ...﴾	١١٢ - ١١٣
٢٦٢	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ...﴾	١١٥
٢٦٢	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ ...﴾	١٢١
٢٦٢	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ ...﴾	١٢٦
٢٦٣	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ ...﴾	١٣٢
٢٦٤	﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ...﴾	١٣٣
٢٦٤	﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ...﴾	١٣٥
٢٦٥	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ...﴾	١٣٦
٢٦٥	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ...﴾	١٣٧ - ١٣٨
٢٦٦	﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ ...﴾	١٣٩
٢٦٧	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ...﴾	١٤٣ - ١٤٤
٢٦٨	﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ...﴾	١٤٥
٢٦٩	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ...﴾	١٤٧
٢٧١	﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ...﴾	١٤٨
٢٧٦	﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا ...﴾	١٤٩

٢٧٦	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ... ﴾	١٥٢
٢٧٧	﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي ... ﴾	١٥٣
٢٧٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ ... ﴾	١٥٤
٢٧٧	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ... ﴾	١٥٥
٢٧٧	﴿ وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ ... ﴾	١٥٨ - ١٥٦
٣٠٣	﴿ إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... ﴾	١٥٩
٣٠٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا ... ﴾	١٦٠
٣٠٥	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾	١٦٥
٣٠٧	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ... ﴾	١٦٦
٣٢٠	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ... ﴾	١٦٨
٣٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	١٦٩
٣٢٢	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ... ﴾	١٧٤
٣٢٢	﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴾	١٧٨
٣٢٣	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي ... ﴾	١٨٠
٣٢٥	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ ... ﴾	١٨١ - ١٨٣
٣٢٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ ... ﴾	١٨٤
٣٢٨	﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ... ﴾	١٨٥
٣٣٣	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ... ﴾	١٨٦
٣٣٦	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي ... ﴾	١٨٧
٣٧١	﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّفْتُ ... ﴾	١٨٨
٣٧٢	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ ... ﴾	١٨٩
٣٧٢	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ ... ﴾	١٩٠
٣٧٣	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ ... ﴾	١٩١
٣٧٤	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ... ﴾	١٩٤

٣٧٥	﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ...﴾	١٩٥
٣٧٥	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا ...﴾	١٩٦
٣٧٩	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ...﴾	١٩٨
٣٨٠	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا ...﴾	١٩٩
٣٨١	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ...﴾	٢٠٠
٣٩٢	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا ...﴾	٢٠١
٣٩٥	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا ...﴾	٢٠٢
٣٩٨	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ...﴾	٢٠٨
٤٠٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ...﴾	٢٠٩
٤٠٠	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ ...﴾	٢١١
٤٠١	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ...﴾	٢١٥
٤٠٤	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ ...﴾	٢١٧
٤٠٤	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ...﴾	٢١٨
٤٠٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ...﴾	٢١٩
٤٠٥	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ ...﴾	٢٢٣
٤١٠	﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا ...﴾	٢٢٤
٤١١	﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ ...﴾	٢٢٥
٤١١	﴿لَا يُؤْخَذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّعْوِ فِي ...﴾	٢٢٦
٤١٢	﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ...﴾	٢٢٧
٤١٢	﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ ...﴾	٢٢٨
٤١٣	﴿الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ...﴾	٢٢٩
٤١٤	﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ ...﴾	٢٣٠
٤٢٢	﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ ...﴾	٢٣١
٤٢٤	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ ...﴾	٢٣٢

٢٣٣	﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ ...﴾	٤٢٤
٢٣٤	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ...﴾	٤٢٤
٢٣٥	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ ...﴾	٤٢٥
٢٣٨	﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ ...﴾	٤٢٥
٢٤٦	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا ...﴾	٤٢٦
٢٥٠	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ...﴾	٤٢٧
٢٥١	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ...﴾	٤٢٨
٢٥٢	﴿فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ ...﴾	٤٢٨
٢٥٤	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ ...﴾	٤٢٨
٢٥٦	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...﴾	٤٣٢
٢٥٧	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ...﴾	٤٥٥
٢٥٨	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ ...﴾	٤٦٥
٢٦٠	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ ...﴾	٤٦٦
٢٦١	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي ...﴾	٤٧١
٢٦٢	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ...﴾	٤٧٤
٢٦٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا ...﴾	٤٧٤
٢٦٧	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ ...﴾	٤٧٦
٢٦٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ ...﴾	٤٧٦
٢٧٠	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ...﴾	٤٧٦
٢٧٢	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ...﴾	٤٨٠
٢٧٥	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ ...﴾	٤٨٠
٢٧٦ - ٢٨٠	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا ...﴾	٤٨١
٢٨٣	﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾	٤٩١
٢٨٤	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ ...﴾	٤٩١

٤٩٢	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ...﴾	٢٨٦
٤٩٣	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾	٢٨٧



